

كتاب بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة المجلد الثالث

الشيخ محمد تقي الشيخ التستري (الشوشتري)



هذا الكتاب

نشر إلكترونيًا وأخرج فنيًا برعاية وإشراف

شبكة الإمامين الحسينين (عليهما السلام) للتراث والفكر الإسلامي

بانظار أن يوفقتنا الله تعالى لتصحيح نصه وتقديمه بصورة أفضل في فرصة أخرى قريبة إنشاء الله تعالى.

كتاب بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة

المجلد الثالث

الشيخ محمد تقي الشيخ التستري (الشوشتري)

الصفحة ١

المجلد الثالث

تتمة الفصل السابع

٥

من الخطبة (٤) و من خطبة له عليه السلام بنا اهتديتُم في الظلماء و تسنمتم العلياء و بنا انفجرتُم عن السرار .

وَقِرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ الْوَاعِيَةَ وَ كَيْفَ يُرَاعِي النَّبَأَةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ رُبِطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الْخَفَقَانُ مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ الْغَدْرِ وَ اتَّوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ الْمُغْتَرِّينَ سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ وَ بَصَرَنِيكُمْ صِدْقُ النِّيَّةِ أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الْحَقِّ فِي جَوَادِّ الْمَضَلَّةِ حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَ لَا دَلِيلَ وَ تَحْتَفِرُونَ وَ لَا تَمِيهُونَ الْيَوْمَ أَنْطِقُ لَكُمْ الْعَجَمَاءَ ذَاتَ النَّبِيَانِ .

عَزَبَ رَأْيِي أَمْرِي تَخَلَّفَ عَنِّي مَا شَكَّكَتُ فِي الْحَقِّ مُذْ رَأَيْتُهُ لَمْ يُوجِسْ؟ مُوسَى؟ عَ خَيْفَةً عَلَى نَفْسِهِ أَشْفَقَ مِنْ غَلْبَةِ الْجُهَالِ وَ دَوْلِ الضَّلَالِ .

الْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ مِنْ وَتَقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ

الصفحة ٢

الحكمة (١٨٤) و قال عليه السلام :

مَا شَكَّكَتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرِيْتُهُ أَقُولُ : نَقَلَ الْخَوَئِي مَا فِي (الْإِرْشَادِ) : « وَ مِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قَتَلَ طَلْحَةَ وَ انْقَضَ أَهْلَ الْبَصْرَةِ : بَنَا تَسَنَّمَتِ الشَّرْفَ ، وَ بَنَا انْفَجَرْتُمْ عَنِ السَّرَارِ ، وَ بَنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظُّلْمَاءِ . وَ قَرَّ سَمِعَ لَمْ يَفْقَهُ الْوَاعِيَةَ . كَيْفَ يِرَاعِي النَّبَأَةَ مِنْ أَصَمَّتِهِ الصَّيْحَةَ . رَبَطَ جَنَانَ لَمْ يَفَارِقَهُ الْخَفْقَانَ . مَا زَلْتُ أَتَوَقَّعُ بِكُمْ عَوَاقِبَ الْغَدْرِ ،

وَ أَتَوَسَّمُكُمْ بِحَلِيَةِ الْمُخْتَرَيْنِ . سَتَرَنِي عَنْكُمْ جَلَابَابَ الدِّينِ ، وَ بَصَّرَنِيكُمْ صَدَقَ النِّيَّةِ . أَقَمْتُ لَكُمْ الْحَقَّ حَيْثُ تَعْرِفُونَ وَ لَا دَلِيلَ ، وَ تَحْتَقِرُونَ وَ لَا تَمْتَهُونَ . الْيَوْمَ انطِقَ لَكُمْ الْعَجْمَاءُ ذَاتِ الْبَيَانِ . عَزَبَ فَهْمَ امْرِئٍ تَخَلَّفَ عَنِّي . مَا شَكَّكَتُ فِي الْحَقِّ مِنْذُ ارِيْتَهُ . كَانَ بَنُو يَعْقُوبَ عَلَى الْمَحَبَّةِ الْعَظْمَى حَتَّى عَفَّوْا أَبَاهُمْ ، وَ بَاعَوْا أَخَاهُمْ ، وَ بَعْدَ الْإِقْرَارِ كَانَتْ تَوْبَتُهُمْ ، وَ بَاسْتِغْفَارِ أَبِيهِمْ وَ أَخِيهِمْ غَفَرَ لَهُمْ « ١ .

وَ نَقَلَ أَيْضًا مَا فِي (الْبَحَارِ) مِنْ نَقْلِ سِنْدِ الْخُطْبَةِ عَنِ الرَّوَنْدِيِّ ، عَنِ جَمَاعَةٍ عَنِ جَعْفَرِ الدَّوْرِيَسْتِيِّ ، عَنِ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى ، عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ الْإِسْتِرَابَادِيِّ ، عَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سِيَارِ ، عَنِ أَبِيهِ ، عَنِ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، عَنِ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، عَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ٢ .

قُلْتُ : مَا فِي (الْبَحَارِ) مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ الْإِسْتِرَابَادِيِّ مُحَرِّفَ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ الْإِسْتِرَابَادِيِّ ، فَهُوَ الَّذِي يَرُوي عَنْهُ الصَّدُوقُ ٣ .

« بَنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظُّلْمَاءِ » لِأَنَّهُمْ أَنْوَارُ اللَّهِ ، قَالَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : بَلِيَّةُ النَّاسِ عَلَيْنَا

(١) رَوَاهُ الْمَفِيدُ فِي الْإِرْشَادِ : ١٣٥ عَنْهُ الْخَوَئِي فِي شَرْحِهِ ١ : ٣١٤ .

(٢) رَوَاهُ الرَّوَنْدِيُّ فِي شَرْحِهِ ١ : ١٤٢ عَنْهُ الْمَجْلِسِيُّ فِي الْفَتَنِ مِنَ الْبَحَارِ : ٤١٣ وَ عَنْهُ الْخَوَئِي فِي شَرْحِهِ ١ : ٣١٤ .

(٣) لَفْظُ شَرْحِ الرَّوَنْدِيِّ « مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ » أَيْضًا وَ هُوَ مِنْ مَشَائِخِ الصَّدُوقِ أَيْضًا كَمَا ذَكَرَهُ أَصْحَابُ الرِّجَالِ ، وَ رَوَى عَنْهُ الصَّدُوقُ فِي أَمَالِيهِ : ١٤٧ ح ١ الْمَجْلِسِيُّ ٣٣ بِقَوْلِهِ : « حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْإِسْتِرَابَادِيُّ » .

عظيمة ، إن دعوناهم لم يستجيبوا لنا ، و إن تركناهم يهتدوا بغيرنا ١ .

و روى الطبري في (ذيله) في عنوان (من روى عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ مِنْ هَمْدَان) مسندا عن زياد بن مطرف قال : سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ يَقُول : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَحْيَى حَيَاتِي ، وَ يَمُوتَ مَيِّتِي ، وَ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ الَّتِي وَ عَدَنِي رَبِّي قَضَبَانَا مِنْ قَضَبَانِهَا غَرَسَهَا فِي جَنَّةِ الْخَلْدِ فَلْيَتَوَلَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ ذُرِّيَّتَهُ مِنْ بَعْدِهِ ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَخْرُجُوهُمْ مِنْ بَابِ هُدَى ، وَ لَنْ يَدْخُلُوهُمْ فِي بَابِ ضَلَالَةٍ ٢ .

و قد أقرت العامة بأنه لو لا أمير المؤمنين عليه السلام لما علم الناس قتال أهل القبلة ، و في (نوارح حجّ الفقيه) عن أبي حنيفة قال : لو لا جعفر بن محمد ما علم الناس مناسك حجّهم ٣ .

و في (زيادات حجّ التهذيب) : لقي مسلم مولى أبي عبد الله عليه السلام صدقة الأحذب و قد قدم من مكة ، فقال له مسلم : الحمد لله الذي يسّر سبيلك ، و هدى دليلك ، و أقدمك بحال عافية ، و قد قضى الحجّ ، و أعان على السّعة ، فقبل الله منك ،

و أخلف عليك نفقتك ، و جعلها حجّة مبرورة ، و لذنوبك طهورا . فبلغ ذلك أبا عبد الله عليه السلام فقال له : كيف قلت لصدقة ؟ فأعاد عليه ، فقال له : من علمك هذا ؟ قال :

جعلت فداك ، مولاي أبو الحسن عليه السلام . فقال له : نعم ما تعلمت ، إذا لقيت أخا من إخوانك فقل له هكذا ، فإن المهدي بنا هدي ، و إذا لقيت هؤلاء فقل لهم ما يقولون ٤ .

هذا ، و سمّي اسامة أبو شداد الصّحابي (الهادي) لأنه كان يوقد النار ليلا لمن يسلك الطريق .

(١) الارشاد للمفيد : ٢٦٦ ، و المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ٢٠٦ .

(٢) ذيل المذيل للطبري ، منتخبه : ٨٣ ، و المناقب للخوارزمي : ٣٤ .

(٣) الفقيه للصدوق ٢ : ٣٠٧ ح ٣ .

(٤) التهذيب للطوسي ٥ : ٤٤٤ ح ١٩٣ .

الصفحة ٤

« و تسنّمتم العلياء » قال الخوئي : أي : بتلك الهداية و شرافة الإسلام ركبتنم سنام العلياء و الرّفعة ١ .

قلت : بل المعنى : بنا ركبتنم سنام العلياء .

« و بنا انفجرتم عن السرار » قال المجلسي و تبعه الخوئي : لعل معنى (انفجرتم) أنه انفجرتم انفجار العين من الأرض أو الصبح من الليل ٢ .

و قال ابن أبي الحديد : أي : دخلتم في الفجر ، و السرار الليلة و الليلتان يستتر فيهما القمر في آخر الشهر فلا يظهر . و روي : أفجرتم ، و هو أفصح و أصح ، لأنّ انفعّل لا يكون إلا مطاوع فعل ٣ .

قلت : في الأول أنه لم يقل أحد : إنّ السرار يأتي بمعنى الأرض أو مطلق الليل . و في الثاني : إنّ الدخول في الفجر لا يختصّ بليلة استتار القمر . و لا يبعد أن يكون المراد : أنّ بسببنا صرتم من أفضل الناس ، قال الجوهري : و سرّ الوادي أفضل موضع فيه ، و كذلك سرارة الوادي ، و الجمع سرار . قال :

فإن أفخر بمجد بني سليم
أكن منها التخومة و السرار ٤

« وقر » في (الصحاح) : و قرّت أذنه بالكسر ، أي : صمّت ، و قرّت أذنه على ما لم يسمّ فاعله ٥ .

و عليه فيحتمل (وقر) وجهين معلوما بكسر العين ، و مجهولا .

« سمع لم يفقه الواعية » أي : الصوت المرتفع ، و معلوم أنّ سمعا لم يفهمه موقور ، و عنه عليه السلام في حديث الأربعمائة : من شهدنا في حربنا أو سمع و اعيتنا

(١ و ٢) شرح الخوئي ١ : ٣١٦ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١ : ٧٠ .

(٤) صحاح اللغة للجوهري ٢ : ٦٨١ مادة (سرّ) و النقل بتقطيع .

(٥) صحاح اللغة للجوهري ٢ : ٨٤٨ مادة (وقر) .

الصفحة ٥

فلم ينصرنا أكبه الله على منخريه في النار ١ .

و ممّا قلنا اتضح أنّ جملة « وقر سمع لم يفقه الواعية » خبر ، و المراد من أنّ من لم يسمع صراخ النبيّ صلى الله عليه و آله بذكر مقاماتنا أهل البيت كقوله صلى الله عليه و آله : إني تارك فيكم الثقلين : كتاب

اللَّهِ و عترتي ، و أنَّهما لن يفترقا حتَّى يردا عليّ الحوض ٢ . و كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ : مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ، و من تخلف عنها غرق ٣ . إلى غير ذلك ممَّا يتعذَّر استقصاؤه أصمّ موقور ، كالذين قال تعالى فيهم : . . . لهم قلوب لا يفقهون بها و لهم أعين لا يبصرون بها و لهم آذان لا يسمعون بها . . . ٤ ، و كالذين قال عزّ و جلّ فيهم : ختم الله على قلوبهم و على سمعهم و على أبصارهم غشاوة . . . ٥ .

و أمّا قول ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخوئي و المجلسي ٦ : إنّه دعاء .

فهو كما ترى ، لأنّه لا محل للدعاء هنا ، فإنّه يكون من قبيل الدعاء على الأصم بالصم .

هذا ، و في (الصحاح) : الواعية : الصارخة ٧ . و قال (القاموس) : الواعية :

الصراخ و الصوت لا الصارخة ، و وهم الجوهري ٨ .

(١) رواه ضمن حديث الاربعمائة الصدوق في الخصال : ٦٢٥ ، و ابن شعبة في تحف العقول : ١١٥ و غيرهما .

(٢) هذا حديث الثقلين مرّ تخريجه في شرح فقرة « اليهم يفىء الغالي » في العنوان ٤ من هذا الفصل .

(٣) هذا حديث السفينة أخرجه جمع كثير ، منهم : الحاكم في المستدرک ٢ : ٣٤٢ ، و أبو يعلى بطريقين في مسنده عنه المطالب العالیه ٤ : ٧٥ ح ٤٠٠٣ ، ٤٠٠٤ ، و البزار بطريقين في مسنده عنه إحياء الميت : ٢٥ ، ٢٦ ح ٢٤ ، ٢٥ ، و صاحب صحيفة الرضا عليه السّلام فيها : ٥٧ ح ٧٦ ، و القاضي الصعدي في الدرر : ٥١ .

(٤) الاعراف : ١٧٩ .

(٥) البقرة : ٧ .

(٦) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١ : ٧٠ ، و شرح ابن ميثم ١ : ٢٧١ ، و شرح الخوئي ١ : ٣١٧ ، و فتن البحار : ٤١٣ .

(٧) صحاح اللغة للجوهري ٦ : ٢٥٢٦ مادة (وعى) .

(٨) القاموس المحيط ٤ : ٤٠٠ مادة (وعى) .

قلت : بل الوهم منه ، فإنه توهم أنّ مراد الجوهرى بالصارخة امرأة تصرخ ، مع أنّ مراده نفس الصّراخ ، وليته تذكر ما قاله نفسه في مادة (صرخ) من أنّ الصارخة الإغاثة ، مصدر على فاعلة و صوت الاستغاثة .

ثمّ إنّ ابن أبي الحديد و ابن ميثم قالوا تبعاً (للصحاح) : و الواعية :

الصارخة ١ . و قال الخوئي : الواعية : الصراخ و الصوت كما في (القاموس) ، لا الصارخة كما ذكر ابن أبي الحديد و ابن ميثم تبعاً للجوهري ٢ . و على ما قلنا قوله ساقط .

« و كيف يراعي النبأ من أصمته الصيحة » قال ابن أبي الحديد : النبأ :

الصوت الخفي . أي : كيف يراعي العبر الضعيفة من لم ينتفع بالعبر الجليّة ،

شبه ذلك بمن أصمته الصيحة القويّة فإنه محال أن يراعي بعد ذلك الصوت الضعيف ٣ .

قلت : لا معنى لكلامه ، فإنّ الأصمّ لا يراعي الصوت الضعيف ، و لو لم يكن صممه من صيحة قويّة . و الصواب : أنّ قوله عليه السّلام : « أصمته الصيحة » كناية عن عدم ترتيبيه الأثر على الصوت القوي كالأصمّ عنه ، و حينئذ فمن لم يراع الصيحة كيف يراعي النبأ ؟ و مراده عليه السّلام أنّ الأمة الذين لم يراعوا محكمات القرآن في أهل البيت عليهم السّلام ، كقوله تعالى : إنّما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راعون ٤ ، و قوله تعالى : . . . فقل

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١ : ٧٠ ، و شرح ابن ميثم ١ : ٢٧٠ .

(٢) شرح الخوئي ١ : ٣١٥ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١ : ٧٠ ، و النقل بالمعنى .

(٤) المائدة : ٥٥ .

الصفحة ٧

تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم . . . ١ ،

و قوله تعالى : . . . إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت و يطهّركم تطهيرا ٢ ، و لم يراعوا تأكيدات النبي صلّى الله عليه و آله فيهم ، كقوله صلّى الله عليه و آله في أمير المؤمنين عليه السّلام : من

كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ، اللهمّ وال من والاه ، و عاد من عاداه ، و انصر من نصره ، و اخذل من خذله ٣ ، و قوله صلّى الله عليه و آله في الصّدّيقة عليها السّلام :

إنّها سيّدة نساء العالمين ٤ ، و إنّها بضعة منه يؤذيه ما يؤذيها ، و رضاها رضاه ، و سخطها سخطه ٥ ، و قوله صلّى الله عليه و آله في الحسن و الحسين عليهما السّلام : إنّهما سيّدا شباب أهل الجنّة ٦ ، مع اعترافهم في الظاهر بحجّيتهما . كيف يراعون كلامه عليه السّلام في أهل البيت عليهم السّلام مع عدم إقرارهم به عليه السّلام .

و قال ابن ميثم : كنى بالصّمم عن بلوغ تكرار كلام الله على أسماعهم إلى حدّ أنّها محلّه ، و ملّت سماعه بحيث لا تسمع بعده ما هو في معناه خصوصا ما هو أضعف ٧ . و هو كما ترى .

« ربط » قال الجوهرى : رابط الجأش : أي : شديد القلب ، كأنّه يربط نفسه

- (١) آل عمران : ٦١ .
- (٢) الأحزاب : ٣٣ .
- (٣) هذه احدى روايات حديث الغدير الذي مرّ تخريجه في شرح فقره « و لهم خصائص » في العنوان ٤ من هذا الفصل .
- (٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٤ : ٩٦ ، و مسلم بطريقين في صحيحه ٤ : ١٩٠٤ ، ١٩٠٥ ح ٩٨ ، ٩٩ و غيرهما عن عائشة ، و في الباب عن فاطمة عليها السّلام و أبي سعيد و حذيفة .
- (٥) المشهور في ذلك حديث سفيان بن عيينة عن المسور بن مخرمة : « فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني » .
- أخرجه البخاري في صحيحه ٢ : ٣٠٢ ، ٣٠٨ ، و مسلم في صحيحه ٤ : ١٩٠٣ ح ٩٤ و غيرهما ، و روي بطرق و ألفاظ اخرى .
- (٦) أخرجه الترمذي بطريقين في سننه ٥ : ٦٥٦ ح ٣٧٦٨ ، و أحمد بثلاث طرق في مسنده ٣ : ٣ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٨٢ ، و البلاذري في أنساب الأشراف ٣ : ٦٤ ح ٨٠ و غيرهم .
- (٧) شرح ابن ميثم ١ : ٢٧٢ .

« جنان » بالفتح ، أي : قلب .

« لم يفارقه الخفان » أي : الاضطراب . و النسخ ٢ متّفقة على كون الجملة هكذا : « ربط جنان لم يفارقه الخفان » فأما هو دعاء ، أي : يربط الله قلبا لم يفارقه الاضطراب ، و المراد قلبه ، و قلب شيعته في أيام الثلاثة و بعدهم ، لابتلائه بالجمال و صفين و النهروان ، و أمّا (ربط) محرّف (يربط) و يكون خيرا و عطا على (يراعي) و المراد قلوب غير شيعته من أصحابه ، أي : كيف يربط قلب بولايته و إمامته بعد النبيّ صلّى الله عليه و آله . و الحال لم يفارقه الاضطراب من أيامهم إلى يومه .

« ما زلت أنتظر بكم عواقب الغدر » في (السّير) لما بايعه الزبير ، قال عليه السّلام له :

إنّي لخائف أن تغدر بي فتتكث بيّعتي . قال : لا تخافنّ ، فإنّ ذلك لا يكون منّي أبدا . فقال عليه السّلام : فلي الله عليك بذلك راع و كفيل . قال : نعم ، الله لك عليّ بذلك راع و كفيل ٣ .

« و أتوسّمكم » أي : أنفّرس فيكم .

« بحلية المغترّين » فلما رفع أهل الشام المصاحف ، و قالوا : القرآن بيننا و بينكم . لم يتميّزوا إنّه لا مورد لفعلهم و قولهم ، و إنهم لو كانوا حقيقة مصدّقين بالقرآن كان الواجب عليهم أن يتابعوه و يطاوعوه ، لأنّه عليه السّلام كان بمنزلة نفس النبيّ صلّى الله عليه و آله بعد سوابقه تلك في الإسلام ، و كلام الله تعالى ، و كلام رسوله صلّى الله عليه و آله فيه عليه السّلام في جميع أيّامه ، و معاوية عدوّ النبيّ و عدوّ الإسلام ، و من

(١) صحاح اللغة للجوهري ٣ : ١١٢٧ مادة (ربط) .

(٢) كذا في نهج البلاغة ١ : ٣٨ ، و شرح ابن أبي الحديد ١ : ٧٠ ، و شرح ابن ميثم ١ : ٢٧٠ .

(٣) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١ : ٧٧ ، شرح الخطبة ٨ ، و النقل بالمعنى .

الصفحة ٩

الشجرة الملعونة ، و من الذين أسروا الكفر و أظهروا الإسلام يوم فتح مكّة ،

فاغترّوا و قالوا له عليه السّلام : لو لم تترك القتال لنقتلك كما قتلنا عثمان ، أو نعطيك بيد معاوية .

« سترني عنكم جلباب الدين ، و بصرنيكم صدق النية » أي : أن تظاهركم بالدين ، و وضعكم جلبابه على وجوهكم سترني عنكم أو ستركم عني كما نقل عن نسخة ، و المعنى واحد حتى لا أرى أنكم غير معتقدين لشيء ، و لكن بصرني بكم بأن تظاهركم بالدين مجرد صورة و محض ظاهر صدق نيّتي ،

و صحّة فراستي .

« أقت لكم سنن الحق » أي : طريقه .

« في جواد » بالتشديد جمع جادّة .

« المضلّة » بالفتح ، أي : الضلالة . فأرشدهم عليه السّلام إلى ما هو وظيفتهم من الله تعالى ، و في خبر علقمة ، و أبي أيوب قالوا : لما نزل قوله تعالى : الم . أ حسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً و هم لا يفتنون ١ قال النبيّ صلى الله عليه و آله لعمار : إنه سيكون بعدي هنات حتى يختلف السيف في ما بينهم ، و حتى يقتل بعضهم بعضاً ، و حتى يتبرأ بعضهم من بعض ، فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع عن يميني عليّ بن أبي طالب ، فإن سلك الناس كلّهم و ادبوا فاسلك وادي عليّ و خلّ عن الناس . يا عمار إن عليّاً لا يردك عن هدى ، و لا يردك إلى ردى . يا عمار طاعة عليّ طاعتي ، و طاعتي طاعة الله ٢ .

و هو عليه السّلام و إن أقامهم على سنن الحقّ من ساعة وفاة النبيّ صلى الله عليه و آله حتى في كيفية غسله ، و الصلاة عليه ، و موضع دفنه ، و وضع تاريخه ، و في كشف

(١) العنكبوت : ٢١ .

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٣ : ٢٠٣ .

الصفحة ١٠

المعضلات في زمن الثلاثة و ردعهم عن خطأهم ، إلا أن الظاهر أن مراده عليه السّلام هنا كيفية القتال مع أهل القبلة ، فلم يتفق ذلك في زمان النبيّ صلى الله عليه و آله حتى يعرفوا منه شيئاً ، فلم يقاتل صلى الله عليه و آله إلا على التنزيل ، و قتالاته عليه السّلام كانت على التأويل ،

حسبما أخبره بذلك ١ .

« حيث تلتقون و لا دليل » لولاه عليه السّلام .

« و تحفرون و لا تميهون » أي : لا تصلون إلى ماء ، و الجملة كناية عن أنهم كانوا يتفاوضون في الأحكام و العضلات و لم يكونوا يحصلوا شيئاً ،

كمن في مفازة و لا دليل له ، و كمن يحفر لاستنباط ماء و لا يصل إلى ماء حتى كان عليه السلام يرشدهم و يهديهم . و إن أحببت عرفان ذلك فارجع إلى كتابنا في قضاياها عليه السلام فإنه تكفل مقداراً من ذلك .

« اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان » قال ابن أبي الحديد : الجملة إشارة إلى الرموز التي تتضمنها هذه الخطبة ، يقول : هي خفية غامضة ، و هي مع غموضها جلية لاولي الألباب ، فكأنها تنطق كما ينطق ذوو الألسنة ٢ .

و قال ابن ميثم : كنى بالعجماء ذات البيان على الحال التي يشاهدونها من العبر الواضحة ، و المثالات التي حلت بقوم فسقوا أمر ربهم ، و عما هو واضح من كمال فضله عليه السلام بالنسبة إليهم ، و ما ينبغي لهم أن يعتبروا من حال الدين ، و مقتضى أوامر الله التي يحثهم على اتباعها ، فإن كل هذه الأحوال امور لا نطق لها مقالي . فشبهها لذلك بالعجماء من الحيوان ، و استعار لها لفظها ،

(١) انظر الى حديث النبي صلى الله عليه و آله : « إن منكم رجلاً يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله » . أخرجه النسائي في الخصائص : ١٣١ ، و أحمد بطريقين في مسنده : ٣٣ ، ٨٢ ، و أبو يعلى و ابن أبي شيبة في مسنديهما ، و ابن حبان في صحيحه ، و الحاكم في المستدرک ، و سعيد بن منصور في سننه ، و الضياء في المختارة ، و البيهقي في الشعب ، و أبو نعيم في الحلية عنهم منتخب كنز العمال ٥ : ٣٣ ، ٣٧ ، و ابن أخي تبوك في مسنده ، منتخبه : ٤٣٨ ح ٢٣ و غيرهم .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١ : ٧١ .

الصفحة ١١

و وصفها بكونها ذات البيان ، لأن لسانها الحال مخبر بمثل مقاله عليه السلام ، ناطق بوجوب اتباعه ١ .

قلت : و يمكن أن يكون قوله عليه السلام هذا مساوقاً لقوله الآخر : « لو تئيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة و الإنجيل و الزبور و الفرقان بكتبهم ، حتى ينطق كل كتاب بأن علياً حكم في ما حكم الله في » ٢ . و ورد أن القرآن كتاب الله الصامت و هو عليه السلام كتاب الله الناطق ٣ . و يمكن أن يكون إشارة إلى قوله تعالى :

و إذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أنّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ٤ .

هذا ، و قيل في الأغاز :

أبى علماء الناس أن يخبرونني
بناطقة خرساء مساوكها الحجر

قيل : المراد الطاحونة .

« عزب رأي امرئ تخلف عني » يمكن أن يكون مراده عليه السّلام المتخلفين عن بيعته و غزواته ، كسعد بن أبي وقاص ، و مع ذلك قال لمعاوية : سمعت النبيّ صلّى الله عليه و آله يقول : « عليّ مع الحقّ و الحقّ مع عليّ يدور حيثما دار » و هو حديث متواتر فقال له معاوية : أنت الآن ألوم ما كنت عندي ، و الله لو سمعت أنا هذا من النبيّ صلّى الله عليه و آله ما زلت خادما لعليّ حتّى أموت ٥ .

(١) شرح ابن ميثم ١ : ٢٧٤ .

(٢) هذا حديث مشهور بفرق بين ألفاظه ، أخرجه الخوارزمي في مناقبه : ٤٧ و غيره ، مرّ تخريجه في شرح فقرة « من الكلام النبوي » من خطبة الرضي .

(٣) روى هذا المضمون في موارد ، منها في وقعة صفين حينما رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح .

(٤) النمل : ٨٢ .

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخه عنه ذيل ترجمة علي عليه السّلام ٣ : ١٥٦ ، و البزار في مسنده عنه مجمع الزوائد ٧ : ٢٣٦ ، و ابن مردويه في مناقبه ، عنه إحقاق الحق ٥ : ٦٣١ بفرق بين الألفاظ ، و في الباب عن علي عليه السّلام و أمّ سلمة .

الصفحة ١٢

و أقول : إنّ معاوية و إن قال لسعد : إنّ لم يسمع ذلك من النبيّ صلّى الله عليه و آله ، إلاّ أنّه علم أنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله قال ذلك ، و لم يكن معتقدا بالنبيّ صلّى الله عليه و آله ، إلاّ أنّه قال ذلك لسعد جدلا ، حيث إنّه أقرّ بسماعه و اعتزله عليه السّلام .

و يمكن أن يكون مراده عليه السلام المتخلفين عن القول بإمامته بعد النبي صلى الله عليه وآله ، و قد قال صلى الله عليه وآله في المستفيض : مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ، و من تخلف عنها غرق ١ .

« ما شككت في الحق مذ أريته » هذا الكلام تعريض بالمتقدمين عليه ، فإنهم نقلوا عن أبي بكر أنه تمنى في حال احتضاره سؤال النبي صلى الله عليه وآله : هل كان له حق في الخلافة أم لا ؟ ٢ و نقلوا عن عمر أنه لما اشير عليه بنصب ابنه بعده قال : إن كان له فيها حق فحسب آل الخطاب بشخصه ، و إن لم يكن له حق فلم يتحمل مظلمة ابنه ٣ زائدة على مظلمته . كما أنه أقر أنه شك في حقيقة الإسلام ،

و حقيقة النبي صلى الله عليه وآله يوم الحديبية ٤ ، و أمّا هو صلوات الله عليه فكان على بينة من ربه من أوله إلى آخره ، بقعوده أيام الثلاثة ، و قيامه بعدهم ، و قتال الناكثة ،

و القاسطة ، و المارقة كالنبي صلى الله عليه وآله في مكة و في المدينة ، في قعوده أولاً و قيامه أخيراً .

(١) هذا حديث السفينة مر تخريجه في أوائل هذا العنوان .

(٢) رواه الجوهري في السفينة : ٣٩ ، و الطبري في تاريخه ٢ : ٦١٩ سنة ١٣ ، و المسعودي في مروج الذهب ٢ : ٣٠١ ، و أبو عبيدة في الأموال ، و العقيلي في الضعفاء ، و الطرابلسي في الفضائل ، و الطبراني في معجمه الكبير ، و ابن عساكر في تاريخه ، و الضياء في المختارة عنهم منتخب كنز العمال ٢ : ١٧١ ، و ابن قتيبة في الإمامة و السياسة ١ : ١٨ ضمن كلام طويل عنه « فوددت أني سألته هذا الأمر فكنا لا ننازعه أهله » .

(٣) رواه الطبري في تاريخه ٣ : ٢٩٢ سنة ٢٣ ، و ابن النجار في تاريخه عنه منتخب كنز العمال ٢ : ١٨٩ ، و ابن قتيبة في الإمامة و السياسة ١ : ٢٤ ، و النقل بالمعنى .

(٤) صحيح البخاري ٢ : ٢٠٥ ، و صحيح مسلم ٣ : ١٤١١ ح ٩٤ ، و سيرة ابن هشام ٣ : ٢٠٣ ، و المغازي للواقدي ١ : ٦٠٦ ، ٦٠٨ ، و تاريخ الطبري ٢ : ٢٨٠ سنة ٦ .

الصفحة ١٣

و روى المدائني : أن عمرو بن العاص لقي الحسن عليه السلام في الطواف ، فقال له : يا حسن زعمت أن الدين لا يقوم إلا بك و بأبيك ، فقد رأيت الله أقامه بمعاوية فجعله راسياً بعد ميله ، و بينا بعد خفائه ، أفرضي الله بقتل عثمان ، أو من الحق أن تطوف بالبيت كما يدور الجمل بالطنح عليك ثياب كغرقى

البيض ، و أنت قاتل عثمان ؟ و الله ، إنه لألمّ للشعث ، و أسهل للوعث أن يوردك معاوية حياض أبيك .
فقال الحسن عليه السلام : إن لأهل النار لعلامات يعرفون بها : إلحادا لأولياء الله ،

و موالة لأعداء الله ، و الله إنك لتعلم أن عليا عليه السلام لم يرتب في الدين ، و لم يشك في الله ساعة ،
و لا طرفة عين قط . و أيم الله لتنتهين يابن ام عمرو أو لأنفذن حزنك بنوافذ أشد من القضيبيّة ، فيآك و
التّهجم عليّ ، فإني من قد عرفت :

لست بضعيف الغمزة ، و لا هشّ المشاشة ، و لا مريء المأكلة ، و إنني من قريش كواسطة القلادة يعرف
حسبي ، و لا ادعى لغير أبي ، و أنت من تعلم و يعلم الناس تحاكت فيك رجال قريش فغلب عليك جزّارها ،
الأهم حسبنا ،

و أعظمهم لؤما . فيآك عني فإنك رجس ، و نحن أهل بيت الطهارة اذهب عنا الرجس و طهرنا تطهيرا .
فأفحم عمرو و انصرف كئيبا ١ .

« لم يوجس » في (الصحاح) : الوجس أيضا : فزعة القلب ، و أوجس في نفسه خيفة : أي أضمر ٢ .

« موسى عليه السلام خيفة على نفسه أشفق » أي : خاف .

« من غلبة الجهال و دول الضلال » يعني كما لم يخف موسى على نفسه على الضلال من سحر السحرة ،
بل من اشتباه الأمر على العوامّ و الجهال ، كذلك هو عليه السلام لم يبال بتقدم الثلاثة عليه في القيام بالأمر ،
فإن الإمام كالنبيّ ليس ،

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٠ شرح الكتاب ٣١ عن المدائني .

(٢) صحاح اللغة للجوهري ٢ : ٩٨٤ مادة (وجس) .

الصفحة ١٤

شرط منصبه السلطنة و القيام بالأمر ، و لكنّه خاف من اشتباه الأمر على العوامّ و الجهال ، فإنهم لا
يفرقون في ذلك بين الحقّ و الباطل ، و يتوهّمون أن كلّ من قام إمام ، و أنّ الاعتقاد بالثلاثة جزء الديانة ،
و أنّ غير المعتمد بهم خارج من الملة ، كما عليه إخواننا من أهل السنّة ، مع أنّ فاروقهم لما دعا الناس إلى
قيام صديقهم جعله مجرد سلطنة ، و أهون من إمامة صلاة جماعة ، فقال له :

رضيك النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ لَدِينَا ، فِي مَا ادَّعَاهُ مِنْ أَنْ تَقَدَّمَ فِي الصَّلَاةِ كَانَ بِأَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ، قَالَ : فَكَيْفَ لَا نَرْضَاكَ لَدِينَانَا ؟ وَ لَوْ كَانَ إِخْوَانَنَا فَرَّقُوا بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ لَارْتَفَعَ النَّزَاعُ مِنَ الْبَيْنِ ، وَ لِأَدَى قِيَامِ الْأَوَّلِينَ إِلَى وَصُولِ الْأَمْرِ إِلَى بَنِي أُمَيَّةِ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ .

وَ نَظِيرَ مَرْمَى كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَنْ أَسْفَهُ مِنْ تَقَدَّمَ أَوْلَاكَ إِنْ مَا كَانَ لِضَلَالَةٍ جَمَعَ غَيْرَ ذَوِي بَصِيرَةٍ ، مَا عَنْ (تَارِيخِ الثَّقَفِيِّ) : أَنْ رَجَلًا جَاءَ إِلَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ ،

فَقَالَ : يَا أَبَا الْمَنْذَرِ أَلَا تَخْبِرُنِي عَنْ عَثْمَانَ مَا قَوْلِكَ فِيهِ ؟ فَأَمْسَكَ عَنْهُ . فَقَالَ الرَّجُلُ : جَزَاكَمُ اللَّهُ شَرًّا يَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ شَهَدْتُمْ الْوَحْيَ وَ عَايَنْتُمُوهُ ، ثُمَّ نَسَأَلَكُمْ التَّفَقُّهُ فِي الدِّينِ فَلَا تَعْلَمُونَا . فَقَالَ أَبِي : عِنْدَ ذَلِكَ هَلَكَ أَصْحَابُ الْعَقْدَةِ وَ رَبُّ الْكَعْبَةِ ، أَمَا وَ اللَّهُ مَا عَلَيْهِمْ آسَى وَ لَكِنْ آسَى عَلَى مَنْ أَهْلَكُوا ، أَمَا وَ اللَّهُ لَنْ أَبْقَانِي اللَّهُ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، لِأَقُومَنَّ مَقَامًا أَتَكَلَّمُ فِيهِ بِمَا أَعْلَمُ ، قَتَلْتُ أَوْ اسْتَحْيَيْتُ . فَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْخَمِيسِ ١ .

وَ رَوَى أَبُو نَعِيمٍ فِي (حَلِيَّتِهِ) مَسْنَدًا عَنْ قَيْسِ بْنِ عِبَادٍ قَالَ : قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ لِلِقَاءِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ لِقَاءَ مِنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ ،

فَقَمْتُ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ فَخَرَجَ ، فَلَمَّا صَلَّى حَدَّثَ ، فَمَا رَأَيْتُ الرَّجَالَ مَتَحَتْ أَعْنَاقَهَا إِلَى شَيْءٍ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : هَلَكَ أَهْلُ الْعَقْدَةِ وَ رَبُّ الْكَعْبَةِ

(١) نَقَلَهُ عَنْهُ الْحَلَبِيُّ فِي تَقْرِيبِ الْمَعَارِفِ عَنْ فِتْنِ الْبَحَارِ : ٣١٦ .

الصفحة ١٥

قَالَهَا ثَلَاثًا هَلَكُوا وَ أَهْلَكُوا أَمَا أَنِّي لَا آسَى عَلَيْهِمْ وَ لَكِنِّي آسَى عَلَى مَنْ يَهْلِكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ١ .

وَ مَرَادُ أَبِي بِأَهْلِ الْعَقْدَةِ مَنْ رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : كُنْتُ دَخَلْتُ مَعَ أَبِي الْكَعْبَةَ فَصَلَّى عَلَى الرَّخَامَةِ الْحَمْرَاءِ بَيْنَ الْعَمُودَيْنِ ،

فَقَالَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ : تَعَاقدَ الْقَوْمُ إِنْ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَوْ قَتَلَ ، أَنْ لَا يَرْتَدُّوا هَذَا الْأَمْرَ فِي أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ . قُلْتُ : وَ مَنْ كَانَ ؟ قَالَ : كَانَ الْأَوَّلُ وَ الثَّانِي ، وَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَ سَالِمُ بْنُ الْحَبِيبَةِ ٢ .

« اليوم توافقنا على سبيل الحقّ و الباطل » قال عمّار : لو ضربونا بأسيا فهم حتى يبلغونا سعفات هجر لعرفت أنا على الحقّ ، و هم على الباطل ٣ .

و تواتر عن النبيّ صلّى الله عليه و آله أنّه عليه السّلام على الحقّ ، و الحقّ يدور معه ، و مخالفه على باطل ٤ .

« من وثق بماء لم يظمأ » هو مثل ، و المراد منه : أنّه كما أنّ من كان مطمئناً بأنّ عنده ماء موجودا لم يبال بظمئه الآني ، كذلك من علم أنّه على دين الحقّ لم يبال بما يصيبه في دنياه ، فإنّه يقطع برفع ذلك عنه سريعا .

و من أمثال العرب : إن ترد الماء بماء أكيس ٥ .

و ممّا روي عنه عليه السّلام من الحكم المثلية : من سبق إلى الظلّ ضحى ، و من

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ١ : ٢٥٢ .

(٢) الكافي للكليني ٤ : ٥٤٥ ح ٢٨ .

(٣) وقعة صفين لابن مزاحم : ٣٢٢ .

(٤) أخرج هذا المعنى الترمذي في سننه ٥ : ٦٣٣ ح ٣٧١٤ و ترجمة علي عليه السّلام لابن عساكر ٣ : ١٥١ و ١٥٢ ح ١١٦٩ و ١١٧٠ ، في ذيل حديث عن علي عليه السّلام و في الباب عن ام سلمة و سعد .

(٥) مجمع الأمثال للميداني ١ : ٣٢ ، و المستقصى للزمخشري ١ : ٣٧٠ .

الصفحة ١٦

سبق إلى الماء ظمىء ١ .

قوله عليه السّلام في رواية (الإرشاد) : « كان بنو يعقوب على المحجّة العظمى ،

حتى عقوا أباهم و باعوا أخاهم ، و بعد الإقرار كانت توبتهم ، و باستغفار أبيهم و أخيهم غفر لهم » ٢
المراد بهذا الكلام أنّ طلحة و الزبير كانا في سلك المسلمين ما لم يكونا نكثا ، و بعد نكثهما خرجا من سلكهم ، و الزبير و إن رجع من العسكر ، و طلحة قتل في العسكر إلا أنّهما لم يتوبا بعودهما إلى طاعته ،

و الانخراط في سلكه ، كما فعل الحرّ الرياحي لما خرج على الحسين عليه السلام ، و لم يستغفر عليه السلام لهما ، لأنهما لم يكونا قابلين لذلك ، كما قال تعالى لنبيّه صلى الله عليه و آله :

إن تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم . . . ٣ . فبقيا في ما دخلا فيه من الخروج عن سلك الإسلام

٦

من الخطبة (٩٥) أَنْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالزَّمُوا سَمَتَهُمْ وَ اتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى وَ لَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا وَ إِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا وَ لَأَ تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا وَ لَأَ تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا أَقول : قال ابن أبي الحديد في شرح خطبته عليه السلام : « أما بعد أيها الناس فأنا فقأت عين الفتنة » : هذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السيرة و هي متداولة منقولة مستقيضة خطب بها عليّ عليه السلام بعد انقضاء أمر النهروان ،

و فيها ألفاظ لم يوردها الرضي إلى أن قال و منها : « فانظروا أهل بيت نبيكم ،

(١) لم أجده في حديث أمير المؤمنين عليه السلام .

(٢) الإرشاد : ١٣٥ .

(٣) التوبة : ٨٠ .

الصفحة ١٧

فإن لبدوا فالبدوا ، و إن استنصروكم فانصروهم . فليفرجنّ الله الفتنة برجل منا أهل البيت ، بأبي ابن خيرة الإمام ، لا يعطيهم إلاّ السيف هرجا مرجا موضوعا على عاتقه ثمانية أشهر ، حتّى تقول قريش : لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا .

يغريه الله ببني امية حتّى يجعلهم حطاما و رفاتا ملعونين أينما ثقفوا اخذوا و قتلوا تقتيلا ١ الآية ٢ و غفل عنه هنا .

و روى (البحار) عن (غارات التقفي) بسندين عن زر بن حبيش قال :

خطب عليّ عليه السّلام بالنّهروان إلى أن قال : فقام رجل فقال : يا أمير المؤمنين ما نصنع في ذلك الزّمان ؟ قال عليه السّلام : انظروا أهل بيت نبيكم ، فإن لبدوا فالبدوا ، و إن استصرخوكم فانصروهم تؤجروا ، و لا تسبقوهم فتصرعكم البليّة فقام رج . ل آخر ، فقال : ثمّ ماذا يكون بعد هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال عليه السّلام : ثمّ إنّ الله تعالى يفرّج الفتن برجل منّا أهل البيت ، كتفريح الأديم ٣ .

و في (كتاب سليم بن قيس) بعد ذكر فتنة بني اميّة قال رجل : فما أصنع في ذلك الزّمان يا أمير المؤمنين ؟ قال : انظروا أهل بيت نبيكم ، فإن لبدوا و إن استصروكم فانصروهم تنصروا و تعذروا ، فإنهم لن يخرجوكم من هدى و لن يدعوكم إلى ردى ، و لا تسبقوهم بالتقدّم ، فيصرعكم البلاء و تشمت بكم الأعداء . قال : فما يكون بعد ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : يفرّج الله برجل من بيتي ، كانفراج الأديم من بيته ٤ .

و قال النعماني في (غيبته) : قال أمير المؤمنين عليه السّلام في خطبته المشهورة التي رواها الموافق و المخالف ، في جملة ما قال : و لقد علم

(١) الاحزاب : ٦١ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ١٧٨ شرح الخطبة ٩١ .

(٣) الغارات للثقي ١ : ٢ ، و نقله عنه المجلسي في الفتن من البحار : ٥٥٨ .

(٤) كتاب سليم بن قيس : ١٥٨ ضمن حديث .

الصفحة ١٨

المستحفظون من أصحاب محمد صلى الله عليه و آله أنّه قال : إنّي و أهل بيتي مطهّرون فلا تسبقوهم فتضلّوا ، و لا تخلفوا عنهم فتزلّوا ، و لا تخالفوهم فتجهلوا ، و لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم ، هم أعلم النّاس صغارا ، و أعلم النّاس كبارا ، فاتّبعوا الحقّ و أهله حيثما كان ، و زايّلوا الباطل و أهله حيثما كان ١ .

و في (مسترشد الطبري) قال أمير المؤمنين عليه السّلام : و الله لئن خالفتم أهل بيت نبيكم لتخالفنّ الحقّ ، إنهم لا يدخلونكم في ردى ، و لا يخرجونكم من باب هدى ، و لقد علمتم و علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى الله عليه و آله أنّي و أهل بيتي مطهّرون من الفواحش ، لا تسبقوهم فتضلّوا ، و لا تخالفوهم فتجهلوا ، و لا تخلفوا عنهم فتهلكوا ٢ .

« انظروا أهل بيت نبيكم صلى الله عليه و آله فالزموا سمتهم ، و اتّبعوا أثرهم » لأنهم عليهم السّلام كانوا صادقين قولاً و عملاً ، و قد قال تعالى فيهم كما في التفسير . . . و كونوا مع الصادقين ٣ . و قال النبيّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِيهِمْ فِي الْمُسْتَفِيزِ : إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ التَّقْلِينَ ، كِتَابَ اللَّهِ وَ عَتْرَتِي ، وَ إِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ ٤ .

« فلن يخرجوكم من هدى و لن يعيدوكم في ردى » أي : هلكة ، و الأصل في قوله عليه السّلام قول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِيهِمْ رَوَى الطَّبْرِي فِي (ذِيلِ تَارِيخِهِ) : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَحْيَا حَيَاتِي وَ يَمُوتَ مِيتَتِي وَ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ الَّتِي وَ عَدَنِي رَبِّي قَضَبَانَا مِنْ قَضَبَانِهَا غَرَسَهَا فِي جَنَّةِ الْخَلْدِ فَلْيَتَوَلَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ ذُرِّيَّتَهُ مِنْ بَعْدِهِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَخْرُجُوكم مِنْ بَابِ هُدَى ، وَ لَنْ يَدْخُلُوكم

(١) الْغَيْبَةُ لِلنَّعْمَانِيِّ : ٢٩ ، وَ تَفْسِيرُ الْقَمِيِّ ١ : ٤ .

(٢) الْمُسْتَرَشِدُ : ٩١ .

(٣) التَّوْبَةُ : ١١٩ .

(٤) هَذَا حَدِيثُ التَّقْلِينَ مَرَّ تَخْرِيجِهِ فِي شَرْحِ فِقْرَةِ « الْيَهُمُ يَفِيءُ الْغَالِي » فِي الْعِنْوَانِ ٤ مِنْ هَذَا الْفَصْلِ .

الصفحة ١٩

في باب ضلالة ١ .

و مرمى كلامه عليه السّلام أنّ المتقدّمين عليه ، و المدّعين مقام أهل بيت النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أخرجوهم من هدى الإسلام ، و أعادوهم في ردى الجاهلية و الكفر .

« فإن لبدوا » أي : أقاموا و لم يشخصوا .

« فالبدوا » مثلهم .

« و إن نهضوا » أي : شخصوا .

« فانهضوا » معهم ، و المراد بلبدهم : قعودهم عن طلب الخلافة ، كما فعل الحسن عليه السّلام ، و بنهوضهم : طلبهم لها ، كما فعل الحسين عليه السّلام ، قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : ابْنَايَ هَذَانِ إِمَامَانِ قَامَا أَوْ قَعَدَا ٢ .

و قال الباقر عليه السلام : و الله ما صنعه الحسن بن علي عليه السلام كان خيرا لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس ، و الله لقد نزلت هذه الآية ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم و أقيموا الصلاة . . . انما هي طاعة الإمام عليه السلام ، و طلبوا القتال فلما كتب عليهم القتال مع الحسين عليه السلام . . . و قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال . . . ٣ .

و في (خلفاء ابن قتيبة) لما تمّ الصلح بين الحسن بن عليّ عليه السلام و معاوية ،

صعد الحسن عليه السلام الى المنبر و قال : أيها الناس إنّ الله هدى أولكم بأولنا ، و حقن دماءكم بأخرنا ، و كانت لي في رقابكم بيعة : تحاربون من حاربت و تسالمون من سالمت ، و قد سالمت معاوية و بايعته فبايعوه و إن أدري لعله و أشار

(١) منتخب ذيل المذيل للطبري : ٨٣ ، و المناقب للخوارزمي : ٣٤ .

(٢) كفاية الأثر للخزار : ٣٨ مسندا ضمن حديث ، و رواه المفيد في المسائل الجارودية : ١٧١ . و

الفصول المختارة للمرتضى : ١٧١ ، و المناقب لابن شهر آشوب ٣ : ٣٦٧ ، ٣٩٤ ، و القاب الرسول :

٤٩ ، و القواعد لنصير الدين الطوسي : ٨٣ ، و كشف الفوائد للعلامة : ٨٣ كلهم مجردا .

(٣) الكافي للكليني ٨ : ٣٣٠ ح ٥٠٦ مع ذيل ، و ما ذكر من القرآن هو الآية ٧٧ من سورة النساء .

الصفحة ٢٠

إلى معاوية فتنة لكم و متاع إلى حين ١ .

« و لا تسبقوهم فتضلّوا و لا تتأخروا عنهم فتهلكوا » عن سواء الصراط و الطريق المستقيم . في الخبر مرّ عمر على أمير المؤمنين عليه السلام في إجماعه .

فقال له : ما هذان الثوبان المصبوغان و أنت محرم ؟ فقال عليه السلام له : ما نريد أحدا يعلمنا بالسنة ، إنّ هذين ثوبين صبغا بطين ٢ ٣ .

من الخطبة (١٠٧) نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ وَ مَحَطُّ الرِّسَالَةِ وَ مُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ وَ مَعَادِنُ الْعِلْمِ وَ يَنَابِيعُ الْحُكْمِ نَاصِرِنَا وَ مُحِبِّبَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ وَ عَدُوْنَا وَ مُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ أَقُولُ : قال ابن أبي الحديد عند قوله عليه السلام : « في تخويف أهل النهروان » :

روى محمد بن حبيب ، قال : خطب عليّ عليه السلام الخوارج يوم النهر ، فقال لهم :

« نحن أهل بيت النبوة و موضع الرسالة ، و مختلف الملائكة ، و عنصر الرحمة ،

و معدن العلم و الحكمة ، نحن افق الحجاز ، بنا يلحق البطيء ، و إلينا يرجع التائب . . . » ٤ .

« نحن شجرة النبوة » و هو عليه السلام و إن لم يكن نبياً إلاّ أنّه لما كان بمنزلة نفس النبيّ صلّى الله عليه و آله حيث قال تعالى : . . . و أنفسنا . . . مريدا لهما ٥ .

(١) الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١ : ١٦٣ ، و الآية ١١١ من سورة الأنبياء .

(٢) أخرجه الصدوق في الفقيه ٢ : ٢١٥ ح ٨ ، و الطوسي في التهذيب ٥ : ٦٧ ح ٢٧ و في ضمن حديث العياشي في تفسيره ٢ : ٣٨ ح ١٠٥ .

(٣) اسقط الشارح هنا شرح فقرة « و لا تتأخروا عنهم فتهلكوا » .

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٠٧ شرح الخطبة ٣٦ .

(٥) انظر إلى قوله تعالى أنفسنا و أنفسكم آل عمران : ٦١ ، كما جاء في شأن نزوله .

الصفحة ٢١

و قال النبيّ صلّى الله عليه و آله يوم احد لجبرئيل بعد تعجبه من مواساته له : ما يمنعه من مواساتي و هو منّي و أنا منه ؟ فقال جبرئيل عليه السلام : و أنا منكما ١ .

و قال صلّى الله عليه و آله : أنا و عليّ من شجرة واحدة ، و سائر الناس من شجر شتى ٢ .

و قال صلّى الله عليه و آله أيضا له عليه السلام : الإيمان مخالط لحمك و دمك كما خالط لحمي و دمي ٣ .

و كذلك قال صلّى الله عليه و آله في سيّدة النساء صلوات الله عليها : فاطمة بضعة منّي يرضيني ما يرضيها ، و يسخطني ما يسخطها ٤ . و قد قررت صلوات الله عليها الرجلين بذلك ، و بعد إقرارهما

بسماعهما له من أبيها فيها قالت : « اللهم اشهد أنهما أسخطاني » ٥ . و كذلك قال صلى الله عليه و آله في
ابنيه الحسن و الحسين عليهما السلام :

إنهما منه و أنه منهما ٦ ، يصدق أنهم شجرة النبوة .

و في (فواتح المبيدي) روى الثعلبي عن جابر الأنصاري قال : قال

(١) تاريخ الطبري ٢ : ١٩٧ سنة ٣ ، و الكافي ٨ : ١١٠ ح ٩٠ ، و التفضيل للكراچكي : ٣٦ و
غيرهم .

(٢) أخرجه ابن عساكر بطرق في ترجمة علي عليه السلام ١ : ١٤٢ ١٤٧ ح ١٧٨ ١٨١ ، و مرّ
تخريجه في العنوان ١٢ من الفصل السادس .

(٣) المناقب للخوارزمي : ٧٥ ضمن حديث عن عليّ عليه السلام و المناقب لابن المغازلي : ٢٣٧ ح
٢٨٥ ، و كنز الفوائد للكراچكي : ٢٨١ و غيرهما عن جابر .

(٤) و في معناه في صحيح البخاري ٢ : ٣٠٢ ، ٣٠٨ ، و صحيح مسلم ٤ : ١٩٠٣ ح ٩٤ و غيرها ،
مرّ تخريجه في العنوان ٥ من هذا الفصل .

(٥) الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١ : ١٤ عن فاطمة عليها السلام بلفظ « فإني اشهد الله و ملائكته أنكما
أسخطتماني » و أخرج معناه جمع كثير .

(٦) لم أظفر بهذا السياق ، لكن في حديث يعلى بن مرّة و أبي رشة « حسين مني و أنا من حسين » و
في حديث المقدم بن معد يكرب « الحسن مني و الحسين من علي » أخرج الأول الترمذي في سننه ٥ :
٦٥٨ ح ٣٧٧٥ ، و ابن ماجه في سننه ١ : ٥١ ح ١٤٤ ، و أحمد في مسنده ٤ : ١٧٢ و غيرهم ، و
أخرج الثاني أبو داود في سننه ٤ : ٦٨ ح ٤١٣١ و أحمد في مسنده ٤ : ١٣٢ و غيرهما .

الصفحة ٢٢

النبيّ صلى الله عليه و آله لعليّ عليه السلام : الناس من شجر شتى ، و أنا و أنت يا عليّ من شجرة واحدة
. و تلا هذه الآية : و في الأرض قطع متجاورات و جنّات من أعناب و زرع و نخيل صنوان و غير
صنوان يسقى بماء واحد و فضلّ بعضها على بعض في الأكل . . . ١ .

« و محطّ الرسالة » لمّا كانت نفوسهم مستعدّة لدرجة الرسالة و إن كانت النبوة مختومة به صلى الله عليه
و آله لكونهم عليهم السلام مثله صلى الله عليه و آله في العصمة و الملكات الربّانية ، فقد قال النبيّ صلى
الله عليه و آله لأمر المؤمنين عليه السلام في المستفيض بل المتواتر :

« أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » ٢ يصدق أنهم عليهم محط الرسالة .

و في (كامل المبرد) : أن شامياً رأى الحسن عليه السلام راكبا ، فجعل يلعنه و الحسن لا يرد ، فلما فرغ أقبل الحسن عليه السلام إليه ، فسلم عليه و ضحك ، و قال :

أيها الشيخ أظنك غريبا ، و لعلك شبّهت فلو استعبتنا أعتبناك ، و لو سألتنا أعطيناك ، و لو استرشدتنا أُرشدناك ، و لو استحملتنا حملناك ، و إن كنت جائعا أشبعناك ، و إن كنت عريانا كسوناك ، و إن كنت محتاجا أغنياك ، و إن كنت طريدا آويناك ، و إن كان لك حاجة قضيناها لك ، فلو حرّكت رحلك إلينا ، و كنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك ، لأنّ لنا موضعا رحبا ، و جاها عريضا ، و مالا كبيرا . فلما سمع الرجل كلامه بكى ، ثمّ قال : أشهد أنّك خليفة الله في أرضه . . . الله أعلم حيث يجعل رسالته . . . ٣ .

(١) الرد : ٤ .

(٢) هذا حديث المنزلة المتواتر أخرجه جمع كثير عن اثنين و أربعين من أصحاب النبي صلى الله عليه و آله في ما أعلم منهم البخاري في صحيحه ٢ : ٣٠٠ ، و ٣ : ٨٦ ، و مسلم في صحيحه ٤ : ١٨٧٠ و ١٨٧١ ح ٣٠ ٣٢ ، و صاحب مسند زيد فيه : ٤٠٧ .

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ١٩ عن كامل المبرد ، لكن رواه المبرد في الكامل ٤ : ١٠٥ بلفظ أخصر .

الصفحة ٢٣

و في (عيون ابن بابويه) دخل عبد الله بن مطرف بن ماهان على المأمون يوما و عنده علي بن موسى الرضا عليه السلام ، فقال له المأمون : ما تقول في أهل البيت ؟ فقال عبد الله : ما قلتي في طينة عجنت بماء الرسالة ، و شجرة غرست بماء الوحي ، هل ينفع منه إلا مسك الهدى و عنبر النقي ؟ فدعا المأمون بحقّة فيها لؤلؤ ، فحشافاه ١ .

« و مختلف الملائكة » قال ابن أبي الحديد : إن أراد بها نفسه و ابنه فهي أيضا صحيحة ، و لكن مدلوله مستتبط ، فقد جاء في الأخبار الصحيحة أنّه قال :

يا جبرئيل إنه مني و أنا منه . فقال جبرئيل : و أنا منكما ٢ .

و روى أبو أيوب الأنصاري مرفوعاً عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله قَالَ : لَقَدْ صَلَّتْ الْمَلَائِكَةُ عَلَيَّ ، وَ عَلَيَّ عَلَيَّ سَبْعَ سِنِينَ ، لَمْ يَصِلْ عَلَيَّ ثَلَاثَ ٣ .

وَ فِي خُطْبَةِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا قَبِضَ أَبُوهُ : كَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله بِالرَّايَةِ يَبْعَثُهُ وَ جَبْرئِيلَ عَنْ يَمِينِهِ وَ مَكائِيلَ عَنْ شِمَالِهِ ٤ .

وَ فِي الْحَدِيثِ : فِي يَوْمٍ أَحَدٌ سَمِعَ صَوْتَ مِنَ السَّمَاءِ :

لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ
وَ لَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ

وَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله : هَذَا صَوْتُ جَبْرئِيلَ ٥ .

قُلْتُ : وَ كَذَلِكَ سَيِّدَةُ النِّسَاءِ وَ سَائِرُ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ

(١) أَخْرَجَهُ الصَّدُوقُ فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ ٢ : ١٤٢ ح ١٠ ضَمَّنَ حَدِيثَهُ .

(٢) شَرَحَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ٢ : ٢٣٦ .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ بِطَرِيقَيْنِ فِي تَرْجُمَةِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ١ : ٨٠ ح ١١٢ ، ١١٣ ، وَ ابْنُ الْمَغَازَلِيِّ فِي مَنَاقِبِهِ : ١٣ ح ١٧ عَنْ أَبِي أَيُوبَ الْأَنْصَارِيِّ ، وَ فِي الْبَابِ عَنْ أَنَسٍ ، وَ النُّقْلُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ .

(٤) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ ١ : ١٩٩ ، وَ النَّسَائِيُّ فِي الْخِصَائِصِ : ٦٠ ، وَ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ ٤ : ١٢٠ سَنَةَ ٤٠ ، وَ أَبُو الْفَرَجِ فِي الْمَقَاتِلِ : ٣٢ وَ غَيْرِهِمْ .

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي السِّيَرَةِ ٣ : ٤٣ ، وَ الْفَرَاتُ الْكُوفِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ : ٢٥ ، وَ جَمَعَ آخَرَ وَ رَوَى نَحْوَ ذَلِكَ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَ خَيْبَرَ .

الصفحة ٢٤

الكليني عن الصادق عليه السلام قال : إن فاطمة عليها السلام مكثت بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله خمسة وسبعين يوماً ، و كان دخلها حزن شديد على أبيها ، و كان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاها على أبيها ، و يطيب نفسها و يخبرها عن أبيها و مكانه ، و يخبرها بما يكون بعدها في نزيئتها ، و كان علي عليه السلام يكتب ذلك ، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام ١ .

وَ فِي أَخْبَارٍ كَثِيرَةٍ : أَنَّ مَصْحَفَ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ عِنْدَ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ٢ .

و لا يستبعد ذلك مخالفونا بعد كونها من أصحاب الكساء ، و نزول آية التطهير : . . . إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا ٣ فيها و في ابنها مع زوجها و أبيها ، و دخولها في المباهلة في قوله تعالى : . . . و نساءنا و نساءكم . . . ٤ ، و نصّ القرآن على مخاطبة الملائكة لمريم عليها السلام في قوله تعالى : و إذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله اصطفاك و طهرك و اصطفاك على نساء العالمين ٥ ، و تواتر عن النبيّ صلّى الله عليه و آله : إنّ مريم كانت سيّدة نساء عصرها ، و إنّ بنته فاطمة سيّدة نساء العالمين ٦ .

و عن الصادق عليه السلام : أنّ الناس في ليلة القدر في صلاة و دعاء و مسألة ، و صاحب هذا الأمر في شغل تنزل الملائكة إليه بامور السنّة ، من غروب الشمس إلى طلوعها من كلّ أمر . سلام هي حتّى مطلع الفجر ٧ .

-
- (١) أخرجه الكليني في الكافي ١ : ٢٤١ ح ٥ .
 (٢) هذه الأخبار رواها المجلسي من طرق كثيرة في بحار الأنوار ٢٦ : ١٨ باب ١ .
 (٣) الأحزاب : ٣٣ .
 (٤) آل عمران : ٦١ .
 (٥) آل عمران : ٤٢ .
 (٦) صحيح البخاري ٤ : ٩٦ و غيره مرّ تخريجه في العنوان ٥ من هذا الفصل .
 (٧) البصائر للصفار : ٢٤٠ ح ٢ في ذيل حديث ، و الآية ٥ من سورة القدر .

الصفحة ٢٥

و روى ابن سعد مع نصبه في (طبقاته) بعد ذكر استيذان ملك الموت لقبض النبيّ صلّى الله عليه و آله : فتوفّي رسول الله صلّى الله عليه و آله و جاءت التعزية يسمعون الصوت و الحسّ و لا يرون الشخص : السلام عليكم يا أهل البيت و رحمة الله و بركاته كلّ نفس ذائقة الموت و إنّما توفون أجوركم يوم القيامة . . . إنّ في الله عزاء عن كلّ مصيبة ، و خلفا من كلّ هالك ، و دركا من كلّ ما فات ، فبالله فتقوا و إياه فارجوا ، إنّما المصاب من حرم الثواب ، و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته ٢ .

و روي عن الواقدي عن رجل عن جعفر عن أبيه عن عليّ عليه السلام قال :

و دخل عليه رجلان من قريش ، فقال : ألا اخبر كما عن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله ؟ قالوا : بلى حدثنا عن أبي القاسم . قال : لما كان قبل وفاة رسول الله صَلَّى الله عليه و آله بثلاثة أيام ، هبط إليه جبرئيل ثم ذكر مثل الحديث الأول و قال في آخره : فقال عليّ عليه السلام :

أتدرون من هذا ؟ قالوا : لا . قال : هذا الخضر ٣ .

و روى محمد بن يعقوب عن الباقر عليه السلام قال : لما قبض النبي صَلَّى الله عليه و آله بات آل محمد صَلَّى الله عليه و آله بأطول ليلة ، حتى ظنوا أن لا سماء تظلمهم ، و لا أرض تقلهم ، لأن النبي صَلَّى الله عليه و آله وتر الأقربين و الأبعدين في الله ، فبينما هم كذلك إذ أتاهم آت لا يرونه ، و يسمعون كلامه ، فقال : السلام عليكم أهل البيت و رحمة الله و بركاته ، إن في الله عزاء من كل مصيبة ، و نجاته من كل هلكة ، و دركا لما فات ،

كل نفس ذائقة الموت و إنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار و ادخل الجنة فقد فاز و ما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ٤ ،

(١) آل عمران : ١٨٥ .

(٢) الطبقات لابن سعد ٢ ق ٢ : ٤٨ ، و فيه ٢ ق ٢ : ٥٩ ، مرّ تخريجه في العنوان ٤٤ من الفصل السادس .

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢ ق ٢ : ٤٩ .

(٤) آل عمران : ١٨٥ .

الصفحة ٢٦

إن الله اختاركم ، و فضلكم و طهركم ، و جعلكم أهل بيت نبيّه ، و استودعكم علمه ، و أورثكم كتابه ، و جعلكم تابوت علمه ، و عصا عزّه ، و ضرب لكم مثلا من نوره ، و عصمكم من الزلّ ، و أمنكم من الفتن ، فتعزّوا بعزاء الله فإنّ الله لم ينزع منكم رحمته ، و لن يزيل عنكم نعمته ، فأنتم أهل الله تعالى الذين بهم تمتّ النعمة ، و اجتمعت الفرقة ، و ائتلفت الكلمة ، و أنتم أولياؤه ، فمن تولّاكم فاز ، و من ظلم حقكم زهق ، مودّتكم من الله واجبة في كتابه على عباده المؤمنين ، ثمّ الله على نصركم إذا يشاء قدير ، فاصبروا لعواقب الامور ، فإنّها إلى الله تصير ، قد قبلكم الله من نبيّه وديعة ، و استودعكم أولياؤه المؤمنين في الأرض ، فمن أدّى أمانته آتاه الله صدقه ، فأنتم الأمانة المستودعة ،

و لكم المودة الواجبة و الطاعة المفروضة ، و قد قبض النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ قَدْ أَكْمَلَ لَكُمْ الدِّينَ وَ بَيَّنَّ لَكُمْ سَبِيلَ الْمَخْرَجِ ، فلم يترك لجاهل حجة ، فمن جهل أو تجاهل أو أنكر أو نسي أو تناسى فعلى الله حسابه و الله من وراء حوائجكم ،

و أستودعكم الله و السلام عليكم . فقال الراوي : ممن أتاهم التعزية ؟ قال عليه السلام :

من الله ١ .

هذا ، و روى (الاختصاص) عن سهل الأدمي لما أن صنّف عبد الله بن المغيرة كتابه (أي عن أحاديثهم عليهم السلام) و عد أصحابه أن يقرأ عليهم في زاوية من زوايا مسجد الكوفة و كان له أخ مخالف فلما أن حضروا لاستماع الكتاب جاء الأخ و قعد ، فقال لهم : انصرفوا اليوم ، فقال الأخ : أين ينصرفون فإني أيضا جئت لما جاؤوا . فقال : لما جاؤوا ؟ قال : يا أخي رأيت ما يرى النَّائم أن الملائكة تنزل من السماء . فقلت : لماذا ينزل هؤلاء ؟ فقال قائل : ينزلون يستمعون الكتاب الذي يخرج عبد الله بن المغيرة ، فأنا أيضا جئت لهذا ، و أنا تائب إلى الله

(١) الكافي للكليني ١ : ٤٤٥ ح ١٩ .

الصفحة ٢٧

تعالى . فسرّ عبد الله بذلك ١ .

« و معادن العلم » قال أبو نواس في الرضا عليه السلام :

مطهرون نقيّات ثيابهم

تجري الصلّاة عليهم أينما ذكروا

من لم يكن علويّا حين تتسبه

فماله من قديم الدهر مفتخر

فالله لما برا خلقا فأتقنه

صفاكم و اصطفاكم أيها البشر

فأنتم الملاء الأعلى و عندكم
أم الكتاب و ما جاءت به السور

و قال الفرزدق في السّجاد عليه السّلام :

من معشر حبّهم دين و بغضهم
كفر و قريهم منجى و معتصم

يستدفع السوء و البلوى بحبّهم
و يستربّ به الإحسان و النعم

مقدّم بعد ذكر الله ذكرهم
في كلّ بدء و مختوم به الكلم

إن عدّ أهل التّقى كانوا أنمّتهم
أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

لا يستطيع جواد بعد غايتهم
و لا يدانيهم قوم و إن كرموا

هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت
و الأسد أسد الشّرى و البأس محتدم

يأبى لهم أن يحلّ الذلّ ساحتهم
خيم كريم و أيد بالعدى هضم

لا ينقص العسر بسطا من أكفّهم
سيان ذلك إن أثروا و إن عدموا

أيّ الخلائق ليست في رقابهم
لأولية هذا أوله نعم

و روى المسعودي عنه عليه السلام خبرا في بدء الخليقة ، و فيه قال عليه السلام : قال النبي صلى الله عليه وآله : قال تعالى : و أنصب أهل بيتك للهداية ، و أوتيهم من مكنون علمي ما لا يشكل عليهم دقيق ، و لا يعيبهم خفي ، و أجعلهم حجتي على بريتي ،

و المنبّهين على قدرتي و وحدانيّتي إلى أن قال : فنحن أنوار السماء ، و أنوار

(١) الاختصاص للمفيد : ٨٥ .

الصفحة ٢٨

الأرض ، فبنا النجاة ، و منّا مكنون العلم ، و إلينا مصير الامور . . . ١ و استفاض عنهم السلام قالوا : عندنا علم ما كان و ما يكون ، و ما هو كائن إلى يوم القيامة ٢ .

« و ينابيع الحكم » نزل على الصادق عليه السلام قوم من جهينة فأضافهم ، فلما أرادوا الرحلة ، زودهم و وصلهم و أعطاهم ، ثم قال لغلمانه : تتحوا لا تعينوهم .

فلما فرغوا ، جاؤوا ليودّعوه ، فقالوا له : يابن رسول الله لقد أضفت فأحسننت الضيافة ، و أعطيت فأجزلت العطية ، ثم أمرت غلمانك ألا يعينونا على الرحلة .

فقال عليه السلام : إنا أهل بيت لا نعين أضيافنا على الرحلة من عندنا ٣ .

« ناصرنا و محبنا ينتظر الرحمة » في (معجم الحموي) قال الشافعي :

إن كان رفضا حبّ آل محمّد

فليشهد الثقلان أنّي رافضي ٤

و قال صاحب بن عبّاد :

يا ربّ سهّل زيارتي مشاهدهم

فإنّ روحى تهوى ذلك الطيّبنا

يا ربّ صيرّ حياتي في محبتهم

و محشري معهم أمين آمينا

و قال الزمخشري :

كثر الشكّ و الخلاف و كلّ
يدّعي الفوز بالصراط السويّ

فاعتصامي بلا إله سواه

ثمّ حبّي لأحمد و عليّ

فاز كلب بحبّ أصحاب كهف

كيف أشقى بحبّ آل نبيّ

و عن جابر الأنصاري قال : كنت ذات يوم عند النبيّ صلّى الله عليه و آله ، إذ أقبل بوجهه على علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : ألا ابشرك يا أبا الحسن ؟ قال : بلى يا رسول

(١) مروج الذهب للمسعودي ١ : ٤٢ .

(٢) فتح الكليني في الكافي ١ : ٢٦٠ ، بابا بهذا العنوان ، و أخرج هذا المعنى من طرق عديدة ، و غيره أيضا .

(٣) أمالي الصدوق : ٤٣٧ ح ٩ مجلس ٨١ .

(٤) رواه الحموي في معجم الادباء ١٧ : ٣١٠ .

الصفحة ٢٩

الله . قال : هذا جبرئيل يخبرني عن الله عزّ و جلّ أنّه قد أعطى شيعةك و محبيك سبع خصال : الرّفق عند الموت ، و الانس عند الوحشة ، و النور عند الظلمة ،

و الأمن عند الفرع ، و القسط عند الميزان ، و الجواز على الصراط ، و دخول الجنة قبل الناس نورهم يسعى بين أيديهم و أيمنهم ١ .

و روى الكنجي الشافعي في مناقبه عن جابر قال : جاء أعرابي إلى النبيّ صلّى الله عليه و آله فقال : يا محمّد اعرض عليّ الإسلام . فقال : تشهد ألا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، و أنّ محمّدا عبده و رسوله .

قال : تسألني عليه أجرا . قال : لا إلا المودة في القربى ٢ . قال : قرابتي أو قرابتك . قال : قرابتي . قال : هات أبايعك ،

فعلى من لا يحبك ولا يحب قرابتك لعنة الله . فقال النبي صلى الله عليه وآله : آمين ٣ .

و روى أيضا عنه صلى الله عليه وآله قال : من سره أن يحيا حياتي ، و يموت ميتتي ،

و يتمسك بالقضيب الياقوتة التي خلقها الله تعالى ، ثم قال لها : كوني فكانت ،

فليتول علي بن أبي الطالب من بعدي ٤ .

و قال : أخذ بيد الحسن و الحسين عليهما السلام فقال : من أحبني و أحب هذين و أباهما و أمهما كان معي في درجتي يوم القيامة ٥ .

و قال صلى الله عليه وآله : حبي و حب أهل بيتي نافع في سبعة مواطن ، أهوالهن عظيمة : عند الوفاة ، و في القبر ، و عند النشور ، و عند الكتاب ، و عند الحساب ،

و عند الميزان ، و عند الصراط ٦ .

(١) الخصال للصدوق : ٤٠٢ ح ١١٢ و في المصدر بعين السند : ٤١٣ ح ٢ ، إلا أن في الثاني بدل سبع تسع .

(٢) الشورى : ٢٣ .

(٣) كفاية الطالب للكنجي : ٣١ .

(٤) كفاية الطالب للكنجي : ٢٧ .

(٥) سنن الترمذي ٥ : ٦٤١ ح ٣٧٣٣ ، و مسند أحمد ١ : ٧٧ ، و غيرهما .

(٦) الفردوس للدليمي عنه البحار ٢٧ : ١٥٨ ح ٣ ، و المحاسن للبرقي : ١٥٢ ح ٧ ، و الخصال للصدوق : ٣٦٠ ح ٤٩ ، و غيرهم .

و روى الثعلبي في (تفسيره) عن النبي صلى الله عليه وآله قال : من مات على حب آل محمد مات تائباً . ألا و من مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها . ألا و من مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ١ .

و روى أبو الفرج في (مقاتله) بأسانيد : أن الحسن عليه السلام خطب بعد وفاة أبيه فقال : إنا من أهل البيت . . . الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً ٢ و الذين افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول : . . . و من يقترف حسنة نزد له فيها حسناً . . . ٣ فاقتراف الحسن مودتنا أهل البيت ٤ .

و روى أيضاً بأسانيد عنه عليه السلام : قال لسفيان بن الليل : فأبشر يا سفيان فإنني سمعت علياً عليه السلام يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : يرد علي الحوض أهل بيتي و من أحبهم من أممي كهاتين يعني السبابتين أو كهاتين يعني السبابة و الوسطى إحداهما تفضل على الأخرى ٥ .

و في (فصول المالكي) عن (كتاب آل ابن خالويه) ، و عن (مناقب الخوارزمي) عن بلال بن حمارة قال : طلع علينا النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم متبسماً ضاحكاً ، و وجهه مشرق كدارة القمر ، فقام إليه عبد الرحمن بن عوف ، فقال : يا رسول الله ما هذا النور ؟ قال : بشارة أنتني من ربي في أخي و ابن عمي و ابنتي ،

فإن الله تعالى زوج علياً من فاطمة ، و أمر رضوان خازن الجنان ، فهزّ شجرة طوبى ، فحملت رقاقا يعني صكاكا بعدد محبي أهل البيت إلى أن قال : فلا

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره عنه العمدة ١ : ٢٧ ، و الطرائف ١ : ١٥٩ ح ٢٤٨ ، و النقل بتقطيع .

(٢) الأحزاب : ٣٣ .

(٣) الشورى : ٢٣ .

(٤) المقاتل لأبي الفرج ٣٣ ضمن خطبة .

(٥) المقاتل لأبي الفرج : ٤٤ .

الصفحة ٣١

يبقى محباً لأهل البيت إلا دفعت الملائكة إليه صكاً فيه فكاكه من النار ١ .

و روى الكليني عن الكاظم عليه السلام قال : إن الله تعالى غضب على الشيعة ،

فخيرني نفسي أو هم ، فوقيتهم و الله بنفسي ٢ .

« و عدوتنا و مبغضنا ينتظر السطوة » روى الكنجي الشافعي في مناقبه مسندا : أن النبي صلى الله عليه و آله قال لعلي عليه السلام : لو أن أمتي أبغضوك لأكبهم الله في النار ٣ .

و روى الثعلبي في (تفسيره) عن جرير البجلي قال : قال النبي صلى الله عليه و آله : ألا و من مات على بغض آل محمد صلى الله عليه و آله ، جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه « آيس من رحمة الله » ، ألا و من مات على بغض آل محمد صلى الله عليه و آله ، لم يشم رائحة الجنة ٤ .

و خطب النبي صلى الله عليه و آله فقال : أيها الناس من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يوم القيامة يهوديا ٥ .

و قال صلى الله عليه و آله : لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا بعثه الله يوم القيامة أجزم ٦ .

و روى الكشي عن أبي عمر البزاز قال : سمعت الشعبي و هو يقول :

و كان إذا غدا إلى القضاء جلس في دكاني فإذا رجع جلس في دكاني ، فقال لي ذات يوم : يا أبا عمر إن لك عندي حديثا أحدثك به . قال : قلت له : يا أبا عمر و ما زال لي ضالة عندك ؟ قال : فقال لي : لا أم لك فأبي ضالة تقع لك عندي ؟ قال : فأبى أن يحدثني يومئذ ، ثم سألته بعد فقلت : يا أبا عمرو حدثني بالحديث الذي قلت

(١) مناقب الخوارزمي : ٢٤٦ ، و رواه عنه و عن الآل لابن خالويه ابن الصباغ في الفصول المهمة : ٢٨ .

(٢) الكافي ١ : ٢٦٠ ح ٥ .

(٣) كفاية الطالب للكنجي : ٤٢ .

(٤) تفسير الثعلبي عنه العمدة ١ : ٢٧ ، و الطرائف ١ : ١٥٩ ح ٢٤٨ ، و النقل بتقطيع .

(٥) أمالي الصدوق : ٢٧٣ ح ٢ المجلس ٥٤ ، و أمالي المفيد : ١٢٦ ح ٤ المجلس ١٥ .

(٦) عقاب الأعمال للصدوق : ٢٤٣ ح ٢ ، و المحاسن للبرقي : ٩١ ح ٤٢ .

لي . قال : سمعت الحارث الأعور و هو يقول : أتيت أمير المؤمنين عليًا عليه السلام ذات ليلة فقال : يا أعور ما جاء بك ؟ فقلت : جاء بي و الله حبك . فقال : أما إنني ساحتك لتشكرها ، أما إنه لا يموت عبد يحبني فتخرج نفسه حتى يراني حيث يحب ، و لا يموت عبد يبغضني فتخرج نفسه حتى يراني حيث يكره ١ و روى القتيبي في (عيون) عن الشعبي أيضا قال : ما لقينا من آل أبي طالب ؟ إن أحبناهم قتلونا ، و إن أبغضناهم أدخلونا النار ٢ .

و عن الصادق عليه السلام ما معناه : أن الناصب شرّ من ولد الزنا ، و ولد الزنا شرّ من الكلب و الخنزير ، و لو شفع كلّ نبيّ مرسل و ملك مقرب للناصب ما شفعوا ٣ .

٨

من الخطبة (١٤٢) بعد ما مرّ في (٤ ، ٥) .

أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنا كَذِبًا وَ بَغِيًّا عَلَيْنَا أَنْ رَفَعْنَا وَ وَضَعَهُمْ وَ أَعْطَانَا وَ حَرَمَهُمْ وَ أَدْخَلْنَا وَ أَخْرَجَهُمْ بِنَا يُسْتَعطَى الْهُدَى وَ يُسْتَجَلَى الْعَمَى إِنَّ الْأئِمَّةَ مِنْ ؟ قُرَيْشٍ ؟ غُرَسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ ؟ هَاشِمٍ ؟ لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ وَ لَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ أَقُولُ : قوله عليه السلام : « أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا » روى

(١) معرفة الرجال للكشي اختياره : ٨٨ ح ١٤٢ ، مرّ تخريجه في أوائل مقدمة المؤلف .

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ١ : ٢١٢ .

(٣) المحاسن للبرقي : ١٨٥ ح ١٩٦ ، و عقاب الأعمال للصدوق : ٢٥١ ح ٢ عن الصادق عليه السلام : « ان نوحا حمل في السفينة الكلب و الخنزير ، و لم يحمل فيها ولد الزنا ، و أنّ الناصب شرّ من ولد الزنا » و أخرج البرقي بطريقين في المحاسن : ١٨٤ ، ١٨٦ ح ١٩٠ ، ١٩٨ ، و الصدوق في عقاب الأعمال : ٢٤٦ ح ١ ، عن الصادق عليه السلام في ذيل حديث « و لو أن ناصبا شفع له كل نبي مرسل و ملك مقرب ما شفعوا » .

الصفحة ٣٣

ابن بابويه عن الصادق عليه السلام قال : كان للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ صديقان يهوديان فلما قبض أقبلتا يسألان عن صاحب الأمر بعده ، و قالوا : لم يمت نبيّ قطّ إلا و له خليفة قريب القرابة إليه من أهل بيته ، عظيم الخطر ، جليل الشأن . فقال أحدهما لصاحبه : هل تعرف ذلك ؟ قال الآخر : لا ، إلا بالصفة التي

أجدها في التّوراة إلى أن قال : قالاً لأبي بكر : ما قرابتك من النّبيّ صلّى الله عليه وآله ؟ قال : إني رجل من عشيرته و هو زوج ابنتي . قالاً : هل غير هذا ؟ قال : لا . قالاً : دلّنا على من هو أعلم منك ، فإنّك أنت لست بالرجل الذي نجد صفته في التّوراة ، إنّه وصيّ هذا النّبيّ و خليفته . فتغيّظ من قولهما و همّ بهما ، ثمّ أرشدهما إلى عمر ، و ذلك أنّه عرف من عمر أنّهما إن استقبلاه بشيء بطش بهما إلى أن قال : فلمّا جاء إلى أمير المؤمنين عليه السّلام قال أحدهما لصاحبه : إنّه الرجل الذي نجد صفته في التّوراة ، إنّه وصيّ هذا النّبيّ .

ثمّ قال له : ما قرابتك من النّبيّ ؟ قال : هو أخي و أنا وارثه و وصيّه ، و أول من آمن به ، و زوج ابنته فاطمة . قالاً : هذه القرابة الفاخرة و المنزلة القريية ، و هذه الصّفة التي نجدها في التّوراة ، ثمّ قال له : فأين ربّك ؟ قال : إن شئتما أنبأتكما بالذي كان على عهد نبيّكما ، و إن شئتما أنبأتكما بالذي كان على عهد نبيّنا .

قالاً : أنبئنا بالذي كان على عهد نبيّنا . قال : أقبل أربعة أملاك : ملك من المشرق ،

و ملك من المغرب و ملك من السّماء ، و ملك من الأرض ، فقال صاحب المشرق لصاحب المغرب : من أين أقبلت ؟ قال : من عند ربّي . و قال صاحب المغرب لصاحب المشرق : من أين أقبلت ؟ قال : من عند ربّي . و قال ملك السّماء لملك الأرض : من أين أقبلت ؟ قال : من عند ربّي . و قال ملك الأرض لملك السّماء : من أين أقبلت ؟ قال : من عند ربّي . فهذا ما كان على عهد نبيّكما ، و أمّا ما كان على عهد نبيّنا فقلوه في محكم كتابه : . . . ما يكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم و لا خمسة إلّا هو سادسهم و لا أدنى من ذلك و لا أكثر إلّا هو معهم أيّما

الصفحة ٣٤

كانوا . . . ١ . قالاً : فما منع صاحبك أن يكونا جعلاك في موضعك الذي أنت أهله ؟ فو الذي أنزل التّوراة على موسى إنّك لأنت الخليفة حقّاً ، نجد صفتك في كتبنا و نقرأ في كنائسنا ، و إنّك لأحقّ بهذا الأمر ، و أولى به ممّن قد غلبك عليه .

فقال عليه السّلام : قدّمَا و أخراً و حسابهما على الله تعالى يوقفان و يسألان ٢ .

هذا ، و في (الأغاني) : كان هارون بن محمّد بن عبد الملك ينشد من أشعار أبيه و يفضلها . فقال له ابن برد الخيار : إن كان لأبيك مثل قول إبراهيم بن العباس :

أسد ضار إذا هيّجته
و أب برّ إذا ما قدرا

يعرف الأبعد أن أثرى و لا
يعرف الأدنى إذا ما افتقرا

أو مثل قوله :

تلج السّتون بينهم و ترى لهم
عن جار بيتهم ازورار مناكب

و تراهم بسيوفهم و شفارهم
مستشرفين لراغب أو راهب

حامين أو قارين حيث لقيتهم
نهب العفاة و نهزة للراغب

فذكره و افتخر به ، و إلا فأقلل من الافتخار و التّطاول بما لا طائل فيه .

فجبل هارون ٣ .

« كذبا و بغيا علينا » روى زيد بن موسى عليه السّلام : أنّ فاطمة بنت الحسين عليه السّلام قالت في خطبتها في الكوفة : ويلكم أحسدتمونا على ما فضلنا الله ٤ ؟

فما ذنبنا إن جاش دهرنا بحورنا
و بحرك ساج ما يوارى الدّعامصا

(١) المجادلة : ٧ .

(٢) التوحيد لابن بابويه الصدوق : ١٨٠ ح ١٥ .

(٣) الأغاني لأبي الفرج ١٠ : ٦٥ و النقل بتصريف يسير .

(٤) اللهوف لابن طاووس : ٦٧ ، و الاحتجاج للطبرسي : ٣٠٣ ، و لفظهما « احسدتمونا و يلا لكم على ما فضلنا الله » .

الصفحة ٣٥

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم ١ ، . . . و من لم يجعل الله له نورا فما له من نور . ٢

« أن رفعنا الله و وضعهم و أعطانا و حرمهم » و كانوا مقرّين بفضلهم ، روى أحمد بن أبي طاهر البغدادي في (بلاغات نساءه) : أن أبا بكر قال لسيدة النساء صلوات الله عليها : لا يحبكم إلا العظيم السعادة ، و لا يبغضكم إلا الرديّ الولادة ، و أنتم عترة الله الطيبون ، و خيرته المنتجبون ٣ .

و من رفع الله لهم عليهم السلام ما رواه الطبري و غيره : أن عمر قال لابن عباس :

بلغني عنك كلام أكره أن أخبرك به فتزول منزلتك عندي . قال : و ما هو أخبرني به ، فإن يك باطلا فمثلي أباط الباطل عن نفسه ، و إن يك حقا فإن منزلتي عندك لا تزول به ؟ قال : بلغني أنك لا تزال تقول : اخذ هذا الأمر منا حسدا و ظلما . قال :

أما قولك : حسدا ، فقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنة ، فنحن بنو آدم المحسود ، و أما قولك : ظلما فأمر المؤمنين يعلم صاحب الحق من هو ، ثم قال له : ألم تحتج العرب على العجم بحق رسول الله صلى الله عليه و آله و احتجت قريش على سائر العرب بحق رسول الله صلى الله عليه و آله ؟ فنحن أحق برسول الله صلى الله عليه و آله من سائر قريش : فقال عمر : قم الآن ٤ .

و من وضع الله تعالى لقريش : أن النبي صلى الله عليه و آله أمر عليهم عمرو بن العاص رأس المنافقين و اسامة بن زيد و أباه مع كونهما موليين ، و قد طعنوا في فعل النبي صلى الله عليه و آله بهم ذلك كما صرح بذلك النبي صلى الله عليه و آله لما أمر عليهم اسامة ، فقال :

(١) الحديد : ٢١ .

(٢) النور : ٤٠ .

(٣) بلاغات النساء للبغدادي : ٣١ .

(٤) تاريخ الطبري ٣ : ٢٨٩ سنة ٢٣ و النقل بالمعنى .

الصفحة ٣٦

طعنوا في إمارتك كما طعنوا في إمارة أبيك و أنتما أهل لذلك ١ .

و من إعطائهم عليهم السّلام و حرمان أولئك المدّعين : اختصاصهم بمقام الإمامة منه تعالى ، و في (عيون ابن بابويه) قال عبد العزيز بن مسلم : كنّا في أيّام عليّ بن موسى الرضا عليه السّلام بمرو ، فاجتمعنا في مسجد جامعها في يوم جمعة ، فأدار الناس أمر الإمامة و ذكروا كثرة اختلاف النّاس فيها ، فدخلت عليه عليه السّلام فأعلمته ما خاض النّاس فيه فتبسّم ثمّ قال : جهل القوم و خدعوا عن أديانهم ، إنّ الله تعالى لم يقبض نبيّه صلّى الله عليه و آله حتّى أكمل له الدّين ، و أنزل عليه القرآن فيه تفصيل كلّ شيء بيّن فيه الحلال و الحرام و الحدود و الأحكام ،

و جميع ما يحتاج إليه كما قال عزّ و جلّ : ما فرطنا في الكتاب من شيء ٢ و أنزل في حجّة الوداع و هو آخر عمره اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام دينا ٣ . و أمر الإمامة من تمام الدّين ،

و لم يمض النّبيّ صلّى الله عليه و آله حتّى بيّن لامته معالم دينه ، و أوضح لهم سبيله ، و تركهم على قصد الحقّ ، و أقام لهم عليّا عليه السّلام علما و إماما ، و ما ترك شيئا يحتاج إليه الامّة إلاّ بيّنه ، فمن زعم أنّ الله عزّ و جلّ لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله ، و من ردّ كتاب الله فهو كافر . هل يعرفون قدر الإمامة و محلّها من الامّة فيجوز فيها اختيارهم ؟ إنّ الإمامة أجلّ قدرا و أعظم شأنًا ، و أعلى مكانا ، و أمنع جانبا من أن يبلغها النّاس بعقولهم ٤ .

و لعلم قريش بأنّهم لم يكونوا على شيء ، و أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام لو

(١) صحيح البخاري ٢ : ٣٠٣ ، و ٣ : ٩٦ بطريقتين ، و صحيح مسلم ٤ : ١٨٨٤ ح ٦٣ ، ٦٤

بطريقتين ، و سنن الترمذي ٥ : ٦٧٦ ح ٣٨١٦ و غيرهم ، و النقل بالمعنى .

(٢) الأنعام : ٣٨ .

(٣) المائدة : ٣ .

(٤) عيون الأخبار للصدوق ١ : ١٧١ ح ١ .

ولي الأمر لم يكن ليشركهم معه أو بعده كما فعل أبو بكر مع عمر ، و عمر مع عثمان ، سعوا بتمام قواهم أن لا يصل الأمر إليه ، فقاموا عليه يوم السقيفة ،

و يوم الدار ، و حين قيامه عليه السلام ، و لم يكادوا يستعملون أقاربه عليه السلام في ولاياتهم .

قال المسعودي في (مروجه) عن ابن عباس : إنَّ عمر أرسل إلى ابن عباس فقال : إنَّ عامل حمص هلك و كان من أهل الخبر ، و أهل الخير قليل ، و قد رجوت أن تكون منهم ، و في نفسي منك شيء لم أره منك و أعياني ذلك ، فما رأيك في العمل ؟ قال : لن أعمل حتَّى تخبرني بالذي في نفسك . قال : و ما تريد إلى ذلك ؟ قال : أريده فإن كان شيء أخاف منه على نفسي ، خشيت منه عليها الذي خشيت ، و إن كنت بريئاً من مثله و علمت أنّي لست من أهله فقبلت عملك هنالك ، فإنِّي قلّما رأيتك طلبت شيئاً إلاّ عاجلته . فقال : يابن عباس إنِّي خشيت أن يأتي عليّ الذي هو آت و أنت في عملك ، فتقول : هلمّ إلينا ، و لا هلمّ إليكم دون غيركم . إنِّي رأيت النبيّ صلّى الله عليه و آله استعمل النَّاس و ترككم . قال : و الله قد رأيت من ذلك فلم تراه فعل ذلك ؟ قال : و الله ما أدري أضنّ بكم عن العمل ؟ فأهل ذلك أنتم ،

أم خشى أن تبايعوا بمنزلتكم منه فيقع العتاب و لا بد من عتاب ؟ فقد قرعت لك فما رأيك ؟ قال : قلت : أرى أن لا أعمل لك . قال : و لم ؟ قال : قلت : إن عملت لك و في نفسك ما فيها لم أبرح قذى في عينك . قال : فأشر عليّ . قال : قلت : إنِّي أرى أن تستعمل صحيحاً منك صحيحاً لك (١) .

و قوله : « و الله ما أدري أضنّ بكم عن العمل . . . » فجور منه في الحلف ، فإنّه علم أنّه صلّى الله عليه و آله ضنّ بهم . ثمّ إنّه لم يستعمل ابن عباس ، لئلاً يصير وسيلة لتولية أمير المؤمنين عليه السلام ، لكونه ابن عمّه لو مات هو ، مع كون ابن عباس من أهل بيت النبيّ صلّى الله عليه و آله . و استعمل معاوية أعدى عدوّ النبيّ صلّى الله عليه و آله مع علمه بنفاقه

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢ : ٣٢١ .

الصفحة ٣٨

و معرفته بدرجة دهائه ، ليصير سبباً لغلبته على أهل البيت ، و قد صار الأمر كما دبّر و لم يوّلّه بلدة ، بل إقليماً مثل الشّام حتّى يمكنه المقاومة في مقابل أمير المؤمنين عليه السلام ، مع كون الحجاز و العراق تحت يده ، و قد صرّح بذلك يوم الشورى ، فألقى الاختلاف بين السّنة ، و دبّر حرمان أمير المؤمنين عليه السلام

بحكمية ابن عوف صهر عثمان و قال : إن اختلفتم يغلبكم معاوية . فهل غلبة معاوية إلا منه ؟ و هلبغي على أهل البيت عليه السلام أعظم مما فعل ؟

« و أدخلنا و أخرجهم » روى الخطيب في محمد بن سليمان بن حبيب عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص قال : إن عليا عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه و آله و عنده ناس ، فلما دخل علي خرجوا ، ثم إنهم قالوا : و الله ما أخرجنا النبي صلى الله عليه و آله فلم خرجنا ؟ فرجعوا فدخلوا على النبي صلى الله عليه و آله فقال النبي صلى الله عليه و آله : إني و الله ما أخرجتكم و أدخلته ، و لكن الله هو أدخله و أخرجكم . رواه بأسانيد ١ .

و روى أحمد بن حنبل في فضائله عن زيد بن أرقم قال : كان لنفر من الصحابة أبواب شارع في المسجد ، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله : سدوا هذه الأبواب إلا باب علي بن أبي طالب . فتكلم الناس في ذلك ، فقام النبي صلى الله عليه و آله فحمد الله و أثنى عليه ، ثم قال : ما سددت شيئا و لا فتحتة و لكني امرت بشيء فاتبعته ٢ .

و روى الترمذي في (صحيحه) عن جابر قال : دعا رسول الله صلى الله عليه و آله عليا يوم الطائف ، فانتجاه طويلا فقال الناس : لقد طالت نجواه مع ابن عمه . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه و آله ، فقال : ما انتجيتة و لكن الله انتجاه ٣ .

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٥ : ٢٩٤ .

(٢) رواه عنه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص : ٤١ .

(٣) سنن الترمذي ٥ : ٦٣٩ ح ٣٧٢٦ و رواه عنه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص : ٤٢ .

الصفحة ٣٩

نقلهما سبط ابن الجوزي في كتابه .

« بنا » لا بغيرنا .

« يستعطى الهدى » إلى الحق ، و قد قال تعالى : . . . أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمّن لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون ١ .

« و يستجلى العمى » عن الباطل ، و قول عمر : « معضلة ليس لها أبو الحسن » ٢ صار كالمثل .

« إن الأئمة من قريش » حسبما استفاض عنه صلى الله عليه وآله من طريق الخاصة و العامة .

« غرسوا في هذا البطن من هاشم » أي : الطالبين منهم دون باقي بطون هاشم من العباسيين و غيرهم ، و في الإثني عشر من بطن الطالبين دون غيرهم من الجعفريين العقيليين و غيرهما ، روى محمد بن بابويه في (إكماله) عن الأسواري قال : كان ليحيى بن خالد مجلس بداره يحضره المتكلمون من كل فرقة يوم الأحد ، فيتناظرون في أديانهم فيحتج بعضهم على بعض ، فبلغ ذلك الرشد فقال له : ما هذا المجلس الذي بلغني عنك في منزلك يحضره المتكلمون ؟ قال : ما شيء مما رفعتني به أمير المؤمنين عليه السلام أحسن موقعا عندي من هذا المجلس الذي يحضره كل قوم مع اختلاف مذاهبهم ، فيحتج بعضهم على بعض ، و يعرف المحق من بينهم ، و يبين لنا فساد كل مذهب من مذاهبهم . فقال له الرشد : احب أن أحضر هذا المجلس ، و أسمع كلامهم على أن لا يعلموا بحضوري ، فيحتشموا و لا يظهروا مذاهبهم . قال : ذلك إلى أمير

(١) يونس : ٣٥ .

(٢) انساب الأشراف للبلاذري ٢ : ٩٩ ١٠٠ ح ٢٩ ، ٣٠ ، و غيره مرّ تخريجه في شرح فقرة « و الفضائل الجمة » من خطبة الرضي .

الصفحة ٤٠

المؤمنين إن شاء و متى شاء . قال : فضع يدك على رأسي على ألاّ تعلمهم بحضوري . ففعل ذلك و بلغ الخبر المعتزلة فتشاوروا بينهم و عزموا على ألاّ يكلموا هشام بن الحكم إلاّ في الإمامة ، لعلمهم بمذهب الرشد و إنكاره على من قال بالإمامة ، فحضره و حضر هشام و حضر عبد الله بن يزيد الأباضي و كان من أصدق الناس لهشام فدخل هشام و سلم على عبد الله من بينهم ،

فقال يحيى لعبد الله : كلم هشاما في ما اختلفتم فيه من الإمامة . فقال هشام : أيها الوزير ليس لهؤلاء علينا جواب و لا مسألة ، إن هؤلاء قوم كانوا مجتمعين معنا على إمامة رجل ، ثم فارقونا بلا علم و لا معرفة ، فلا حين كانوا معنا عرفوا الحق ، و لا حين فارقونا علموا علام فارقونا . فقال بنان و كان من الحرورية :

أخبرني عن أصحاب عليّ حين حكموا الحكمين كانوا مؤمنين أم كافرين ؟

قال هشام : كانوا ثلاثة أصناف : صنف مؤمنون ، و صنف مشركون ، و صنف ضالّون ، فأما المؤمنون فمن قال مثل قلبي : إنّ عليّاً عليه السّلام إمام من عند الله عزّ و جلّ و معاوية لا يصلح لها ، فأمنوا بما قال الله تعالى في عليّ عليه السّلام و أقرّوا به .

و أمّا المشركون فقوم قالوا : عليّ إمام و معاوية يصلح لها ، فأشركوا و أدخلوا معاوية مع عليّ عليه السّلام . و أمّا الضالّون فقوم خرجوا من الحميّة و العصبية للعشائر و القبائل ، و لم يعرفوا شيئاً من هذا و هم جهال . قال : فأصحاب معاوية ما كانوا ؟ قال : كانوا ثلاثة أصناف : صنف كافرون ، و صنف مشركون ،

و صنف ضالّون . أمّا الكافرون فالذين قالوا : إنّ معاوية إمام و عليّ لا يصلح لها ، فكفروا من جهتين إذ جحدوا إماماً من الله عزّ و جلّ و نصبوا إماماً ليس من الله . و أمّا المشركون فقوم قالوا : معاوية إمام و عليّ يصلح لها ، فأشركوا معاوية مع عليّ عليه السّلام . و أمّا الضالّون فعلى سبيل اولئك خرجوا بالحميّة و العصبية للقبائل و العشائر . فانقطع بنان عند ذلك .

فقال ضرار : و أنا أسألك يا هشام في هذا . قال : أخطأت . قال : و لم ؟ قال :

الصفحة ٤١

لأنكم كلّم مجتمعون على دفع إمامة صاحبي ، و قد سألتني هذا عن مسألة ،

و ليس لكم أن تنتهوا عليّ بالمسألة ، حتّى أسألك يا ضرار عن مذهبك في هذا الباب . فقال : سل . فقال : أتقول إنّ الله عزّ و جلّ عدل لا يجور ؟ قال : نعم . قال : فلو كلف الله المقعد المشي إلى المساجد و الجهاد ، و كلف الأعمى قراءة المصاحف و الكتب أترأه كان عادلاً أم جائراً ؟ قال : ما كان ليفعل ذلك . قال هشام : قد علمت أنّ الله لا يفعل ذلك ، و لكن ذلك على سبيل الجدل و الخصومة ، و لو فعل ذلك أليس كان في فعله جائراً إذ كلفه تكليفاً لا يكون له السبيل إلى إقامته و أدائه ؟

قال : لو فعل ذلك كان جائراً .

قال : فأخبرني عن الله عزّ و جلّ كلف العباد ديناً واحداً لا اختلاف فيه لا يقبل منهم إلا أن يأتوا به كما كلفهم ؟ قال : بلى . قال : فجعل لهم دليلاً على وجود ذلك الدين ، أو كلفهم ما لا دليل لهم على وجوده ، فيكون بمنزلة من كلف الأعمى قراءة الكتب ، و المقعد المشي إلى المساجد و الجهاد ؟ فسكت ضرار ساعة

ثمّ قال : لا بدّ من دليل و ليس بصاحبك . فتبسّم هشام و قال : تشيع شطرك ، و صرت إلى الحقّ ضرورة و لا خلاف بيني و بينك إلاّ في التسمية .

قال ضرار : فإنّي ارجع عليك القول في هذا . قال : هات . قال ضرار : كيف تعقد الإمامة ؟ قال هشام : كما عقد الله النبوّة . قال : فهو إذن نبيّ ؟ قال : لا ، لأنّ النبوّة يعقدها أهل السماء ، و الإمامة يعقدها أهل الأرض ، فعقد النبوّة بالملائكة ، و عقد الإمامة بالنبيّ ، و العقدان جميعا بأمر الله جلّ جلاله . قال : فما الدليل على ذلك ؟ قال هشام : الاضطراب في هذا . قال ضرار : و كيف ذلك ؟ قال هشام : لا يخلو الكلام في هذا من أحد ثلاثة وجوه ، إمّا أن يكون الله عزّ و جلّ رفع التّكليف عن الخلق بعد الرّسول صلّى الله عليه و آله فلم يكفهم و لم يأمرهم و لم ينههم ،

فصاروا بمنزلة السّباع و البهائم ، التي لا تكليف عليها أفقول هذا يا ضرار : إنّ التّكليف عن النّاس مرفوع بعد الرّسول صلّى الله عليه و آله ؟ قال : لا أقول هذا . قال هشام :

الصفحة ٤٢

فالوجه الثّاني ينبغي أن يكون النّاس المكفّون قد استحالوا بعد الرّسول صلّى الله عليه و آله علماء في مثل حدّ الرّسول في العلم ، حتّى لا يحتاج أحد إلى أحد ، فيكونوا كلّهم قد استغنوا بأنفسهم و أصابوا الحقّ الذي لا اختلاف فيه ، أفقول هذا : إنّ النّاس استحالوا علماء حتّى صاروا في مثل حدّ الرّسول في العلم بالدين ، حتّى لا يحتاج أحد إلى أحد ، مستغنين بأنفسهم عن غيرهم في إصابة الحقّ ؟ قال : لا أقول هذا و لكنهم يحتاجون إلى غيرهم . قال : فبقي الوجه الثّالث ، و هو أنّه لا بدّ لهم من عالم يقيمه الرّسول لهم لا يسهو و لا يغلط و لا يخيّف ، معصوم من الذّنوب مبرّأ من الخطايا يحتاج النّاس إليه و لا يحتاج إلى أحد . قال : فما الدليل عليه ؟

قال هشام : ثمان دلالات : أربع في نعت نسبه ، و أربع في نعت نفسه ، فأما الأربع التي في نعت نسبه : فإنّه يكون معروف الجنس ، معروف القبيلة ،

معروف البيت ، و أن يكون من صاحب الملة و الدّعوة إليه إشارة ، فلم ير جنس من هذا الخلق أشهر من جنس العرب ، الذين منهم صاحب الملة و الدّعوة ، الذي ينادى باسمه في كل يوم خمس مرّات على الصّوامع : « أشهد ألاّ إله إلاّ الله و أنّ محمّدا رسول الله » فتصل دعوته إلى كلّ برّ و فاجر ، عالم و جاهل مقرّ و منكر في شرق الأرض و غربها ، و لو جاز أن تكون الحجّة من الله على هذا الخلق في غير هذا الجنس لأتى على الطّالب المرتاد دهر من عصره لا يجده ، و لجاز أن يطلبه في أجناس من هذا الخلق

من العجم و غيرهم ، و لكان من حيث أراد الله عزّ و جلّ أن يكون صلاح يكون فساد ، و لا يجوز هذا في حكمة الله تعالى و عدله ، أن يفرض على الناس فريضة لا توجد ، فلمّا لم يجر ذلك لم يجر أن يكون إلاّ في هذا الجنس لاتّصاله بصاحب الملةّ و الدعوة ، فلم يجر أن يكون من هذا الجنس إلاّ في هذه القبيلة ، لقرب نسبها من صاحب الملةّ و هي قريش ،

و لمّا لم يجر أن يكون من هذا الجنس إلاّ في هذه القبيلة ، لم يجر أن يكون من

الصفحة ٤٣

هذه القبيلة إلاّ في هذا البيت لقرب نسبه من صاحب الملةّ و الدعوة ، و لمّا كثر أهل هذا البيت ، و تشاجروا في الإمامة ، لعلوها و شرفها ادعاها كلّ واحد منهم ،

فلم يجر إلاّ أن يكون من صاحب الملةّ و الدعوة إشارة إليه بعينه و اسمه و نسبه ، كيلا يطمع فيها غيره .

و أمّا الأربع التي في نعت نفسه : فإن يكون أعلم الناس كلّهم بفرائض الله و سننه و أحكامه ، حتّى لا يخفى عليه منها دقيق و لا جليل ، و أن يكون معصوما من الذنوب كلّها ، و أن يكون أشجع الناس ، و أن يكون أسخى الناس .

فقال عبد الله بن يزيد الأباضي : من أين قلت : إنّه أعلم الناس ؟

قال : لأنّه إن لم يكن عالما بجميع حدود الله و أحكامه و شرائعه و سننه ،

لم يؤمن عليه أن يقبّل الحدود ، فمن وجب عليه القطع حدّه ، و من وجب عليه الحدّ قطعه ، فلا يقيم الله حداً على ما أمر به ، فيكون من حيث أراد الله صلاحاً يقع فساد .

قال : فمن أين قلت : إنّه معصوم من الذنوب ؟

قال : لأنّه إن لم يكن معصوما من الذنوب دخل في الخطأ ، فلا يؤمن أن يكتّم على نفسه ، و يكتّم على حميمه و قريبه ، و لا يحتجّ الله بمثل هذا على خلقه .

قال : فمن أين قلت : إنّه أشجع الناس ؟

قال : لأنّه فئة للمسلمين يرجعون إليه في الحروب ، و قد قال عزّ و جلّ :

و من يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله . . . ١ فإن لم يكن شجاعاً ، فرّ فيبوء بغضب من الله عزّ وجلّ حجة الله على خلقه .

قال : فمن أين قلت : إنه أسخى الناس ؟

(١) الأنفال : ١٦ .

الصفحة ٤٤

قال : لأنه خازن المسلمين فإن لم يكن سخيّاً ، تافت نفسه إلى أموالهم فأخذها فكان خائناً ، و لا يجوز أن يحتجّ الله على خلقه بخائن .

فعند ذلك قال ضرار : فمن هذا بهذه الصّفة في هذا الوقت ؟ فقال : صاحب القصر أمير المؤمنين و كان هارون قد سمع الكلام كلّه فقال عند ذلك :

أعطانا و الله من جراب الثّورة ، و يحك يا جعفر و كان جعفر بن يحيى جالسا معه في السّتر من يعني بهذا ؟ فقال : يعني به موسى بن جعفر . قال : ما عنى به غيره . ثمّ عضّ على شفتيه و قال : مثل هذا حيّ و يبقى لي ملكي ساعة واحدة .

فو الله للسان هذا أبلغ في قلوب النّاس من مائة ألف سيف . و علم يحيى أنّ هشاماً قد أتى فدخل السّتر ، فقال : يا عبّاسي ويحك من هذا الرّجل ؟ فقال :

حسبك تكفى تكفى .

ثمّ خرج إلى هشام فغمزه ، فعلم هشام أنّه قد اتى ، فقام يريهم أنّه يبول أو يقضي حاجة ، فلبس نعليه و انسلّ ، و مرّ ببيته و أمرهم بالتّواري ، و هرب و مرّ من فوره نحو الكوفة ، و نزل على بشير النّبال و كان من حملة الحديث من أصحاب أبي عبد الله عليه السّلام فأخبره الخبر ، ثمّ اعتلّ علّة شديدة ، فقال له البشير : أتيتك بطبيب قال : لا أنا ميّت . فلمّا حضره الموت قال لبشير : إذا فرغت من جهازي فاحملني في جوف اللّيل ، وضعني بالكناسة و اكتب رقعة و قل : هذا هشام بن الحكم الذي يطلبه الخليفة مات حتف أنفه . و كان هارون قد بعث إلى إخوانه و أصحابه فأخذ الخلق به ، فلمّا أصبح أهل الكوفة رأوه ، و حضر

القاضي و صاحب المعونة و العامل و المعدلون بالكوفة ، و كتب إلى الرّشيد بذلك فقال : الحمد لله الذي كفانا أمره و خلّى عمّن كان أخذ به ١ .

« لا تصلح على سواهم ، و لا تصلح الولاية من غيرهم » ظهر لك من البرهان

(١) كمال الدين للصدوق : ٣٦٢ .

الصفحة ٤٥

الذي ذكره هشام أنّ وجوب كون الإمام من بيت هاشم بيت النبي صلى الله عليه و آله أمر عقلي لا يجوز تخلفه ، و يعاضده الدليل النقلى القطعي ، قوله تعالى : إنّما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا . . . ١ .

و قول رسوله صلى الله عليه و آله في المتواتر : « من كنت مولاه فعليّ مولاه » ٢ .

و منه يظهر لك ما في قول ابن أبي الحديد هنا : « إن قلت : إنك شرحت هذا الكتاب على قواعد المعتزلة و اصولهم فما قولك في هذا الكلام و هو تصريح بأن الإمامة لا تصلح من قريش إلا في بني هاشم خاصة ، و ليس ذلك بمذهب المعتزلة لا متقدميهم و لا متأخريهم قلت : هذا الموضوع مشكل ولي فيه نظر ،

و إن صحّ أن عليّاً عليه السلام قاله قلت : كما قال لأنه ثبت عندي أنّ النبي صلى الله عليه و آله قال : (إنّه مع الحقّ و أنّ الحقّ يدور معه حيثما دار) ٣ . و يمكن أن يتأول على مذهب المعتزلة ، فيحمل على أنّ المراد به كمال الإمامة كما في قوله صلى الله عليه و آله : (لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد) ٤ على نفي الكمال لا على نفي الصّحة » ٥ .

قلت : هذا التّأويل منه كتأويل بعض المتكلمين كما في (مختلف ابن قتيبة) النهي عن الخمر في القرآن على جهة التّأديب ، كما في قوله تعالى :

و لا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك و لا تبسطها كلّ البسط . . . ٦ و في قوله تعالى : . . . و اهجروهنّ في المضاجع و اضربوهنّ . . . ٧ و ذهب إلى عدم

(١) المائة : ٥٥ .

(٢) هذا حديث الغدير مرّ تخريجه في شرح فقرة « و لهم خصائص » في العنوان ٤ من هذا الفصل .

(٣) سنن الترمذي ٥ : ٦٣٣ ح ٣٧١٤ و غيره مرّ تخريجه في أواخر العنوان ٥ من هذا الفصل .

- (٤) أخرجه الدار قطني في سننه عنه الجامع الصغير ٢ : ٢٠٣ مسندا ، و المرتضى في الذريعة ١ : ٣٥٤ ، و الطوسي في التهذيب ١ : ٩٢ ح ٣ مجردا و روي أيضا عن عليّ عليه السّلام .
- (٥) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٤٠٢ .
- (٦) الأسراء : ٢٩ .
- (٧) النساء : ٣٤ .

الصفحة ٤٦

حرمة الخمر ١ .

و كتأويل بعضهم العدد في قوله تعالى : . . . فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى و ثلاث و رباع . . .

٢ على الجمع فجوز نكاح تسع من الحرائر ،

و استشهد على تأويله بأن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله مات عن تسع ، و أنكر الخصوصية للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله ٣ .

و كتأويل حرمة لحم الخنزير في قوله تعالى : حرّمت عليكم الميتة و الدّم و لحم الخنزير . . . ٤ على حلية شحمه و جلده ٥ ، مع كون ما قاله في ما مرّ خلاف ضرورة الإسلام .

و كتأويل قوله تعالى في نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله : . . . و خاتم النبيّين . . . ٦ على كون النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله زينة لهم كالخاتم لصاحبه ، فقال بعدم خاتمية النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله ، و كما نقل عن بعض الغلاة و الإسماعيلية القول بنبوة أنبياء بعد النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله ، مع أنه تواتر عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله أنه قال : « لا نبيّ بعدي » ٧ فكما أنّ الآيات المتقدمة لا تجوز التأويل كذلك قوله عليه السّلام : « أين الذين زعموا أنّهم الرّاسخون في العلم دوننا كذبا و بغيا علينا ، أن رفعنا الله و وضعهم ، و أعطانا و حرمهم و أدخلنا و أخرجهم ؟ بنا يستعطي الهدى و يستجلى العمى » قبل هذا الكلام أي :

قوله عليه السّلام « غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم و لا تصلح

(١) نقلها ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث : ٦٠ ٦١ ، و النقل بالمعنى .

(٢) النساء : ٣ .

(٣) نقلها ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث : ٦٠ ٦١ ، و النقل بالمعنى .

(٤) المائة : ٣ .

(٥) نقلها ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث : ٦٠ ٦١ ، و النقل بالمعنى .

(٦) الأحزاب : ٤٠ .

(٧) هذا ذيل حديث المنزلة مرّ تخريجه في أوائل العنوان ٧ من هذا الفصل .

الصفحة ٤٧

الولاية من غيرهم » .

و لو فتح باب مثل تأويله لصحّ تأويل تلك المتنبيّة عدم منافاة قول خاتم الأنبياء لنبوّتها بأنّه إنّما قال : « لا نبيّ بعدي » و لم يقل : « لا نبيّة بعدي » .

و سأل هشام بن الحكم أيضا جماعة من المتكلمين فقال : أخبروني حين بعث الله محمّدا صلّى الله عليه و آله بعثه بنعمة تامّة أو بنعمة ناقصة ؟ قالوا : بنعمة تامّة .

قال : فأيّما أتمّ أن يكون في أهل بيت واحد نبوّة و خلافة أو تكون نبوّة بلا خلافة ؟ قالوا : بل تكون نبوّة و خلافة . قال : فلما ذا جعلتموها في غيرها ؟ فإذا صارت في بني هاشم ضربتم وجوههم بالسيف ؟ فافحموا . ١

و روى محمّد بن محمّد بن النعمان عن المرزباني عن محمّد بن العباس عن محمّد بن يزيد النحوي عن ابن عائشة : أنّ ذا الشّهادين قال :

ما كنت أحسب هذا الأمر منصرفا
عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسن

أ ليس أولّ من صلّى بقبلتهم

و أعرف الناس بالآثار و السنن

و آخر الناس عهدا بالنبيّ و من

جبريل عون له في الغسل و الكفن

من فيه فيه ما فيه لا يمترون به

و ليس في القوم ما فيه من الحسن

ماذا الذي ردكم عنه فنعلمه

ها إن بيعتكم من أغبن الغبن ٢

و قال حسان :

و ما زال في الإسلام من آل هاشم

دعائم صدق لا ترام و مفخر

هم جبل الإسلام و الناس حولهم

رضام إلى طود يطول و يقهر

و قال كعب الأنصاري :

قوم بهم عصم الإله عباده

و عليهم نزل الكتاب المنزل

(١) المناقب لأبن شهر آشوب ١ : ٢٧٦ .

(٢) الارشاد للمفيد : ٢٢ .

الصفحة ٤٨

و روى الخطيب في هاشم بن مسرور المؤدب عن أبي صالح في قوله تعالى : الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة و أتوا الزكوة و أمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر . . . ١ قال : هم بنو هاشم . ثم قلت : من مضى منهم أم من بقي ؟ قال : من مضى منهم و من بقي ٢ .

و روى ابن عبد ربّه في (عقده) في وفود قريش على سيف بن ذي يزن : أن سيفاً قال لعبد المطلّب : إذا ولد مولود بتهمة ، بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة ، إلى يوم القيامة ٣ .

و قال الكميت مشيراً إلى النبيّ صلّى الله عليه و آله :

يقولون لم يورث و لو لا تراثه
لما شاركت فيه بكيل و أرحب

و لا انتشلت عضوين منها يحابر
و كان لعبد القيس عضو مورّب

فإن هي لم تصلح لحيّ سواهم
إذن فذوو القربى أحقّ و أقرب

فيالك أمر قد اشتت جمعه
و دنيا أرى أسبابها تنقضّب

تبدّلت الأشرار بعد خيارها
و جدّ بها من أمة هي تلعب

و روى المسعودي في (مروه) : أنّه لما ورد صعصعة على معاوية من قبل أمير المؤمنين عليه السّلام و سأله عن قومه ، و أجابه ، قال له معاوية : و يحك يابن صوحان فما ترك لهذا الحيّ من قريش مجدا و لا فخرا ؟ قال : بلى و الله يابن أبي سفيان تركت لهم ما لا يصلح إلّا بهم ، و لهم تركت الأبيض ، و الأحمر و الأصفر و الأشقر ، و السّرير ، و المنبر ، و الملك إلى المحشر ، و أنّي لا يكون ذلك كذلك و هم منار الله في الأرض و نجومه في السّماء . ففرح معاوية و ظنّ أنّ كلامه

(١) الحج : ٤١ .

(٢) تاريخ بغداد للخطيب ١٤ : ٦٩ .

(٣) العقد الفريد لأبن عبد ربه ١ : ٢٤٣ .

الصفحة ٤٩

يشتمل على قريش كلّها . فقال : صدقت يابن صوحان إنّ ذلك لكذلك . فعرف صعصعة ما أراد . فقال : ليس لك و لا لقومك في ذلك إصدار و لا إيراد ، بعدتم عن أنف المرعى ، و علوتم عن عذب الماء . قال : فلم ذلك ؟ و يلك يابن صوحان ؟

قال : الويل لأهل النار ذلك لبني هاشم . . . ١ .

و روى أبو هلال العسكري في (أوائله) : أنّ أبا الهيثم بن التيهان قام خطيباً بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال : إنّ حسد قريش إِيّاك على وجهين :

أما خيارهم فتمنوا أن يكونوا مثلك منافسة في البلاء ، و ارتفاع الدرجة ، و أما شرارهم فحسدوا حسداً أثقل القلوب ، و أحبط الأعمال ، و ذلك أنّهم رأوا عليك نعمة قدّمها إليك الحظّ و أخرهم عنها الحرمان ، فلم يرضوا أن يلحقوا حتّى طلبوا أن يسبقوك ، فبعدت و الله عليهم الغاية ، و قطعت المضمار . فلما تقدّمتمهم بالسبق و عجزوا عن اللحاق ، بلغوا منك ما رأيت ، و كنت و الله أحق قريش بشكر قريش ، نصرت نبيهم حياً و قضيت عنه الحقوق ميّتا ، و الله ، بغيهم إلّا على أنفسهم ، و لا نكثوا إلّا ببيعة الله يد الله فوق أيديهم ٢ .

و روى نصر بن مزاحم في (صفيته) عنه عليه السلام في كتابه إلى معاوية :

و أعلم أنّ هذا الأمر لو كان إلى الناس أو بأيديهم لحسدونا و لا متنّوا به علينا ،

و لكنّه قضاء ممّن امتنّ به علينا على لسان نبيّه الصادق المصدّق ، لا أفلح من شكّ بعد العرفان و البيّنة ٣ .

و هو صريح في مذهب الإمامية من كون الإمامة من قبله تعالى بوساطة نبيّه صلّى الله عليه و آله لا باختيار الأمة ، كما عليه المتسمّون بالسنة .

(١) مروج الذهب ٣ : ٤٠ .

(٢) الفتن من البحار للمجلسي : ١٥٣ عن أوائل أبي هلال العسكري ، و الآية ١٠ من سورة الفتح .

(٣) وقعة صفين لابن مزاحم : ١٠٩ .

الصفحة ٥٠

و في (تاريخ اليعقوبي) : أنّه بلغ عثمان أنّ أباذر وقف بباب المسجد ،

فقال : أيّها الناس من عرفني فقد عرفني ، و من لم يعرفني فأنا أبوذر الغفاري ،

أنا جندب بن جنادة الرّبذي إنّ الله اصطفى آدم و نوحا و آل إبراهيم ، و آل عمران على العالمين . ذرية بعضها من بعض و الله سميع عليهم ١ محمد الصّفة من نوح فالأول إبراهيم ، و السّلالة من إسماعيل و العترة الهادية من محمد صلّى الله عليه و آله ، إنّه شرف شريفهم ، و استحقّوا الفضل في قوم هم فينا كالسماء المرفوعة ، أو كالكعبة المستورة ، أو كالقبة المنصوبة ، أو كالشمس الضاحية ، أو كالقمر السّاري ، أو كالنجوم الهادية ، أو كالشجرة الزيتونة ،

أضاء زيتها ، و بورك زبدها ، و محمد صلّى الله عليه و آله وارث علم آدم ، و ما فضلّ به النّبيون ، و عليّ بن أبي طالب وصيّ محمد صلّى الله عليه و آله و وارث علمه . أيتها الامّة المتحيّرة بعد نبيّها أما لو قدّمتم من قدّم الله ، و أخرتم من أخر الله ، و أقرتم الولاية و الوراثة في أهل بيت نبيكم ، لأكلتم من فوق رؤوسكم ، و من تحت أقدامكم و لما عال ولي الله ، و لما طاش سهم من فرائض الله ، و لا اختلف اثنان في حكم الله إلاّ وجدتم علم ذلك عندهم من كتاب الله و سنة نبيّه ، فأما إذا فعلتم ما فعلتم ، فذوقوا و بال أمركم . . . و سيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون . . . ٢ .

و لما افتخر ابن المعتز بالعباسيين على الطّالبيين بقصيدته التي أولها :

أبي الله إلاّ ما ترون فما لكم
غضابي على الأقدار يا آل طالب

أجابه أبو القاسم التنوخي :

(١) آل عمران : ٣٣ ٣٤ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٧١ ، و الآية ٢٢٧ من سورة الشعراء .

الصفحة ٥١

من ابن رسول الله و ابن وصيّه
إلى مدغل في عقدة الدّين ناصب

نشأ بين طنبور و دفّ و مزهر
و في حجر شاد أو على صدر ضارب

و من ظهر سكران إلى بطن قينة

على شبهه في ملكها و شوائب

إلى أن قال :

و نحن الألى لا يسرح الذم بيننا
و لا تدرى أعراضنا بالمعائب

إذا ما انتدوا كانوا شמוש نديهم
و إن ركبوا كانوا بدور الركائب

و إن عبسوا يوم الوغى ضحك الردى
و إن ضحكوا بكوا عيون النوائب

و ما للغواني و الوغى فتعودوا
بقرع المثاني من قراع الكتائب

و يوم حنين قلت حزنا فخاره
و لو كان يدري عده في المثالب

أبوه مناد و الوصي مضارب
فقل في مناد صييت و مضارب

و جنتم مع الأولاد تبغون إرثه
فأبعد محجوب بحاجب حاجب

و قلتم نهضنا نائرين شعارنا
بثارات زيد الخير عند التجارب

و معنى البيت الأخير أنكم غلبتم على بني امية بادعائكم أخذ ثار أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله و لو كنتم ادعيتم أنكم تطلبون ثار عمكم إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الذي أمر بخنقه مروان بن محمد المرواني لما أعانكم أحد .

هذا ، و أمّا خبر أنّ [الأئمة من قريش] بلفظ العام فأصله أيضا متواتر ،

كتخصيصه بذلك البطن من هاشم ، و لما ادّعت الأنصار الأمر يوم السقيفة ،

قال عمرو بن العاص دفعا لهم : إن كان سمعوا قول النبي : « الأئمة من قريش » ثم ادّعوا لقد هلكوا و أهلكوا ، و إن كانوا لم يسمعوا فما هم كالمهاجرين .

و قال النعمان بن عجلان الأنصاري دفعا عن الأنصار : إن كان النبي صلى الله عليه وآله قال : « الأئمة من قريش » فقد قال : « لو سلك الناس شعبا و سلك الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار » ، و الله ما أخرجناكم من الأمر إذ قلنا :

منا أمير و منكم أمير .

و مع تواتر الخبر به قال عمر بعد أن طعن في معاذ بن جبل الأنصاري : لو كان معاذ حيّا لاستخلفته . و قال في سالم مولى أبي حذيفة : لو كان سالم حيّا لاستخلفته .

قال صاحب (الاستيعاب) في عنوان سالم بعد النقل عن عمر قوله : لو كان سالم حيّا ما جعلتها شورى : و هذا عندي على أنّ عمر كان يصدر في الخلافة عن رأيه ١ .

قلت : ردّه قول النبي صلى الله عليه وآله في ما مرّ ليس بمستكر بعد قوله في

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ٢ : ٧١ و الرواية مشهورة .

الصفحة ٥٣

النبي صلى الله عليه وآله لما قال : « ايتوني بدواة و كتف أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي » :

دعوا الرجل إنه ليهجر ١ .

ثم كما تواتر أصله كذلك تواتر عنه صلى الله عليه وآله تعيينه لأئمة قريش في اثني عشر فروى مسلم في (صحيحه) عن جابر بن سمرة قال : دخلت مع أبي علي النبي صلى الله عليه وآله ، فسمعتة يقول : إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة ، ثم تكلم بكلام خفي علي ، فقلت لأبي : ما قال ؟ قال : كلهم من قريش ٢ .

و روى أيضا مسندا : أن النبي صلى الله عليه وآله قال عشية جمعة رجم الأسمي : لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش ٣ .

و روى أبو داود و البزار عن النبي صلى الله عليه وآله قال : لا يزال أمر امتي قائما حتى يمضي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش . و زاد الأول فلما رجع إلى منزله أئته قريش ، فقالوا : ثم يكون ماذا ؟ قال : ثم يكون الهرج ٤ .

و رواه أحمد بن الحسن القطان شيخ من أصحاب حديثهم بأربعة عشر طريقا ، و عبد الله بن محمد الصائغ منهم بطريقين .

و نقل طرقهما محمد بن بابويه في (خصاله) ٥ ، و روى أيضا أحمد بن حنبل في (مسنده) أن النبي صلى الله عليه وآله قال : بعدي اثنا عشر خليفة عدد نقباء بني

(١) صحيح البخاري ١ : ٣٢ ، و ٤ : ٧ ، ٢٧١ و غيره ، مرّ تخريجه في أواخر العنوان ٣ من هذا الفصل .

(٢) صحيح مسلم ٣ : ١٤٥٢ ، ١٤٥٣ ح ٥ ، ٦ ، ٩ .

(٣) صحيح مسلم ٣ : ١٤٥٣ ح ١٠ .

(٤) سنن أبي داود ٤ : ١٠٦ ح ٤٢٧٩ ، ٤٢٨١ ، و مسند البزار عنه تاريخ الخلفاء للسيوطي : ١٠ و النقل بتصريف .

(٥) أخرجه الصدوق عن طريق أحمد بن الحسن بأربعة عشر طريقا في الخصال : ٤٦٩ ، ٤٧٢ ح ١٢ ، ٢٥ و عن طريق عبد الله بن محمد بطريقين في الخصال : ٤٧٥ ح ٣٦ ، ٣٧ .

الصفحة ٥٤

إسرائيل و زاد في خبر و حوار عيسى عليه السلام ١ .

و لا تنطبق تلك الأخبار إلا على مذهب الإمامية القائلين بالأئمة الاثني عشر ، و أما أهل السنة فإن اقتصرنا على الأربعة ، يقعوا في الكسر ، و إن تعدوا إلى جميع من تصدى للأمر ، يقعوا في الكثرة ، و إن انتخبوا كما فعل القاضي عياض و ابن حجر ، خالفوا العقل و النقل الكتاب و السنة و البرهان و العيان .

قال السيوطي في (تاريخ خلفائه) : قال ابن حجر في (شرح البخاري) :

« كلام القاضي عياض أحسن ما قيل في الحديث و أرجحه أي حديث كون الأئمة اثني عشر من قریش لتأييده بقول في بعض طرق الحديث الصحيحة :

« كلهم يجتمع عليه الناس » و إيضاح ذلك أن المراد بالاجتماع انقيادهم لبيعتة ،

و الذي وقع أن الناس اجتمعوا على أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ ، إلى أن وقع أمر الحكيم في صفين ، فتسمى معاوية يومئذ بالخلافة ، ثم اجتمع الناس على معاوية عند صلح الحسن ، ثم اجتمعوا على ولده يزيد ، و لم ينتظم للحسين أمر بل قتل قبل ذلك ، ثم لما مات يزيد وقع الاختلاف ، إلى أن اجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير ، ثم اجتمعوا على أولاده الأربعة الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام ، و تخلل بين سليمان و يزيد عمر بن عبد العزيز ، فهو لاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين ، و الثاني عشر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، اجتمع الناس عليه لما مات عمه هشام ، فولّي نحو أربع سنين ، ثم قاموا عليه فقتلوه و انتشرت الفتن و تغيرت الأحوال من يومئذ ، و لم يتفق أن يجتمع الناس على خليفة بعد ذلك ، لأن يزيد بن الوليد الذي قام على ابن عمه الوليد بن يزيد لم تطل مدته ، بل ثار عليه قبل أن يموت ابن عم أبيه مروان بن محمد بن مروان .

(١) مسند أحمد ١ : ٣٩٨ ، ٤٠٦ ، و النقل بتصريف و لم يوجد في الروايتين زيادة .

الصفحة ٥٥

و لما مات يزيد ولى أخوه إبراهيم فقتله مروان ، ثم ثار على مروان بنو العباس إلى أن قتل ، ثم كان أول خلفاء بني العباس السفاح ، و لم تطل مدته مع كثرة من ثار عليه ، ثم ولى أخوه المنصور فطالت مدته ، لكن خرج عنهم المغرب الأقصى باستيلاء المروانيين على الأندلس ، و استمرت في أيديهم متغلبين عليها ، إلى أن تسموا بالخلافة بعد ذلك ، و انفرط الأمر إلى أن لم يبق من الخلافة إلا الاسم في البلاد ، بعد أن كان في أيام بني عبد الملك بن مروان يخطب للخليفة في جميع الأقطار من الأرض ، شرقا و غربا و يمينا

و شمالا ممّا غلب عليه المسلمون ، و لا يتولّى أحد في بلد من البلاد كلّها الإمارة على شيء منها إلاّ بأمر الخليفة ، و من انفرط الأمر أنّه كان في المائة الخامسة بالأندلس و حدها ستّة أنفس كلّهم يتسمّى بالخلافة ، و منهم صاحب مصر العبيدي و العبّاسي ببغداد ، خارجا عمّن كان يدّعي الخلافة في أقطار الأرض من العلويّة و الخوارج ١ .

قلت : فيه أوّلا : إنّهُ على ما أسّسه يكون أمير المؤمنين عليه السّلام أيضا خارجا ،

لأنّه لم يجتمع عليه النّاس ، فلم يبايعه سعد أحد عشرتهم و أحد ستّة شورايم ،

و لم يبايعه ابن عمر ابن فاروقهم و الناظر على شورايم ، و محمّد بن مسلمة أحد أجلة الصّحابة عندهم ، و ادّعى طلحة و الزّبير أنّهما بايعاه جبرا فخرجا عليه ، و لم يبايعه جلّ قريش بل كلّهم ، و إنّما بايعه نفر منهم كانوا في عداد بني هاشم ، كمحمّد بن أبي بكر التيميّ ربيبه عليه السّلام و جعدة بن هبيرة المخزومي ابن أخته ، و لم يبايعه معاوية و أهل الشّام ، و كانوا قريبا من نصف المسلمين .

و ثانيا : كيف يكون مثل معاوية خليفة النّبيّ صلّى الله عليه و آله ؟ و قد قاتل أمير

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي : ١١ ١٢ ، مرّ نقله أيضا في العنوان ١ من هذا الفصل .

الصفحة ٥٦

المؤمنين عليه السّلام الذي بمنزلة نفس النّبيّ صلّى الله عليه و آله بنصّ القرآن ١ و حربه حرب النّبيّ صلّى الله عليه و آله بنصّ النّبيّ صلّى الله عليه و آله في المتواتر عنه ٢ و أمر اللّعين بسبّه عليه السّلام ، و سنّه و كانت باقية مدّة بقاء الشّجرة الملعونة في القرآن ، و قتل سيّد شباب أهل الجنّة الحسن بن عليّ عليهما السّلام و قتل آلافا من عباد الله الصّالحين ، كحجر بن عدي ، و عمرو بن الحمق ، و نظرائهما ، و قد لعنه النّبيّ صلّى الله عليه و آله في غير موطن ،

و أظهر كفره للمغيرة ، و تأسّف على عدم قدرته على محو اسم النّبيّ صلّى الله عليه و آله ،

و مثل ابنه يزيد الذي ينكت بقضيبه على ثنايا سيّد شباب أهل الجنّة ، و يقول :

لعبت هاشم بالملك فلا

خبر جاء و لا وحي نزل

و سبى بنات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ فعل ما فعل بأهل المدينة ، و بمسجد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ بالكعبة ؟ و مثل الوليد بن يزيد ؟ الذي رمى القرآن بالنشاب لما استفتحته و جاء و خاب كل جبار عنيد ٣ و قال :

أ توعدني بجبار عنيد

فها أنا ذاك جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر

فقل يا رب مزقني الوليد

و مثل عبد الملك و بنيه الذين شوّهت شنائعهم و جوه صفحات التاريخ ؟

و مثل عثمان الذي أحدث أحداثاً ألجأ الصحابة من المهاجرين و في رأسهم عمّار المجمع على جلاله ، و الأنصار و صلحاء التابعين على قتله ؟ كما أنّ الوليد الذي جعله خاتمة الإثني عشر فعل من الأفعال الشنيعة حتى و طيء محارمه ، بل إخوته ، ما ألجأ بني أمية أنفسهم مع عتوهم إلى قتله .

و لهذه المفاصد التجأ بعضهم إلى انتخاب العدول من الخلفاء ، و إن لم

(١) النظر إلى قوله تعالى : انفسنا و انفسكم آل عمران : ٦١ كما روى في شأن نزوله .

(٢) هذا المعنى جاء ضمن أحاديث أخرجه الخوارزمي في مناقبه : ٧٥ ، و الخزاز في كفاية الأثر :

١٥٧ عن عليّ عليه السلام و في الباب من ابن عباس و جابر و أخرج جمع كثير حديث « انا حرب لمن حاربتم » .

(٣) إبراهيم : ١٥ .

الصفحة ٥٧

يكونوا على الولاء ، قال فصيح الدين البيضاوي منهم : قد أشكل مضمون الحديث الصحيح الذي رواه مسلم ، و هو قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ : إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم إثنا عشر خليفة كلهم من قريش . و في رواية : لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش .

قال في (شرح المشارق) : يريد بهذا الأمر الخلافة ، و أمّا العدد ، فقيل :

ينبغي أن يحمل على العادلين منهم ، فإنهم إذا كانوا على منهاج الرسول و طريقته يكونون خلفاءه ، و إلا فلا ، و لا يلزم أن يكونوا على الولاء ١ .

هذا ما قالوه و لكن لا مقنع فيه ، و هو أيضا تأويل باطل لتنافيه مع قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ : « لا يزال الإسلام عزيزا إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش » ٢ ،

و لذا اعترف الفصيح بأنه لا مقنع فيه .

و ثالثا : إنه لم اقتصر ممّا في الأخبار على خبر « كلهم يجتمع الناس عليه » ، مع أنّ في (صحيح أبي داود) عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ : « لا يزال الدين ظاهرا حتى تقوم الساعة ، و يكون عليهم اثنا عشر خليفة ، كلهم من قريش » ٣ .

و في (صحيح مسلم) « لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة ، أو يكون عليكم اثني عشر خليفة كلهم من قريش » ٤ . و في (إبانة ابن بطة العكبري) قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ : لا يزال هذا الدين قائما إلى اثني عشر أميرا من قريش فإذا مضوا ساخت الأرض بأهلها » ٥ .

(١) لم اظفر بمرجع نقله ، لكن هذا المعنى جاء في كلام كثير من شارحي الحديث مثل ، النوري و غيره .

(٢) هذا حديث جابر بن سمرة أخرجه جمع كثير ، منهم البخاري في صحيحه ٤ : ٢٤٨ ، و الترمذي في سننه ٤ : ٥٠١ ح ٢٢٢٣ ، مرّ بعض طرقه آنفا .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ٤ : ١٠٦ ح ٤٢٧٩ ، و النقل بتصرف .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٣ : ١٤٥٣ ح ١٠ .

(٥) أخرجه ابن بطة في الإبانة عنه مناقب ابن شهر آشوب ١ : ٢٩٠ .

الصفحة ٥٨

و بقتل الوليد الذي جعله خاتمة الاثني عشر لم تقم القيامة ، و لم تسخ الأرض بأهلها ، فهل تنطبق هذا الأخبار التي من صاحبهم عند من لم يكن مكابرا إلا على الأئمة الاثني عشر ، الذين أولهم أمير المؤمنين عليه السلام و آخرهم المهدي الذي تواتر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ من الخاصة و العامة أنه الذي يملأ الأرض قسطا و عدلا ١ و بعده تقوم الساعة ؟

و بالجملة ، إنّ أمير المؤمنين و الحسن و الحسين عليهما السلام دلّ على مقامهم غير نصوص النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ تصرّحاته فيهم المتواترة آيات الكتاب :

آية المباهلة ٢ ، و آية التّطهير ٣ ، و آية القربى ٤ ، و التّسعة الباقية إلى المهدي عليه السلام دلّ على مقامهم السنّة المقطوعة من قول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ : « إِنِّي تارك فيكم الثّقلين : كتاب الله و عترتي ، و لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض » ٥ .

و قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ : « مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ، و من تخلف عنها غرق » ٦ . إلى غير ذلك ممّا فيهم عليهما السلام عموماً ، و في المهدي خصوصاً . . . فمن شاء فليؤمن ، و من شاء فليكفر . . . ٧ ، . . . ليهلك من هلك عن بينة ، و يحيا من

(١) المشهور في ذلك حديث ابن مسعود أخرجه جمع كثير ، منهم أبو داود في سننه ٤ : ١٠٦ ح ٤٢٨٢ ، و ابن ماجه في سننه ٢ : ١٣٦٦ ح ٤٠٨٢ ، و الطبري بأربع طرق في دلائل الإمامة : ٢٣٥ ، ٢٢٥ و الطوسي في الغيبة : ١١٢ ، و الكنجي في البيان : ٩٣ ، ١٠٦ و في الباب عن عليّ عليه السلام و ابن سعيد و حذيفة و جابر و أبي هريرة و عبد الرحمن و ابن عباس و قرّة المزني و ابن عمرو و ابن امامة و تميم الداري و العباس و ثوبان و الحسن عليه السلام و أم سلمة و عوف بن مالك و حامل الصدفى .

(٢) آل عمران : ٦١ .

(٣) الأحزاب : ٣٣ .

(٤) الشورى : ٢٣ .

(٥) هذا حديث الثقلين مرّ تخريجه في شرح فقرة « اليهم يفىء الغالي » في العنوان ٤ من هذا الفصل .

(٦) هذا حديث السفينة مرّ تخريجه في أوائل العنوان ٥ من هذا الفصل .

(٧) الكهف : ٢٩ .

الصفحة ٥٩

حيّ عن بيّنه . . . ١ .

و أيضا العلة التي دلّت على الاحتياج بالأنبياء خلافا لقول البراهمة ٢ تدلّ على الاحتياج بأئمة بعد خاتم النبيّين ، بأئمة يكونون مثله في العلم و العصمة ، و ليس ذلك إلّا ما قالت به الإمامية .

من الخطبة (١٤٥) وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ وَ لَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ وَ لَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ وَ مَوْتُ الْجَهْلِ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ وَ صَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ وَ ظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ لَا يُخَالِفُونَ الدِّينَ وَ لَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ وَ صَامِتٌ نَاطِقٌ أَقُولُ : رواه الكليني في (روضته) إلى قوله « نبذه » ، و زاد بعده : « و لن تتلوا الكتاب حق تلاوته حتى تعرفوا الذي حرّقه ، و لن تعرفوا الضلالة حتى تعرفوا الهدى ، و لن تعرفوا التقوى حتى تعرفوا الذي تحدّي ، فإذا عرفتم ذلك ، عرفتم البدع و التكلف ، و رأيتهم الفرية على الله و على رسوله ، و التحريف لكتابه ،

و رأيتهم كيف هدى الله من هدى ، فلا يجهلنكم الذين لا يعلمون ، إنّ علم القرآن ليس يعلم ما هو إلا من ذاق طعمه ، فعلم بالعلم جهله ، و بصّر به عماه ، و سمّع به صممه ، و أدرك به ما قد فات ، و حيي به بعد إذ مات ، و أثبت عند الله عزّ ذكره الحسنات و محابه السيئات ، و أدرك به رضوانا من الله تبارك و تعالی فاطلبوا

(١) الأنفال : ٤٢ .

(٢) مرّ نقل قول البراهمة و نقضه في عنوان [١] من الفصل الخامس .

الصفحة ٦٠

ذلك من عند أهله و خاصّته ، فإنهم خاصّة نور يستضاء به ، و أئمة يقتدى بهم ،

و هم عيش العلم . إلى آخر ما في المتن .

و زاد بعده : « فهم من شأنهم شهداء بالحقّ ، و مخبر صادق لا يخالفون الحقّ و لا يخالفون فيه ، قد خلت لهم من الله سابقة ، و مضى فيهم من الله عزّ و جلّ حكم صادق و في ذلك ذكرى للذاكرين ، فاعقلوا الحقّ إذا سمعتموه عقل رعاية ، و لا تعقلوه عقل رواية ، فإنّ رواة الكتاب كثير ، و رعاته قليل و الله المستعان . ١ .

« و اعلموا أنّكم لن تعرفوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ إِلَى حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ » قال ابن أبي الحديد و تبعه الخوئي : هذا الكلام كلّه تنبيه على وجوب البراءة من أهل الضلال . . . ٢ .

قلت : إنَّ وجوب متابعة الرشد و الهدى ، و لزوم مجانبة الضلالة و الردى أمر عقلي لا يحتاج إلى التنبية عليه و لا الإشارة إليه ، بل ذكره سمح ركيك ،

نظير أن يقال : الحسن حسن ، و القبيح قبيح . لكونه توضيحا للواضح ، و كل عاقل يريد الهداية إلى سلوك الطريق ، و يكره الضلال عن المقصد ، إلا أنَّ المهمَّ تشخيصهما ، و كل يدعي الهداية ، و يأنف أن يقال له : أنت على الغواية ، و لذا قال تعالى على لسان رسوله للكفار : . . . و إنا أو إيّاكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ٣ . و الضالّ المضلّ يرى نفسه مهتديا هاديا ، قال تعالى حكاية عن فرعون إنه قال لقومه : . . ما اريكم إلا ما أرى و ما أهدىكم إلا سبيل الرشد ٤ .

(١) الكافي للكليني ١ : ٣٨٦ ح ٥٨٦ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٤٠٩ ، و شرح الخوئي ٤ : ١٣٩ .

(٣) سبأ : ٢٤ .

(٤) غافر : ٢٩ .

الصفحة ٦١

و إنما غرضه عليه السلام بالفقرات الثلاث أن المتقدّمين عليه كانوا تاركي الرشد و ناقضي الميثاق ، و نابذي الكتاب ، و حيث لم يعرفوهم بذلك لم يعرفوا الرشد ، و لم يأخذوا بالميثاق ، و لم يمسكوا به ، و ما داموا كذلك لا ينتظر منهم عرفان الرشد ، و الأخذ بالميثاق و التمسك بالكتاب .

« فالتمسوا ذلك من عند أهله » ذلك : إشارة إلى حصر ما هو علم القرآن في من ذاق طعمه ، مع ما عطف عليه في خبر الكليني الذي اسقطه المصنّف ،

و المراد : أنهم عليهم السلام أهل خبرة هذه الامور بما ذكر لهم بعد من كونهم « عيش العلم » إلى آخر الكلام .

« فإنهم عيش العلم و موت الجهل » قال ابن قتيبة في (عيون) : إنَّ هشام بن عبد الملك قال لزيد بن عليّ بن الحسين : ما فعل أخوك البقرة ؟ فقال له : سمّاه رسول الله صلّى الله عليه و آله باقرا ، و أنت تسميه بقرة لقد اختلفتما إذن ١ .

و قال الجاحظ في (بيانه) : جمع محمد بن عليّ بن الحسين (الباقر عليه السلام) صلاح شأن الدنيا بحذافيرها في كلمتين ، فقال : « إصلاح شأن جميع التعايش و التّعاشر ملء مكيال ، ثلثاه فطنة و ثلثه تغافل » . ٢ .

« يخبركم حكمهم عن علمهم » روى محمد بن يعقوب عن خلف بن حمّاد : أن رجلا منهم تزوّج جارية لم تطمئ ، فلما افتضها سال الدّم لا ينقطع نحواً من عشرة ، فأروها القوابل ، فقال بعض : هذا من دم الحيض . و قال بعض : من دم العذرة . فسألوا أبا حنيفة و غيره ، فقالوا : هذا شيء قد اشكل و الصلّاة فريضة واجبة ، فلتتوضأ و لتصلّ ، و ليمسك عنها زوجها حتّى ترى البياض ، فإن كان دم الحيض لم تضرّها الصلّاة ، و إن كان دم العذرة قد أدّت الفريضة إلى أن

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ١ : ٢١٢ .

(٢) البيان و التبیین للجاحظ ١ : ١٠٧ .

الصفحة ٦٢

قال : قال له موسى بن جعفر عليه السلام : تستدخل القطنة ، ثمّ تدعها ملياً ثمّ تخرجها إخراجاً رقيقاً ، فإن كان الدّم مطوّقاً في القطنة فهو من العذرة ، و إن كان مستنقعا في القطنة فهو من الحيض . قال خلف : فاستخفّني الفرح فبكيت ،

و قلت : جعلت فداك من يحسن هذا غيرك ؟ فرفع يده إلى السماء ، و قال : إني و الله ما اخبرك إلاّ عن رسول الله صلّى الله عليه و آله عن جبرئيل عليه السلام عن الله عزّ و جلّ ١ .

« و صمتهم عن منطقتهم » أتى قوم الباقر عليه السلام ، فوافقوا صبيّاً له مريضاً فرأوا منه اهتماماً و غماً ، و جعل لا يقرّ ، فقالوا : و الله لئن أصابه شيء إنا لنتخوّف أن نرى منه ما نكره ، فما لبثوا أن سمعوا الصياح عليه ، فإذا هو قد خرج عليهم منبسّط الوجه في غير الحالة التي كان عليها ، فقالوا له : جعلنا الله فداك لقد كنّا نخاف ممّا نرى منك أن لو وقع أن نرى منك ما يغمّنا . فقال عليه السلام لهم : إنا لنحبّ أن نعاقي في من نحبّ ، فإذا جاء أمر الله سلّمنا في ما أحبّ ٢ .

و نظيره ورد من الصادق في موت إسماعيل ٣ .

« و ظاهرهم عن باطنهم » ، و حيث إنهم عليهم السّلام لم يكونوا متصنّعين ، و لا مستعملين للسياسة الدنيوية يفهم كلّ عاقل أنّ باطنهم موافق لظاهرهم ، و قد أخبر عزّ و جلّ عن بواطنهم في قوله جلّ ثناؤه و يطعمون الطّعام على حبّه مسكينا و يتيما و أسيرا . إنّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء و لا شكورا . إنّنا نخاف من ربّنا يوما عبوسا قمطريرا ٤ .

« لا يخالفون الدّين » فقال النّبّيّ صلّى الله عليه و آله في المتواتر عنه فيهم عليهم السّلام : إنهم لن

(١) الكافي للكليني ٣ : ٩٢ ح ١ .

(٢) أخرجه الكليني في الكافي ٣ : ٢٢٦ ح ١٤ .

(٣) أخرجه الصدوق في كمال الدين : ٦٥٧ ح ٢ ، و يأتي متن الحديث في العنوان ٢٢ من هذا الفصل .

(٤) الإنسان : ١٠٨ .

الصفحة ٦٣

يفترقوا عن كتابه تعالى حتّى يردا عليه الحوض ١ .

و قال في أمير المؤمنين عليه السّلام في المتواتر أيضا : إنّه مع الحقّ ، و الحقّ معه يدور حيثما دار ٢ .

« و لا يختلفون فيه » ، حيث إنهم عليهم السّلام يقولون ما يقولون عن النّبّيّ صلّى الله عليه و آله عن جبرئيل عليه السّلام عن الله عزّ و جلّ ، فكيف يحصل بينهم اختلاف ؟ و إنّما يحصل الاختلاف بين الدّين يقولون بأرائهم ، و لقد أجاد من قال :

إذا شئت أن ترضى لنفسك مذهباً

و تعلم أنّ النّاس في نقل أخبار

فدع عنك قول الشّافعيّ و أحمد

و مالك و المروي عن كعب أخبار

و وال اناسا قولهم و حديثهم

روى جدّنا عن جبرئيل عن الباري

و أما اختلاف الأخبار المروية عنهم حتى صنف محمد بن الحسن الطوسي فيها كتابا سماه الاستبصار في ما اختلف من الأخبار ٣ فمن قبل الرواة أو لصدورها تقيّة ، أو للافتراء عليهم عليهم السلام و نحوها .

« فهو بينهم شاهد صادق ، و صامت ناطق » ، ظاهر السياق رجوع الضمير في الكلام إلى الذين ، و يمكن رجوعه إلى القرآن لاتحادهما في الخارج ، قال السروي : إنهم عليهم السلام خصّوا بالعلوم ، لأنهم لم يدخلوا مكتبا و لا تعلموا من معلّم ، و لا تلمّدوا لفقّيه و لا تلقّنوا من راو ، و قد ظهرت في فرق العالمين منهم العلوم ، و لم يعرف إلا منهم لأنهم أخذوا عن النبيّ صلّى الله عليه و آله ، و كذلك كان حال جدّهم عليه و عليهم السلام حين علم منشأه بين قريش لم يدخل مكتبا و لا

(١) النظر إلى حديث الثقلين الذي مرّ تخريجه في شرح فقرة « إليهم يفىء الغالي » في العنوان ٤ من هذا الفصل .

(٢) أخرج هذا المعنى الترمذي في سننه ٥ : ٦٣٣ ح ٣٧١٤ ، و غيره في ذيل حديث مرّ تخريجه في أواخر العنوان ٥ من هذا الفصل .

(٣) هو رابع الكتب الأربعة في حديث الإمامية ، طبع لمرّات عديدة ، و طبعته بطهران بتحقيق حسن الموسوي الفرسان في دار الكتب الإسلامية في أربع مجلدات .

الصفحة ٦٤

قرأ على معلّم ، و لا استفاد من حبر ، و أتى الناس بالقرآن العظيم بما فيه من أسرار الأنبياء و أخبار المتقدمين ، فعلم العقلاء أنّ ذلك من عند الله تعالى ،

و ليس من تلقاء نفسه ، فأولاده قوم بنور الخلافة يشرقون ، و بلسان النبوة ينطقون ، و قد جمعوا ما روي عنهم ، و سمّوا ذلك بالاصول ، سبعمائة أصل و يزيد على ذلك و يتضمّن علوم الدين ، و الآداب و الحكم و المواعظ و غير ذلك إلى أن قال فإذا ثبت علوم هؤلاء التي لم يأخذوها عن رجال العامة ، و لا رئي أحد منهم يختلف إلى متقدّم من أهل العلم ، و أنّ كثيرا من فتاويهم يخالف ما عليه العامة ، و لم يدع مدّع قطّ أنّهم اختلفوا إلى أحد من مخالفيهم ليتعلّموا منه ،

و الموافق لهم معلوم حاجته إليهم ، دلّ ذلك على أنّ الله تعالى أفردهم ليكشف عن استحقاقهم الإمامة ، و أنّهم أحقّ بالتقدّم لحاجة الناس إليهم ، و غنائهم عنهم ، و جروا في ذلك مجرى الرسول صلّى الله عليه و آله حين أغناه الله بما علموا عنه من أخبار سوائف الامم . . . ١ قال الصوري :

آل النبي هم النبي و إنما
بالوحي فرق بينهم فنفرقوا

أبت الإمامة أن تليق بغيرهم
إن الرسالة بالإمامة أليق

١٠

من الخطبة (٢٣٧) و من خطبة له عليه السلام يذكر فيها آل محمد صلى الله عليه و آله :

هُم عَيْشُ الْعِلْمِ وَ مَوْتُ الْجَهْلِ يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ وَ ظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ وَ صَمْتُهُمْ عَنْ حِكْمِ مَنْطِقِهِمْ
لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَ لَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ هُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ وَ وَلَائِجُ الْأَعْتِصَامِ بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ فِي نِصَابِهِ وَ أَنْزَاحَ
الْبَاطِلُ عَنْ مَقَامِهِ وَ انْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنبِتِهِ عَقَلُوا

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١ : ٢٥٤ .

الصفحة ٦٥

الَّذِينَ عَقَلُوا عَقْلًا وَ عَايَا عَقْلًا سَمَاعًا وَ رِوَايَةً فَإِنَّ رِوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَ رِعَايَتَهُ قَلِيلٌ مِنَ الْحِكْمَةِ (٩٨) وَ
قال عليه السلام :

اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية فإن رِوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَ رِعَايَتَهُ قَلِيلٌ أقول : الأصل في
الأول ، و في سابقه واحد كما لا يخفى ، إلا أن المصنّف ذهل لكثرة الفصل بينهما في النقل إلا أن قوله : «
هم دعائم الإسلام إلى و انقطع لسانه عن منبته » رواية أخرى و كلام زائد ، و كذلك الثاني جزء السابق
على ما مرّ ثمة من رواية (الروضة) .

« هم عيش العلم » قال تعالى في شأنهم : بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم . . . ١ .

قال الباقر عليه السلام : ما يستطيع أحد أن يدعي أن عنده جميع القرآن كلّ ظاهره و باطنه غير الأوصياء

٢ .

و قال عليه السّلام : ما ينقم النّاس منّا ؟ فو الله إنّنا لشجرة النّبوة ، و موضع الرّسالة ، و مختلف الملائكة ، و بيت الرّحمة ، و معدن العلم ٣ .

و قال الصّادق عليه السّلام : في دارنا مهبط جبرائيل ، و نحن خزّان علم الله تعالى ٤ .

(١) العنكبوت : ٤٩ .

(٢) الكافي للكليني ١ : ٢٢٨ ح ٢ ، و البصائر للصفار : ٢١٣ ح ١ ، ٤ بطريقتين .

(٣) البصائر للصفار : ٧٧ ح ٥ عن الباقر عليه السّلام و أخرجه هو في المصدر : ٧٦ ، ٧٨ ح ٢ ، ٩ ، و الكافي للكليني ١ : ٢٢١ ح ١ عن السّجاد عليه السّلام .

(٤) أخرجه الصدوق في أماليه : ٢٥٢ ح ١٥ المجلس ٥٠ ضمن حديث .

الصفحة ٦٦

« و موت الجهل » قال الباقر عليه السّلام لسلمة بن كهيل ، و الحكم بن عتيبة : شرقا و غربا فلا تجدان علما صحيحا إلّا شيئا خرج من عندنا أهل البيت ١ .

و في الخبر : أنّ الحسين عليه السّلام قال في التّعليق لكوفي : لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرئيل عليه السّلام من دارنا ، و نزوله بالوحي على جدّي . يا أبا أهل الكوفة ، أفمستقى النّاس للعلم من عندنا فعلموا و جهلنا ؟ هذا ما لا يكون ٢ .

و دخل عبّاد بن كثير عابد البصرة ، و ابن شريح فقيه مكة ، على الصّادق عليه السّلام ، و عنده ميمون القّداح مولى أبيه ، فسأله عبّاد عن مسألة فأجابته ،

فازورّ ، فقال عليه السّلام له : « إنّ نخلة مريم عليها السّلام كانت عجوة ، و نزلت من السّماء فما نبت من أصلها كان عجوة ، و ما كان من لقاط فهو لون » فخرجا مع ميمون فقال عبّاد لابن شريح : ما المثل الذي ضربه لي ؟ قال له : سل هذا الغلام يعني ميمونا فإنّه منهم . فقال له ميمون : ضرب لك مثل نفسه ، فأخبرك أنّه من ولد رسول الله صلّى الله عليه و آله و علمه عندهم ، فما جاء من عندهم فهو صواب ، و ما جاء من عند غيرهم فهو لقاط ٣ .

« يخبركم حلمهم عن علمهم » في (ذيل الطّبري) : كان هشام بن إسماعيل يؤذي عليّ بن الحسين عليهما السّلام و أهل بيته ، يخطب بذلك على المنبر و ينال من عليّ عليه السّلام ، فلما وليّ الوليد بن عبد الملك

عزله و أمر به أن يوقف للناس و كان يقول : لا و الله ما كان أحد من الناس أهم إليّ من عليّ بن الحسين ، كنت أقول :

رجل صالح يسمع قوله ، فوقف للناس ، فجمع علي بن الحسين عليهما السلام ولده و خاصته و نهاهم عن التعرّض له ، و غدا عليّ بن الحسين عليه السلام ماراً لحاجة ،

(١) الكافي للكليني ١ : ٣٩٩ ح ٣ ، و البصائر للصفار : ٣٠ ح ٤ ، و الكشي في معرفة الرجال اختياره : ٢٠٩ ح ٣٦٩ .

(٢) الكافي للكليني ١ : ٣٩٨ ح ٢ ، و الصفار في البصائر : ٣١ ح ١ ضمن حديث .

(٣) الكافي للكليني ١ : ٤٠٠ ح ٦ .

الصفحة ٦٧

فما عرض له فناداه هشام بن إسماعيل : الله أعلم حيث يجعل رسالته ١ .

و في (مقاتل أبي الفرج) : أنّ رجلاً من آل عمر كان يشتّم عليّاً عليه السلام إذا رأى موسى بن جعفر و يؤذيه إذا لقيه ، فقال له بعض مواليه : دعنا نقتله . فقال :

لا . ثمّ مضى راكباً حتّى قصده في مزرعة له فتوطأ بحماره ، فصاح : لا تدس زرعنا . فلم يصغ إليه ، و أقبل حتّى نزل عنده و جعل يضاحكه ، و قال له : كم غرمت عليّ زرعك هذا ؟ قال : مائة دينار . قال : فكم ترجو أن تربح ؟ قال : لا أدري . قال : سألتك كم ترجو ؟ قال : مائة اخرى . فأخرج ثلاثمائة دينار فوهبها له ، فقام فقبل رأسه ، فلمّا كان موسى بعد ذلك يدخل المسجد وثب العمري فسلم عليه و جعل يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالته ٢ فوثب أصحابه عليه و قالوا : ما هذا ؟ فشاتمهم ٣ . و للحسن عليه السلام نظير ذلك مع شامي ٤ .

« و صمتهم عن حكم منطقتهم » في خبر (الصّحيفة) : قال أبو عبد الله عليه السلام : يا متوكّل كيف قال لك يحيى بن زيد : إنّ عمّي محمّد بن عليّ و ابنه جعفر ا دعيا للناس إلى الحياة ، و نحن دعوناهم إلى الموت ؟ قلت : نعم أصلحك الله ، قال ذلك .

فقال : رحم الله يحيى ، إنّ أبي حدّثني عن أبيه عن جدّه عن عليّ عليه السلام أنّ النّبّيّ صلّى الله عليه و آله أخذته نعسة و هو على منبره ، فرأى في منامه رجلاً ينزون على منبره نزو القردة ، يردّون الناس

على أعقابهم القهقري ، فاستوى النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جالسا و الحزن يعرف في وجهه ، فأتاه جبرئيل عليه السلام بهذه الآية و ما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس و الشجرة ملعونة في القرآن و نخوفهم فما

(١) أخرجه الطبري في ذيل المذيل منتخبه : ١٢٠ ، و الآية ١٢٤ من سورة الأنعام .

(٢) الأنعام : ١٢٤ .

(٣) المقاتل لأبي الفرج : ٣٣٢ .

(٤) الكامل للمبرد : ٤ : ١٠٥ و المناقب لابن شهر آشوب : ٤ : ١٩ .

الصفحة ٦٨

يزيدهم إلا طغيانا كبيرا ١ يعني بني أمية .

قال : يا جبرئيل أعلى عهدي يكونون ؟ قال : لا ، و لكن يدور رحى الإسلام من مهاجرك ، فتلبث بذلك عشرا ، ثم يدور رحى الإسلام على رأس خمسة و ثلاثين من مهاجرك فتلبث بذلك خمسا ، ثم لا بدّ من رحى ضلالة هي قائمة على قطبها ، ثم ملك الفراعنة ، و أنزل تعالى في ذلك : إنا أنزلناه في ليلة القدر .

و ما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر ٢ أي : يملكها بنو أمية ليس فيها ليلة القدر . فأطلع الله نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ بني أمية يملكون سلطان هذه الامّة و ملكها طول هذه المدّة ، فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتى يأذن الله بزوال ملكهم ، و هم في ذلك يستشعرون عداوتنا إلى أن قال : قال عليه السلام : ما خرج و لا يخرج منّا أهل البيت إلى قيام قائمنا عليه السلام أحد ليدفع ظلما أو ينعش حقّا إلا اصطلمته البليّة ، و كان قيامه زيادة في مكروها و مكروه شيعتنا . . . ٣ .

و قال أبو زبيد الطائي :

صمت عظام الطلوم أن سكتوا

من غير عيّ بهم و لا خرس

« لا يخالفون الحقّ » لعصمتهم من الله تعالى فلا يتبعون أهواءهم .

« و لا يختلفون فيه » لانكشاف الحقّ عندهم ، و الحقّ واحد ، قال الباقر عليه السّلام في قوله تعالى : . . .
 . و لا يزالون مختلفين . إلّا من رحم ربك . . . ٤ : يعني بمن رحم آل محمّد و أتباعهم ، فإنهم لا
 يختلفون في الدّين ٥ .

و قال الصادق عليه السّلام : حديثي حديث أبي ، و حديث أبي حديث جدّي ،

(١) الإسراء : ٦٠ .

(٢) القدر : ٣١ .

(٣) الصحيفة السجادية : ١٤ ، المقدمة .

(٤) هود : ١١٨ ، ١١٩ .

(٥) تفسير القمي ١ : ٣٣٨ ، و أخرج معناه الكليني في الكافي ١ : ٤٢٩ ح ٨٣ و النقل بتصرف .

الصفحة ٦٩

و حديث جدّي حديث الحسين ، و حديث الحسين حديث الحسن ، و حديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه
 السّلام ، و حديث أمير المؤمنين عليه السّلام حديث رسول الله صلّى الله عليه و آله ، و حديث رسول الله
 صلّى الله عليه و آله قول الله تعالى ١ .

و قالوا عليهم السّلام : يجوز أن يسند ما قاله أحدنا إلى جميعنا ، و ما قاله آخرنا إلى أولنا ٢ .

و قلنا : في ما مرّ وجه اختلاف كتب حديث شيعتهم . و نزيد هنا أنّ العمدة فيه أمران :

أحدهما دسّ الكذابين موضوعاتهم في أخبارهم ، كان المغيرة بن سعيد يدسّ في أحاديث الباقر عليه السّلام ،
 و أبو الخطّاب في أحاديث الصادق عليه السّلام .

قيل ليونس بن عبد الرّحمن : ما أشدّك في الحديث و أكثر إنكارك لما يرويه أصحابنا ، فما الذي يملك
 على ردّ الأحاديث ؟ فقال : حدّثني هشام بن الحكم أنّه سمع الصادق عليه السّلام يقول : لا تقبلوا علينا حديثنا
 إلّا ما وافق القرآن و السنّة أو تجدون معه شاهدا من أحاديثنا المتقدّمة ، فإنّ المغيرة بن سعيد لعنه الله دسّ
 في كتب أصحاب أبي عليه السّلام أحاديث لم يحدث بها أبي ، فاتّقوا الله و لا تقبلوا علينا ما خالف قول ربّنا
 تعالى و سنّة نبيّنا صلّى الله عليه و آله ، فإنّا إذا حدّثنا قلنا : قال الله عزّ و جلّ ، و قال رسول الله صلّى
 الله عليه و آله ٣ . و كان أصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب من أصحاب أبي ، فيدفعونها

إلى المغيرة ، فكان يدسّ فيها الكفر و الزندقة و يسندها إلى أبي ، ثم يدفعها إلى أصحابه ، فيأمرهم أن يبيّثوها

(١) الكافي للكليني ١ : ٥٣ ح ١٤ .

(٢) هذا المعنى أخرجه المفيد في أماليه : ٤٢ ح ١٠ المجلس ٥ عن الباقر عليه السلام ، و الاجازات لابن طاووس عنه البحار ٢ : ١٦١ ح ١٦ عن الصادق عليه السلام .

(٣) معرفة الرجال للكشي ، اختياره : ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٢٤ ح ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٧ ، على الترتيب .

الصفحة ٧٠

في الشيعة ١ .

و قال عليه السلام أيضا : كان المغيرة يكذب على أبي . و قال : إنّ أبي حدّثه : أنّ نساء آل محمّد إذا حضن قضين الصلّاة ، كذب و الله عليه لعنة الله ما كان من ذلك شيء و لا حدّثه أبي .

و أمّا أبو الخطّاب فكذب عليّ و قال : إنّي أمرته أن لا يصليّ هو و أصحابه المغرب حتّى يروا كوكب كذا يقال له : القندانى و الله إنّ ذلك لكوكب ما أعرفه ٢ .

و قال أيضا يونس بن عبد الرّحمن : و افيت العراق فوجدت بها قطعة من أصحاب أبي جعفر عليه السلام ، و وجدت أصحاب أبي عبد الله عليه السلام متوافرين فسمعت منهم و أخذت كتبهم ، فعرضتها من بعد على أبي الحسن الرضا عليه السلام ، فأنكر منها أحاديث كثيرة أن يكون من أحاديث أبي عبد الله عليه السلام ، و قال لي : إنّ أبا الخطّاب كذب على أبي عبد الله عليه السلام لعن الله أبا الخطّاب ، و كذلك أصحاب أبي الخطّاب يدسّون هذه الأحاديث إلى يومنا هذا في كتب أصحاب أبي عبد الله عليه السلام ، فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن فإنّا إن تحدّثنا ، حدّثنا بموافقة القرآن و موافقة السنّة ، إنّنا عن الله و رسوله نحدّث و لا نقول : قال فلان و فلان ، فيتناقض كلامنا ، إنّ كلام آخرنا مثل كلام أولنا ، و كلام أولنا مصدّق لكلام آخرنا ، فإذا أتاكم من يحدثكم بخلاف ذلك ، فردّوه عليه و قولوا : أنت أعلم و ما جئت به ، فإنّ مع كلّ قول منّا حقيقة و عليه نور ، فما لا حقيقة معه و لا نور عليه فذلك من قول الشيطان ٣ .

(١) معرفة الرجال للكشي ، اختياره : ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٢٤ ح ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٧ ، على الترتيب .

- (٢) معرفة الرجال للكشي ، اختياره : ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٤ ح ٢٢٤ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٧ ، ٤٠١ ،
على الترتيب .
(٣) المصدر نفسه .

الصفحة ٧١

و ثانيهما : أنهم عليهم السلام أجابوا في بعض المواضع تقيّة ، و لو كانوا لا يتقون و لا يأمرون شيعتهم بالتقيّة لما أبقت الأعداء منهم و من شيعتهم أثرا ،

قال زرارة : سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام عن مسألة فأجابني ، ثمّ جاءه رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابني ، ثمّ جاءه رجل آخر (فسأله عنها) ،

فأجابه بخلاف ما أجابني و أجاب صاحبي ، فلما خرج الرجلان ، قلت : يا بن رسول الله رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كلّ واحد منهما بغير ما أجبت به صاحبه ؟ فقال : يا زرارة إنّ هذا خير لنا ، و أبقى لنا و لكم ، و لو اجتمعتم على أمر واحد لصدّكم الناس علينا ، و لكان أقلّ لبقائنا و لبقائكم . قال زرارة : ثمّ قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام : شيعتكم لو حملتموهم على الأسنّة أو على النّار لمضوا ، و هم يخرجون من عندكم مختلفين ، فأجابني بمثل جواب أبيه ١ .

و بالجملة ، اختلاف أحاديثهم عارضي ، و إلّا فأصل أقوالهم واحد ، قال ابن الصّبّاغ المالكي في (فصوله) : قال بعض أهل العلم : علوم أهل البيت عليهم السلام لا تتوقّف على التكرار و الدّرس ، و لا يزيد يومهم فيها على ما كان في الأمس ،

لأنّهم المخاطبون في أسرارهم ، و المحدثون في النّفس ، و سماء معارفهم بعيدة عن الإدراك و اللمس ، و من أراد سترها كمن أراد ستر وجه الشّمس ،

و هذا ممّا يجب أن يكون ثابتا مقرّرا في النّفس ، فهم يرون عالم الغيب في عالم الشهادة ، و يقفون على حقائق المعارف في خلوات العبادة ، و تتاجيهم ثواقب أفكارهم ، في أوقات أذكارهم ، بما تسنّموا به غارب الشّرف و السيّادة ،

و حصلوا بصدق توجيههم إلى جناب القدس ، فبلغوا به منتهى السّؤال و الإرادة ،

فهم كما في نفوس أوليائهم و محبيهم و زيادة ، فما تزيد معارفهم في زمان

(١) الكافي ١ : ٦٥ ح ٥ .

الصفحة ٧٢

الشيخوخة على معارفهم في زمن الولادة ١ .

« هم دعائم الاسلام » و الدعائم : جمع الدّعامَة عماد البيت ، و بني الإسلام على خمسة أشدها ولايتهم عليه السّلام ٢ .

و قال النّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فِي الْمتَّفِق عَلَيْهِ : من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ٣ .

« و ولائج » جمع وليجة ، و وليجة الرّجل : خاصته و بطانته .

« الاعتصام » أي : التمسك ، فإنهم عليهم السّلام أحد الثّقَلين اللّذين تركهما النّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله ، و قال : إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبدا ٤ .

« بهم عاد الحقّ في نصابه » قال الجواهري : النّصاب و المنصب : الأصل ٥ .

ثمّ تقديم الظّرف للحصر ، فمفاده : أنّ بغير أهل البيت لا يمكن رجوع الحقّ في محلّه .

« و انزاح » أي : بعد .

« الباطل عن مقامه » و حيث إنّ (و انزاح) عطف على (عاد) يصير المعنى : أنّ بغيرهم لا يمكن اضمحلال الباطل .

« و انقطع لسانه عن منبته » و أصله و هو أيضا مفيد للحصر في أنّ عدم

(١) الفصول المهمّة لابن الصباغ : ١٧٣ .

(٢) النظر إلى حديث « بني الاسلام على خمس على الصّلاة و الزّكاة و الصّوم و الحجّ و الولاية و لم

يناد بشيء كما نودي بالولاية » أخرجه الكليني بأربع طرق في الكافي ٢ : ١٨ ، ٢١ ح ١ ، ٣ ، ٥ ، ٨ و

غيره عن الباقر عليه السّلام و للحديث طرق و الفاظ غير ذلك .

- (٣) أخرجه باختلاف في الألفاظ جمع كثير منهم البخاري في صحيحه ٤ : ٢٣٤ و مسلم بطريقتين في صحيحه ٣ : ١٤٧٧ ١٤٧٨ ح ٥٦ ٥٥ ، و غيرهما عن ابن عباس و أخرجه البرقي في المحاسن : ١٥٥ ح ٨٢ و غيره عن عليّ عليه السّلام و في الباب عن سلمان و أبي ذر و المقداد و جابر و ابن عمر و أبي هريرة و عامر بن ربيعة و غيرهم .
- (٤) انظر حديث الثقلين الذي مرّ تخريجه في شرح فقرة « إليهم يفيء الغالي » في العنوان ٤ من هذا الفصل .
- (٥) صحاح اللغة للجوهري ١ : ٢٢٥ مادة (نصب) .

الصفحة ٧٣

استطاعة الباطل للتكلم لا يحصل بغيرهم عليهم السّلام ، روى الشيخ في أواخر (غيبته) عن أبي جعفر عليه السّلام قال : دولتنا آخر الدّول ، و لن يبقى أهل بيت لهم دولة إلاّ ملكوا قبلنا ، لئلاّ يقولوا إذا رأوا سيرتنا : إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء ،

و هو قول الله عزّ و جلّ . . . و العاقبة للمتقين ١ .

و نظير كلامه عليه السّلام قول النّبيّ صلّى الله عليه و آله : « بنا يختم الله الدّين كما بنا فتحه » ٢ .

و حينئذ فيمكن أن يقال : إنّ مراده عليه السّلام بقوله « بهم عاد الحق . . . و انقطع لسانه عن منبته » ليس أيّام تصديّه للأمر ، لأنّه لم يحصل في قيامه عليه السّلام تلك الامور كاملة ، كيف و هو عليه السّلام في أيّامه لم يستطع تغيير بدع الأوّلين ، و كان معاوية في قبالة ملجأ المنافقين ، و لم يطل الوقت حتّى صار الأمر مثل أيّام عثمان ، إلى بني امية اللّاعبين بالدين ، المعتقدين أنّ النّبيّ صلّى الله عليه و آله كان في قيامه لاعبا بالملك بدون وحي و نبوة ، بل أيّام قيام قائمهم عليه السّلام التي لا يبقى فيها في الشّرق و الغرب أثر من باطل .

« عقلوا الدّين عقل و عاية و رعاية » روى الحاكم في (مستدركه) ، و الكنجي الشّافعي في (مناقبه) مسندا عن بريدة الأسلمي عن النّبيّ صلّى الله عليه و آله قال لعليّ عليه السّلام :

إنّ الله تعالى أمرني أن أدنّيك و لا أقصّيك ، و أن اعلمك و أن تعي ، و حقّ على الله تعالى أن تعي ، فنزل قوله تعالى : . . . و تعيها اذن و اعية ٣ .

و فيهم عليه السّلام نزل قوله تعالى : . . . فاسألوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون ٤ ، و قوله تعالى : بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا

(١) الغيبة للطوسي : ٢٨٢ ، و الآية ٨٣ من سورة القصص .

(٢) أمالي الطوسي ١ : ٢٠ المجلس ١ ، و الإمامة و التبصرة لابن بابويه : ٩٢ ح ٨١ ، كمال الدّين للصدوق : ٢٣٠ ح ٣١ .

(٣) كفاية الطالب للكنجي : ٤٠ ، و الآية ١٢ من سورة الحاقة .

(٤) الأنبياء : ٧ .

الصفحة ٧٤

العلم . . . ١ ، و قوله تعالى : . . . و الرّاسخون في العلم . . . ٢ ، و قوله تعالى :

شهد الله أنّه لا إله إلاّ هو و الملائكة و اولو العلم . . . ٣ .

« لا عقل سماع و رواية » كباقي النّاس ، و لمّا زوج المأمون ابنته من الجواد عليه السّلام قال له عليه السّلام يحيى بن أكثم في مجلس المأمون : يابن رسول الله ما تقول في الخبر الذي روى أنّه نزل جبرئيل على النّبيّ صلّى الله عليه و آله ، و قال له : سل أبا بكر ، هل هو عنّي راض ، فإنّي عنه راض ؟

فقال عليه السّلام : يجب أن نأخذه مثال الخبر الذي قاله النّبيّ صلّى الله عليه و آله في حجة الوداع : قد كثرت عليّ الكذابة ، و ستكثر فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النّار ، فإذا أتاكم الحديث فأعرضوه على كتاب الله و سنّتي فما وافق كتاب الله و سنّتي ، فخذوا به و ما خالف كتاب الله و سنّتي فلا تأخذوا به ، قال عليه السّلام :

و ليس يوافق هذا الحديث كتاب الله تعالى قال جلّ و علا : و لقد خلقنا الإنسان و نعلم ما توسوس به نفسه و نحن أقرب إليه من حبل الوريد ٤ ، فالله تعالى خفي عليه رضاء أبي بكر من سخطه حتّى سأل عن مكنون سرّه ؟ هذا مستحيل في العقول .

قال يحيى : و قد روي : أنّ مثل أبي بكر و عمر في الأرض مثل جبرئيل و ميكائيل في السّماء .

فقال عليه السّلام : و هذا يجب أن ينظر فيه ، لأنّ جبرئيل و ميكائيل ملكان مقرّبان لم يعصيا الله قطّ ، و لم يفارقا طاعته لحظة واحدة ، و هما قد أشركا بالله تعالى ،

و إن أسلما بعد الشُّرك ، فكان أكثر أيامهما الشُّرك بالله ، فمحال أن يشبها بهما .

(١) العنكبوت : ٤٩ .

(٢) آل عمران : ٧ .

(٣) آل عمران : ١٨ .

(٤) ق : ١٦ .

الصفحة ٧٥

قال يحيى : و قد روي أيضا : أنَّهما سيِّدا كهول أهل الجنة .

فقال عليه السَّلام : و هذا الخبر أيضا محال ، لأنَّ أهل الجنة كلُّهم يكونون شبَّانا ،

و لا يكون فيهم كهول ، و هذا الخبر وضعه بنو أمية ، لمضادة الخبر الذي قال النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فِي الْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ : إِنَّهُمَا سيِّدا شباب أهل الجنة .

قال يحيى : و روى أيضا : أنَّ عمر سراج أهل الجنة .

فقال عليه السَّلام : هذا أيضا محال ، لأنَّ فِي الجنة ملائكة الله المقربين ،

و آدم عليه السَّلام و محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ جميع الأنبياء و المرسلين ، فلا تضيء بأنوارهم حتَّى تضيء بنور عمر ؟ قال يحيى : و قد روي : أنَّ السَّكينة تتطرق على لسان عمر .

فقال عليه السَّلام أبو بكر كان أفضل من عمر ، و قال على رأس المنبر : إنَّ لي شيطانا يعتريني فإذا ملت فسدَّوني .

قال يحيى : و روي : أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله قال : لو لم أبعث لبعث عمر .

فقال عليه السَّلام : كتاب الله أصدق من هذا الحديث يقول الله تعالى : و إذ أخذنا من النبيين ميثاقهم و منك و من نوح . . . ١ قد أخذ الله ميثاق النبيين ، فكيف يمكن أن يبذل ميثاقه ؟ و كذلك الأنبياء لم يشركوا بالله

طرفة عين ، فكيف يبعث من أشرك و كان أكثر أيّامه الشّرك باللّهِ ؟ قال يحيى : و قد روي أيضا : أنّ النّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ قَالَ : مَا احْتَبَسَ عَنِّي الْوَحْيُ قَطًّا إِلَّا ظَنَنْتَهُ قَدْ نَزَلَ عَلَيَّ آلِ الْخَطَّابِ .

فقال عليه السّلام : و هذا أيضا محال ، لأنّه لا يجوز أن يشكّ النّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فِي نُبُوَّتِهِ ،

قال تعالى : اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَ مِنَ النَّاسِ . . . ٢ . فكيف يمكن أن

(١) الأحزاب : ٧ .

(٢) الحج : ٧٥ .

الصفحة ٧٦

ينتقل النّبُوَّةَ مَمَّنْ اصْطَفَاهُ اللهُ تَعَالَى إِلَى مَنْ أَشْرَكَ بِهِ ؟

قال يحيى : و قد روي : أنّ النّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ قَالَ : لَوْ نَزَلَ الْعَذَابُ ، لَمَا نَجَا مِنْهُ إِلَّا عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ .

فقال عليه السّلام : و هذا أيضا محال ، لأنّ الله تعالى يقول : وَ مَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ مَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ١ . فأخبر سبحانه : أنّه لا يعذب أحدا ما دام فيهم النّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ مَا دَامُوا يَسْتَغْفِرُونَ اللهُ ٢ .

« فَإِنَّ رِوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَ رِعَاتُهُ قَلِيلٌ » فِي الْخَبَرِ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ مَا الْعِلْمُ ؟ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ : الْإِنصَاتُ . قَالَ : ثُمَّ مَهْ ؟ قَالَ : الْإِسْتِمَاعُ .

قال : ثُمَّ مَهْ ؟ قال : الْحِفْظُ . قال : ثُمَّ مَهْ ؟ قال : الْعَمَلُ بِهِ . قال : ثُمَّ مَهْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟

قال نشره ٣ .

و عن الصّادق عليه السّلام : إنّ رِوَاةَ الْكِتَابِ كَثِيرٌ ، وَ إِنْ رِعَاتُهُ قَلِيلٌ ، فَكَمْ مِنْ مُسْتَصْحِحٍ لِلْحَدِيثِ مُسْتَعْشِشٍ لِلْكِتَابِ ، فَالْعُلَمَاءُ يَحْزَنُهُمْ تَرْكُ الرَّعَايَةِ ، وَ الْجَهَالُ يَجْزِيهِمْ حِفْظُ الرَّوَايَةِ ، فِرَاعٌ يِرْعَى حَيَاتِهِ ، وَ رِرَاعٌ يِرْعَى هَلِكْتَهُ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ اخْتَلَفَ الرَّاعِيَانِ ، وَ تَغَايَرَا الْفِرِيقَانِ ٤ .

و عنه عليه السلام : خبر تدريه خير من ألف تزويه ٥ .

هذا ، و في (مستطرفات السرائر) كان المفيد أيام اشتغاله على أبي عبد الله المعروف بالجعل في مجلس علي بن عيسى الرّماني ، فسأل الرّماني بصريّ عن يوم الغدير و الغار ، فقال الرّماني : خبر الغار دراية ، و خبر الغدير

(١) الأنفال : ٣٣ .

(٢) الاحتجاج للطوسي : ٤٤٦ .

(٣) الكافي للكليني ١ : ٤٨ ح ٤ .

(٤) الكافي للكليني ١ : ٤٩ ح ٦ ، و رواه الصفواني في انس العالم عنه البحار ٢ : ٢٠٦ ح ٩٨ .

(٥) رواه الصفواني في انس العالم عنه البحار ٢ : ٢٠٦ ح ٩٦ ، و معاني الأخبار للصدوق : ٢ ح ٣ .

الصفحة ٧٧

رواية و الرواية ما توجب ما توجبه الدراية . ثمّ انصرف البصري ، فقال المفيد للرّماني : ما تقول في من قاتل الإمام العادل ؟ قال : كافر . ثمّ استدرك و قال :

فاسق . فقال له : ما تقول في أمير المؤمنين عليّ ؟ قال : إمام . قال : ما تقول في طلحة و الزبير و يوم الجمل ؟ قال : تابا . قال : أمّا خبر الجمل فدراية ، و أمّا خبر التوبة فرواية . فقال له : أو كنت حاضرا حين سألتني البصري ؟ قال : نعم . فدخل الرّماني منزله ، و أخرج معه ورقة قد ألصقها ، و قال : أوصلها إلى شيخك أبي عبد الله . فجاء بها إليه فقرأها ، و لم يزل يضحك هو و نفسه ، و قال : قد أخبرني بما جرى لك في مجلسه و لقبك المفيد ١ .

و قيل أيضا : بينما القاضي عبد الجبار شيخ المعتزلة ذات يوم في بغداد ، و مجلسه مملو من علماء الفريقين ، إذ حضر المفيد و جلس في صفّ النعال ، إذ قال للقاضي : إنّ لي سؤالاً فإنّ أجزت بحضور هؤلاء الأئمة . قال :

سل . قال : ما تقول في الخبر الذي يرويه طائفة من الشيعة : « من كنت مولاه فعليّ مولاه » أهو مسلم صحيح عن النبيّ صلّى الله عليه و آله يوم الغدير ؟ فقال : نعم خبر صحيح . فقال : ما المراد بلفظ المولى ؟ قال : هو بمعنى أولى . قال : فما هذا الخلاف و الخصومة بين الشيعة و السنة ؟ قال : أيها الأخ هذه رواية ، و خلافة أبي بكر دراية ، و العاقل لا يعادل الرواية بالدراية . فقال : ما تقول في قول النبيّ صلّى

اللَّهُ عليه و آله وأمير المؤمنين عليه السلام : « حربك حربي و سلمك سلمتي » ؟ قال : الحديث صحيح .
فقال : ما تقول في أصحاب الجمل ؟ فقال : أيها الأخ إنهم تابوا . فقال :

أيها القاضي الحرب دراية ، و التوبة رواية ، و أنت قررت في حديث الغدير أنّ الرواية لا تعارض الدراية
فبهت القاضي و لم يجر جوابا ، و وضع رأسه ساعة ثم رفعه و قال : من أنت ؟ قال : محمد بن محمد بن
النعمان الحارثي . فقام

(١) مستطرفات السرائر لابن ادريس : ٤٩٣ ، و التنبيه للورام ٢ : ٣٠٢ ، و النقل بتصريف في اللفظ .

الصفحة ٧٨

القاضي و أجلسه مجلسه ، و قال : أنت المفيد حقًا . فانقبض فرق المخالفين و همهموا ، فقال القاضي : هذا
الرجل أسكتني ، فإن كان عندكم جواب فقولوا حتّى أجلس في مجلسي الأول ، فسكتوا و تفرّقوا ، فوصل
خبر المناظرة إلى عضد الدولة فأحضر المفيد ، و سأله عمّا جرى ، فأخبره فأكرمه غاية الأكرام ١ .

قلت : يقال للرّماني : نعم ، خير الغار دراية ، لكنّه دراية عار و شنار ، حيث أوجب حزنه سلب الرّاحة
عن النبيّ صلّى الله عليه و آله حتّى نهاه النبيّ صلّى الله عليه و آله ، و خص الله تعالى إنزال السكينة
بنبيّه صلّى الله عليه و آله ، و أخرج صاحبه إشعارا بعدم إيمانه ، حيث إنه تعالى في آيات اخر أشرك
المؤمنين مع نبيّه صلّى الله عليه و آله في إنزال السكينة عليهم .

و أمّا كون خير الغدير رواية فيقال له و للقاضي : أهل العالم حتّى غير المليين المتواتر عندهم دراية ، و
أيّ تواتر فوق هذا الخبر ؟ و قد صنّف في طرقة مجلّدات ضخام و رواه الخصم . و يقال للقاضي : كون
خلافة أبي بكر دراية بمعنى : تصديه للأمر أمر لا ينكره أحد ، إلاّ أنّ الكلام في حقّه و باطله ،

و خلافة حصلت بإرادة إحراق جمع ، قال تعالى فيهم : . . . فقلّ تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و
نساءكم و أنفسنا و أنفسكم . . . ٢ . لو لم يسلموا الأمر إليهم معلوم حالها ، إلاّ أنّ إخواننا مثلهم مثل من
سأل فقيها : هل تصير أمّ الزّوجة زوجة ؟ فقال : لا . قال : نحن فعلناها فصارت . جعلوه خليفة لكن مع
تلك الشنّاع و الفظائع .

و أمّا توبة طلحة و الزبير ، فطلحة لعمر الله كان إلى إزهاق روحه مجداً في قتال أمير المؤمنين عليه
السلام ، بل مريدا لقتله لو يسّر له ، و الزبير و إن ترك القتال

(١) نقله النوري في خاتمة المستدرک : ٥٢٠ .

(٢) آل عمران : ٦١ .

الصفحة ٧٩

لما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي عَمَلِهِ ، لَكِنَّهُ لَوْ كَانَ تَابَ كَانَ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَلْحَقَ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُقَاتِلَ مَعَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَمَا كَانَ الْحَرَّ لَمَّا تَابَ مِنْ خُرُوجِهِ عَلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، تَرَكَ عَسْكَرَ ابْنِ سَعْدٍ وَلَحِقَ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَاتَلَ مَعَهُ حَتَّى قُتِلَ . ثُمَّ مَا يَقُولُونَ فِي أُمَّهُم ، فَإِنَّهَا أَيَّ وَقْتٍ تَابَتْ ؟ فَكَمَا أَنَّهَا لَمَّا سَمِعَتْ بِبَيْعَةِ النَّاسِ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَتْ : لَيْتَ السَّمَاءُ أَطْبَقَتْ عَلَى الْأَرْضِ . وَلَمْ يَبَايِعِ النَّاسُ عَلِيًّا وَسَجَدَتْ شُكْرًا لَمَّا بَلَغَهَا قَتْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَتْ :

فَالقَت عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى

كَمَا قَرَّ عَيْنَا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرِ

و رَحَّبَ بَابِنَ مَلْجَمِ قَاتِلِهِ .

و لَعَلَّهُمْ يَقُولُونَ : تَابَتْ يَوْمَ أَمْرَتِ بَرْمِي جَنَازَةَ سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لئَلَّا يَدْفِنُوهُ عِنْدَ جَدِّهِ ؟ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمَتَنِ الْأَخِيرِ : « اعْقَلُوا الْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلَ رِعَايَةَ لَا عَقْلَ رِوَايَةَ فَإِنَّ رِوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرِعَايَتُهُ قَلِيلٌ » قَدْ عَرَفْتُمْ فِي الْعِنُونِ السَّابِقِ أَنَّ رِوَايَةَ الْكَلْبِيِّ جَعَلَتْ هَذَا الْكَلَامَ مَعَ اخْتِلَافِ يَسِيرٍ ، فَفِي ذَلِكَ : « اعْقَلُوا الْحَقَّ » جُزْءَ الْكَلَامِ السَّابِقِ هُنَا عَلَى قَوْلِهِ : « هُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ » ، وَ أَمَّا جَعْلُ الْمَصْنُفِ قَوْلَهُ : « عَقَلُوا الدِّينَ . . . » . . . جُزْأَهُ ، فَلَعَلَّهُ فِي رِوَايَةِ أُخْرَى ، ثُمَّ بَعْدَ اتِّحَادِ مَفَادِهِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَكَرُّارِ شَرْحِهِ .

١٢

من الخطبة (٢٠٥) و من كلام له عليه السلام في بعض أيام صفين و قد رأى الحسن عليه السلام يتسرّع إلى الحرب :

امْلِكُوا عَنِّي هَذَا الْغُلَامَ لَا يَهْدِيَنِي فَإِنِّي أَنفَسُ بِهِذَيْنِ يَعْنِي؟ الْحَسَنَ؟ وَالْحُسَيْنَ؟ عَلَى الْمَوْتِ لَنَلَّا يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ؟ رَسُولِ اللَّهِ ص؟ وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ امْلِكُوا عَنِّي هَذَا الْغُلَامَ مِنْ أَعْلَى الْكَلَامِ وَأَفْصَحِهِ أَقُولُ: رَوَاهُ سَبْطُ ابْنِ الْجَوْزِيِّ فِي (تَذَكْرَتِهِ) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَخَافُ انْقِطَاعَ النَّسْلِ، فَقَالَ يَوْمَ صَفِّينَ وَقَدْ رَأَى الْحَسْنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَتَسَارِعَانِ إِلَى الْقِتَالِ، وَقِيلَ: إِنَّمَا رَأَى الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا غَيْرَ،

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤ : ٤٩٠ ، شرح الحكمة ٤٥٣ .

الصفحة ٨٠

فقال : املكوا عني هذا الغلام لا يهدتي ، فإني أنفس به على الموت . . . ١ .

و في (الطبري) في رجوع أمير المؤمنين عليه السلام عن صفين قال : فلقية عبد الله بن وديعة الأنصاري ، فدنا منه و سلم عليه و سايره ، فقال له : ما سمعت الناس يقولون في أمرنا ؟ قال : منهم المعجب به ، و منهم الكاره له ، كما قال عز و جل . . . و لا يزالون مختلفين . إلا من رحم ربك . . . ٢ . فقال له عليه السلام : فما قول ذوي الرأي فيه ؟ قال : أما قولهم فيه فيقولون : إن عليا كان له جمع عظيم ففرقه ، و كان له حصن حصين فهدمه ، فحتى متى يبني ما هدم ؟ و حتى متى يجمع ما فرق ؟ فلو أنه كان مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه ، فقاتل حتى يظفر أو يهلك ، إذن كان ذلك الحزم . فقال علي عليه السلام : أنا هدمت أم هم هدموا ؟ أنا فرقته أم هم فرقوا ؟ أما قولهم : « إنه لو كان مضى بمن أطاعه ، إذ عصاه من عصاه ، فقاتل حتى يظفر أو يهلك ، إذن كان ذلك الحزم » فوالله ما غبي عن رأيي ذلك ، و إن كنت لسخيا بنفسي عن الدنيا ، طيب النفس بالموت ، و لقد هممت بالإقدام على القوم ، فنظرت إلى هذين قد ابتدراني يعني : الحسن و الحسين عليهما السلام و نظرت إلى هذين قد استقدماني يعني : عبد الله بن جعفر و محمد بن علي فعلمت أن هذين إن هلكا انقطع نسل محمد صلى الله عليه و آله من هذه الأمة ، فكرهت ذلك و أشفقت على هذين أن يهلكا ، و قد علمت أن لو لا مكاني لم يستقدما يعني محمد بن علي و عبد الله بن جعفر و ايم الله لئن لقيتهم بعد يومي هذا لألقينهم و ليسوا معي في عسكر و لا دار ٣ .

و رواه (صفين نصر بن مزاحم) مفسرا كلامه عليه السلام بالحسنين عليهما السلام

(١) تذكرة الخواص : ٣٢٤ .

(٢) هود : ١١٨ ١١٩ .

(٣) تاريخ الطبري ٤ : ٤٤ سنة ٣٧ .

الصفحة ٨١

فقط ، ففيه : لقد هممت بالإقدام ، فنظرت إلى هذين قد استقدماني ، فعلمت أنّ هذين ان هلكا انقطع نسل محمد صلى الله عليه و آله من هذه الأمة ، فكرهت ذلك و أشفقت على هذين أن يهلكا ، و قد علمت أن لو لا مكاني لم يستقدما يعني : محمد بن عليّ و عبد الله بن جعفر و ايم الله لئن لقيتهم بعد يومي هذا ، لألقيهم و ليس هما معي في عسكر و لا دار ١ .

قول المصنف : « و من كلام له عليه السلام » هكذا في (المصرية) ، و الصواب أنه :

(و قال عليه السلام) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطبة) ٢ ، فنقلهم هو الصحيح ، و ان كان مقتضى القاعدة أن يقول : « و من كلام له عليه السلام » بعد كونه في الباب الأول ، ففيه يقول في عناوينه إمّا : « و من خطبة له عليه السلام » و إمّا : « و من كلام له عليه السلام » ، و أمّا : « و قال عليه السلام » ، فتعبيره في الثالث ، مع أنّ المناسب كان نقله في الثالث ، لكونه كلاما قصيرا يدخل في موضوعه ، دون الأول الذي مبناه على الخطب و الكلم الطوال .

« في بعض أيام صفين » ليس هذا الكلام كلّ في نسخة ابن ميثم ٣ .

« و قد رأى الحسن عليه السلام يتسرع إلى الحرب » كلمة (ابنه) أنّما في (ابن أبي الحديد) دون (ابن ميثم و الخطبة) ٤ .

روى الطبري في (ذيله) : عن عبد الله بن شداد بن الهاد عن أبيه قال : خرج علينا النبيّ صلى الله عليه و آله و هو حامل أحد ابني ابنته الحسن أو الحسين عليهما السلام ، فتقدّم فوضعه عند قدمه اليمنى ، و سجد رسول الله صلى الله عليه و آله بين ظهراي صلاته سجدة أطالها . قال أبي : فرفعت رأسي من بين الناس فإذا النبيّ صلى الله عليه و آله ساجد و إذا الغلام

(١) وقعة صفين لابن مزاحم : ٥٣٠ .

(٢) كذا في شرح ابن ميثم ٤ : ١٤ ، لكن لفظ شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٩ مثل المصرية .

(٣) يوجد هذا الكلام في شرح ابن ميثم ٤ : ١٤ أيضا .

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٩ و شرح ابن ميثم ٤ : ١٤ .

الصفحة ٨٢

على ظهره ، فعدت فسجدت ، فلما انصرف النبي صلى الله عليه وآله قال الناس : يا رسول الله لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها ، أفشيء امرت به أو كان يوحى إليك ؟ قال : كل ذلك لم يكن ، و لكن ابني هذا ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته ١ .

و في (نسب قريش مصعب الزبير) : ولد الحسن عليه السلام في سنة ثلاث ،

في النصف من شهر رمضان ، و سمّاه النبي صلى الله عليه وآله حسنا ، و كان يشبهه بالنبي ،

و ذكر لي عن عبد الله البهي مولى آل الزبير قال : تذاكرنا من أشبه الناس بالنبي صلى الله عليه وآله و آله ؟ فدخل علينا عبد الله بن الزبير . فقال : أنا احذتكم بأشبه أهله به و أحبهم إليه : الحسن ، رأيت يجرى و هو ساجد فيركب رقبتة أو قال : ظهره فما ينزل حتى يكون هو الذي ينزل ، و لقد رأيت و هو راع فيفرج بين رجليه ،

حتى يخرج من الجانب الآخر ، و قال : إنه ربحانتي من الدنيا ، و إنّ ابني هذا السيد ، و عسى أن يصلح الله به فئتين من المسلمين ، و قال : اللهم إني أحبه و أحب من يحبه ٢ .

و فيه : و ذكر عن علي بن زيد بن جدعان التيمي ، قال : حج الحسن عليه السلام خمس عشرة مرّة ، و خرج من ماله لله مرتين ، و قاسم الله ثلاث مرّات ، حتى أن كان ليعطي نعلا و يمسك نعلا ، و يعطي خفاً و يمسك خفاً ٣ .

و روى الخطيب في (سعيد الحصري) : أنّ أبا هريرة لقي الحسن عليه السلام فقال له : أرني الموضع الذي قبله النبي صلى الله عليه وآله . فرفع الحسن ثوبه فقبل سرّته ٤ .

و في (مروج المسعودي) : كان عليّ عليه السلام اعتلّ ، فأمر ابنه الحسن عليه السلام أن

(١) منتخب ذيل المذيل للطبري : ٦٣ ، و مرّ تخريجه في العنوان ٢ من الفصل الثالث .

(٢) نسب قريش للزبير : ٢٣ و النقل بتصرف .

(٣) نسب قريش للزبير : ٢٤ .

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٩ : ٩٥ .

الصفحة ٨٣

يصلّي بالنّاس يوم الجمعة ، فصعد المنبر فحمد الله و أنثى عليه ، ثمّ قال : إنّ الله لم يبعث نبياً إلاّ اختار له نقيبا و رهطا و بيتا ، فو الذي بعث محمّدا صلّى الله عليه و آله بالحقّ نبياً لا ينتقص من حقنا أهل البيت أحد إلاّ نقصه الله من عمله مثله ، و لا تكون علينا دولة إلاّ و تكون لنا العاقبة و لتعلمنّ نبأه بعد حين ١ .

و في (العقد) : قال معاوية يوما لجلسائه : من أكرم النّاس أبا و أمّا و جدّا و جدّة و عمّا و عمّة و خالا و خالة ؟ فقالوا : أمير المؤمنين أعلم . فأخذ بيد الحسن بن علي عليه السّلام و قال : هذا أبوه عليّ بن أبي طالب ، و أمّه فاطمة ابنة محمّد ، و جدّه النبيّ صلّى الله عليه و آله و جدّته خديجة ، و عمّه جعفر ، و عمّته أمّ هاني بنت أبي طالب ، و خاله القاسم بن محمّد ، و خالته زينب بنت محمّد صلّى الله عليه و آله ٢ .

و روى أبو الفرج في (مقاتله) بأسانيد : أنّ الحسنّ عليه السّلام خطب بعد دفن أبيه فقال : لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأوّلون بعمل إلى أن قال ثمّ قال : أيّها النّاس من عرفني فقد عرفني ، و من لم يعرفني فأنا الحسن بن محمّد صلّى الله عليه و آله ، أنا ابن البشير ، أنا ابن النذير ، أنا ابن الدّاعي إلى الله عزّ و جلّ بإذنه ،

و أنا ابن السّراج المنير ، و أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرّجس و طهّرهم تطهيرا ، و الذين افترض الله موذنتهم في كتابه . . . ٣ .

و في (الطبري) : بايع النّاس الحسن عليه السّلام بالخلافة ، ثمّ خرج بالنّاس حتّى نزل المدائن ، و بعث قيس بن سعد على مقدّمته في اثني عشر ألفا ، و أقبل معاوية في أهل الشّام حتّى نزل مسكن ، فبينما الحسن عليه السّلام في المدائن إذ نادى مناد في العسكر : ألا إنّ قيس بن سعد قد قتل ، فانفروا . فانفروا و نهبوا سراق

(١) مروج الذهب ٢ : ٤٣١ ، و الآية ٨٨ من سورة ص .

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ٥ : ٣١٣ و فيه « هالة » بدل « أم هاني » .

(٣) مقاتل الطالبين : ٣٣ .

الصفحة ٨٤

الحسن عليه السلام حتى نازعوه بساطا كان تحته ، و خرج الحسن عليه السلام حتى نزل المقصورة البيضاء بالمدائن ، و كان عمّ المختار بن أبي عبيد عاملا على المدائن ، و كان اسمه سعد بن مسعود ، فقال له المختار و هو غلام شاب : هل لك في الغنى و الشرف ؟ قال : و ما ذاك ؟ قال : توثق الحسن و تستأمن به إلى معاوية . فقال له سعد : عليك لعنة الله أثب على ابن بنت النبي صلى الله عليه و آله فأوثقه ؟ بنس الرجل أنت . فلما رأى الحسن عليه السلام تفرق الأمر عنه بعث إلى معاوية يطلب الصلح إلى أن قال فقام الحسن عليه السلام في أهل العراق فقال : يا أهل العراق إنه سخا بنفسي عنكم ثلاث : قتلتم أبي ، و طعنكم إياي ، و انتها بكم متاعي . فلما قدم الكوفة و برأ من جراحته خرج إلى مسجد الكوفة فقال : يا أهل الكوفة اتقوا الله في جيرانكم و ضيفانكم ، و في أهل بيت نبيكم صلى الله عليه و آله الذين أذهب الله عنهم الرجس أهل البيت و طهرهم تطهيرا . فجعل الناس يبكون ، ثم تحمّل عليه السلام إلى المدينة ١ .

و قال أبو الفرج أيضا : و قيل : إن أول من بايعه قيس بن سعد ، قال له :

ابسط يدك ابايعك على كتاب الله و سنة نبيه و قتال المحلّين . فقال له الحسن عليه السلام : بل على كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه و آله ، فإن ذلك يأتي من وراء كل شرط . فبايعه و سكت ، و بايعه الناس . ٢ .

و روى أبو الفرج بأسانيد عن سفيان بن أبي ليلى قال : أتيت الحسن عليه السلام حين بايع معاوية ، فوجدته بفناء داره و عنده رهط ، فقلت : السلام عليك يا مذلّ المؤمنين . فقال : عليك السلام يا سفيان ، انزل . فنزلت فعقلت راحلتي ، ثم أتيته ،

فجلست إليه ، فقال : كيف قلت يا سفيان ؟ فقلت : السلام عليك يا مذلّ رقاب

(١) تاريخ الطبري ٤ : ١٢١ سنة ٤٠ و ٤ : ١٢٦ سنة ٤١ متفرقا .

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ١٢١ سنة ٤٠ ، و أما قول الشارح : « قال أبو الفرج أيضا » فهو من سهو قلمه الشريف .

الصفحة ٨٥

المؤمنين . فقال : ما جرّ هذا منك إلينا ؟ فقلت : أنت و الله بأبي و امي ، أذلت رقابنا حين أعطيت هذا الطاغية البيعة ، و سلّمت الأمر إلى اللعين ابن اللعين ابن آكلة الأكباد ، و معك مائة ألف كلهم يموت دونك ، و قد جمع الله لك أمر الناس . فقال :

يا سفيان إنا أهل بيت إذا علمنا الحقّ تمسّكنا به ، و إنّي سمعت عليّاً عليه السّلام يقول :

سمعت النبيّ صلّى الله عليه و آله يقول : لا تذهب الليالي و الأيام حتّى يجتمع أمر هذه الامّة على رجل واسع السّرم ، ضخم البلعوم ، يأكل و لا يشبع ، و لا ينظر الله إليه ، و لا يموت حتّى لا يكون له في السّماء عاذر ، و لا في الأرض ناصر ، و إنّه لمعاوية ،

و إنّي عرفت أنّ الله بالغ أمره . قال : ثمّ أذن المؤذن ، فقمنا على حالب يحلب ناقته ،

فتناول الإناء فشرب قائماً ثمّ سقاني ، فخرجنا نمشي إلى المسجد ، فقال لي : ما جاءنا بك يا سفيان ؟ قلت : حبكم ، و الذي بعث محمّدا بالهدى و دين الحق . قال :

فأبشر يا سفيان فإنّي سمعت عليّاً عليه السّلام يقول : سمعت النبيّ صلّى الله عليه و آله يقول : يرد عليّ الحوض أهل بيتي ، و من أحبهم من امتي كهاتين يعني السبابتين و لو شئت لقلت هاتين يعني السبابة و الوسطى إحداهما تفضّل على الاخرى .

أبشر يا سفيان ، فإنّ الدّنيا تسع البرّ و الفاجر ، حتّى يبعث الله إمام الحقّ من آل محمّد صلّى الله عليه و آله ١ .

و روى ابن بابويه في (إكماله) مسندا عن أبي سعيد عقيصا ، قال : لما صالح الحسن بن عليّ عليه السّلام معاوية بن أبي سفيان دخل عليه الناس ، فلامه بعضهم على بيعته . فقال عليه السّلام : و يحكم ما تدرون ما عملت ، و الله الذي عملت خير لشيعتي ممّا طلعت عليه الشمس أو غربت ، ألا تعلمون أنّي إمامكم مفترض الطّاعة عليكم ، و أحد سيّدي شباب أهل الجنّة بنصّ من رسول الله صلّى الله عليه و آله عليّ ؟ قالوا : بلى قال : أما علمتم أنّ الخضر لمّا خرق السفينة ، و أقام

(١) المقاتل لأبي الفرج : ٤٤ .

الصفحة ٨٦

الجدار ، و قتل الغلام كان ذلك سخطا لموسى بن عمران عليه السّلام ، إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك ، و كان ذلك عند الله حكمة و صوابا ؟ أما علمتم أنّه ما منّا إلّا و يقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه ، إلّا القائم الذي يصلّي روح الله عيسى بن مريم عليه السّلام خلفه ، فإنّ الله عزّ و جلّ يخفي ولادته و يغيب شخصه

لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة ، إذا خرج ذلك التاسع من ولد أخي الحسين عليه السلام ؟ . . . ١ و روى المدائني : أن سفيان بن أبي ليلى لما قال للحسن عليه السلام : السلام عليك يا مذلّ المؤمنين ، قال له الحسن عليه السلام : إن النبي صلى الله عليه و آله رفع له ملك بني أمية فنظر إليهم يعلون منبره واحدا فواحدا ، فشق ذلك عليه فأنزل تعالى في ذلك قرآنا : . . . و ما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس و الشجرة الملعونة في القرآن و نخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا ٢ و سمعت أبي عليه السلام يقول :

سيلي أمر هذه الأمة رجل واسع البلعوم ، كبير البطن ، فسألته من هو ؟ فقال :

معاوية . و قال لي : إن القرآن قد نطق بملك بني أمية و مدتهم ، قال تعالى : ليلة القدر خير من ألف شهر ٣ ، قال أبي عليه السلام : هذه ملك بني أمية ٤ .

و قال أيضا : قال حجر بن عدي للحسن عليه السلام لما صالح معاوية : لوددت أنك متّ قبل هذا اليوم و لم يكن ما كان ، إننا رجعنا راغمين بما كرهنا ، و رجعوا مسرورين بما أحبوا . فتغيّر وجه الحسن عليه السلام ، و غمز الحسين عليه السلام حجرا فسكت . فقال الحسن عليه السلام : يا حجر ليس كلّ الناس يحبّ ما تحبّ ، و لا رأيهم رأيك ، و ما فعلت ما فعلت إلا إبقاء عليك ، و الله كلّ يوم في شأن ٥ .

و روى أيضا : أن الحسن عليه السلام قال لرجل لآمه على بيعته : خشيت أن

(١) كمال الدين للصدوق ١ : ٣١٥ ح ٢ .

(٢) الإسراء : ٦٠ .

(٣) القدر : ٣ .

(٤) نقلها عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٤ : ٦ ، ٧ ، شرح الكتاب ٣١ .

(٥) نقلها عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٤ : ٦ ، ٧ ، شرح الكتاب ٣١ .

الصفحة ٨٧

يأتي يوم القيامة سبعون ألفا أو ثمانون ألفا تشخب أوداجهم دما ، كلّهم يستعدي الله فيم هريق دمه ١ ؟

و قال أيضا : إن عليا عليه السلام لما توفي خرج ابن عباس فقال : إن أمير المؤمنين عليه السلام توفي و قد ترك خلفا ، فإن أحببتهم خرج إليكم ، و إن كرهتم فلا أحد على أحد . فبكى الناس ، و قالوا : بل يخرج إلينا . فخرج الحسن عليه السلام ، فخطبهم فقال : أيها الناس اتقوا الله فإننا امرؤكم و أولياؤكم ، و إننا أهل

البيت الذين قال الله فينا : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا ٢ فبايعوه و كان خرج إليهم و عليه ثياب سود ، ثم وجه عبد الله بن عباس و معه قيس بن سعد مقدّمة له في اثني عشر ألفا إلى الشام ، و خرج هو يريد المدائن ،

فطعن بساباط ، و انتهب متاعه ، و دخل المدائن ، و بلغ ذلك معاوية فأشاعه ،

و جعل أصحاب الحسن عليه السلام الذين وجههم مع عبد الله يتسلّلون إلى معاوية ،

الوجوه و أهل البيوتات ، فكتب عبد الله بذلك إلى الحسن عليه السلام ، فخطب الناس و وبّخهم و قال : خالفتم أبي حتى حكم و هو كاره ، ثم دعاكم إلى قتال أهل الشام بعد التحكيم ، فأبيتتم حتى صار إلى كرامة الله ، ثم بايعتموني على أن تسالموا من سالمني و تحاربوا من حاربني ، و قد أتاني أن أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية و بايعوه ، فحسبي منكم لا تعرّوني من ديني و نفسي .

و أرسل عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب و امّه بنت أبي سفيان إلى معاوية يسأله المسالمة ، و اشترط عليه العمل بكتاب الله و سنة نبيّه ، و أن لا يبايع لأحد من بعده ، و أن يكون الأمر شورى ، و أن

(١) نقلها عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٤ : ٦ ، ٧ ، شرح الكتاب ٣١ .

(٢) الأحزاب : ٣٣ .

الصفحة ٨٨

يكون الناس أجمعون آمنين ١ .

و في (مروج المسعودي) : و من خطب الحسن عليه السلام في أيّامه في بعض مقاماته : نحن حزب الله المفلحون ، و عترة رسوله الأقربون ، و أهل بيته الطاهرون الطيبون ، و أحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه و آله ، و الثاني كتاب الله فيه تفصيل كل شيء ، لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ٢ و المعول عليه في كل شيء ، لا يخطئنا تأويله ، بل نتيقن حقائقه ، فأطيعونا فإنّا طاعتنا مفروضة ، إذ كانت بطاعة الله و الرسول و اولي الأمر مقرونة فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله و الرسول ٣ ، و لو ردّوه إلى الرسول و إلى اولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ٤ و احذرکم الإصغاء لهتاف الشيطان إنه لكم عدوّ مبين ٥ ، فتكونون كأوليائه الذين قال لهم : لا غالب لكم اليوم من الناس و إنّي جار

لكم فلما تراءت الفتتان نكص على عقبيه ، و قال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون ٦ . فتلقون للرماح
أزرا و للسيوف جزرا ،

و للعدم خطأ ، و للسهام غرضا ، ثم . . . لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها
خييرا . . . ٧ .

و روى أبو الفرج عن الشعبي قال : خطب معاوية بعد ما بويع له فقال : ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر
أهل باطلها على أهل حقها . ثم إنه انتبه فندم .

(١) نقله عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٤ : ٨ ، شرح الكتاب ٣١ .

(٢) فصلت : ٤٢ .

(٣) النساء : ٥٩ .

(٤) النساء : ٨٣ .

(٥) الأنعام : ١٤٢ .

(٦) الأنفال : ٤٨ .

(٧) مروج الذهب للمسعودي ٢ : ٤٣١ ، و الآية ١٥٨ من سورة الأنعام .

الصفحة ٨٩

فقال : إلا هذه الأمة ، فإنها و إنها ١ .

و عن أبي إسحاق قال : سمعت معاوية بالنخيلة يقول : ألا إن كل شيء أعطيته الحسن بن علي تحت قدمي
هاتين ، لا أفي به . فقال : و كان و الله غدارا ٢ .

و عن سعيد بن سويد قال : صلى بنا معاوية بالنخيلة الجمعة في الصحن ، ثم خطبنا ، فقال : إني و الله ما
قاتلتكم لتصلوا و لا لتصوموا و لا لتحجوا و لا لتزكوا ، إنكم لتفعلون ذلك ، و أنما قاتلتكم لأتأمركم عليكم ، و
قد أعطاني الله ذلك و أنتم كارهون . قال شريك في حديثه : هذا هو التهنك ٣ .

و عن حبيب بن أبي ثابت قال : لما بويع معاوية خطب فذكر عليا عليه السلام فقال منه ، و نال من الحسن
عليه السلام ، فقام الحسين عليه السلام ليرد عليه فأخذ الحسن عليه السلام بيده فأجلسه ، ثم قال : أيها
الذاكر عليا أنا الحسن و أبي علي ، و أنت معاوية و أبوك صخر (أبو سفيان) ، و أمي فاطمة ، و أمك

هند ، و جدِّي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ، وَ جدِّكَ حرب ، وَ جدَّتِي خديجة ، وَ جدَّتكَ قتيلة ، فلعن الله أحملا ذكرا ،

و الأما حسبا ، وَ شرنا قدما ، وَ أقدمنا كفرا وَ نفاقا . فقال طوائف من أهل المسجد : آمين ٤ .

و روى المدائني : أن معاوية سأل الحسن عليه السلام بعد الصلح أن يخطب الناس فامتنع ، فناشده أن يفعل ، فوضع له كرسي فجلس عليه ، ثم قال :

الحمد لله الذي توحد في ملكه و تفرد في ربوبيته ، يؤتي الملك من يشاء ، و ينزعه ممن يشاء ، و الحمد لله الذي أكرم بنا مؤمنكم ، و أخرج من الشرك أولكم ، و حقن دماء آخركم ، فبلاؤنا عندكم قديما و حديثا أحسن البلاء ، إن شكرتم أو كفرتم أيها الناس إن ربَّ عليّ كان أعلم به حين

(١) المقاتل لأبي الفرج : ٤٥ .

(٢) المقاتل لأبي الفرج : ٤٥ .

(٣) المقاتل لأبي الفرج : ٤٥ .

(٤) المقاتل لأبي الفرج : ٤٦ .

الصفحة ٩٠

قبضه اليه ، و لقد اختصه بفضل لم تعتدوا بمثله ، و لم تجدوا مثل سابقته ،

فهيئات هيئات ، طالما قلبتم له الامور حتى أعلاه الله عليكم ، و هو صاحبكم و عدوكم في بدر و أخواتها ، جرّعكم رنقا ، و سقاكم علقا ، و أدلّ رقابكم ،

و أشرقكم بريقكم ، فلستم بملومين على بغضه ، و ايم الله لا ترى امّة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ خفضا ما كانت سادتهم و قادتهم بني امية ، و لقد وجّه الله إليكم فتنة لن تصدروا عنها حتى تهلكوا ، لطاعتكم طواغيتكم و انضوائكم إلى شياطينكم ، فعند الله أحتسب ما مضى ، و ما ينتظر من سوء دعوتكم ، و حيف حكمكم . ثم قال : يا أهل الكوفة لقد فارقكم بالأمس سهم من مرامي الله ،

صائل على أعداء الله ، نكال على فجّار قريش ، لم يزل آخذاً بجانجرها ، جاثما على أنفاسها ، ليس بالملومة في أمر الله ، و لا بالسروقة لمال الله ، و لا بالفروقة في حرب أعداء الله ، أعطى الكتاب خواتمه و عزائمه ، دعا فأجابته ، و قاده فاتبعه ،

لا تأخذه في الله لومة لائم ، فصلوات الله عليه و رحمته . قال : ثم نزل ، فقال معاوية : أخطأ عجل أو كاد ، و أصاب متثبت أو كاد ، ماذا أردت من خطبة الحسن ١ ؟

و روى عن أبي الطفيل قال : قال الحسن عليه السلام لمعاوية بن خديج : أنت الشامم عليا عليه السلام عند ابن آكلة الأكباد ؟ أما و الله لئن وردت الحوض ، و لن ترده لترينه مشمرا عن ساقيه ، حاسرا عن ذراعيه ، يذود عنه المنافقين ٢ .

و عن الأسود بن قيس العبدي قال : قال الحسن عليه السلام لحبيب بن مسلمة :

ربّ مسير لك في غير طاعة الله . فقال : أمّا مسيري إلى أبيك فليس من ذلك . قال :

بلى و الله ، و لكنك أطعت معاوية على دنيا قليلة زائلة ، فلئن قام بك في دنياك لقد قعد بك في آخرتك ، و لو كنت إذا فعلت شرًا قلت خيرا ، كان ذلك كما قال

(١) نقله عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٤ : ١٠ ، ٧ شرح الكتاب ٣١ .

(٢) نقله عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٤ : ١٠ ، ٧ شرح الكتاب ٣١ .

الصفحة ٩١

عزّ و جلّ : خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا ١ و لكنك كما قال سبحانه : كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ٢ .

و روى الزبير بن بكار في (مفاخراته) : أنه اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص ، و الوليد بن عقبة ، و عتبة بن أبي سفيان ، و قد كان بلغهم عن الحسن عليه السلام قوارص ، و بلغه عنه مثل ذلك ، فقالوا لمعاوية : إنّ الحسن قد أحيا أباه ذكره ، و قال فصدّق ، و أمر فاطم ، و خفت النعال خلفه ، و أنّ ذلك لرافعه إلى ما هو أعظم ، و لا يزال يبلغنا عنه ما يسوؤنا .

قال معاوية : ما تريدون ؟ قالوا : ابعث إليه فأحضره ، لنسبه و نسب أباه و نعيّره و نوبّخه ، و نخبره أنّ أباه قتل عثمان ، و نقرّره بذلك ، و لا يستطيع أن يغيّر علينا شيئا من ذلك . قال : إن بعثت إليه لأنصفه منكم . فقال عمرو بن العاص : أتخشى أن يأتي باطله على حقنا أو يربو قوله على قولنا ؟ قال : أمّا إنّي إن بعثت إليه لأمرنه أن يتكلّم بلسانه كلّ . قالوا : مره . قال : أمّا إذا عصيتموني و بعثتم إليه ، و أبيتم إلاّ ذلك

فلا تمرّضوا له في القول ، و اعلموا أنّهم أهل بيت لا يعيبهم العائب ، و لا يلصق بهم العار ، و لكن اقفوه بحجره ، و قولوا له : إنّ أباك قتل عثمان ، و كره خلافة الخلفاء قبله .

فبعث معاوية إليه . فقال لرسوله : من عنده ؟ فسّمّاهم ، فقال الحسن عليه السّلام :

ما لهم خرّ عليهم السّقف من فوقهم و أتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ؟ ثمّ قال : يا جارية أبلغيني ثيابي ، اللهمّ إنّني أعوذ بك من شرورهم ، و أدرك بك في نحورهم ، و أستعين بك عليهم ، فاكفنيهم كيف شئت ، و أنّي شئت بحول منك و قوّة ، يا أرحم الراحمين .

(١) التوبة : ١٠٢ .

(٢) نقله عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٤ : ٧ ، شرح الكتاب ٣١ و الآية ١٤ من سورة المطففين .

الصفحة ٩٢

قال : فلما دخل على معاوية أعظمه و أجلسه إلى جانبه و قد ارتاد القوم ،

و خطرُوا خطران الفحول بغيا في أنفسهم و علوا ، ثمّ قال : يا أبا محمّد إنّ هؤلاء بعثوا إليك و عصوني . فقال : سبحان الله ، الدار دارك و الإذن فيها إليك ، و الله لئن كنت أحببتهم إلى ما أرادوا في أنفسهم إنّني لأستحيي لك من الفحش ، و إن كانوا غلبوك على رأيك إنّني لأستحيي لك من الضّعف ، فأيهما تقرّ و أيّهما تتكر ؟ أما أنّي لو علمت بمكانهم جنّت بمثلهم من بني عبد المطلب ، و ما لي أن أكون متوحّشا منك و لا منهم ، إنّ وليي الله و هو يتولّى الصالحين ١ .

فقال معاوية : إنّني كرهت أن أدعوك و لكن حملوني على ذلك مع كراهتي له ، و أنّ لك منهم النّصف و منهم ، و إنّما دعوناك لنقرّرك أنّ عثمان قتل مظلوما ،

و أنّ أباك قتله ، فاستمع منهم ثمّ أجبهم ، و لا تمنعك وحدتك و اجتماعهم أن تتكلّم بكلّ لسانك .

فتكلّم عمرو بن العاص و ذكر عليّا فلم يترك شيئا يعيبه به إلاّ قاله ،

و قال : إنّ شتم أبا بكر و كره خلافته ، و امتنع من بيعته ، ثمّ بايعه مكرها ،

و شرك في دم عمر ، و قتل عثمان ظلما ، و ادّعى من الخلافة ما ليس له ، ثم ذكر الفتنة يعيّر به ، و أضاف إليه مساويا ، و قال : إنكم يا بني عبد المطّلب لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء و استحلالكم ما حرّم الله من الدماء ،

و حرصكم على الملك ، و إتيانكم ما لا يحلّ ، ثم إنك يا حسن تحدّثت نفسك أنّ الخلافة صائرة إليك ، و ليس عندك عقل ذلك و لا لبّه ، كيف ترى الله سلبك عقلك ،

و تركك أحمق قريش ، تسخر قريش منك و تهزؤك ، و ذلك لسوء عمل أبيك ،

و إنّما دعوناك لنسبك و أباك ؟ فأما أبوك فقد تفرّد الله به و كفانا أمره ، و أمّا أنت فإنك في أيدينا نختار فيك الخصال ، و لو قتلناك ما كان علينا إثم من الله ، و لا

(١) الأعراف : ١٩٦ .

الصفحة ٩٣

عيب من الناس ، فهل تستطيع أن تردّ علينا و تكذبنا ؟ فإن كنت ترى أنا كذبنا في شيء فأردده علينا في ما قلنا ، و إلّا فاعلم أنّك و أباك ظالمان .

ثم تكلم الوليد بن عقبة فقال : يا بني هاشم إنكم كنتم أحوال عثمان ،

فنعم الولد كان لكم ، فعرف حقكم ، و كنتم أصهاره ، فنعم الصهر كان لكم ،

يكرمكم ، فكنتم أول من حسده ، فقتله أبوك ظلما لا عذر له و لا حجة ، فكيف ترون أنّ الله طلب بدمه و أنزلكم منزلتكم ؟ و الله إنّ بني امية كانوا خيرا لبني هاشم من بني هاشم لبني امية ، و إنّ معاوية خير لك من نفسك .

ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان ، فقال : يا حسن كان أبوك شرّ قريش لقريش ، أسفكه لدمائها ، أقطعها لأرحامها ، طويل السيّف و اللسان ، يقتل الحيّ و يعيب الميت ، و إنك ممّن قتل عثمان ، و نحن قاتلوك به ، و أمّا رجاؤك الخلافة فلست في زندها قادحا ، و لا في ميزانها راجحا ، و إنكم يا بني هاشم قتلتم عثمان ، و إنّ في الحق أنّ نقتلك و أخاك به ، فأما أبوك فقد كفانا الله أمره و أفاد منه ، و أمّا أنت فو الله ما علينا لو قتلناك بعثمان إثم و لا عدوان .

ثم تكلم المغيرة بن شعبة فشتم علياً عليه السلام و قال : و الله ما أعيبه في قضية يخون ، و لا في حكم يميل ، و لكنه قتل عثمان .

ثم سكتوا فتكلم الحسن عليه السلام فحمد الله و أثنى عليه ، و صلى على رسوله ،

ثم قال : أما بعد يا معاوية فما هؤلاء شتموني و لكنك شتمتني ، فحشا ألفتة ،

و سوء رأي عرفت به ، و خلقا سيئاً ثبت عليه ، و بغيا علينا ، و عداوة منك لمحمد صلى الله عليه و آله و أهله ، و لكن اسمع يا معاوية و اسمعوا ، فلاقولن فيك و فيهم دون ما فيكم ، انشدكم الله أيها الرهط أتعلمون أن الذي شتمتموه منذ اليوم صلى القبلتين ، و أنت يا معاوية بهما كافر تراهما ضلالة ، و تعبد اللات و العزى غواية ؟ و انشدكم الله هل تعلمون أنه بايع البيعتين : بيعة الفتح و بيعة الرضوان ، و أنت يا معاوية بإحداهما كافر ، و بالآخرى ناكث ؟ و انشدكم الله هل

الصفحة ٩٤

تعلمون أنه أول الناس إيماناً ، و أنك يا معاوية و أباك من المؤلفة قلوبهم تسرون الكفر ، و تظهرون الإسلام ، و تستمالون بالأموال ؟ و انشدكم الله أستم تعلمون أن علياً عليه السلام كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه و آله يوم بدر ، و أن راية المشركين كانت مع معاوية و أبيه ، ثم لقيكم يوم احد و يوم الأحزاب و معه راية رسول الله صلى الله عليه و آله و معك يا معاوية و مع أبيك راية الشرك ، و في كل ذلك يفتح الله له ، و يفلج حجته ، و ينصر دعوته ، و يصدق حديثه ، و رسول الله صلى الله عليه و آله في تلك المواطن كلها عنه راض ، و عليك و على أبيك ساخط ؟ و انشدك الله يا معاوية أتذكر يوم جاء أبوك على جمل أحمر ، و أنت تسوقه و أخوك عتبة هذا يقوده ، فراكم النبي صلى الله عليه و آله فقال : اللهم العن الراكب و القائد و السائق ؟ أتتسى يا معاوية الشعر الذي كتبتة إلى أبيك لما هم أن يسلم تنهاه عن ذلك ؟ و هو :

يا صخر لا تسلن يوماً فتفضحنا

بعد الذين ببدر أصبحوا مزقا

خالي و عمي و عم الام ثالثهم

و حنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا

لا تركزن إلى أمر تكلفنا
و الرأقصات به في مكة الخرقا

فالموت أهون من قول العداة لقد
حار ابن حرب عن العزى إذن فرقا

و الله لما أخفيت من أمرك أكبر مما أبديت ، و انشدكم الله أيها الرهط أستم تعلمون أن عليا عليه السلام
حرم على نفسه الشهوات بين أصحاب النبي صلى الله عليه و آله ،

فأنزل تعالى فيه : يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم . . . ١ ؟

و أن النبي صلى الله عليه و آله بعث أكابر أصحابه إلى بني قريظة ، فنزلوا من حصنهم فهزموهم ، فبعث
عليا عليه السلام بالراية ، فاستنزلهم على حكم الله و حكم رسوله ،

و فعل في خيبر مثلها ؟

ثم قال : يا معاوية أظنك لا تعلم أنني أعلم ما دعا به عليك النبي صلى الله عليه و آله لما

(١) المائدة : ٨٧ .

الصفحة ٩٥

أراد أن يكتب كتابا إلى بني خزيمة ، فبعث إليك و نهماك إلى أن تموت ؟ و أنتم أيها الرهط نشدتم الله ألا
تعلمون أن النبي صلى الله عليه و آله لعن أبا سفيان في سبعة مواطن لا تستطيعون ردّها :

أولها : يوم لقي النبي صلى الله عليه و آله خارجا من مكة إلى الطائف ، يدعو ثقيفا إلى الدين ، فوقع فيه و
سبه و سفّهه و شتمه و كذبه و توعدّه و همّ أن يبطش به ،

فلعنه الله و رسوله و صرف عنه .

و الثانية : يوم العير ، إذ عرض لها النبي صلى الله عليه و آله و هي جائية من الشام ،

فطردها أبو سفيان و ساحل بها ، فلم يظفر المسلمون بها ، فلعن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ دَعَا عَلَيْهِ ، فكانت وقعة بدر لأجلها .

و الثالثة : يوم احد ، وقف أبو سفيان تحت الجبل و النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فِي أعلاه ،

و هو ينادي : « أعل هبل » مرارا فلعن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ عشر مرّات ، و لعنه المسلمون .

و الرابعة : يوم جاء بالأحزاب و غطفان و اليهود ، فلعن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ ابتهل .

و الخامسة : يوم جاء أبو سفيان في قريش ، فصدّوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ . . . و الهدى معكروفا أن يبلغ محله . . . ١ ، و ذلك يوم الحديبية ،

فلعن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أبا سفيان ، و لعن القادة و الأتباع ، و قال : ملعونون كلّهم و ليس فيهم من يؤمن . فقيل : يا رسول الله أما ترجو الإسلام لأحد منهم ، فكيف باللّعة ؟ فقال : لا تصيب اللّعة أحدا من الأتباع ، و أمّا القادة فلا يفلح منهم أحد .

و السادسة : يوم الجمل الأحمر .

و السابعة : يوم وقفوا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فِي الْعُقْبَةِ ، ليستنّفروا ناقته ، و كانوا اثني عشر رجلا ، منهم : أبو سفيان . فهذا لك يا معاوية .

(١) الفتح : ٢٥ .

الصفحة ٩٦

و أمّا أنت يابن العاص فإنّ أمرك شبرك ، و ضعنتك أمك مجهولا من عهر و سفاح ، فتحاكم فيك أربعة من قريش ، فغلب عليك جزارها الأممها حسبا ،

و أحسّهم منصبا ، ثمّ قام أبوك فقال : أنا شانيء محمد الأبتّر ، فأنزل عزّ و جلّ فيه ما أنزل ، و قاتلت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فِي جميع المشاهد و هجوته ، و أذيته بمكة و كدته كيدك كلّه ، و كنت من أشدّ الناس عداوة له ، و تكذيبا ، ثمّ خرجت مع أصحاب السفينة تريد النجاشي ، لتأتي بجعفر و أصحابه إلى أهل مكة ، فلمّا أخطاك ما رجوت ، و رجعت الله خائبا ، و أكذبتك و اشيا جعلت حدّك على صاحبك عمارة

بن الوليد ، فوشيت به إلى النجاشي حسدا لما ارتكب من حيلتك ، ففضحك الله و فضح صاحبك ، فإنك عدو بني هاشم في الجاهلية و الإسلام ، ثم إنك تعلم و كل هؤلاء الرهط يعلمون أنك هجوت النبي صلى الله عليه و آله بسبعين بيتا من الشعر ، فقال : اللهم إني لا أقول الشعر ، و لا ينبغي لي ، اللهم العنه بكل حرف ألف لعنة . فعليك إذن من الله ما لا يحصى من اللعن ، و أمّا ما ذكرت من أمر عثمان فأنت شغرت عليه الدنيا ، ثم لحقت بفلسطين ، فلما أتاك قتله قلت : أنا أبو عبد الله إذا نكأت قرحة أدميتها ، ما نصرت عثمان حيا و لا غضبت له مقتولا . ويحك يابن العاص ألسنت القائل في بني هاشم لما خرجت من مكة إلى النجاشي :

تقول ابنتي أين هذا الرّحيل
و ما السّتر منّي بمستكر

فقلت ذريني فإنّي امرؤ
اريد النّجاشي في جعفر

لأكويه عنده كيّة
اقيم بها نخوة الأصغر

و شأنىء أحمد من بينهم
و أقولهم فيه بالمنكر

و أجري إلى عتبة ١ جاهدا
و لو كان كالذهب الأحمر

(١) قلت : و مراده بعتبة النّجاشي .

الصفحة ٩٧

و لا أنثني عن بني هاشم
و ما اسطعت في الغيب و المحضر

فإن قبل العتب منّي له
و إلاّ لويت له مشفري

فهذا جوابك يا عمرو ، هل سمعته ؟

و أما أنت يا وليد ، فو الله ما ألومك على بغض عليّ عليه السلام و قد جلدك في الخمر ثمانين ، و قتل أباك بين يدي النبيّ صلّى الله عليه و آله صبورا ، و أنت الذي سمّاه الله الفاسق ، و سمّى عليّا عليه السلام المؤمن حيث تفاخرتما ، فقلت له : اسكت يا عليّ ، فأنا أشجع منك جنانا ، و أطول منك لسانا . فقال لك عليّ عليه السلام : اسكت يا وليد فأنا مؤمن و أنت فاسق . فأنزل تعالى في موافقة قوله عليه السلام : أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستونون ١ . ثمّ أنزل فيك على موافقة قوله عليه السلام أيضا : إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ٢ و يحك يا وليد مهما نسيت فلا تنس قول الشاعر فيك و فيه :

أنزل الله و الكتاب عزيز
في عليّ و في الوليد قرآنا

فتبوى الوليد إذ ذاك فسقا
و عليّ مبوأ إيمانا

ليس من كان مؤمنا عمرك الله
كمن كان فاسقا خوآنا

سوف يدعى الوليد بعد قليل
و عليّ إلى الحساب عيانا

فعليّ يجزى بذاك جنانا
و وليد يجزى بذاك هوانا

و ما أنت و قریش ؟ إنّما أنت عالج من أهل صفورية ، و اقسام بالله لأنت أكبر في الميلاد ، و أسنّ عمّن تدعى إليه .

قال : و أما أنت يا عتبة ، فو الله ما أنت بحصيف فاجبيك ، و لا عاقل فاحاورك ، و اعاتبك ، و ما عندك خير يرجى و لا شرّ يتقى ، و ما عقلك و عقل أمتك

(١) السجدة : ١٨ .

(٢) الحجرات : ٦ .

الصفحة ٩٨

إلا سواء ، و ما تضرّ عليّا عليه السّلام لو سببته على رؤوس الأشهاد ؟ و أمّا و عيدك إيّاي بالقتل ، فهلا قتلت اللحياني إذ وجدته على فراشك ؟ أما تستحي من قول نصر بن حجاج فيك :

يا للرجال و حادث الأزمان

و لسبّة تخزي أبا سفيان

نبئت عتبة خانة في عرسه

جنس لنيم الأصل من لحيان

و بعد هذا ما ارتاع لذكره لفحشه ، فكيف يخاف أحد سيفك و لم تقتل فاضحك ؟ و كيف ألومك على بغض عليّ عليه السّلام و قد قتل خالك الوليد مبارزة يوم بدر ، و شرك حمزة في قتل جدك عتبة ، و أوجدك من أخيك حنظلة في مقام واحد ؟

و أمّا أنت يا مغيرة فلم تكن بخليق إن تقع في هذا و شبهه ، و إنّما مثلك مثل البعوض إذ قالت للنخلة : استمسكي فإنّي طائرة عنك . فقالت النخلة : فهل علمت بك واقعة عليّ ، فأعلم بك طائرة عنّي ؟ و الله ما نشعر بعد اونك إيّانا ، و لا اغتمنا إذ علمنا بها ، و لا يشقّ علينا كلامك ، و أنّ حدّ الله في الزنا لثابت عليك ،

و لقد درأ عمر عنك حقّا الله سائله عنه ، و لقد سألت النبيّ صلّى الله عليه و آله : هل ينظر الرّجل إلى المرأة يريد أن يتزوّجها ؟ فقال : لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم ينو الزنا ، لعلمه بأنك زان .

و أمّا فخركم علينا بالإمارة فإنّه تعالى يقول : و إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمرناها تدميرا ١ .

ثمّ قام الحسن عليه السّلام فنفض ثوبه و انصرف ، فتعلّق المغيرة بثوبه ، و قال لمعاوية : قد شهدت قوله فيّ و قذفه إيّاي بالزنا ، و أنا مطالب له بحدّ القذف . فقال معاوية : خلّ عنه لا جزاك الله خيرا فتركه . فقال معاوية : قد أنبأتكم أنّه ممّن لا

(١) الإسراء : ١٦ .

الصفحة ٩٩

يطاق عارضته ، و نهيتكم أن تسبوه ، فعصيتموني ، و الله ما قام حتى أظلم علي البيت ، قوموا عني ، فلقد فضحك الله و أخزكم بترككم الحزم ، و عدو لكم عن رأي الناصح المشفق ١ .

و رواه سبط ابن جوزي في (تذكرته) ، و فيه : أن الحسن عليه السلام قال لمعاوية : « و قد علمت الفراش الذي ولدت عليه » . و قال السبط في تفسير كلامه عليه السلام : قال هاشم الكلبى في (مثالبه) : إن معاوية كان يقال إنه من أربعة :

عمارة بن الوليد ، و مسافر بن أبي عمرو ، و العباس ، و أبي سفيان ٢ .

و روى السبط أيضا عن هشام الكلبى : أن مروان لما كان واليا على المدينة بعث رسولا إلى الحسن عليه السلام و قال : قل له يقول لك مروان : أبوك الذي فرق الجماعة ، و قتل أمير المؤمنين عثمان ، و أباد العلماء و الزهاد يعني الخوارج و أنت تفخر بغيرك فإذا قيل لك من أبوك ؟ تقول خالي الفرس . فجاء الرسول إلى الحسن ، فقال له : يا أبا محمد إنني أتيتك برسالة ممن يخاف سطوته و يحذر سيفه ، فإن كرهت لم أبلغك إياها و وقتك بنفسى ؟ فقال الحسن عليه السلام : لا بل تؤديها و نستعين عليه بالله ، فأدأها ، فقال له عليه السلام : تقول لمروان : إن كنت صادقا فالله يجزيك بصدقك ، و إن كنت كاذبا فالله أشد نقمة .

فخرج الرسول من عنده فلقبه الحسين عليه السلام فقال : من أين أقبلت ؟ فقال : من عند أخيك الحسن . فقال : و ما كنت تصنع ؟ قال : أتيت برسالة من عند مروان . فقال :

و ما هي ؟ فامتنع الرسول من ادائها . فقال : لتخبرني أو لأقتلنك . فسمع الحسن عليه السلام فخرج ، و قال لأخيه : خلّ عن الرجل . فقال : لا و الله حتى أسمعها .

فأعادها الرسول عليه . فقال عليه السلام : قل له يقول لك الحسين بن علي بن فاطمة :

(١) نقله عن الزبير بن بكار في المفارقات ابن أبي الحديد في شرحه ٢ : ١٠١ ، شرح الخطبة ٨٢ .

(٢) تذكرة الخواص : ٢٠٢ ، و النقل بالمعنى .

الصفحة ١٠٠

يابن الزرقاء الداعية إلى نفسها بسوق ذي المجاز صاحبة الرأية بسوق عكاظ و يابن طريد رسول الله و لعينه اعرف من أنت و من أمك و من أبوك . قال : فجاء الرسول إلى مروان فأعاد عليه ما قالوا ، فقال له : ارجع إلى الحسن ، و قل له :

أشهد أنك ابن رسول الله . و قل للحسين : أشهد أنك ابن علي بن أبي طالب . فقال (الحسين) عليه السلام للرسول : قل له : كلاهما لي و رغما .

قال : قال الأصمعي : أما قول الحسين عليه السلام : « يابن الداعية إلى نفسها » فذكر ابن إسحاق أن أم مروان اسمها امية ، و كانت من البغايا في الجاهلية ،

و كان لها راية مثل راية البيطار تعرف بها ، و كانت تسمى أم حنبل الزرقاء ،

و كان مروان لا يعرف له أب ، و إنما نسب إلى الحكم كما نسب عمرو إلى العاص . و أما قوله : « يابن طريد رسول الله » فيشير إلى الحكم بن أبي العاص ،

أسلم الحكم يوم الفتح و سكن المدينة ، و كان ينقل أخبار النبي صلى الله عليه و آله إلى الكفار من الأعراب و غيرهم ، و يتجسس عليه . قال الشعبي : و ما أسلم إلا لهذا ، و لم يحسن إسلامه ، و رآه النبي صلى الله عليه و آله يوما و هو يمشي و يتخالج في مشيته يحاكي النبي صلى الله عليه و آله فقال له : كن كذلك . فمزال يمشي كأنه يقع على وجهه ،

و نفاه النبي صلى الله عليه و آله إلى الطائف و لعنه إلى أن قال فلما مات عمر ، و ولي عثمان رده في اليوم الذي ولي فيه ، و قربه و أدناه ، و دفع له مالا عظيما و رفع منزلته ،

فقام المسلمون على عثمان و أنكروا عليه ، و هو أول ما أنكروا عليه ، و قالوا له :

رددت عدو الله و رسوله ، و خالفت الله و رسوله . فقال : إن النبي صلى الله عليه و آله و عدني برده . فامتنع جماعة من الصحابة عن الصلاة خلف عثمان لذلك ،

ثم توفي الحكم في خلافته ، فصلّى عليه (عثمان) و مشى خلفه ، فشق ذلك على المسلمين ، و قالوا : ما كفاك ما فعلت حتى تصلي على منافق ملعون لعنه النبي صلى الله عليه و آله و نفاه . فخلعوه و قتلوه . قال : و أعطى ابنه مروان خمس غنائم إفريقيّة خمسمائة ألف دينار . ثم قال : و بهذا السبب قالت (عائشة) :

الصفحة ١٠١

اقتلوا نعتلا قتله الله فقد كفر ١ .

و روى الزبير بن بكار : أن عمرو بن العاص لقي الحسن عليه السلام في الطواف ، فقال له : يا حسن زعمت أن الدين لا يقوم إلا بك و بأبيك ، فقد رأيت الله أقامه بمعوية ، فجعله راسيا بعد ميله ، و بيّنا بعد خفائه ، أفرضي الله بقتل عثمان ؟ أو من الحق أن تطوف بالبيت كما يدور الجمل بالطحن ، عليك ثياب كغرقى البيض ، و أنت قاتل عثمان ؟ و الله إنه لألم للشعث و أسهل للوعث أن يوردك معاوية حياض أبيك . فقال الحسن عليه السلام : إن لأهل النار لعلامات يعرفون بها : إلحادا لأولياء الله ، و موالاة لأعداء الله ، و الله إنك لتعلم أن عليا لم يرتب في الدين ، و لم يشك في الله ساعة ، و لا طرفة عين قط ، و ايم الله لتنتهين يابن ام عمرو أو لأنفذن حزنك بنو اشد من القعضبية ، فإياك و التهجم علي ، فإني من قد عرفت ، لست بضعيف الغمزة ، و لا هس المشاشة ، و لا مريء المأكلة ، و إني من قريش كواسطة القلادة ، يعرف حسبي ، و لا ادعى لغير أبي ،

و أنت من تعلم و يعلم الناس ، تحاكت فيك رجال قريش ، فغلب عليك جزاها ،

أأمهم حسبا ، و أعظمهم لؤما ، فإياك عني فإنك رجس ، و نحن أهل بيت الطهارة أذهب الله عنا الرجس و طهرنا تطهيرا . قال : فأفحم عمرو و انصرف كئيبا ٢ .

و روى أبو الفرج و المدائني ، و اللفظ للأول : أن الحسن عليه السلام كتب إلى معاوية إلى أن قال : فلما توفي النبي صلى الله عليه و آله تنازعت سلطانه العرب ، فقالت قريش : نحن قبيلته و أسرته و أولياؤه ، و لا يحل لكم أن تنازعونا سلطان محمد في الناس و حقه ، فرأت العرب أن القول كما قالت قريش ، و أن الحجة لهم في

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : ٢٠٧ .

(٢) لم أظفر على من نقله عن الزبير بن بكار بل رواه المدائني كما نقل ابن أبي الحديد في شرحه ٤ :

١٠ ، و نقله الشارح نفسه عن المدائني في العنوان ٥ من هذا الفصل .

الصفحة ١٠٢

ذلك على من نازعهم أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأنعمت لهم العرب ، و سلمت ذلك ، ثم حاجبنا نحن قريشا بمنزل ما حاجت به العرب ، فلم تتصفنا قريش بإنصاف العرب لها ، إنهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالانتصاف و الاحتجاج ، فلما صرنا أهل بيت محمد و أولياؤه إلى حاجتهم و طلب النصف منهم باعدونا ،

و استولوا بالاجتماع على ظلمنا و مراغمتنا ، و العنت منهم لنا ، فالموعد لله و هو الولي النصير ، و قد تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا في حقنا و سلطان نبينا صلى الله عليه وآله و إن كانوا ذوي فضيلة و سابقة في الإسلام ، فأمسكنا عن منازلهم ، مخافة على الدين أن يجد المنافقون و الأحزاب بذلك مغمرا يتلمونه به ، أو يكون لهم بذلك سبب لما أرادوا به من فساد ، فالיום فليعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله ، لا بفضل في الدين معروف ، و لا أثر في الإسلام محمود ، و أنت ابن حزب من الأحزاب ، و ابن أعدى قريش للنبي صلى الله عليه وآله ،

و لكن الله خبيك ، و سترد فتعلم لمن عقبى الدار ، تالله لتلقين عن قليل ربك ، ثم ليجزينك بما قدمت يداك ، و ما الله بظلام للعبيد .

إن عليا رضوان الله عليه لما مضى لسبيله رحمة الله عليه يوم قبض و يوم من الله عليه بالإسلام ، و يوم بيعت حيا ولأني المسلمون الأمر بعده ،

فأسأل الله أن لا يزيدنا في الدنيا الزائلة شيئا ، ينقصنا به في الآخرة مما عنده من كرامته ، و إنما حملني على الكتاب إليك الإعذار في ما بيني و بين الله سبحانه و تعالى في أمرك ، و لك في ذلك إن فعلت الحظ الجسيم ، و للمسلمين فيه صلاح ، فدع التمادي في الباطل ، و ادخل في ما دخل فيه الناس من بيعتي ،

فإنك تعلم أنني أحق بهذا الأمر منك عند الله و عند كل أوأب حفيظ ، و من له قلب منيب ، و اتق الله ودع البغي ، و احقن دماء المسلمين ، فو الله مالك من خير في أن تلقى الله من دمائمهم بأكثر مما أنت لاقية به إلى أن قال في جواب معاوية لكتابه عليه السلام : و ذكرت وفاة النبي و تنازع المسلمين من بعده ، فرأيتك صرحت

الصفحة ١٠٣

بتهمة أبي بكر الصديق و عمر الفاروق ، و أبي عبيدة الأمين ، و حوارى رسول الله ، و صلحاء المهاجرين و الأنصار ، فكرهت ذلك لك ، فإنك امرؤ عندنا و عند الناس غير ظنين ، و لا المسيء و لا اللئيم ، و أنا أحب لك القول السديد و الذكر الجميل ، إن هذه الأمة لما اختلفت بعد نبيها لم تجهل فضلكم ، و لا سابقكم و لا قرابتكم من النبي ، و لا مكانكم في الإسلام و أهله ، فرأت الأمة أن تخرج من هذا الأمر لقريش لمكانها من نبيها ، و رأى صلحاء الناس من قريش و الأنصار و غيرهم ، من سائر الناس و عامتهم أن يولّوا هذا الأمر من قريش : أقدمها إسلاما و أعلمها بالله ، و أحبها له ، و أقواها على أمر الله ، فاختاروا أبا بكر ، و كان ذلك رأى ذوى الحجى و الدين و الفضيلة و الناظرين للأمة ، فأوقع ذلك في صدوركم لهم التهمة ، و لم يكونوا متهمين ، و لا في ما أتوا بالمخطئين ، و لو رأى المسلمون فيكم من يغني غناه ، أو يقوم مقامه أو يذبّ عن حريم الإسلام ذبّه ما عدلوا بالأمر إلى غيره إلى أن قال و الحال في ما بيني و بينك اليوم مثل الحال التي كنتم عليها أنتم و أبو بكر بعد وفاة النبي ، فلو علمت أنك أضبط مني للرعية ، و أحوط على هذه الأمة و أحسن سياسة ، و أقوى على جمع الأموال ، و أكيد للعدو ، لأجبتك إلى ما دعوتني إليه ، و رأيتك لذلك أهلا . . . ١ .

و من هذا الكتاب و الجواب تعرف حقيقة الأمر في الباب ، و يكفيان في إتمام الحجّة لاولي الألباب .

و عن (كامل المبرد) : أن شاميا رأى الحسن عليه السلام فجعل يلعنه ،

و الحسن عليه السلام لا يردّ ، فلما فرغ أقبل الحسن عليه السلام إليه فسلم عليه و ضحك ، فقال :

أيها الشيخ أظنك غريبا ، و لعلك شبّهت فلو استعبتنا أعتبناك ، و لو سألتنا أعطيناك ، و لو استرشدتنا أرشدناك ، و لو استحملتنا حملناك ، و إن كنت جائعا

(١) رواه أبو الفرج في المقاتل : ٣٥ ٣٧ ، و المدائني عنه شرح ابن أبي الحديد ٤ : ٩ ، شرح الكتاب

. ٣١

الصفحة ١٠٤

أشبعناك ، و إن كنت عريانا كسوناك ، و إن كنت محتاجا أغنياك ، و إن كنت طريدا آويناك ، و إن كان لك حاجة قضيناها لك ، فلو حرّكت رحلك إلينا و كنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك ، لأنّ لنا موضعا رحبا ، و جاها عريضا ، و مالا كبيرا . فلما سمع الرجل كلامه عليه السلام بكى ثم قال : أشهد

أَنَّكَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ١ ، وَ كُنْتَ أَنْتَ وَ أَبُوكَ أَبْغَضَ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيَّ ، وَ
الآن أنت أحب خلق الله إليّ ٢ .

« املكوا عني هذا الغلام لا يهدني » روى المدائني عن زيد بن أرقم قال :

خرج الحسن عليه السلام و هو صغير ، و عليه برد ، و النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ يَخْطُبُ ، فَعَثَرَ فَسَقَطَ ،
فَقَطَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ الْخُطْبَةَ وَ نَزَلَ مَسْرَعًا إِلَيْهِ وَ قَدْ حَمَلَهُ النَّاسُ ، فَتَسَلَّمَهُ وَ أَخَذَهُ عَلَى كَتْفِهِ وَ
قال : إِنَّ الْوَلَدَ لَفَتْنَةٌ ، لَقَدْ نَزَلَتْ إِلَيْهِ وَ مَا أُدْرِي ، ثُمَّ صَعِدَ فَاتَمَّ الْخُطْبَةَ ٣ .

و روى أبو نعيم في (حليته) عن أبي بكره قال : كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ يَصَلِّيَ بِنَا ، فَيَجِيءُ
الحسن عليه السلام و هو ساجد صبي صغير ، حتّى يصير على ظهره ،

فيرفعه رفعا رفيقا ، فلما صَلَّى صَلَاتَهُ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتَصْنَعُ بِهَذَا الصَّبِيِّ شَيْئًا لَا تَصْنَعُهُ بِأَحَدٍ .
فقال : إِنَّ هَذَا رِيحَانَتِي . . . ٤ .

و عن البراء قال : رأيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ واضعا الحسن عليه السلام على عاتقه ، فقال :

من أحببني فليحبّه ٥ .

و عن أبي هريرة قال : أتى الحسن عليه السلام يوما يشتدّ حتّى قعد في حجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ،
فجعل يقول بيديه هكذا في لحية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ، و النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ يفتح فمه ،

(١) الأنعام : ١٢٤ .

(٢) رواه عن كامل المبرد بهذا اللفظ ابن شهر آشوب في مناقبه ٤ : ١٩ ، و رواية المبرد في الكامل ٤
: ١٠٥ بلفظ أخصر .

(٣) نقله عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٤ : ١٠ ، شرح الكتاب ٣١ .

(٤ و ٥) حلية الأولياء لأبي نعيم ٢ : ٣٥ .

الصفحة ١٠٥

ثم يدخل فمه في فمه و يقول : اللهم إني أحبّه فأحبّه و أحبّ من يحبّه . يقولها ثلاث مرّات ١ .

و قال المسعودي : لما دفن الحسن عليه السلام وقف محمد بن الحنفية أخوه على قبره فقال : لئن عزت حياتك ، لقد هدت وفاتك ، و لنعم الروح روح تضمّنه كفنك ، و لنعم الكفن كفن تضمّن بدنك ، و كيف لا تكون هكذا و أنت عقبة الهدى ،

و خلف أهل التقوى و خامس أصحاب الكساء ، غدتك بالتقوى أكفّ الحقّ ،

و أرضعتك ثدي الإيمان ، و ربّيت في حجر الإسلام ، فطبت حيا و ميّتا ٢ .

و نقل أبو الفرج عن عمر بن بشير قال : قلت لأبي إسحاق : متى ذلّ الناس ؟ قال : حين مات الحسن عليه السلام ، و ادّعي زياد ، و قتل حجر بن عدي ٣ .

« فإنني أنفس » أي أضنّ و أبخل .

« بهذين يعني الحسن و الحسين عليهما السلام » هكذا في (المصرية) ، و الصواب :

(الحسنين عليهما السلام) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيّة) ٤ .

« على الموت » روى الخطيب في (نصر بن عليّ الجهضمي) عن نصر بن عليّ بن جعفر عن أخيه موسى عن آبائه : أنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله أخذ بيد الحسن و الحسين ، فقال : من أحبّني ، و أحبّ هذين و أباهما و أمهما كان معي في درجتي يوم القيامة .

و قال : لما حدّث نصر بهذا الحديث أمر المتوكّل بضربه ألف سوط ، و كلّمه جعفر بن عبد الواحد ، و جعل يقول له : هذا الرّجل من أهل

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ٢ : ٣٥ .

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٢ : ٤٢٨ .

(٣) المقاتل لأبي الفرج : ٥٠ .

(٤) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٩ ، و شرح ابن ميثم ٤ : ١٤ مثل المصرية أيضا .

السنة و لم يزل به حتى تركه ١ .

و في (تذكرة سبط ابن الجوزي) عن (صحيح البخاري) : كان النبي صلى الله عليه و آله يعود الحسن و الحسين فيقول : اعيدكما بكلمات الله التامة من كل شيطان و هامة ، و من كل عين لامة . و يقول : إن أباكما إبراهيم عليه السلام كان يعود بها إسماعيل و إسحاق ٢ .

و عن (فضائل أحمد بن حنبل) : عن واثلة بن أسقع قال : أتيت فاطمة عليها السلام أسألها عن علي عليه السلام ، فقالت : توجه إلى النبي صلى الله عليه و آله . فجلست انتظره و إذا بالنبي صلى الله عليه و آله قد أقبل و معه علي و الحسن و الحسين عليهم السلام ، قد أخذ بيد كل واحد منهما حتى دخل الحجرة ، فأجلس الحسن عليه السلام على فخذة اليمنى ،

و الحسين عليه السلام على فخذة اليسرى ، و أجلس عليا و فاطمة عليهما السلام بين يديه ، ثم لفّ عليهم كساء أو ثوبه ، ثم قرأ : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي حقاً ٣ .

و عن (تفسير الثعلبي) في قوله تعالى : مرج البحرين يلتقيان . بينهما برزخ لا يبغيان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . يخرج منهما اللؤلؤ و المرجان ٤ . البحرين : علي و فاطمة عليهما السلام و البرزخ : محمد صلى الله عليه و آله و اللؤلؤ و المرجان : الحسن و الحسين عليهما السلام ٥ .

و في (أمالي محمد بن محمد بن نعمان) : عن الجعابي مسندا عن جابر الأنصاري قال : خرج علينا النبي صلى الله عليه و آله آخذا بيد الحسن و الحسين عليهما السلام ، فقال :

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣ : ٢٨٧ .

(٢) رواه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص : ١٩٤ ، و أخرجه البخاري في صحيحه ٢ : ٢٣٩ و غيره .

(٣) تذكرة الخواص : ٢٢٣ ، ٢٣٤ ، و نقل الأخير بتصريف ، و الآية ٣٣ من سورة الأحزاب .

(٤) الرحمن : ١٩ ، ٢٢ .

(٥) تذكرة الخواص : ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، و نقل الأخير بتصريف .

إنّ ابني هذين ربيتهما صغيرين ، و دعوت لهما كبيرين ، و سألت الله تعالى لهما ثلاثا ، فأعطاني اثنتين و منعني واحدة : سألت الله لهما أن يجعلهما طاهرين مطهرين زكّيين ، فأجابني إلى ذلك ، و سألت الله أن يقيهما و ذريتهما و شيعتهما النار فأعطاني ذلك ، و سألت الله أن يجمع الأمة على محبتهما فقال : يا محمد إنّي قضيت قضاء ، و قدرت قدرا ، و إنّ طائفة من امتك ستفي لك بدمتك في اليهود و النصارى و المجوس ، و سيخفرون ذمتك في ولدك ، و إنّي أوجبت على نفسي لمن فعل ذلك ألاّ أحله محلّ كرامتي ، و لا أسكنه جنّتي ، و لا أنظر إليه بعين رحمتي ، إلى يوم القيامة ١ .

و روى ابن ديزيل في (صفّينه) مسندا عن زيد بن أرقم قال : كنّا مع رسول الله صلّى الله عليه و آله و هو في الحجرة يوحى إليه ، و نحن ننتظره حتّى اشتدّ الحرّ ،

فجاء عليّ بن أبي طالب عليه السّلام ، و معه فاطمة و حسن و حسين عليهم السّلام ، ففعدوا في ظلّ حائط ينتظرونه ، فلما خرج رسول الله صلّى الله عليه و آله رآهم فأتاهم ، و وقفنا نحن مكاننا ، ثمّ جاء إلينا و هو يظلم بثوبه ممسكا بطرف من الثوب و عليّ ممسك بطرفه الآخر ، و هو يقول : اللهمّ إنّي احبهم فأحبهم ، اللهمّ إنّي سلم لمن سالمهم و حرب لمن حاربهم . فقال ذلك ثلاث مرّات ٢ .

و روى الخطيب في (طي بن اسماعيل) : أنّ رجلا جاء إلى الحسن و الحسين فسألهم فقالا : إنّ المسألة لا تصلح إلاّ لثلاثة : لحاجة مجحفة ، أو لحمالة مثقلة ، أو لدين فادح ، فأعطياه . ثمّ أتى ابن عمر فأعطاه و لم يسأله . فقال له الرجل : أتيت ابني عمك فسألاني و أنت لم تسألني . فقال ابن عمر : أنبأنا النبيّ صلّى الله عليه و آله أنّهما كانا يغرّان العلم غرّا ٣ .

(١) أمالي المفيد : ٧٨ ح ٣ المجلس ٩ .

(٢) نقله عن ابن ديزل في صفين ابن أبي الحديد في شرحه ١ : ٢٨٩ ، شرح الخطبة ٤٨ .

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٩ : ٣٦٦ .

الصفحة ١٠٨

و في (المعجم) : بينما ابن السكّيت مع المتوكّل يوما جاء المعتزّ و المؤيّد ،

فقال له المتوكّل : أيهما أحبّ إليك : ابناي هذان أم الحسن و الحسين عليهما السّلام ، فذكر ابن السكّيت الحسن و الحسين عليهما السّلام بما هما أهله ، و سكت عن ابنيه ، و قيل : قال له : إنّ قنبرا خادم عليّ

عليه السلام أحب إليّ من ابنك . فأمر المتوكّل الأتراك فسلّوا لسانه و داسوا بطنه ، و حمل إلى بيته ، فعاش يوماً و بعض آخر ، و مات في سنة (٢٤٣) ١ .

و روى (أمالي ابن الشيخ) عن الحسين بن زيد قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن سنّ جدنا عليّ بن الحسين عليهما السلام فقال : أخبرني أبي عن أبيه قال :

كنت أمشي خلف عمّي الحسن و أبي الحسين عليهما السلام في بعض طرقات المدينة ،

في العام الذي قبض فيه عمّي ، و أنا يومئذ غلام لم اراهق أو كدت ، فلقيهما جابر بن عبد الله ، و أنس بن مالك في جماعة من قريش و الأنصار ، فما تمالك جابر حتّى أكبّ على أيديهما و أرجلها يقبلها . فقال رجل من قريش كان نسيباً لمروان لجابر : أتصنع هذا و أنت في سنك هذا ، و موضعك من صحبة النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم ؟ و كان جابر شهد بدرًا فقال له : إليك عنّي ، فلو علمت يا أخا قريش من فضلها ما أعلم لقبّلت ما تحت أقدامهما من التراب . ثمّ أقبل جابر على أنس فقال له : أخبرني النبيّ صلّى الله عليه و آله فيهما بأمر ما ظننت أنّه يكون في بشر .

قال له أنس : و بماذا أخبرك ؟ قال عليّ بن الحسين عليه السلام : فانطلق الحسن و الحسين عليهما السلام ، و بقيت أنا أسمع محاوراة القوم ، فأنشأ جابر يحدث ، قال :

بينما النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم ذات يوم في المسجد ، و قد حفّ بمن حوله إذ قال لي : ادع لي حسنا و حسينا . و كان شديد الكلف بهما ، فانطلقت فدعوتهما ، و أقبلت أحمل هذا مرّة ، و هذا اخرى ، حتّى جنّت بهما إليه ، فقال لي و أنا أعرف السرور في

(١) معجم الأديباء للحموي ٢٠ : ٥٠ بفرق يسير .

الصفحة ١٠٩

وجهه لما رأى من تكريمي لهما أتحبّهما ؟ قلت : و ما يمنعي من ذلك ، و أنا أعرف مكانهما منك ؟ قال : أفلا أخبرك عن فضلها ؟ قلت : بلى بأبي أنت و أمي .

قال : إنّ الله تعالى لما أحبّ أن يخلقني خلقتني نطفة بيضاء طيّبة ، فأودعها صلب أبي آدم عليه السلام ، فلم يزل ينقلها من صلب طاهر إلى رحم طاهر إلى عبد المطلب ،

ثم افتقرت تلك النطفة شطرين إلى عبد الله و أبي طالب ، فولدني أبي ، فختم الله بي النبوة ، و ولد عليّ فختم الله به الوصية ، ثم اجتمعت النطفتان مني و من عليّ فولدنا الجهر و الجهير الحسنان ، فختم بهما أسباط النبوة ، و جعل ذريتي منهما ، و من ذرية هذا و أشار إلى الحسين عليه السلام رجل يخرج في آخر الزمان ،

يملاً الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً و جوراً ، فهما طاهران مطهران ، و هما سيّدا شباب أهل الجنة ، طوبى لمن أحبهما و أباهما و امهما ، و ويل لمن حاربهم و أبغضهم ١ .

قلت : و من هو ان الدنيا أن يقتل مثلها يزيد السكير القمير ، أما الحسين عليه السلام فمعلوم ، و أمّا الحسن عليه السلام ففي (مقاتل أبي الفرج) : أن معاوية لما أراد البيعة لابنه يزيد لم يكن شيء أثقل عليه من أمر الحسن عليه السلام و سعد بن أبي وقاص ، ففسد إليهما سمّا فماتا منه ٢ .

قلت : و وجه ثقل سعد عليه أنه لو كان بايع لابنه في حياته كان سعد يقول له : أنا من سنة شورى عمر ، و أنا أحق من ابنك بالبيعة لي . و أمّا الحسن عليه السلام فمع أنه كانت خلافة جدّه حقه كان معاوية عاهده عليه السلام على أن يردّ الأمر بعده إليه .

و في (مقاتل أبي الفرج) أيضا : أن معاوية أرسل إلى ابنة الأشعث زوجة

(١) أمالي أبي علي الطوسي ٢ : ١١٣ المجلس ١٨ .

(٢) المقاتل لأبي الفرج : ٤٧ .

الصفحة ١١٠

الحسن عليه السلام : أني مزوجك بيزيد ابني ، على أن تسمي الحسن بن علي . و بعث إليها بمائة ألف درهم ، فقبلت و سمّت الحسن عليه السلام ، فسوّغها المال و لم يزوّجها منه ، فخلف عليها رجل من آل طلحة فأولدها ، فكان إذا وقع بينهم و بين بطون قريش كلام عيروهم ، و قالوا : يا بني مسمّة الأزواج ١ .

و في (خلفاء ابن قتيبة) : لما كتب عامل المدينة إلى معاوية بموت الحسن عليه السلام أظهر فرحا و سرورا حتّى سجد ، و سجد من كان معه ، فبلغ ذلك عبد الله بن عباس و كان بالشام يومئذ فدخل على معاوية ، فلما جلس قال معاوية : يابن عباس هلك الحسن بن علي . فقال ابن عباس : نعم هلك ، . . . إنا لله و إنا إليه راجعون ٢ ترجيعا مكرراً ، و قد بلغني الذي أظهرت من الفرح و السرور بوفاة ، أما و الله

ما سدّ جسده حفرتك ، و لا زاد نقصان أجله في عمرك ، و لقد مات و هو خير منك ، و لئن اصبنا به لقد اصبنا بمن كان خيرا منه :

جدّه رسول الله صلّى الله عليه و آله ، فجبر الله مصيبته ، و خلّف علينا من بعده أحسن الخلافة .

ثمّ شهق ابن عباس و بكى ، و بكى من حضر في المجلس ، و بكى معاوية . قال الراوي : فما رأيت يوما أكثر باكيا من ذلك اليوم . فقال معاوية : بلغني أنّه ترك بنين صغارا . فقال ابن عباس : كلنا كان صغيرا فكبر . قال معاوية : كم أتى له من العمر ؟ فقال ابن عباس : أمر الحسن عليه السلام أعظم من أن يجهل أحد مولده .

فسكت معاوية يسيرا ، ثم قال : يابن عباس أصبحت سيّد قومك من بعده . فقال ابن عباس : أما ما أبقي الله أبا عبد الله الحسين فلا ٣ .

و روى الطبري عن عائشة بنت سعد ، قالت : حدّ نساء بني هاشم على

(١) المقاتل لأبي الفرج : ٤٨ .

(٢) البقرة : ١٥٦ .

(٣) الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١ : ١٧٥ .

الصفحة ١١١

الحسن بن علي عليه السلام سنة . و عن ام بكر بنت المسور : أقام نساء بني هاشم النوح عليه عليه السلام شهرا . و روي عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : مكث الناس يبكون على الحسن بن علي عليه السلام سبعا ما تقوم الأسواق . و روي عن ثعلبة بن أبي مالك .

قال : دفناه عليه السلام بالبقيع ، و لقد رأيت البقيع و لو طرحت فيها إبرة ما وقع إلا على رأس إنسان ١ .

و روى أبو الفرج عن الحسن عليه السلام قال : لقد سقيت السمّ مرارا ، ما سقيته مثل هذه المرّة ، و لقد لفظت قطعة من كبدي ، فجعلت اقلّبها بعود معي إلى أن قال و قد كان أوصى أن يدفن مع النبيّ صلّى الله عليه و آله فممنع مروان بن الحكم من ذلك ،

و ركبت بنو امية في السّلاح ، و جعل مروان يقول : « يا ربّ هيجاء هي خير من دعة » أ يدفن عثمان في أقصى البقيع ، و يدفن الحسن في بيت النبيّ ؟ و الله لا يكون ذلك أبداً و أنا أحمل السيف إلى أن قال قال يحيى بن الحسن : و سمعت عليّ بن طاهر بن زيد يقول : لمّا أرادوا دفنه ركبت عايشة بغلا ، و استنفرت بني امية : مروان بن الحكم و من كان هناك منهم و من حشمتهم ، و هو قول القائل :

فيوما على بغل و يوما على جمل ٢

و في (تذكرة سبط ابن الجوزي) قال الواقدي : إنّ مروان لمّا منع من دفن الحسن عليه السّلام مع جدّه قال أبو هريرة : لو مات ابن لموسى أما كان يدفن مع أبيه ٣ ؟

و روى نصر بن مزاحم في (صفّينه) عن زيد بن بدر قال : بعث عبيد الله بن عمر إلى الحسن عليه السّلام فقال : إنّ لي إليك حاجة فالقني . فلقيه ، فقال له عبيد الله :

(١) منتخب ذيل المذيل للطبري : ١٩ ، و النقل بتقديم و تأخير .

(٢) المقاتل لأبي الفرج : ٤٨ ، ٤٩ .

(٣) تذكرة الخواص لابن الجوزي : ٢١٣ .

الصفحة ١١٢

إنّ أباك قد وتر قريشا أوّلا و آخرا ، و قد شنؤوه ، فهل لك أن تخلفه ، و نوليّك هذا الأمر ؟ قال : كلاً و الله لا يكون ذلك . ثم قال له الحسن عليه السّلام : لكأنّي أنظر إليك مقتولا في يومك أو غدك ، أما إنّ الشيطان قد زين لك و خدعك حتّى أخرجك مخلّقا بالخلق ، ترى نساء أهل الشّام موقفك ، و سيصرعك الله و يبطحك لوجهك قتيلا . قال : فو الله ما كان إلّا كيومه أو كالغد و كان القتال ، فخرج عبيد الله في كتيبة رقطاع و هي الخضرية ، كانوا أربعة آلاف عليهم ثياب خضر و نظر الحسن عليه السّلام فإذا هو برجل متوسد رجل قتيل ، قد ركز رمحه في عينه ، و ربط فرسه برجله . فقال الحسن لمن معه : انظروا من هذا ، فإذا هو برجل من همدان ،

و إذا القتيل عبيد الله ، قد قتله و بات عليه حتّى أصبح ١ .

و روى (ذيل الطبري) عن أبي المهزّم قال : كنّا مع أبي هريرة في جنازة ،

فلما رجعنا أعبى الحسين عليه السلام سعد ، فجعل أبو هريرة ينفض التراب عن قدميه بثوبه ، فقال له الحسين عليه السلام : أنت يا أبا هريرة تفعل هذا ؟ قال : دعني منك ، فلو يعلم الناس منك ما أعلم لحملوك على عواتقهم ٢ .

و روى (الاستيعاب) عن أبي هريرة قال : أبصرت عيناى هاتان و سمعت اذناى النبىّ صلى الله عليه و آله و هو آخذ بكفّي الحسين عليه السلام ، و قدماه على قدم النبىّ صلى الله عليه و آله و هو يقول : ترقّ عين بقّة فرقى الغلام ، حتّى وضع قدميه على صدر النبىّ صلى الله عليه و آله ، ثمّ قال له النبىّ صلى الله عليه و آله : افتح فاك . ثمّ قبله ، ثمّ قال : اللهمّ أحبّه فأنيّ أحبّه ٣ .

و عن ابن عباس قال : رأيت النبىّ صلى الله عليه و آله في ما يرى النائم نصف النهار ،

(١) وقعة صفين لابن مزاحم : ٢٩٧ .

(٢) منتخب ذيل المذيل للطبري : ٢٥ .

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر ١ : ٣٨٠ ، ٣٨٢ .

الصفحة ١١٣

و هو قائم أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم ، فقلت : بأبي أنت و أمي يا رسول الله ما هذا ؟ قال : هذا دم الحسين عليه السلام لم أزل ألتقطه منذ اليوم . فوجد قد قتل في ذلك اليوم ١ .

و روى (اسد الغابة) بأسانيد عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه قال : كنت في مسجد النبىّ صلى الله عليه و آله ، في حلقة فيها أبو سعيد الخدري و عبد الله بن عمرو بن العاص فمرّ بنا حسين بن علي عليه السلام فسلم ، فردّ القوم السلام ، فسكت عبد الله حتّى فرغوا فرفع صوته و قال : و عليك السلام و رحمة الله و بركاته . ثمّ أقبل على القوم فقال : ألا اخبركم بأحبّ أهل الأرض إلى أهل السماء ؟ قالوا : بلى . قال :

هو هذا الماشي ، ما كلمني كلمة منذ ليالي صفين ، و لأن يرضى عنيّ أحبّ إليّ من أن يكون لي حمر النعم . فقال أبو سعيد : ألا تعتذر إليه . قال : بلى . إلى أن قال فقال له الحسين عليه السلام : أعلمت يا عبد الله أنّي أحبّ أهل الأرض إلى أهل السماء ؟ قال : أي و ربّ الكعبة . قال : فما حملك على أن تقاقتني و أبي يوم صفين ؟ فو الله لأبي كان خيرا مني . قال : أجل و لكن عمرا أي : أباه شكاني إلى النبىّ الخبر ٢ في عذره الباطل .

و روى مصعب الزبيري في (نسب قريشه) : أن ابن عمر قال في رجل من أهل العراق سأله عن دم البعوض في ثوبه : انظروا هذا يسألني عن دم البعوض ، و قد قتلوا ابن رسول الله ، و قد سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول : الحسن و الحسين هما ريحانتي من الدنيا . قال مصعب : و حجّ الحسين عليه السلام خمسا و عشرين حجة ماشيا ٣ .

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ١ : ٣٨٠ ، ٣٨٢ .

(٢) اسد الغابة لابن الأثير ٣ : ٢٣٤ .

(٣) نسب قريش للزبيري : ٢٥ .

الصفحة ١١٤

أهل العراق سأله عن دم البعوض في ثوبه : انظروا هذا يسألني عن دم البعوض ، و قد قتلوا ابن رسول الله ، و قد سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول : الحسن و الحسين هما ريحانتي من الدنيا . قال مصعب : و حجّ الحسين عليه السلام خمسا و عشرين حجة ماشيا ١ .

و روى (تاريخ الطبري) عن حميد بن مسلم قال : دخلت على ابن زياد فإذا رأس الحسين عليه السلام موضوع بين يديه ، و إذا هو ينكت بقضيب بين ثناييه ساعة ، فلما رآه زيد بن أرقم لا ينجم عن نكته بالقضيب قال له : اعل بهذا القضيب عن هاتين الثنيتين ، فوالله الذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله على هاتين الشفتين يقبلهما . ثم انفخ الشيخ بيكي . فقال له ابن زياد : أبكى الله عينيك ، فوالله لو لا أنك شيخ قد خرفت و ذهب عقلك لضربت عنقك ٢ .

و رواه سبط ابن الجوزي و زاد : فقال زيد لابن زياد : لأحدثك حديثا أعظم من هذا ، رأيت رسول الله صلى الله عليه و آله أقعد حسنا على فخذة اليمنى ، و حسينا على فخذة اليسرى ، ثم وضع يده على يافوخيهما ثم قال : اللهم إني أستودعك إياهما و صالح المؤمنين . فكيف كانت ودعة رسول الله عندك يا ابن زياد ؟ ٣ .

و روى الطبري أيضا عن القاسم بن بخيت قال : أذن يزيد للناس فدخلوا و الرأس بين يديه ، و مع يزيد قضيب فهو ينكت به في ثغره ، ثم قال : إن هذا و إيانا كما قال الحصين بن حمام المرّي :

يفلن هاما من رجال أحبة

إينا و هم كانوا أعق و أظلما

فقال رجل من أصحاب النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقَالُ لَهُ : أَبُو بَرَزَةَ الْأَسْلَمِي : أَتَيْتَكَ

(١) نسب قريش للزبيرى : ٢٥ .

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٤٣٩ السنة ٦١ .

(٣) تذكرة الخواص لابن الجوزي : ٢٥٧ .

الصفحة ١١٥

بقضيبك في ثغر الحسين عليه السلام ؟ أما لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذا لربما رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَرشِفُهُ ١ .

و روى الطَّبْرِي عن حصين بن عبد الرَّحْمَنِ قَالَ : لَمَّا قَتَلَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِبَثْوَا شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ ، كَأَنَّمَا تَطْلُخُ الْحَوَائِطُ بِالذَّمَاءِ سَاعَةَ تَطْلُعِ الشَّمْسِ حَتَّى تَرْتَفِعَ ٢ .

و روى في (ذيل تاريخه) عن شيخ من النَّخَعِ قَالَ : قَالَ الْحِجَاجُ : مَنْ كَانَ لَهُ بَلَاءٌ فَلْيَقُمْ . فَقَامَ قَوْمٌ فَذَكَرُوا ، وَ قَامَ سَنَانُ بْنُ أُنْسٍ فَقَالَ : أَنَا قَاتِلُ الْحُسَيْنِ .

فَقَالَ : بَلَاءٌ حَسَنٌ ، وَ رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَاعْتَقَلَ لِسَانَهُ وَ ذَهَبَ عَقْلَهُ ، فَكَانَ يَأْكُلُ وَ يَحْدُثُ مَكَانَهُ ٣ .

و روى ثعلب في أوّل الثاني من (مجالسه) عن أبي جناب الكلبي قال :

أَتَيْتُ كَرْبَلَا ، فَقُلْتُ لِرَجُلٍ مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ بِهَا : بَلِّغْنَا أَنْكُمْ تَسْمَعُونَ نَوْحَ الْجَنِّ ؟ قَالَ : مَا تَلْقَى حَرًّا وَ لَا عِبْدًا إِلَّا أَخْبَرَكَ أَنَّهُ سَمِعَ ذَلِكَ . قُلْتُ : فَأَخْبِرْنِي مَا سَمِعْتَ أَنْتَ ؟ قَالَ : سَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ :

مسح الرسول جبينه

فله بريق في الخدود

أبواه من عليا قريش

جدّه خير الجدود ٤

و عن السدي قال : أتيت كربلا أبيع البرّ بها ، فعمل لنا شيخ من طي طعاما فتعشينا عنده ، فذكرنا قتل الحسين عليه السلام ، فقلت : ما شرك في قتله أحد إلا مات بأسوأ ميتة . فقال : ما أكذبكم يا أهل العراق فأنا فيمن شرك في ذلك . فلم يبرح حتى دنا من المصباح و هو يتقد بنفط ، فذهب يخرج الفتيلة بإصبعه ، فأخذت

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣٥٦ سنة ٦١ .

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٢٩٦ سنة ٦٠ ، و أنساب البلاذري ٣ : ٢٠٩ ح ٥٣ و غيرهما .

(٣) منتخب ذيل المذيل للطبري : ٢٥ .

(٤) مجالس ثعلب ٢ : ٤٠٧ .

الصفحة ١١٦

النار فيها ، فأخذ يطفئها بريقه ، فأخذت النار في لحيته ، فعدا فألقى نفسه في الماء ، فرأيته كأنه حممة ١ .

و روى الطبري عن حميد بن مسلم قال : قال عبد الله بن أبي حصين الأزدي للحسين عليه السلام : ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء ، و الله لا تنوق منه قطرة حتى تموت عطشا . فقال الحسين عليه السلام : اللهم اقتله عطشا ، و لا تغفر له أبدا . قال حميد بن مسلم : و الله لعدته بعد ذلك في مرضه ، فو الله الذي لا إله إلا هو لقد رأيت يشرّب حتى يبغر ثم يقىء ، ثم يعود فيشرّب حتى يبغر ، فما يروى ،

فما زال ذلك دأبه حتى لفظ غصته . يعني نفسه ٢ .

و عن القاسم بن أصبغ بن نباتة ، قال : حدّثني من شهد الحسين عليه السلام في عسكره : أنّ حسينا حين غلب على عسكره ركب المسناة يريد الفرات ، فقال رجل من بني أبان بن دارم : ويلكم حولوا بينه و بين الماء لا تنام إليه شيعته .

و ضرب فرسه ، و اتبعه الناس حتى حالوا بينه و بين الفرات ، فقال الحسين عليه السلام : اللهم أظمه إلى أن قال فو الله إن مكث الرجل إلا يسيرا حتى صبّ الله عليه الظمأ ، فجعل لا يروى . قال القاسم بن الأصبغ : لقد رأيتني في من يروح عنه ، و الماء يبرّد له فيه السكر ، و عساس فيها اللين ، و قلال فيها الماء ،

و إنه ليقول : ويلكم اسقوني قتلي الظمأ فيعطى القلّة أو العسّ كان مرويا أهل بيت فيشربه ، فإذا نزرعه من فيه اضطجع الهنيهة ، ثم يقول : ويلكم اسقوني قتلي الظمأ . فو الله ما لبث إلا يسيرا حتى انقذ بطنه ، انقذاد بطن البعير ٣ .

و روى عن مسروق بن وائل قال : كنت في أوائل الخيل ممن سار إلى الحسين عليه السلام ، فقلت : أكون في أوائلها لعلّي اصيب رأس الحسين ،

(١) مجالس ثعلب ٢ : ٤٠٧ .

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٣١٢ ، ٣٤٣ سنة ٦١ .

(٣) تاريخ الطبري ٤ : ٣١٢ ، ٣٤٣ سنة ٦١ .

الصفحة ١١٧

فاصيب به منزلة عند عبيد الله بن زياد ، فلما انتهينا إلى الحسين تقدّم رجل من القوم يقال له : ابن حوزة فقال : أفيكم حسين ؟ فسكت الحسين ،

فقالها ثانية ، فسكت حتى إذا كانت الثالثة قال : قولوا : نعم ، هذا حسين ،

فما حاجتك ؟ قال : يا حسين أبشر بالنار . قال : كذبت ، بل أقدم على ربّ غفور ،

و شفيع مطاع ، فمن أنت ؟ قال : ابن حوزة . فرفع الحسين يديه حتى رأينا بياض إبطيه من فوق الثياب ، ثم قال : اللهم حره إلى النار . فغضب ابن حوزة ،

فذهب ليقحم إليه الفرس و بينه و بينه نهر فعلفت قدمه بالركاب ، و جالت به الفرس فسقط عنها ، فانقطعت قدمه و ساقه و فخذة ، و بقي جانبه الآخر متعلقًا بالركاب . قال عبد الجار أخو مسروق فرجع مسروق و ترك الخيل من ورائه ، فسألته فقال : لقد رأيت من أهل هذا البيت شيئًا لا اقاتلهم أبداً ١ .

و عن عفيف بن زهير و كان قد شهد مقتل الحسين عليه السلام قال : و خرج يزيد بن معقل فقال يا برير بن حضير : كيف ترى الله صنع بك ؟ قال : صنع الله و الله بي خيرا ، و صنع الله بك شرًا . قال : كذبت ، و قبل اليوم ما كنت كذابا ، هل تذكر و أنا اماشيك في بني لو ذان و أنت تقول : إنّ عثمان بن عفان كان على نفسه مسرفا ، و إنّ معاوية بن أبي سفيان ضالّ مضلّ ، و إنّ إمام الهدى و الحقّ عليّ بن أبي طالب ؟ فقال له برير : أشهد أنّ هذا رأيي و قولي . فقال له يزيد : فإنّي أشهد أنّك من الضالّين . فقال

له برير : هل لك فلا باهلك ، و لندع الله أن يلعن الكاذب ، و أن يقتل المبطل إلى أن قال ثم برز كل واحد منهما لصاحبه ،

فاختلفا ضربتين ، فضرب يزيد بريرا ضربة خفيفة لم تضره شيئا ، و ضربه برير ضربة قذت المغفر و بلغت الدماغ ، فخر كأنما هوى من حالق ، و إن سيف

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣٢٨ سنة ٦١ .

الصفحة ١١٨

بن حضير لثابت في رأسه ، فكأنني أنظر إليه ينضضه من رأسه ١ .

و روى أبو الفرج في (مقاتله) عن مورع بن سعيد بن قيس قال : حدثنا من شهد الحسين عليه السلام ، قال : كان معه ابنه الصغير ، فجاء سهم فوقع في نحره ،

فجعل الحسين عليه السلام يأخذ الدم من نحره و ليته فيرمي به إلى السماء ، فما يرجع منه شيء و يقول : اللهم لا يكون أهون عليك من فصيل . . . ٢ و عن القاسم بن الأصبع بن نباتة قال : رأيت رجلا من بني أبان بن دارم أسود الوجه ، و كنت أعرفه جميلا شديد البياض ، فقلت له : ما كدت أعرفك قال :

إنني قتلت شابا أمرد مع الحسين عليه السلام ، بين عينيه أثر السجود ، فما نمت ليلة منذ قتلته إلا أتاني ، فيأخذ بتلابيبي حتى يأتي جهنم ، فيدفعني فيها ، فأصيح فما يبقى أحد في الحي إلا سمع صياحي . قال : و المقتول العباس بن علي ٣ .

و روى الطبري عن حميد بن مسلم قال : لما بقي الحسين عليه السلام في ثلاثة رهط أو أربعة دعا بسراريل محققة ، يلمع فيها البصر يمانى محقق ففرزه و نكته لكيلا يسلبه . قال : فلما قتل أقبل بحر بن كعب فسلبه إياه فتركه مجردا إلى أن قال : إن يديه كانتا في الشتاء ينضحان الماء ، و في الصيف يببسان كأنهما عود ٤ .

و روى عن حميد بن مسلم أن الحسين عليه السلام مكث طويلا من النهار ، كلما انتهى إليه رجل من الناس انصرف عنه و كره أن يتولى قتله و عظيم إثمه عليه ،

و إن رجلا من كندة يقال له : مالك بن النّسير من بني بدّاء ، أتاه فضربه على رأسه بالسيف و عليه برنس له فقطع البرنس ، و أصاب السيّف رأسه فأدمى

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣٢٨ سنة ٦١ .

(٢) مقاتل الطالبين لأبي الفرج : ٥٩ .

(٣) مقاتل الطالبين لأبي الفرج : ٧٨ .

(٤) تاريخ الطبري ٤ : ٢٤٥ ، ٣٤٢ ، ٣٤٧ سنة ٦١ و النقل بتقطيع .

الصفحة ١١٩

رأسه ، فامتلاً البرنس دما ، فقال له الحسين عليه السّلام : لا أكلت بها و لا شربت ،

و حشرك الله مع الظالمين . قال : فذكر أنّه لم يزل فقيرا بشراً حتى مات ١ .

و روى عن حميد أيضا أنّ عمر بن سعد لما نادى من ينتدب للحسين انتدب عشرة ، منهم إسحاق بن حياة الحضرمي و هو الذي سلب قميص الحسين عليه السّلام فبرص بعد و أحبش بن مرثد بن علقمة بن سلامة الحضرمي ،

فأتوا فداسوا الحسين عليه السّلام بخيولهم ، حتّى رضوا ظهره و صدره ، فبلغني أنّ أحبش بن مرثد أتاه بعد ذلك بزمان ، أتاه سهم غرب و هو واقف في قتال ، ففلق قلبه فمات ٢ .

و روى عن نوار بنت مالك بن عقرب الحضرميّة امرأة خولى و كانت ليلتها منه قالت : أقبل خولى برأس الحسين عليه السّلام ، فوضعه تحت إجانة في منزله لما وجد باب القصر مغلقا ، قلت له : جئت برأس ابن رسول الله ؟ لا و الله لا يجمع رأسي و رأسك ببيت أبدا . فقامت من فراشي ، فخرجت إلى الدّار ، فدعا الأسدية امرأته الاخرى ، و جلست أنظر ، فو الله ما زلت أنظر إلى نور يسطع مثل العمود من السّماء إلى الإجانة ، و رأيت طيرا بيضا ترفرف حولها ٣ .

و روى عن عمرو بن عكرمة قال : أصبحنا صبيحة قتل الحسين عليه السّلام بالمدينة ، فإذا مولى لنا يحدثنا ، قال : سمعت البارحة مناديا و هو يقول :

أيها القاتلون جهلا حسينا

أبشروا بالعذاب و التّكليل

كلّ أهل السّماء يدعو عليكم
من نبيّ و ملك و قبيل

قد لعنتم على لسان ابن داود و موسى و حامل الإنجيل ٤

- (١) تاريخ الطبري ٤ : ٢٤٥ ، ٣٤٢ ، ٣٤٧ سنة ٦١ و النقل بتقطيع .
(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٢٤٥ ، ٣٤٢ ، ٣٤٧ سنة ٦١ و النقل بتقطيع .
(٣) تاريخ الطبري ٤ : ٣٤٨ سنة ٦١ ، و مقتل الحسين لأبي مخنف : ١٤٢ ، و النقل بتصريف في اللفظ .
(٤) تاريخ الطبري ٤ : ٣٥٨ سنة ٦١ .

الصفحة ١٢٠

و رواه السبّط عن هشام الكلبي ، و زاد : فكانوا يرون أنه بعض الملائكة ،
و قد أكثر الناس فيها ١ .

و في (تذكرة السبّط) عن (سيرة ابن هشام) مسندا قال : لما أنفذ ابن زياد رأس الحسين عليه السّلام إلى يزيد مع الاسارى موثقين في الحبال ، منهم نساء و صبيان و صبيبات من بنات الرّسول صلّى الله عليه و آله على أفتاب الجمال ، موثقين مكشفات الوجوه و الرّؤوس ، كلّما نزلوا منزلا أخرجوا الرّأس من صندوق أعدّوه له ، فوضعه على رمح و حرسوه طول الليل إلى وقت الرّحيل ، ثمّ يعيدونه إلى الصندوق و يرحلون ، فنزلوا بعض المنازل ، و في ذلك المنزل دير فيه راهب ، فأخرجوا الرّأس على عادتهم ، و وضعوه على الرّمح ، و حرسه الحرس على عادته ، و أسندوا الرّمح إلى الدّير ، فلمّا كان في نصف الليل رأى الرّاهب نورا من مكان الرّأس إلى عنان السماء ، فأشرف على القوم ، و قال : من أنتم ؟ قالوا : نحن أصحاب ابن زياد . قال : و هذا رأس من ؟ قالوا : رأس الحسين بن علي بن أبي طالب بن فاطمة بنت الرّسول . قال : نبيكم ؟ قالوا : نعم . قال : بئس القوم أنتم ، لو كان للمسيح ولد لأسكنناه أحداقنا . ثمّ قال : هل لكم في شيء ؟

قالوا : و ما هو ؟ قال : عندي عشرة آلاف دينار تأخذونها و تعطوني الرّأس يكون عندي تمام اللّيلة ، و إذا رحلتم تأخذونه . قالوا : و ما يضرّنا ؟ قال : فناولوه الرّأس و ناولهم الدّنانير ، فأخذ الرّاهب فغسله و

طبيبه و تركه على فخذة ، و قعد يبكي الليل كله ، فلما أسفر الصبح قال : يا رأس لا أملك إلا نفسي ، و أنا أشهد أن لا إله إلا الله ، و أن جدك محمدا رسول الله ، و اشهد الله أنني مولاك و عبدك . ثم خرج عن الدير و ما فيه ، و صار يخدم أهل البيت ، ثم إنهم أخذوا الرأس و ساروا فلما قربوا من دمشق قال بعضهم لبعض : تعالوا حتى نقسم الدنانير ، لا يراها

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : ٢٠٧ .

الصفحة ١٢١

يزيد فيأخذها منّا ، فأخذوا الأكياس و فتحوها ، فإذا الدنانير قد تحوّلت خزفا ،

و على أحد جانبي الدينار مكتوب : و لا تحسبنّ الله غافلا عما يعمل الظالمون . . . ١ ، و على الجانب الآخر . . . و سيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون ٢ . فرمواها في بردى (نهر بدمشق) ٣ .

و فيه مسندا عن مروان بن الوضين ، قال : نحرت الإبل التي حمل عليها رأس الحسين عليه السلام و أصحابه ، فلم يستطيعوا أكل لحومها ، كانت أمرّ من الصبر ٤ .

و فيه حكى الزهري عن أمّ سلمة قالت : ما سمعت نواح الجنّ إلا في الليلة التي قتل فيها الحسين عليه السلام ، سمعت قائلا يقول :

ألا يا عين فاختلفي بجهد
و من يبكي على الشهداء بعدي

على رهط تقودهم المنايا
إلى متجبر في ثوب عبد

فعلمت أن قد قتل الحسين عليه السلام .

و قال الشعبي : سمع أهل الكوفة قائلا يقول في الليل :

أبكي قتيلا بكر بلا
مضرج الجسم بالدماء

أبكي قَتِيلَ الطَّغَاةِ ظَلَمَا
بغير جرم سوى الوفاء

أبكي قَتِيلًا بَكَى عَلَيْهِ
من ساكن الأرض و السَّمَاءِ

هتَكَ أَهْلُوهُ وَ اسْتَحَلُّوا
ما حَرَّمَ اللَّهُ فِي الْإِمَاءِ

يا بِأَبِي جِسْمِهِ الْمَعْرَى
إِلَّا مِنْ الدِّينِ وَ الْحَيَاءِ

(١) إِبْرَاهِيمَ : ٤٢ .

(٢) الشُّعْرَاءُ : ٢٢٧ .

(٣) نقله سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص : ٢٦٣ عن سيرة ابن هشام ، و لكنه لم يوجد في السيرة ،
و يبعد جدًا كونه فيه ، إذ لم يتعلق موضوعه بسيرة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ .

(٤) تذكرة الخواص : ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

الصفحة ١٢٢

كَلَّ الرِّزَايَا لَهَا عِزَاءَ
وَ مَا لِهَذَا الرِّزَا عِزَاءَ

وَ قَالَ الزَّهْرِيُّ : نَاحَتْ عَلَيْهِ الْجَنُّ فَقَالَتْ :

خَيْرَ نِسَاءِ الْجَنِّ يَبْكِينَ شَجِيَّاتٍ
وَ يَلْطَمْنَ خُدُودًا كَالدَّنَانِيرِ نَقِيَّاتٍ

وَ يَلْبَسْنَ ثِيَابَ السُّودِ بَعْدَ الْقَصَبِيَّاتِ ١

و قال : ذكر ابن سعد في (الطبقات) : أن هذه الحمرة لم تر في السماء قبل أن يقتل الحسين عليه السلام .
٢ . و قال ابن سيرين : لما قتل الحسين أظلمت الدنيا ثلاثة أيام ، ثم ظهرت هذه الحمرة ٣ .

و روى مسندا عن هلال بن ذكوان قال : لما قتل الحسين عليه السلام مكثنا شهرين أو ثلاثة كأنما لطخت الحيطان بالدم ، من صلاة الفجر إلى غروب الشمس ، و خرجنا في سفر فمطرنا مطرا بقي أثره في ثيابنا مثل الدم ٤ .

و قال ابن سعد : ما رفع حجر في الدنيا إلا و تحته دم عبيط ، و لقد مطرت السماء دما ، بقي أثره في الثياب مدة حتى تقطعت ٥ .

و قال ابن سيرين : وجد حجر قبل مبعث النبي صلى الله عليه و آله بخمسائة سنة عليه مكتوب بالسريانية ، فنقلوه إلى العربية ، فإذا هو :

أترجو أمّة قتلت حسينا

شفاعه جدّه يوم الحساب ٦

و قال سليمان بن يسار : وجد حجر عليه مكتوب :

لا بد أن ترد القيامة فاطمه

و قميصها بدم الحسين ملطّخ

ويل لمن شفاعؤه خصماؤه

و الصّور في يوم القيامة ينفخ ٧

و قال الزّهري : ما بقي منهم (ظالميه و قاتليه) أحد إلا و عوقب في الدنيا ،

(١) تذكرة الخواص : ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

(٢ و ٣ و ٤) تذكرة الخواص : ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

(٥ و ٦ و ٧) تذكرة الخواص : ٢٧٤ .

إمّا بالقتل ، أو العمى ، أو سواد الوجه ، أو زوال الملك في مدّة يسيرة ١ .

و حكى الواقدي عن ابن الرّماح قال : كان بالكوفة شيخ أعمى قد شهد قتل الحسين عليه السّلام ، فسألناه يوماً عن ذهاب بصره ، فقال : كنت في القوم و كنا عشرة ، غير أنّي لم أضرب بسيف ، و لم أظعن برمح ، و لا رميت بسهم ، فلمّا قتل الحسين عليه السّلام و حمل رأسه رجعت إلى منزلي ، و أنا صحيح و عينايا كأنّهما كوكبان ، فنمت تلك الليلة فأتاني آت في المنام ، فقال : أجب رسول الله . قلت :

مالي و لرسول الله ؟ فأخذ بيدي و انتهرني و لزم تلبابي ، و انطلق بي إلى مكان فيه جماعة ، و النبيّ صلّى الله عليه و آله جالس و هو مغتمّ متحيّر حاسر عن ذراعيه ، و بيده سيف ، و بين يديه نطع ، و إذا أصحابي العشرة مذبحين بين يديه ، فسلمت عليه ،

فقال : لا سلّم الله عليك ، و لا حيّاك يا عدوّ الله الملعون ، أما استحييت منّي تهتك حرمتي ، و تقتل عترتي ، و لم ترع حقّي ؟ قلت : يا رسول الله ما قاتلت . قال : نعم ،

و لكنك كثرت السّواد . قال : و أذن بطست عن يمينه فيه دم الحسين عليه السّلام ، فقال :

اقعد . فجنّوت بين يديه ، فأخذ مرودا و أحماه ، ثمّ كحل به عيني ، فأصبحت أعمى كما ترون ٢ .

و حكى هشام بن محمّد عن القاسم بن الأصبغ المجاشي قال : لمّا اتى بالرّؤوس إلى الكوفة ، إذا بفارس أحسن النّاس وجها ، قد علق في لبب فرسه رأس غلام أمرد كأنّه القمر ليلة تمامه ، و الفرس يمرح ، فإذا طأطأ رأسه لحق الرّأس بالأرض . فقلت له : رأس من هذا ؟ فقال : هذا رأس العباس بن عليّ . قلت :

و من أنت ؟ قال : حرملة بن كاهل الأسدي . فلبثت أيّاما و إذا بحرملة و وجهه أشد سوادا من القار . فقلت له : لقد رأيتك يوم حملت الرّأس ، و ما في العرب أنضر

(١) تذكرة الخواص : ٢٨٠ .

(٢) تذكرة الخواص : ٢٨١ .

وجها منك ، و ما أرى اليوم أقبح و أسود وجها منك ؟ فبكى ، و قال : و الله منذ حملت الرأس إلى اليوم ، ما تمرّ عليّ ليلة إلاّ و اثنان يأخذان بضبعي ، ثمّ ينتهيان بي إلى نار تأجج فيدفعاني فيها ، و أنا أنكص فتسعنني كما ترى . ثمّ مات على أقبح حال ١ .

و في (بيتمة الدهر) للثعالبي في أبي القاسم عليّ بن بشر : قال لي محمد بن عمر الزّاهر : أخبرني ابن بشر أنه كان له جدّ لام يعرف بكولان ، و كان هو من أهل الأدب و الكتابة و حسن الشعر و الخطابة ، قال لي : حجبت سنة من السنين و جاورت بمكة حرسها الله فاعتلت علة تطاولت بي وضاق معها خلقي ، ثمّ صلحت منها بعض الصّلاح ، ففكرت في أنّي عملت في أهل البيت تسعا و أربعين قصيدة مدحا فقلت : أكملها خمسين . ثمّ ابتدأت فقلت :

بني أحمد يا بني أحمد

ثمّ ارتج عليّ ، فلم أقدر على زيادة ، فعظم ذلك عليّ ، و اجتهدت في أن أكمل البيت فلم أقدر ، فحدث لي من الغمّ بهذه الحالة ما زاد على غمي بإضافتي و علّتي ، فنمت اهتماما بالحال ، فرأيت النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم ، فجنّت إليه فشكوت إليه ممّا أنا فيه من الإضاعة و ما أجده من العلة ، و اخرى من القلة ، فقال لي : تصدّق بوسعك عليك ، و صمّ يصحّ جسمك . فقلت له : يا رسول الله و أعظم ممّا شكوته إليك أنّي رجل شاعر أتشيع ، و أخصّ بالمحبّة ولدك الحسين عليه السّلام ، و تداخلني له رحمة لما جرى عليه من القتل ، و كنت قد عملت في أهل بيتك تسعا و أربعين قصيدة ، فلمّا خلوت بنفسي في هذا الموضع حاولت أن أكملها خمسين ، فبدأت قصيدة قلت فيها مصراعا و ارتج عليّ إجازته ، و نفر عني كلّ ما كنت أعرفه ،

فما أقدر على قول حرف . قال : فقال لي قولنا فيه إلى أنه ليس هذا إليّ ، لقول

(١) تذكرة الخواص : ٢٨١ .

الصفحة ١٢٥

الله تعالى : و ما علّمناه الشعر و ما ينبغي له . . . ١ . ثمّ قال لي : اذهب إلى صاحبك و أوما بيده الشريفة إلى ناحية من نواحي المسجد و أمر رسولا أن يمضي بي إلى حيث أوما ، فمضى بي الرسول على ناس معهم عليّ بن أبي طالب عليه السّلام ، فقال له الرسول : أخوك وجّه إليك بهذا الرّجل فاسمع ما يقوله . قال :

فسلمت عليه و قصصت عليه قصتي كما قصصت على النبي صلى الله عليه وآله و سلم فقال لي :

فما المصراع ؟ قلت :

بني أحمد يا بني أحمد

فقال للوقت قل :

بكت لكم عمد المسجد

بيثرب و اهتز قبر النبي

أبي القاسم السيد الأصيل

و أظلمت الافق افق البلاد

و ذرّ على الأرض كالأنمد

و مكة مادت ببطحائها

لإعظام فعل بني الأعبد

و مال الحطيم بأركانها

و ما بالبنية من جلمد

و كان وليكم خاذلا

و لو شاء كان طويل اليد ٢

و روى (أمالي الشيخ) قبل مجلسه الأخير عن جارية بني محم ، قالت :

كان عندنا رجل خرج على الحسين عليه السلام ، ثم جاء بجمل و زعفران ، فلما دقوا الزعفران صار نارا ، فجعلت المرأة تأخذ منه الشيء فتلطخه على يدها فيصير منه برص ، و نحروا البعير ، فكلما جزوا

بالسكين صار مكانها ناراً ، فجعلوا يسلخونه فيصير مكانه ناراً ، فقطعوه فخرج منه النار ، و كلما جعلوا في القدر فارت القدر ناراً ، فجعلوه في الجفنة فصار ناراً ، و كنت صبية يومئذ فأخذت

(١) يس : ٦٩ .

(٢) يتيمة الدهر ١ : ٤٠٦ .

الصفحة ١٢٦

عظما منه ، فطيتت عليه فسقط فاخترناه نضع منه اللعاب ، فلما جزناه بالسكين خرج عن مكانه نار ، فعرنا أنه ذلك العظم فدناه ١ .

و في (تذكرة السبط) أيضا : جاء ابن زياد منزل الموصل في ثلاثين ألفا ،

فجهز إليه المختار إبراهيم بن الأشتر في ثلاثة آلاف و قيل في سبعة آلاف ،

و ذلك في سنة سبع و ستين ، فالتقى بابن زياد فقتله على الزاب ، و كان من غرق من أصحابه أكثر ممن قتل ٢ .

و ذكر ابن جرير عن إبراهيم بن الأشتر أنه قال : قتلت رجلا شممت منه رائحة المسك على شاطي نهر جادر ، ضربته فقددته نصفين ، و بعث ابن الأشتر برأس ابن زياد إلى المختار ، فجلس في القصر و القيت الرؤوس بين يديه ، فألقاها في المكان الذي وضع فيه رأس الحسين عليه السلام و أصحابه ، و نصب المختار رأس ابن زياد في المكان الذي نصب فيه رأس الحسين عليه السلام ، ثم ألقاه في اليوم الثاني في الرحبة مع الرؤوس ٣ .

قال عمّار بن عمير : فيينا أنا واقف عند الرؤوس بالكناسة إذ قال الناس :

قد جاءت ، قد جاءت ، فإذا حية عظيمة تتخلل الرؤوس ، حتى دخلت في منخري ابن زياد و خرجت فغابت ساعة ، ثم عادت ففعلت كذلك . و قيل : إنما فعلت الحية ذلك بالقصر بين يدي المختار ، فقال المختار : دعوها ، دعوها . و في رواية فعلت ذلك ثلاثة أيام ٤ .

و في (معارف الصحاب بن عبّاد) : كان سبب موت يزيد أنه سكر فقام يرقص ، فسقط على رأسه فبدا دماغه ٥ .

- (١) أمالي الطوسي ٢ : ٣٣٦ المجلس ٢٥ .
 (٢) تذكرة ابن الجوزي : ٢٨٦ ، و روى الأخير الطبري في تاريخه ٤ : ٥٥٥ سنة ٦٧ .
 (٣) تذكرة ابن الجوزي : ٢٨٦ ، و روى الأخير الطبري في تاريخه ٤ : ٥٥٥ سنة ٦٧ .
 (٤) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : ٢٨٦ .
 (٥) لم أظفر بمصدر نقله .

الصفحة ١٢٧

و في (حياة الحيوان) للدّميري : قال أبو القاسم الإصبهاني في (الترغيب و الترهيب) : قال قيس بن عبادة : بلغني أنّ الوحش كانت تصوم عاشوراء .

و قال الفتح بن سخر و كان من الزّهاد : كنت افتت للنمل خبزا في كلّ يوم فإذا كان يوم عاشوراء لم تأكله ١ .

و من عظم مصيبتة سمّي يوم التاسع من محرم بتاسوعاء ، لأنّه اليوم الذي حوّر عليه السّلام فيه ، و سمّي يوم عاشوره بعاشوراء ، لأنّه اليوم الذي قتل فيه ،

قال ابن دريد في (جهرته) : و عاشوراء يوم سمّي في الإسلام و لم يعرف في الجاهليّة ٢ .

و قال الفيروز آبادي في (قاموسه) : إنّ تاسوعاء محدث ٣ .

و في (مناقب الكنجي الشافعي) عن أبي قبيل قال : لما قتل الحسين عليه السّلام انكسفت الشّمس كسفة ، حتّى بدت الكواكب نصف النّهار ، حتّى ظننّا أنّها هي ٤ .

و عن الزّهري : قال عبد الملك لي : أي واحد أنت إن أخبرتني أيّ علامة كانت يوم قتل الحسين بن عليّ ؟ قلت : لم ترفع حصاة في بيت المقدس إلّا وجد تحتها دم عبيط . فقال لي عبد الملك : إيّ و إيّاك في هذا الحديث قرينان ٥ .

و روى : أنّه لما اجتزوا رأس الحسين عليه السّلام قعدوا في أوّل مرحلة يشربون و يتبجّحون بالرّأس ، فخرج عليهم قلم من حديد من حائط فكتب بسطر دم :

- (١) حياة الحيوان للدميري ٢ : ٣٩٢ مادة (وحش) .
 (٢) جمهرة اللغة لابن دريد ٢ : ٣٤٣ مادة (عشر) .
 (٣) القاموس المحيط ٣ : ٩ مادة (تسع) ، و نصه : « و التاسوعاء قبل يوم عاشوراء مولد » .
 (٤) كفاية الطالب للكنجي : ٢٩٦ .
 (٥) كفاية الطالب للكنجي : ٢٩٦ .

الصفحة ١٢٨

أ تَرَجُو أُمَّةً قَتَلَتْ حُسَيْنًا

شَفَاعَةَ جَدِّهِ يَوْمَ الْحِسَابِ ١

و روى عن ابن سيرين أنه قال : لم تَبْكِ السَّمَاءُ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ يَحْيَى إِلَّا عَلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ٢ .

و روى : أنه لما اجري الماء على قبر الحسين عليه السَّلَامُ نضب الماء بعد أربعين يوما ، و امتحى أثر القبر ، فجاء أعرابي من بني أسد ، فجعل يأخذ قبضة قبضة من التراب و يشمه ، حتى وقع على القبر ، فبكى و قال : بأبي أنت و أمي ،

ما كان أطيبك حيًّا و أطيب تربتك ميتًا . ثم أنشأ يقول :

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه

و طيب تراب القبر دلَّ على القبر ٣

و في (مقاتل أبي الفرج) : كان السَّببُ في كرب (المتوكَّل) قبر الحسين عليه السَّلَامُ : أنَّ بعض المغنَّيات كانت تبعث بجواربها إليه قبل الخلافة يغنين له إذا شرب ، فلما وليها بعث إلى تلك المغنية فعرف أنها غائبة ، و كانت قد زارت قبر الحسين عليه السَّلَامُ ، و بلغها خبره فأسرعت الرجوع ، و بعثت إليه بجارية من جواربها كان يألفها ، فقال لها : أين كنتم ؟ قالت : خرجت مولاتي إلى الحجِّ ،

و أخرجتنا معها و كان ذلك في شعبان فقال : إلى أين حججتم في شعبان ؟

قالت : إلى قبر الحسين عليه السَّلَامُ . فاستطير غضبا ، و أتى بمولاتها فحبست و استصفى أملاكها ، و بعث برجل من أصحابه يقال له : الديزج و كان يهوديًّا فأسلم إلى قبر الحسين عليه السَّلَامُ ، و أمره بكرب

قبره و محوه ، و إخراب كل ما حوله ، فمضى لذلك و خرب ما حوله و هدم البناء ، و كرب ما حوله نحو مائتي جريب ، فلما بلغ إلى قبره لم يتقدم إليه أحد ، فأحضر قوما من اليهود فكربوه ،

(١) كفاية الطالب للكنجي : ٢٩١ .

(٢) كفاية الطالب للكنجي : ٢٨٩ .

(٣) كفاية الطالب للكنجي : ٢٩٣ .

الصفحة ١٢٩

و أجرى الماء حوله ، و وكّل به مسالح ، بين كلّ مسلحتين ميل ، لا يزوره زائر إلا أخذوه ، و وجّه به إليه .

فحدّثني محمد بن الحسين الأشناني قال : بعد عهدي بالزيارة في تلك الأيام خوفا ، ثمّ عملت على المخاطرة بنفسي فيها ، و ساعدني رجل من العطارين على ذلك ، فخرجنا زائرين نكمن بالنهار و نسير الليل ، حتّى أتينا نواحي الغاضرية ، و خرجنا منها نصف الليل ، فسرنا بين مسلحتين و قد ناموا حتّى أتينا القبر ، فخفي علينا فجعلنا نشمّه و نتحرّى جهته ، حتّى أتيناها و قد قلع الصندوق الذي كان حواليه ، و احرق و اجري الماء عليه ، فانخسف موضع اللبن و صار كالخندق ، فزرناه و أكبنا عليه فشمنا منه رائحة ما شممت مثلها كشيء من الطيب ، فقلت للعطار الذي كان معي : أي رائحة هذه ؟ فقال : بلى و الله ما شممت مثلها كشيء من العطر . فودّعناه ، و جعلنا حول القبر علامات في عدّة مواضع ، فلما قتل المتوكّل اجتمعنا مع جماعة من الطالبين و الشيعة ،

حتّى صرنا إلى القبر ، فأخرجنا تلك العلامات و أعدناه إلى ما كان عليه ١ .

و روى (أمالي ابن الشيخ) عن يوحنا المتطبب النصراني قال : وجّه إليّ سابور الكبير الخادم الرشيدي في الليل ، فصرت إليه ، فمضى و أنا معه حتّى دخلنا على موسى بن عيسى الهاشمي ، فوجدناه زائل العقل متكئا على و سادة ، و إذا بين يديه طست فيه حشو جوفه ، و كان الرشيدي أحضره من الكوفة ، فقال سابور لخدم له : ما خبره ؟ قال : كان من ساعته جالسا و حوله ندماءه ، و هو من أصحّ الناس جسما ، إذ جرى ذكر الحسين عليه السلام فقال موسى :

إنّ الرافضة لتغلو فيه حتّى إنهم في ما عرفت يجعلون تربته دواء . فقال له رجل هاشمي : قد كان لي علّة غليظة فتعالجت بكلّ علاج ، فما نفعني حتّى

(١) المقاتل لأبي الفرج : ٣٩٥ .

الصفحة ١٣٠

وصف لي كاتبني أن آخذ من هذه التربة ، فأخذت فنفعني الله بها . قال موسى :

فبقي عندك منها شيء ؟ قال : نعم . فوجه من جاء منها بقطعة ، فناولها موسى ،

فأخذها و استدخلها دبره استهزاء ، فما هو إلا أن استدخلها حتى صاح : النار النار ، الطست الطست . فجنناه بطست فأخرج فيها ما ترى . فقال لي سابور :

انظر هل ترى من حيلة . فدعوت بشمعة ، فإذا كبده و طحاله و ريته و فؤاده خرج منه في الطست . فقال : ما لأحد حيلة إلا أن يكون عيسى الذي كان يحيي الموت .

فمات في السحر . و كان يوحنا يزور قبر الحسين عليه السلام ، و هو على دينه ، ثم أسلم و حسن إسلامه . ١

هذا ، و في معنى قوله عليه السلام : « فإنني أنفس بهذين على الموت » قول الشاعر :

فإنني بالجموح و ام بكر

و دولح فاعلموا حجوضنين

« لئلا ينقطع بها نسل رسول الله صلى الله عليه و آله » قال ابن أبي الحديد : فإن قلت : أيجوز أن يقال للحسن و الحسين و ولدهما أبناء رسول الله ؟ قلت : نعم ، لأن الله تعالى سماهم أبناءه في قوله : . . . ندع أبناءنا و أبناءكم . . . ٢ . و إنما عنى الحسن و الحسين إلى أن قال فإن قلت : أتقول : إن ابن البنت ابن على الحقيقة الأصلية أم على سبيل المجاز ؟ قلت : لذاذهب أن يذهب إلى أنه حقيقة أصلية ، لأن أصل الإطلاق الحقيقة ، و قد يكون اللفظ مشتركاً بين مفهومين ، و هو في أحدهما أشهر ، و لا يلزم من كونه أشهر في أحدهما ألا يكون حقيقة في الآخر . و لذاذهب أن يذهب إلى كونه مجازاً قد استعمله الشارع ، فجاز إطلاقه في كل حال ، و استعماله كساير المجازات المستعملة . و مما يدل على اختصاص ولد

(١) أمالي الطوسي ١ : ٣٢٧ المجلس ١١ .

(٢) آل عمران : ٦١ .

الصفحة ١٣١

فاطمة عليها السلام دون بني هاشم كافة بالنبي صلى الله عليه و آله أنه ما كان يحلّ له أن ينكح بنات الحسن و الحسين عليهما السلام إلى أن قال فإن قلت : قال الشاعر :

بنونا بنو أبنائنا و بناتنا
بنوهنّ أبناء الرجال الأباعد

و قال حكيم العرب أكرم بن صيفي : « البنات يلدن الأعداء ، و يورثن البعداء » قلت : إنما قال الشاعر ما قاله على المفهوم الأشهر ، و ليس في قول أكرم ما يدلّ على نفي بنوتهم ١ .

قلت : تحقيق المقام أن كون الحسن و الحسين عليهما السلام ابني الرسول صلى الله عليه و آله ممّا شهد به الكتاب و السنّة و إجماع الامّة . أمّا الكتاب فقولته تعالى : . . . أبناؤنا و أبناؤكم . . . ٢ ، و أمّا السنّة فالأخبار المتواترة التي مرّ بعضها من قول النبي صلى الله عليه و آله لكلّ منهما « ابني » و « هما ابناي » ٣ ، و أمّا إجماع الامّة فخطاب المؤلف و المخالف لهما بابن رسول الله ، حتّى إن يزيد لمّا كان ينكت بقضيبه على ثنايا الحسين عليه السلام قال بعد تمثله بأبيات ابن الزبير في يوم احد في قتلهم سبعين من أصحاب النبي صلى الله عليه و آله ، في قبال سبعين منهم قتلوا ببدر :

ليت أشياخي ببدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الأسل

إنشاء من نفسه :

لست من خندق إن لم أنتقم
من بني أحمد ما كان فعل

و حتّى إنّ هارون الرشيد لم يستطع الرّد على الكاظم عليه السلام في كونه ابن الرسول صلى الله عليه و آله ، مع كونه في مقام الرّد ، ففي (مقاتل أبي الفرج الإصبهاني) : لمّا حجّ الرشيد و نزل المدينة اجتمع بنو هاشم و أبناء المهاجرين و الأنصار

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٩ .

(٢) آل عمران : ٦١ .

(٣) مرّ في مواضع في هذا العنوان .

الصفحة ١٣٢

و باقي الوجوه و كان فيهم موسى بن جعفر عليه السلام فقال لهم الرّشيد : قوموا إلى زيارة الرّسول صلّى الله عليه و آله . ثمّ نهض معتمدا على يد أبي الحسن موسى عليه السلام حتّى انتهى إلى القبر ، فقال : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يابن عمّ .

افتخارا على قبائل العرب الذين حضروا معه ، و استطالة عليهم بالنّسب . فنزع أبو الحسن موسى عليه السلام يده من يده ، ثمّ تقدّم فقال : السلام عليك يا رسول الله ،

السلام عليك يا أبتاه . فتغيّر وجه الرّشيد ثمّ قال : يا أبا الحسن إنّ هذا لهو الفخر الجسيم ١ .

و أمّا وجه كونهما ابنيه صلّى الله عليه و آله فهو خصوصيّة تتفرّع على كون أمير المؤمنين عليه السلام بمنزلة نفس النّبويّ صلّى الله عليه و آله ، كما أفصح عنه قوله تعالى :

و أنفسنا و أنفسكم . . . ٢ ، قال المأمون كما روى المرتضى في (فصوله) للرضا عليه السلام : أخبرني بأكبر فضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام يدلّ عليها القرآن .

فقال عليه السلام : فضيلته في المباهلة ، قال جلّ جلاله : فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ٣ . فدعا النّبويّ صلّى الله عليه و آله الحسن و الحسين عليهما السلام فكانا ابنيه ، و دعا فاطمة عليها السلام فكانت في هذا الموضع نساءه ،

و دعا أمير المؤمنين عليه السلام فكان نفسه بحكم الله عزّ و جلّ . فقال له المأمون :

أ ليس قد ذكر الله الأبناء بلفظ الجمع ، و إنّما دعا النّبويّ صلّى الله عليه و آله ابنيه خاصة ، و ذكر النساء بلفظ الجمع ، و إنّما دعا النّبويّ صلّى الله عليه و آله ابنته وحدها ، فلم لا جاز أن يذكر الدّعاء لمن هو نفسه ، و يكون المراد نفسه في الحقيقة دون غيره ، فلا يكون لأمير المؤمنين عليه السلام ما ذكرت من الفضل ؟ فقال له الرضا عليه السلام : ليس بصحيح

(١) لم يوجد في مظانّه من مقاتل الطالبين ، لكن الحديث مشهور رواه المدائني عنه تذكرة الخواص : ٣٥٠ ، و غيره .

(٢) آل عمران : ٦١ .

(٣) آل عمران : ٦١ .

الصفحة ١٣٣

ما ذكرت ، و ذلك أنّ الدّاعي إنّما يكون داعيا لغيره ، كما يكون الأمر أمرا لغيره ،

و لا يصحّ أن يكون داعيا لنفسه في الحقيقة ، كما لا يكون أمرا لها في الحقيقة ،

و إذ لم يدع النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ رَجُلًا فِي الْمَبَاهِلَةِ إِلَّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فقد ثبت أنّه نفسه التي عناها تعالى في كتابه ، و جعل حكمه ذلك في تنزيله . فقال المأمون :

إذا ورد الجواب سقط السؤال ١ ، فإذا كان أمير المؤمنين عليه السّلام بمنزلة نفس النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ بنصّ القرآن ، يكون ابنا أمير المؤمنين عليه السّلام ابني النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ .

و يشهد لما قلنا ما رواه المسعودي في (مروه) في أخبار الحسن عليه السّلام ،

مسندا عن عباس بن عبد المطلب ، قال : كنت عند النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ إذ أقبل عليّ عليه السّلام فلما رآه أسفر في وجهه ، فقلت : يا رسول الله إنّك لتسفر في وجه هذا الغلام .

فقال : يا عمّ رسول الله و الله لله أشدّ حبا له مني ، إنّ له لم يكن نبيّ إلاّ و ذريّته الباقية بعده من صلبه ، و إنّ ذريّتي بعدي من صلب هذا ، إنّه إذا كان يوم القيامة دعي الناس بأسمائهم و أسماء أمهاتهم سترًا من الله عليهم ، إلاّ هذا و شيعته فإنهم يدعون بأسمائهم و أسماء آبائهم لصحة ولادتهم ٢ .

و روى (الكافي) : أنّ ابن غيلان المدائني قال للرّضا عليه السّلام : بلغني أنّه من كان له حمل فنوى أن يسميه محمداً ولد له غلام . فقال عليه السّلام : من كان له حمل فنوى أن يسميه علياً ولد له غلام . ثم قال : (عليّ محمّد) و (محمّد عليّ) شيئا واحدا ٣ .

و ما رواه الخطيب في (تاريخه) في عنوان (عثمان بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن أبي شيبه) في أسناد عن فاطمة عليها السلام ، قالت : قال رسول

(١) الفصول المختارة للمرطضى : ١٧ و النقل بتقطيع .

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٢ : ٤٢٨ .

(٣) الكافي للكليني ٦ : ١١ ح ٢ ضمن حديث .

الصفحة ١٣٤

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ : كلُّ بني آدم ينتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة ، فأني أنا أبوهم ، و أنا عصبتهم .

و في خبر آخر عنها أيضا ، قالت : قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ : كل بني آدم ينتمون إلى عصبته غير ولد فاطمة ، فأنا أبوهم و أنا عصبتهم ١ .

و إلا فالانتساب إنما هو إلى الأب ، فالهاشمي و الاموي من كان منتسبا بالأب إلى هاشم و امية لا ريب في ذلك ، و يشهد له أخبار الخاصة و العامة فضلا عن العرف ، روى ابن عبد البر في (استيعابه) : أن وفد كندة لما قدموا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ قال له أبو الخير و اسمه جفشيش : أنتم منا يا بني هاشم .

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ : كذبتم ، نحن بنو النضر بن كنانة ، لا نقفو امانا و لا ننتقى من أبينا ٢ .

هذا ، و نسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ من الحسن و الحسين عليهما السلام ابني أمير المؤمنين عليه السلام بعدد أسباط بني إسرائيل ، ستة من الحسن عليه السلام : واحد من ابنه زيد ، و خمسة من ابنه الحسن المثني ، و ستة من الحسين عليه السلام من ابنه السجاد عليه السلام .

روى الحسن بن سعيد العسكري كما في (الخصال) عن الرضا عليه السلام قال : إن الله تعالى أخرج من إسرائيل و هو يعقوب اثني عشر سبطا ، و نشر من الحسن و الحسين عليهما السلام اثني عشر سبطا إلى أن قال بعد عدّ الاثني عشر من ولد يعقوب أمّا الحسن عليه السلام فانتشر منه ستة أبطن : بنو الحسن بن زيد بن الحسن ، و بنو عبد الله بن الحسن بن الحسن ، و بنو إبراهيم بن الحسن بن الحسن ، و بنو الحسن بن الحسن بن الحسن ، و بنو داود بن الحسن بن

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١١ : ٢٨٥ .

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ١ : ٢٦٦ .

الصفحة ١٣٥

الحسن ، و بنو جعفر بن الحسن بن الحسن إلى أن قال في بني الحسين عليه السلام بنو محمد بن عليّ الباقر عليه السلام بطن ، و بنو عبد الله بن عليّ الباهر ، و بنو زيد بن علي ، و بنو الحسين بن علي ، و بنو عمر بن عليّ ، و بنو عليّ بن عليّ ١ .

و في (عمدة الطالب) : قد روي عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ : سيكون من ولدي عدد نقباء بني إسرائيل ٢ . و من ولد زيد بن الحسن : عبد العظيم الجليل المدفون بالرّي ، و منهم الداعي الكبير ، و الداعي الصّغير ، و منهم الملقب ب (گيسو دراز) و الملقب ب (گلستانه) ، ذكر تفصيلهم في (عمدة الطالب) ٣ .

و من بني عبد الله بن الحسن المثنى و يقال لعبد الله : المحض محمد و إبراهيم اللذان خرجا على المنصور ، و يحيى صاحب الديلم الذي خرج على الرّشيد ، و موسى الجون ، و في (تاريخ بغداد) : خرج يوما من عند الرّشيد فعثر بالبساط ، فضحك الخدم و ضحك الجند . فالتفت إلى هارون و قال : إنّه ضعف صوم لا ضعف سكر ٤ .

و في موسى الجون في الحسينيين العدد ، كما في موسى الكاظم عليه السلام في الحسينيين ، و من بنيه الأمير أبو جعفر محمد بن محمد التّائر ، أول من ملك مكة من بني موسى ، و هم مبدأ تمكن الأشراف من حكومتها ، و كان ذلك بعد سنة (٣٤٠) قتل حاكم مكة انجوار التركي من قبل العزيز الفاطمي .

و من بني إبراهيم بن الحسن المثنى و يقال لإبراهيم : الغمر محمد بن إبراهيم الذي يقال له الديباج الأصفر ، و لما أتى به المنصور قال له : أنت ديباج الأصفر ؟ قال : نعم . قال : أما و الله لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحدا من أهل بيتك . ثمّ

(١) الخصال للصدوق : ٤٦٥ ح ٥ و النقل بتقطيع .

(٢) عمدة الطالب للحسني : ٦٨ .

(٣) عمدة الطالب : ٦٩ ، ١٧٣ .

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣ : ٢٧ و النقل بتصريف .

الصفحة ١٣٦

أمر بأسطوانة مبنية ففرّغت ، ثم ادخل فيها ، فبنيت عليه و هو حي .

و من ولده إبراهيم طباطبا ، و من ولد طباطبا محمد بن الحسين بن جعفر بن محمد بن إبراهيم طباطبا ، الذي قال فيه (عمدة الطالب) : قتله الشّراة بكرمان و صلب ، فأخذتهم الزلزلة أربعين يوما ، حتّى انزل عن الخشبة فسكنت ١ .

و من بني الحسن المثلث الحسين بن علي ، صاحب فخ المعروف صاحب القضية الفاجعة ، و من ولد جعفر بن الحسن المثنى ابن الشّجري النّحوي صاحب (الأمالي) .

و من بني داود بن الحسن المثنى و داود هو الذي ورد فيه دعاء الاستفتاح ، المعروف بدعاء أمّ داود عليّ بن طاووس رضي الدّين المعروف ،

صاحب الكرامات ، و صاحب المصنّفات الكثيرة في الأدعية و غيرها ، و منها (الإقبال) ، و (المهج) ، و أخوه أحمد بن طاووس جمال الدّين صاحب (الرّجال) ،

و ابن أخيه أحمد بن عبد الكريم بن طاووس غياث الدّين النسّابة ، و ابن أخيه الحسن مجد الدّين بن طاووس الذي خرج إلى السلطان هولوكوخان ، قال في (عمدة الطالب) : و صنّف له كتاب (البشارة) و سلم بواسطته الحلّة و النيل و المشهدين الشّريفين المشهد العلوي ، و المشهد الحسيني على ساكنيهما السّلام من القتل و النهب ٢ .

و أمّا الأسباط الحسينيّة فمن ولد الباهر أخي الباقر عليه السّلام محمد الأرقط ،

قال في (عمدة الطالب) : قال أبو نصر البخاري : من يطعن في الأرقط فلا يطعن من حيث النّسب و العقب ، و إنّما يطعنون لشيء جرى بينه و بين الصادق جعفر بن محمد عليه السّلام ، يقال : إنّهُ بصق في وجه الصادق عليه السّلام ، فدعا عليه ، فصار أرقط

(١) عمدة الطالب : ٦٩ ، ١٧٣ .

(٢) عمدة الطالب : ١٩٠ .

الصفحة ١٣٧

الوجه ، به نمش كرية المنظر ١ .

و منهم عبد الله بن أحمد الرّخي الذي ظهر في أيّام المستعين ، فاخذ و حمل إلى سامراء مع عياله فمات ، و صار عياله الى الحسن العسكري عليه السّلام فبارك عليهم ، و مسح يده على رأس زينب بنته و وهب لها خاتمه ، و كان فضة فصاغت منه حلقة ، و ماتت و الحلقة في اذنها ، و بلغت مائة سنة ، و كانت سوداء الشعر .

و عدّ منهم نقيب النقباء ببغداد ، أيّام معزّ الدولة أحمد بن عليّ بن محمّد الكوكبي ، و الشّريف النّسابة المصنّف الحسين بن جعفر ، المعروف بابن خداع .

و من ولد زيد الشهيد و كان زيد خرج على هشام و كان هشام ، قال له :

ما أنت و الخلافة و أنت ابن أمة ؟ فقال له : و ما يقصرك برجل أبوه رسول الله و هو ابن عليّ بن أبي طالب ؟ فقتل و صلب ، و في (العمدة) : وجدت عن بعضهم أنه قال : لما قتل زيد بن علي و صلب رأيت النبيّ صلّى الله عليه و آله تلك اللّيلة مستنّدا إلى خشبته و هو يقول : إنا لله و إنا إليه راجعون ، أتفعلون هذا بولدي ؟ و روى غير واحد أنهم صلبوه مجردا ، فنسجت العنكبوت على عورته من يومه ٢ يحيى بن زيد صاحب الصّحيفة الذي خرج أيّام الوليد بن يزيد ، فقتل .

و منهم يحيى بن عمر الذي خرج أيّام المستعين ، فقتل و حمل رأسه إلى محمّد بن عبد الله بن طاهر ، فجلس للتهنئة ، فدخل عليه أبو هاشم الجعفري و قال له : إنك لتهنأ بقتيل لو كان النبيّ صلّى الله عليه و آله حيّا لعزّي فيه . فخرج و هو يقول :

يا بني طاهر كلوه مريئا

إنّ لحم النبيّ غير مريء

(١) عمدة الطالب : ٢٥٢ .

(٢) عمدة الطالب : ٢٥٨ .

الصفحة ١٣٨

و من ولد عمر بن عليّ و هو عمر الأشرف الناصر الكبير ملك الديلم ،

و النَّاصِر الصَّغِير جَدَّ المرتضى و الرّضى لامَّهما ، صاحب (النَّاصِرِيَّات فِي الفقه) الَّذِي شرحه المرتضى ١ .

و من ولد الحسين بن علي و هو الحسين الأصغر عليّ المرعش ابن عبيد الله بن محمّد بن الحسن بن الحسين الأصغر ، جَدَّ السَّادَات المرعشية .

و من ولده المنقديّون ملوك الرّي ، و من ولده العققيّون ، و من العققيين عليّ بن أحمد بن عليّ العققي ، و أبوه أحمد بن عليّ العققي صاحب كتاب رجال .

و من ولده الجوانيّون ، و الأصل فيهم محمّد بن عبيد الله بن الحسين الأصغر ، و ابنه الحسين بن محمّد الجواني ، خرج مع الرضا عليه السّلام إلى خراسان كما رواه الكشي ٢ ، و روى عن الجواد عليه السّلام النصّ على الهادي عليه السّلام كما رواه (الكافي) ٣ .

و من ولد عليّ بن عليّ و هو عليّ الأصغر الحسن الأفطس ، قال في (العمدة) : قال أبو نصر البخاري : كان بين الأفطس و بين الصادق عليه السّلام كلام ، فتوجّه الطّعن عليه لذلك لا لشيء في نسبه ٤ .

و قال أبو الحسن العمري : كان صاحب راية محمّد بن عبد الله ، و لمّا قتل النّفس الزّكية محمّد بن عبد الله اختفى الحسن الأفطس ، فلمّا دخل جعفر

-
- (١) المسائل الناصريّات أحد تأليفات الشريف المرتضى ، مطبوع بالحجر ضمن الجوامع الفقهيّة بإيران ، لكن ليس للناصر كتاب مسمّى بالناصرية كما يظهر من مقدّمة ناصريّات المرتضى .
- (٢) معرفة الرجال للكشي ، اختياره : ٥٠٦ ح ٩٧٣ .
- (٣) الكافي للكليّني ١ : ٣٢٥ ح ٣ ، و الظاهر أنّ هذا الحديث لم يوجد في نسخ الكافي إلا في نسخة الصفواني ، فراجع ذيل الحديث في الكافي ، و جامع الرواة للأردبيلي ٢ : ٤٤١ .
- (٤) عمدة الطالب : ٣٣٩ .

الصّادق عليه السّلام العراق و لقي أبا جعفر المنصور قال له : تريد أن تسدي إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله يدا ؟ قال : نعم يا أبا عبد الله . قال : تعفو عن ابنه الحسن بن عليّ بن عليّ . فعفا عنه ١ .

و قال أبو نصر البخاري : سمعت جماعة يقولون : إنّ الصادق عليه السّلام كان يوصي لجماعة من عشيرته عند موته ، فأوصى للأفطس الحسن بن علي بن علي بثمانين ديناراً ، فقالت له عجوز في البيت : أتأمر له بذلك و قد قعد لك بخنجر في البيت يريد أن يقتلك ؟ فقال : أتريدين أن أكون ممّن قال الله تعالى :

و يقطعون ما أمر الله به أن يوصل . . . ٢ ؟ لأصلنّ رحمه و إن قطع ، اكتبوا له بمائة دينار . قال البخاري : و هذه شهادات قاطعة من الصّادق عليه السّلام أنّه ابن النّبيّ صلّى الله عليه وآله ٣ .

و ابنه عبد الله بن الحسن خرج مع الحسين بن عليّ صاحب فخ ، فأخذه الرّشيد و حبسه عند جعفر البرمكي ، قال في (العمدة) : فأمر جعفر ليلة النيروز بقتله و حزّ رأسه ، و أهداه إلى الرّشيد في جملة هدايا النيروز ٤ .

و منهم تاج الدّين بن مجد الدّين محمد بن الحسين الذي كان في أوّل أمره واعظاً ، و اعتقده السلطان اولجايتو محمّد و ولاء نقابة نقباء الممالك بأسرها : العراق و الرّي و خراسان و فارس و سائر مملكه ، و عانده وزيره رشيد الدّين ، إلى أن قتله مع ولديه : شمس الدّين و شرف الدّين في سنة (٧١١) ،

و أظهر عوام بغداد و الحنابلة التّشفي بالسيد تاج الدّين ، فقطّوه قطعاً ، و أكلوا لحمه ، و نتفوا شعره ، و بيعت الطّاقة من شعر لحيته بدينار ، فغضب السلطان

(١) عمدة الطالب : ٣٣٩ .

(٢) البقرة : ٢٧ .

(٣) عمدة الطالب للسيد الحسن بن علي : ٣٤ .

(٤) عمدة الطالب : ٣٤٨ .

الصفحة ١٤٠

و أمر أن يركب قاضي الحنابلة على حمار أعمى مقلوباً ، يطاف به في أسواق بغداد و شوارعها ، و أن لا يكون من الحنابلة قاض .

و من ولده أيضا الحسن بن عليّ بن الحسين المدائني الذي كان خليفة أبي عبد الله بن الداعي على النقابة ، وكان له أحد و عشرون ولدا ، كلّ منهم اسمه عليّ ، لا يفرّق بينهم إلا بالكنى .

و أمّا ولد محمد الباقر عليه السّلام فمنهم يكمل الأئمة الاثني عشر ، الذين لا يحتاج أحد منهم إلى وصف ، كما لا يحتاج الشمس و القمر ، روى محمد بن بابويه في (عيون) قول النبيّ صلّى الله عليه و آله : « الإيمان إقرار باللسان و معرفة بالقلب ،

و عمل بالأركان » عن الرضا عليه السّلام عن أبيه الكاظم عليه السّلام عن أبيه الصادق عليه السّلام عن أبيه الباقر عليه السّلام عن أبيه زين العابدين عليه السّلام عن أبيه الحسين سيّد شباب أهل الجنّة عليه السّلام عن أبيه أمير المؤمنين عليه السّلام عنه صلّى الله عليه و آله ، ثمّ روى عن حمزة ابن محمد العلوي عن عبد الرّحمن بن أبي حاتم عن أبيه قال : لو قرىء هذا الأسناد على مجنون لبرأ ١ .

و روى قوله صلّى الله عليه و آله أيضا : « الإيمان قول و عمل » عن أبي الصلت عن الرضا عليه السّلام عن آبائه الكاظم عليه السّلام ثمّ الصادق عليه السّلام ثمّ الباقر عليه السّلام ثمّ السّجاد عليه السّلام ثمّ السّبط عليه السّلام ثمّ أمير المؤمنين عليه السّلام عنه صلّى الله عليه و آله ثمّ روى عن محمد بن عبد الله بن طاهر : أنّ أحمد بن حنبل لما سمعه من أبي الصلت قال له :

ما هذا الأسناد ؟ فقال له أبوه عبد الله بن طاهر ذي اليمينين : هذا سعوط المجانين إذا سقط به المجنون أفاق ٢ .

و روى : أنّ المأمون لما جعل الرضا عليه السّلام ولي عهده سعد المنبر ، و قال :

(١) عيون الاخبار للصدوق ١ : ١٧٨ ح ٥ .

(٢) عيون الاخبار للصدوق ١ : ١٧٩ ح ٦ ، و ٢ : ١٤٥ ح ١٨ ، و : ١٤٢ ح ١٠ .

الصفحة ١٤١

جاءتكم بيعة عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السّلام ، و الله لو قرئت هذه الأسماء على الصّمّ البكم لبرؤوا بإذن الله عزّ و جلّ ١ .

و روى أيضا : أنّ عبد الله بن مطرف بن ماهان دخل يوما على المأمون و عنده الرضا عليه السلام ، فقال له : ما تقول في أهل البيت ؟ فقال : ما قلتي في طينة عجنت بماء الرسالة ، و شجرة غرست بماء الوحي ؟ هل ينفح منه إلا مسك الهدى و عنبر النقي ؟ فدعا المأمون بحقة فيها لؤلؤ فحشا فاه ٢ .

و في (تذكرة السبط) عن (فضائل أحمد بن حنبل) عن علي بن ربيعة قال : لقيت زيد بن أرقم فقلت له : هل سمعت النبي صلى الله عليه و آله و سلم يقول : تركت فيكم الثقلين ، واحد منهما أكبر من الآخر ؟ قال : نعم ، سمعته يقول : تركت فيكم الثقلين : كتاب الله حبل ممدود بين السماء و الأرض ، و عترتي أهل بيتي ، ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، ألا فانظروني كيف تخلفوني فيهما ٣ ؟

و روى أيضا عن (فضائله) عن النبي صلى الله عليه و آله قال : النجوم أمان لأهل السماء ، فإذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء ، و أهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض ٤ .

و روى أيضا عن صحيح مسلم عن زيد بن أرقم قال : قام فينا النبي صلى الله عليه و آله خطيبا بماء يدعى خما ، بين مكة و المدينة ، فحمد الله و أثنى عليه و وعظ و ذكّر ،

ثم قال : أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ،

و أنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى و النور ، فخذوا بكتاب الله

(١) عيون الاخبار للصدوق ١ : ١٧٩ ح ٦ ، و ٢ : ١٤٥ ح ١٨ ، و : ١٤٢ ح ١٠ .

(٢) عيون الاخبار للصدوق ١ : ١٧٩ ح ٦ ، و ٢ : ١٤٥ ح ١٨ ، و : ١٤٢ ح ١٠ .

(٣) تذكرة الخواص : ٣٢٢ .

(٤) تذكرة الخواص : ٣٢٣ .

الصفحة ١٤٢

و استمسكوا به . فحثّ على كتاب الله و رغب فيه ، ثمّ قال : و أهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي ، اذكركم الله في أهل بيتي ، اذكركم الله في أهل بيتي ١ .

و روى (حلية أبي نعيم) في حذيفة بن أسيد مسندا عنه ، قال : قال النبي صلى الله عليه و آله : أيها الناس إنني فرطكم ، و إنكم و اردون عليّ الحوض ، فإنني سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ؟ الثقل الأكبر : كتاب الله سبب طرفه بيد الله و طرفه بأيديكم ، فاستمسكوا به لا

تضلّوا و لا تبدّلوا ، و عترتي أهل بيتي ، فإنّه قد نبأني اللّطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ٢ .

و روى أبو الفرج في كتابه (مرج البحرين) و ابن قتيبة في (معارفه) عن أبي ذر قال : قال النّبّي صلّى الله عليه و آله : مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ،

و من تخلّف عنها غرق ٣ .

هذا و مرّ شطر من فضائل الحسينين عليهما السّلام .

و أمّا زين العابدين عليه السّلام فروى سبط ابن الجوزي : أنّه كان إذا توضأ اصفرّ لونه فيقال : ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون بين يدي من أريد أن أف ؟ ٤ .

و أنّه إذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة ، فيقال له : ما لك ؟ فيقول : ما تدرون لمن أريد أن اناجي ؟ ٥ ؟

و أنّه وقع حريق في داره و هو ساجد فقالوا : النّار النّار يابن رسول الله

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٤ : ١٨٧٣ ح ٣٦ ، تذكرة الخواص : ٣٢٢ .

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ١ : ٣٥٥ .

(٣) مرج البحرين لأبي الفرج عنه تذكرة الخواص : ٣٢٣ ، و معارف ابن قتيبة : ٢٥٢ .

(٤) تذكرة الخواص : ٣٢٥ .

(٥) تذكرة الخواص : ٣٢٥ .

الصفحة ١٤٣

فما رفع رأسه حتّى اطفت . فقيل له : ما الذي أهلك عنها ؟ فقال : النّار الاخرى ١ .

و أنّه كان يستقي الماء لظهوره و لا يمكّن أحدا أن يعينه على ظهوره ،

و يقضي ما فاته من ورده بالنّهار في الليل ، و كان ورده في الليل و النّهار ألف ركعة ٢ .

و أنه لما مات وجدوه يعول مائة أهل بيت بالمدينة ، و كان يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به ، و يقول : صدقة السرّ تطفئ غضب الربّ .

و كان أهل المدينة يقولون : ما فقدنا صدقة السرّ حتى مات عليّ بن الحسين عليه السّلام ٣ .

و أنه دخل على محمّد بن اسامة بن زيد في مرضه يعود فجعّل محمّد يبكي ، فقال عليه السّلام له : ما شأنك ؟ فقال : عليّ دين . قال : كم هو ؟ قال : خمسة عشر ألف دينار . فقال : هو عليّ ٤ .

و أن هشام بن إسماعيل المخزومي و الي المدينة كان يؤذيه و يشتم عليّا عليه السّلام على المنبر و ينال منه ، فلمّا ولي الوليد بن عبد الملك الخلافة عزله و أمر به أن يوقف للنّاس ، قال هشام : و الله ما أخاف إلاّ من عليّ بن الحسين ، إنّه رجل صالح يسمع قوله . فأوصى عليّ بن الحسين عليه السّلام أصحابه و مواليه و خاصّته أن لا يتعرضوا لهشام ، ثمّ مرّ عليّ عليه السّلام في حاجته فما عرض له ،

فناداه هشام و هو واقف للنّاس : . . . الله أعلم حيث يجعل رسالته . . . ٥ .

و أنه عليه السّلام خرج يوماً من المسجد فتبعه رجل فسبّه ، فلحقته العبيد

(١) تذكرة الخواص : ٣٢٥ .

(٢) تذكرة الخواص : ٣٢٦ .

(٣) تذكرة الخواص : ٣٢٧ .

(٤) تذكرة الخواص : ٣٣١ .

(٥) تذكرة الخواص : ٣٢٨ ، و الآية ١٢٤ من سورة الأنعام .

الصفحة ١٤٤

و الموالى فهموا بالرجل ، فقال : دعوه . ثمّ قال له : ما ستر الله عنك من أمرنا أكثر ،

ألك حاجة نعينك عليها ؟ فاستحى الرجل ، فألقى عليه السّلام عليه خميصة كانت عليه ،

و أعطاه ألف درهم ، فكان الرجل بعد ذلك إذا رآه يقول : أشهد أنّك من أولاد الرّسول صلّى الله عليه و آله

و أنه كان بينه عليه السلام و بين الحسن بن الحسن بعض الأمر ، فجاء الحسن إليه عليه السلام و هو جالس في المسجد مع أصحابه ، فما ترك شيئاً إلا قاله له و عليّ عليه السلام ساكت ، و انصرف الحسن فجاء عليّ عليه السلام في الليل إلى بابه يعتذر إليه ، فخرج إليه الحسن ، فالتزمه و جعلاً يبكيان حتى رحمهما من كان حاضراً ،

ثم قال الحسن : و الله لا عدت في أمر تكرهه أبداً . فقال عليّ عليه السلام : و أنت في حلّ مما قلت لي ٢ .

و أنه كان عنده عليه السلام قوم فاستعجل خادماً له ، فأخرج شواء من التتور ،

و أقبل الخادم عجلاً و بيده السقود ، و بين يدي عليّ عليه السلام ولد صغير له ،

فسقط السقود على الصّغير فنشّ و مات ، فبهت الخادم ، فنظر إليه عليّ عليه السلام و قال له : أنت لم تتعمّد هذا ، أنت حرّ لوجه الله تعالى . ثم أمر بمواراة الولد ٣ .

و أنه عليه السلام كان يقول في مناجاته : إلهنا و سيّدنا و مولانا لو بكينا حتى تسقط أشفارنا ، و انتحبنا حتى تنقطع أصواتنا ، و قمنا حتى تيبس أقدامنا ،

و ركعنا حتى تتلع أوصالنا ، و سجدنا حتى تتفقأ أهداقنا ، و أكلنا تراب الأرض طول أعمارنا ، و ذكرناك حتى تكلّ ألسنتنا ما استوجبنا بذلك محو سيّئة من سيّاتنا ٤ .

و أنّ هشام بن عبد الملك حجّ فاجتهد أن يستلم الحجر ، فلم يمكنه من

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : ٣٣١ .

(٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : ٣٢٦ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ .

(٣) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : ٣٢٦ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ .

(٤) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : ٣٢٦ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ .

الصفحة ١٤٥

الزّحام ، فجاء عليّ بن الحسين عليه السلام فوقف الناس له ، و تنحّوا عن الحجر حتى استلمه ، و لم يبق عند الحجر سواه ، فقال هشام : من هذا ؟ فقالوا : لا نعرفه . فقال الفرزدق : لكنّي أعرفه . ثم اندفع فقال :

هذا الذي تعرف البطحاء و طأته
و البيت يعرفه و الحلّ و الحرم

هذا ابن خير عباد الله كلّهم
هذا النقيّ النقيّ الطاهر العلم

يكاد يمسكه عرفان راحته
ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

إلى أن قال فغضب هشام و أمر بحبس الفرزدق بعسفان بين مكة و المدينة ، فبعث إليه عليّ عليه السّلام
بألف دينار فردّها ، و قال : إنّما قلت ما قلت غضبا لله و رسوله ، فما آخذ عليه أجرا . فقال عليّ عليه
السّلام : نحن أهل بيت لا يعود إلينا ما خرج منّا . فقبلها الفرزدق ، و هجا هشاما ١ .

و روى المسعودي في (مروج) أنّه أتى بعليّ بن الحسين عليه السّلام إلى مسلم بن عقبة و هو مغتاض
عليه ، فتبرأ منه و من آبائه ، فلمّا رآه و قد أشرف عليه ارتعد و قام له و أقعده إلى جانبه ، و قال له :
سلني حوائجك . فلم يسأله في أحد ممّن قدّم إلى السيف إلا شفعه فيه ، ثمّ انصرف عنه ، فقيل لعليّ عليه
السّلام :

رأيناك تحرك شفتيك ، فما الذي قلت ؟ قال : قلت : « اللهم ربّ السّموات السّبع و ما أظللن ، و الأرضين
السّبع و ما أقلن ، ربّ العرش العظيم ، ربّ محمّد و آله الطاهرين . أعوذ بك من شرّه و أدرا بك في
نحره ، أسألك أن تؤتيني خيره و تكفيني شرّه » . و قيل لمسلم : رأيناك تسبّ هذا الغلام و سلفه فلمّا أتى به
إليك رفعت منزلته ؟ فقال : ما كان ذلك لرأي منّي ، لقد ملئ قلبي منه رعبا ٢ .

و في (تذكرة السّبط) : في (تذكرة ابن حمدون) قال الزّهري : حمل عبد

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : ٣٢٩ ، ٣٢٤ .

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٣ : ٧٠ .

قال : فاستأذنتهم في وداعه فأذنوا ، فدخلت عليه و القيود في رجليه و الغل في يديه ، فهو في قبّة فبكيت و قلت : وددت أنّي مكانك و أنت سالم . فقال : يا زهري أتظنّ أنّ ما ترى عليّ و في عنقي يكرثني ؟ أما لو شئت لما كان ، و إنّهُ ليذكرني عذاب الله ، ثمّ أخرج رجليه من القيد ، و يديه من الغل ثمّ قال : لا جرت معهم على ذا ميلين من المدينة . قال : فما مضت إلاّ أربع ليال ، و إذا قد قدم الموكّلون الذين كانوا معه إلى المدينة يطلبونه فما وجدوه ، فسألته بعضهم فقالوا : إنّنا نراه متبوعا ، إنّهُ لنازل ، و نحن حوله نرصده إذ طلع الفجر فلم نجده و وجدنا حديده . قال الزّهري : فقدمت بعد ذلك على عبد الملك فسألني عنه فأخبرته ،

فقال : قد جاءني يوم فقدته الأعوان فدخل عليّ فقال : ما أنا و أنت ؟ فقلت : أقم عندي . قال : لا أحبّ . ثمّ خرج ، فو الله لقد امتلأ قلبي منه خيفة ١ .

و في (فصول ابن الصبّاغ المالكي) عن أبي عبد الله الزاهد قال : لمّا وليّ عبد الملك بن مروان الخلافة كتب إلى الحجاج بن يوسف النّفقي : أمّا بعد فانظر دماء بني عبد المطلب فاجتنبها ، فإنّي رأيت آل أبي سفيان لمّا و لعوا فيها لم يلبثوا إلاّ قليلا . قال : و بعث بالكتاب سرّاً إلى الحجاج ، و قال له : اكنم ذلك .

فكوشف بذلك عليّ بن الحسين عليهما السلام ، فكتب من فوره إلى عبد الملك : أمّا بعد فإنك كتبت في يوم كذا من شهر كذا إلى الحجاج سرّاً في حقنا لبني عبد المطلب بما هو كيت و كيت ، و قد شكر الله لك ذلك . قال : فلمّا نظر (عبد الملك الكتاب) و تأمل فيه وجد تاريخه موافقا لتاريخ كتابه الذي كتبه إلى الحجاج في اليوم و السّاعة ٢ .

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : ٣٢٩ ، ٣٢٤ .

(٢) الفصول المهمّة لابن الصبّاغ : ٢٠٣ ، و الاختصاص للمفيد : ٣٠٨ ، و النقل بتلخيص .

الصفحة ١٤٧

و روى في الجزء التاسع من (مجالس ثعلب) عن جويرية قال : ما أكل عليّ بن الحسين بقرابته من النّبّيّ صلّى الله عليه و آله درهما قط ١ .

و عن طاووس قال : رأيت عليّ بن الحسين ساجدا في الحجر ، فقلت :

رجل صالح من أهل بيت طيب ، لأسمعن ما يقول . فأصغيت إليه فسمعتة يقول :

« عبيدك بفنائك ، مسكينك بفنائك ، سائلك بفنائك ، فقيرك بفنائك » فو الله ما دعوت بها في كرب قطّ إلاّ كشف عني ٢ .

و يأتي خبر جابر عن النبيّ صلّى الله عليه و آله أنه يولد من الحسين مولود اسمه عليّ إذا كان يوم القيامة نادى منادي : ليقم سيّد العابدين . فيقوم ولده ٣ .

و في (عمدة الطالب) قال الجاحظ في رسالة له صنّفها في فضائل بني هاشم : و أمّا عليّ بن الحسين بن عليّ فلم أر الخارجي في أمره إلاّ كالشيّعي ،

و لم أر الشيّعيّ إلاّ كالمعتزلي ، و لم أر المعتزليّ إلاّ كالعاميّ ، و لم أر العاميّ إلاّ كالخاصّي ، و لم أجد أحدا يتمارى في تفضيله و يشكّ في تقديمه ٤ .

و في (تاريخ الطبري) : في كتاب المنصور إلى محمّد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن عليه السّلام : و ما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه و آله أفضل من عليّ بن الحسين عليه السّلام ٥ .

و روى في (ذيل تاريخه) عن يزيد بن عياض قال : أصاب الزّهريّ دما خطأ فخرج و ترك أهله ، و ضرب فسطاطا ، و قال : لا يظنّني سقف بيت . فمرّ به عليّ بن الحسين عليه السّلام فقال : يا ابن شهاب قنوطك أشدّ من ذنبك ، فاتّق الله

(١) مجالس ثعلب ٢ : ٤٢٦ .

(٢) مجالس ثعلب ٢ : ٤٢٦ .

(٣) انظر ما نقل في تذكرة الخواص : ٣٣٧ عن المدائني الذي يأتي عن قريب .

(٤) عمدة الطالب للحسني : ١٩٤ عن فضائل بني هاشم للجاحظ ، و نقله عن هذا الكتاب للجاحظ

القندوزي في ينابيع المودة : ١٥٣ بفرق كثير .

(٥) تاريخ الطبري ٤ : ١٩٨ سنة ١٤٥ .

الصفحة ١٤٨

و استغفره و ابعث إلى أهله بالدية ، و ارجع إلى أهلك . و كان الزّهري يقول : عليّ بن الحسين عليه السّلام أعظم الناس عليّ منة ١ .

و روى عن هشام بن عروة قال : كان عليّ بن الحسين عليه السّلام يخرج على راحته إلى مكة و يرجع لا يقرعها ٢ .

و أمّا الباقر عليه السّلام فقالوا في (مفاخرات هاشم و اميّة) و قد نقله ابن أبي الحديد : منه ، و من ابنه جعفر تعلّم الناس الفقه ، و هو الملقّب بالباقر ، باقر العلم ،

لقبه به النبيّ صلّى الله عليه و آله و لم يخلق بعد ، و بشرّ به ، و وعد جابر بن عبد الله الأنصاري برؤيته و قال : ستراه طفلا ، فإذا رأيته فأبلغه عني السّلام . فعاش جابر حتّى رآه ، و قال له ما وصاه به النبيّ صلّى الله عليه و آله ٣ .

و في كتاب المنصور إلى محمّد بن عبد الله المحض ، جوابا عن كتابه الذي كتب إليه ، يفخر بأنّه ليس في أمّهاته ام ولد و قد رواه الطبري : و ما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه و آله أفضل من عليّ بن حسين عليه السّلام و هو لام ولد ،

و لهو خير من جدك حسن بن حسن ، و ما كان فيكم بعده مثل ابنه محمّد بن عليّ ٤ .

و في (تذكرة سبط ابن الجوزي) قال عطا : ما رأيت العلماء عند أحد منهم ، أصغر علما منهم عند أبي جعفر عليه السّلام ، لقد رأيت الحكم عنده كأنه مغلوب ، و يعنى بالحكم الحكم بن عتبة ، و كان عالما نبيلاً جليلاً في زمانه ٥ .

و ذكر المدائني عن جابر بن عبد الله أنّه أتى أبا جعفر محمّد بن عليّ إلى الكتاب و هو صغير فقال له : النبيّ صلّى الله عليه و آله يسلم عليك . فقيل لجابر : و كيف هذا ؟

(١) منتخب ذيل المذيل للطبري : ١١٩ .

(٢) منتخب ذيل المذيل للطبري : ١١٩ .

(٣) رواه الجاحظ في مفاخرات هاشم و اميّة عنه شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٤٩١ ، شرح الكتاب ٢٨ .

(٤) تاريخ الطبري ٤ : ١٩٨ سنة ١٤٥ .

(٥) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : ٣٣٧ ، ٣٤٠ .

يا جابر يولد له مولود اسمه عليّ ، إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيّد العابدين فيقوم ولده ، ثمّ يولد له ولد اسمه محمّد فإن أدركته يا جابر فأقرئه منّي السّلام ١ .

و نقل السّبط أيضا : و كان أبو جعفر عليه السّلام يحضر إخوانه فيطعمهم أطيب الطّعام ، و يكسوهم أحسن الكسوة ، و يهب لهم الدراهم الكثيرة ، و يجيز بالخمسمائة إلى الألف درهم ، و لا يملّ من مجالسة الاخوان . ٢

و روى عن أفلح مولاة قال : خرجت مع مولاي حاجّا فلما دخل المسجد نظر إلى البيت ، فبكى حتّى علا صوته ، فقلت : بأبي و أمّي إنّ الناس ينظرون إليك فلو رفعت بصوتك قليلا . فبكى و قال : و يحك لم لا أبكي ، لعلّ الله أن ينظر إليّ برحمة منه فأفوز بها عنده . ثمّ طاف بالبيت ، و ركع عند المقام ، و رفع رأسه من سجوده فإذا موضعه مبتلّ من دموعه ، و كان إذا ضحك يقول : اللهمّ لا تمقتني ٣ .

و روى أنّه عليه السّلام قال : من عبد المعنى دون الاسم فإنّه يخبر عن غائب ،

و من عبد الاسم دون المعنى فإنّه يعبد المسمّى ، و من عبد الاسم و المعنى فإنّه يعبد إلهين ، و من عبد المعنى بتقريب الاسم إلى حقيقة المعرفة فهو موحد ٤ .

و في (عيون ابن قتيبة) : دخل زيد بن عليّ على هشام فقال : ما فعل أخوك البقرة ؟ فقال زيد : سمّاه رسول الله صلّى الله عليه و آله باقرا ، و تسميته بقرة . لقد اختلفتما ٥ .

و روى عن جابر أنّ النّبىّ صلّى الله عليه و آله قال له : يا جابر إنّك ستعمر بعدي حتّى

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : ٣٣٧ ، ٣٤٠ .

(٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : ٣٣٧ ، ٣٤٠ .

(٣) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) عيون الاخبار لابن قتيبة ١ : ٢١٢ .

فكان جابر يتردد في سكك المدينة بعد ذهاب بصره ، و هو ينادي : يا باقر ، حتى قال الناس : قد جنّ جابر . فبينما ذات يوم هو بالبلاط إذ بصر بجارية يتوركها صبي . فقال لها : يا جارية من هذا الصبي ؟ قالت : محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . فقال : أدنيه مني . فأدنته فقبل بين عينيه ، و قال : يا حبيبي رسول الله يقربك السلام . ثم قال : نعت إلي نفسي و ربّ الكعبة . ثم انصرف إلى منزله و أوصى ، فمات من ليلته ١ .

و في (بيان الجاحظ) : جمع محمد بن علي صلاح شأن الدنيا بحذافيرها في كلمتين فقال : « إصلاح شأن جميع التعايش و التعاشر ملء مكيال ثلثاه فطنة ، و ثلثه تغافل » . قال : لم يجعل لغير الفطنة نصيبا في الخير و لا حظا في الصلاح ، لأنّ الإنسان لا يتغافل إلا عن شيء قد فطن له ٢ .

و أمّا أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، ففي (حلية أبي نعيم) عن عمرو بن أبي المقدم قال : كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين ٣ .

و عن ابن بسطام قال : كان جعفر بن محمد عليه السلام يطعم حتى لا يبقى لعياله شيء ٤ .

و عن ابن المقدم قال : وقع الذباب على المنصور فذبه عنه ، فعاد فذبه حتى أضجره ، فدخل جعفر بن محمد عليه السلام عليه ، فقال له المنصور : يا أبا عبد

(١) عيون الاخبار لابن قتيبة ١ : ٢١٢ .

(٢) البيان و التبیین للجاحظ ١ : ١٠٧ .

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم ٣ : ١٩٣ .

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم ٣ : ١٩٤ .

الصفحة ١٥١

الله لم خلق الله الذباب ؟ قال : ليذللّ به الجابرة ١ .

و روى أنّ ابن شبرمة ، و ابن أبي ليلى ، و أبا حنيفة دخلوا عليه عليه السلام فقال لابن أبي ليلى : من هذا معك ؟ قال : هذا رجل له بصر و نفاذ في أمر الدين .

قال : لعلّه يقيس أمر الدين برأيه ؟ قال : نعم . فقال جعفر عليه السلام لأبي حنيفة :

ما اسمك؟ قال : نعمان . قال : يا نعمان هل قست رأسك بعد؟ قال : كيف أقيس رأسي؟ قال : ما أراك تحسن شيئاً . هل علمت ما الملوحة في العينين ، و المرارة في الاذنين ، و الحرارة في المنخرين ، و العذوبة في الشفتين؟ قال : لا . قال :

ما أراك تحسن شيئاً . قال : فهل علمت كلمة أولها كفر و آخرها إيمان؟ قال :

لا . فقال ابن أبي ليلى : يا بن رسول الله أخبرني بهذه الأشياء التي سألته عنها .

فقال : أخبرني أبي عن جدّي أنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله قال : إنّ الله بمنّه و فضله جعل لابن آدم الملوحة في العينين ، لأنهما شحمتان و لو لا ذلك لذابتا ، و إنّ الله بمنّه و فضله و رحمة على ابن آدم جعل المرارة في الاذنين ، حجاباً من الدوابّ ،

فإن دخلت الرأس دابةً و التمسّت إلى الدماغ ، فإذا ذاقت المرارة التمسّت الخروج ، و إنّ الله بمنّه و فضله و رحمة على ابن آدم جعل الحرارة في المنخرين يستنشق بهما الريح ، و لو لا ذلك لأنتن الدماغ ، و إنّ الله بمنّه و فضله و رحمة على ابن آدم جعل العذوبة في الشفتين يجد بهما استطعام كلّ شيء ، و يسمع الناس بها حلاوة منطقه . قال : فأخبرني عن الكلمة التي أولها كفر ،

و آخرها إيمان . فقال : إذا قال العبد : « لا إله » فقد كفر ، فإذا قال : « إلاّ الله » فهو إيمان .

ثمّ أقبل على أبي حنيفة فقال : يا نعمان حدّثني أبي عن جدّي : أنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله قال : أوّل من قاس أمر الدّين برأيه إبليس ، قال الله تعالى له : اسجد

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ٣ : ١٩٨ .

الصفحة ١٥٢

لآدم فقال : أنا خير منه خلقتني من نار و خلقتّه من طين ١ فمن قاس الدّين برأيه قرنه الله تعالى يوم القيامة بإبليس ، لأنّه اتّبعه بالقياس . ثمّ قال جعفر :

أيهما أعظم قتل النفس أو الزنا؟ قال أبو حنيفة: قتل النفس. قال: فإن الله عزّ وجلّ قبل في قتل النفس شاهدين ولم يقبل في الزنا إلا أربعة. ثمّ قال: أيهما أعظم: الصلاة أم الصوم؟ قال: الصلاة. قال: فما بال الحائض تقضي الصوم،

و لا تقضي الصلاة؟ فكيف ويحك يقوم لك قياسك؟ أتق الله و لا تقس الدين برأيك ٢ .

و روى أبو الفرج في (مقاتله) بأسانيد عن عبد الأعلى بن أعين، و محمد بن أبي الكرام الجعفري، و غيرهما أنّ جماعة من بني هاشم اجتمعوا بالأبواء،

و فيهم إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس، و أبو جعفر المنصور،

و صالح بن عليّ، و عبد الله بن الحسن، و ابنه محمد و إبراهيم، و محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، فقال صالح بن عليّ: قد علمتم أنّكم الذين تمدّ الناس أعينهم إليهم و قد جمعكم الله في هذا الموضع، فاعقدوا بيعة لرجل منكم،

تعطونه إيّاها من أنفسكم، و توائقوا على ذلك حتّى يفتح الله و هو خير الفاتحين. فحمد الله عبد الله بن الحسن و أتى عليه، ثمّ قال: قد علمتم أنّ ابني هذا هو المهدي فهلّموا نبايعه. و قال أبو جعفر المنصور: لأيّ شيء تخذعون أنفسكم؟ و الله لقد علمتم ما الناس إلى أحد أصور أعناقاً و لا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى يعني: محمد بن عبد الله قالوا: قد و الله صدقت،

إنّ هذا لهو الذي نعلم. فبايعوا جميعاً محمّداً، و مسحوا على يده.

قال عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ: جاء رسول عبد الله بن

(١) الأعراف: ١٢، و ص: ٧٦.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ٣: ١٩٦.

الصفحة ١٥٣

الحسن إلى أبي: أن ايتنا فإننا مجتمعون لأمر. و أرسل بذلك إلى جعفر بن محمد أيضا، قال: فأرسلني أبي أنظر ما اجتمعوا عليه، و أرسل جعفر بن محمد محمد بن عبد الله الأرقط، فجنناهم فإذا بمحمد بن عبد الله يصلّي على طنفسه، فقلت: أرسلني أبي إليكم لأسألكم لأيّ شيء اجتمعتم؟ فقال عبد الله:

اجتمعنا لنبايع المهدي محمد بن عبد الله . و جاء جعفر بن محمد ، فأوسع له عبد الله بن الحسن إلى جنبه ، فتكلم معه بمنثل كلامه معي ، فقال جعفر : لا تفعلوا فإنّ هذا الأمر لم يأت بعد ، و لا و الله لا ندعك و أنت شيخنا و نبايع ابنك . فغضب عبد الله ، و قال : لقد علمت خلاف ما تقول ، و لكن يحملك على هذا الحسد لابني . فقال :

و الله ما ذلك يحملي ، و لكنّ هذا و إخوته و أبناءهم دونكم و ضرب بيده على ظهر أبي العباس ، ثمّ ضرب بيده على كتف عبد الله بن الحسن فقال : إنّها و الله ما هي إليك و لا إلى ابنك ، و لكنّها لهم ، و إنّهما لمقتولان . ثمّ نهض و توكأ على يد عبد العزيز بن عمران الزهري ، و قال لي : أرأيت صاحب الرداء الأصفر يعني أبا جعفر المنصور ؟ قلت : نعم . قال : فإنّا و الله نجده يقتله . قلت : أيقتل محمدا ؟

قال : نعم . فقلت في نفسي : حسده و ربّ الكعبة . ثمّ قال : و و الله ما خرجت من الدنيا حتّى رأيته قتلها . قال : فلما قال جعفر ذلك نهض القوم فافترقوا و لم يجتمعوا بعد ، و تبعه عبد الصمد و أبو جعفر ، فقالا : يا أبا عبد الله أتقول هذا ؟

قال : أقوله و أعلمه .

و قال : كان محمد بن عبد الله يسمّيه أهل بيته « المهدي » و يقدّرون أنّه الذي جاءت فيه الرواية ، حتّى لم يشك أحد أنّه المهدي ، و شاع ذلك له في العمّة ،

و بايعه رجال من بني هاشم جميعا ، من آل أبي طالب ، و آل العباس ، و سائر بني هاشم ، ثمّ ظهر من جعفر بن محمد عليه السلام قول في أنّه لا يملك ، و أنّ الملك

الصفحة ١٥٤

يكون في بني العباس ، فانتبهوا من ذلك لأمر لم يكونوا يطمعون فيه ١ .

و روى أبو الفرج أيضا عن أمّ الحسين بنت عبد الله بن محمد الباقر عليه السلام :

قالت : قلت لعمي جعفر بن محمد : إني فديتك ، ما أمر محمد هذا ؟ قال : فتنة ، يقتل محمد عند بيت رومي ، و يقتل أخوه لامه و أبيه بالعراق ، و حوافر فرسه بالماء ٢ .

و روى عن ابن داحة أنّ جعفر بن محمد عليه السلام قال لعبد الله بن الحسن : إنّ هذا الأمر و الله ليس إليك ، و لا إلى ابنيك ، و أنّما هو لهذا يعني : السفّاح ثم لهذا يعني : المنصور ثم لولده من بعده ، لا يزال فيهم حتّى يؤمّروا الصّبيان و يشاورو النساء . فقال عبد الله : و الله يا جعفر ما اطلعك الله على غيبه ، و ما قلت هذا إلاّ حسدا لابني . فقال : لا و الله ما حسدت ابنك ، و إنّ هذا يعني أبا جعفر يقتله على أحجار الزيت ، ثمّ يقتل أخاه بعده بالطفوف و قوائم فرسه في الماء .

ثم قام مغضبا يجر رداءه ، فتبعه أبو جعفر . فقال : أتدري ما قلت يا أبا عبد الله ؟

قال : إي و الله أدريه و إنّه لكائن . قال : فحدّثني من سمع أبا جعفر يقول :

فانصرفت لوقتي فرتبت عمّالي ، و ميّزت اموري تمييز مالك لها . قال : فلما وليّ أبو جعفر الخلافة سمّي جعفرا الصّادق ، و كان إذا ذكره قال : قال لي الصادق جعفر بن محمد كذا و كذا فبقيت عليه ٣ .

قلت : و صار الأمر كما قال عليه السلام في بدء بني العبّاس و في مآلهم في تأمير الصّبيان و مشاوره النّساء ، قال المسعودي في (تنبيهه) : كان في المقتدر و في أيّامه امور لم يكن مثلها في الإسلام ، منها أنّه وليّ الخلافة ، و له ثلاث عشرة سنة و شهران و ثلاثة أيّام ، و منها غلبة النّساء على الملك و التدبير ، حتّى إنّ جارية تعرف بمثل القهرمانه تجلس للنظر في مظالم الخاصّة و العامّة ،

(١) مقاتل الطالبين لأبي الفرج الاصبهاني : ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٨ ، ١٧١ و الأول بتقطيع .

(٢) مقاتل الطالبين لأبي الفرج الاصبهاني : ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٨ ، ١٧١ و الأول بتقطيع .

(٣) مقاتل الطالبين لأبي الفرج الاصبهاني : ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٨ ، ١٧١ و الأول بتقطيع .

الصفحة ١٥٥

و يحضرها الوزير و الكاتب و القضاة و أهل العلم ١ .

و قال المسعودي أيضا في (مروجه) : بايع الأمين لابنه ، و سمّاه النّاطق بالحقّ ، و كان ابنه لا ينطق بأمر و لا يعرف حسنا و لا قبيحا ، و لم يخل من الحاجة إلى من يحضنه في قيامه و قعوده . فقال عليّ بن أبي طالب الأعمى البغدادي :

فعال الخليفة اعجوبة

و أعجب منه فعال الوزير

و أعجب من ذا و ذا أننا
نبايع للطفل فينا الصّغير

و من ليس يحسن مسح انفه
و لم يخل من منته حجر ظير ٢

و كان المنصور بعد خروج محمّد و إبراهيم عليه ، و خوفه من غلبتهما يتذكر قول الصادق عليه السّلام في ملكهم : « حتّى يؤمّروا الصّبيان و يشاوروا النّساء » .

روى أبو الفرج عن أبي الحجاج الجمّال قال : إنّي لقائم على رأس أبي جعفر ، و هو يسألني عن مخرج محمّد إذ بلغه أنّ عيسى بن موسى هزم ، و كان متكئاً فجلس فضرب بقضيب معه مصلاه ، و قال : كلاًّ فأين لعب صبياننا بها على المنابر ، و مشاورة النّساء ٣ ؟

و عن حفص بن حكيم : أنّ أبا جعفر و جل من إبراهيم حتّى جعل يقول :

و يلك يا ربيع فكيف و لم ينلها أبناؤنا ، فأين إمارة الصّبيان ٤ ؟

و روى أيضا إخباره عليه السّلام بمحروميّة عيسى بن موسى من نيل الخلافة ،

و قد كان السفاح جعله وليّ عهده بعد أخيه المنصور ، فجعله المنصور وليّ

(١) التنبية و الاشراف للمسعودي : ٣٢٨ و النقل بتلخيص .

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٣ : ٣٩٧ .

(٣) المقاتل لأبي الفرج : ١٨٤ ، ٢٣١ ، ١٨٤ .

(٤) المقاتل لأبي الفرج : ١٨٤ ، ٢٣١ ، ١٨٤ .

الصفحة ١٥٦

عنده بعد ابنه المهدي ، و خلعه المهدي رأسا ، و كان قتل محمّدا و إبراهيم ابني عبد الله بن الحسن لإبقاء الأمر له ، فروى أبو الفرج عن عليّ بن اسماعيل بن صالح بن ميثم أنّ عيسى بن موسى لمّا قدم قال جعفر

بن محمد عليه السلام : أهو هو ؟ قيل : من تعني يا أبا عبد الله ؟ قال : المتلعب بدمائنا ، و الله لا يحلأ منها شيء ١ .

و روى عن الرومي مولى جعفر بن محمد عليه السلام قال : أرسلني جعفر بن محمد أنظر ما يصنعون ، فجئته فأخبرته أنّ محمداً قتل ، و أنّ عيسى قبض على عين أبي زياد . فأبلس طويلاً ، ثم قال : ما يدعو عيسى إلى أن يسيء بنا و يقطع أرحامنا ؟ فو الله لا يذوق هو و لا ولده منها شيئاً أبداً ٢ .

و روى أنه عليه السلام قال للمنصور : اردد عليّ عين أبي زياد آكل من سعفها .

قال : إياي تكلم بهذا الكلام ، و الله لازهقنّ نفسك . قال : لا تعجل قد بلغت ثلاثاً و ستين و فيها مات أبي و جدّي عليّ بن أبي طالب ، فعليّ كذا و كذا إن آذيتك بشيء أبداً ٣ .

و روى عن يونس بن أبي يعقوب قال : حدثنا جعفر بن محمد من فيه إلى اذني ، قال : لما قتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بياخمرى حسرنا من المدينة ،

و لم يترك فيها منّا محتلم حتّى قدمنا الكوفة ، فمكثنا فيها شهراً نتوقع فيها القتل ، ثم خرج إلينا الربيع الحاجب ، فقال : أين هؤلاء العلوية ؟ أدخلوا على الخليفة رجلين منكم من ذوي الحجى . فدخلنا إليه أنا و الحسن بن زيد ، فلما صرت بين يديه قال لي : أنت الذي تعلم الغيب ؟ قلت : لا يعلم الغيب إلاّ الله . قال :

(١) المقاتل لأبي الفرج : ١٨٤ ، ٢٣١ ، ١٨٤ .

(٢) المقاتل لأبي الفرج : ١٨٤ ، ٢٣٢ و نقل الأخير بتلخيص .

(٣) المقاتل لأبي الفرج : ١٨٤ .

الصفحة ١٥٧

أنت الذي يجبى إليك هذا الخراج ؟ قلت : إليك يجبى الخراج . قال : أتدرون لم دعوتكم ؟ قلت : لا . قال : أردت أن أهدم رباعكم ، و أروّع قلوبكم ، و أعقر نخلكم ،

و أترككم بالسراة لا يقربكم أحد من أهل الحجاز و أهل العراق ، فإنهم لكم مفسدة . فقلت له : إنّ سليمان اعطي فشكر ، و إنّ أيوب ابتلي فصبر ، و إنّ يوسف ظلم فغفر ، و أنت من ذلك النسل . فتبسّم ، و قال : أعد عليّ . فأعدت ، فقال : مثلك فليكن زعيم القوم ، و قد عفوت عنكم ، و وهبت لكم جرم أهل البصرة . حدّثني الحديث الذي حدّثتني عن أبيك عن آبائه عن النبيّ صلّى الله عليه و آله إلى أن قال : قلت :

حدثني أبي عن آبائه عن عليّ عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : أَنَّ مَلَكًا مِنَ الْمَلُوكِ فِي الْأَرْضِ كَانَ بَقِيَ مِنْ عَمْرِهِ ثَلَاثَ سِنِينَ فَوَصَلَ رَحِمَهُ ، فَجَعَلَهَا اللهُ ثَلَاثِينَ سَنَةً . فَقَالَ :

هذا الحديث أردت . أيّ البلاد أحبّ إليك ؟ قلنا : المدينة . فسرّحنا إلى المدينة ،

و كفى الله مؤونته ١ .

و في (مروج الذهب) : كان أبو سلمة لما قتل إبراهيم الإمام خاف انتقاض الأمر و فساده عليه ، فبعث بمحمّد بن عبد الرّحمن بن أسلم و كتب معه كتابين على نسخة واحدة و إلى جعفر بن محمّد و إلى عبد الله بن الحسن يدعو كلّ واحد منهما إلى الشّخص إليه ، ليصرف الدعوة إليه و يجتهد في بيعة أهل خراسان له ، و قال للرّسول : العجل العجل ، فلا تكوننّ كوافد عاد . فقدم الرّسول المدينة على جعفر بن محمّد فلقبه ليلا ، فلمّا وصل إليه أعلمه أنّه رسول أبي سلمة ، و دفع إليه كتابه . فقال له : و ما أنا و أبو سلمة ؟ أبو سلمة شيعة لغيري .

قال له : إنّي رسول فتقرأ كتابه و تجيبه بما رأيت ، فدعا بسراج ، ثمّ أخذ كتاب أبي سلمة فوضعه على السّراج حتّى احترق ، و قال للرّسول : عرفّ صاحبك بما رأيت . ثمّ أنشأ يقول متمثلاً بقول الكميت :

(١) المقاتل لأبي الفرج : ٢٣٢ بتلخيص .

الصفحة ١٥٨

أيا موقدا نارا لغيرك ضوها
و يا حاطبا في غير حبلك تحطب

فخرج الرّسول من عنده ، و أتى عبد الله بن الحسن فدفع إليه الكتاب فقبّله و قرأه و ابتهج ، فلمّا كان الغد ركب حمارا حتّى أتى منزل جعفر بن محمّد ، فلمّا رآه أكبر مجيئه ، فقال له : يا أبا محمّد أمر ما جاء بك ؟ قال : نعم . و هو أجلّ من أن يوصف . فقال : و ما هو ؟ قال : هذا كتاب أبي سلمة يدعوني إلى ما قبله ، و قد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان . فقال : و متى كان أهل خراسان شيعة لك ؟ أنت بعثت أبا مسلم إلى خراسان ، و أنت أمرته بلبس السّواد ، و هؤلاء الذين قدموا العراق أنت كنت سبب قدومهم أو جهّتهم فيهم ، و هل تعرف منهم أحدا ؟

فنازعه عبد الله الكلام . . . ١ .

وقالوا في مفاخرات هاشم و امية عن قبل هاشم لامية : و كان لنا مثل جعفر بن محمد الذي ملأ الدنيا علمه و فقهه ٢ .

و في (إرشاد محمد بن محمد بن نعمان) : أن أصحاب الحديث جمعوا أسماء الرواة عن الصادق عليه السلام من الثقات على اختلافهم في الآراء و المقالات ،

فكانوا أربعة آلاف رجل ٣ .

و قال أحمد بن علي النجاشي في (فهرسته) : قال الحسن بن عليّ الوشا أدركت في هذا المسجد (يعني مسجد المدينة) تسعمائة شيخ ، كل يقول :

حدثني جعفر بن محمد ٤ .

و روى الطبري كتاب المنصور إلى محمد بن عبد الله بن الحسن و فيه :

ما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و آله أفضل من عليّ بن الحسين ، و ما كان

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣ : ٢٥٣ .

(٢) مفاخرات هاشم و امية للجاحظ عنه شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٤٩٠ ، شرح الكتاب ٢٨ .

(٣) إرشاد المفيد : ٢٧١ .

(٤) فهرست النجاشي : ٢٩ .

الصفحة ١٥٩

فيكم بعده مثل ابنه محمد بن عليّ ، و لا مثل ابنه جعفر ١ .

و في (حياة الحيوان) للدميري : الجفرة ، بفتح الجيم : ما بلغت أربعة أشهر من أولاد المعز ، و فصلت عن أمها ، و الذكر جفر ، سمّي بذلك لأنه جفر جنباه ، أي : عظما ٢ .

قال ابن قتيبة في كتابه (أدب الكاتب) : و كتاب الجفر جلد جفر ، كتب فيه الإمام جعفر بن محمد الصادق لآل البيت كل ما يحتاجون إلى علمه ، و كل ما كان إلى يوم القيامة ٣ .

قال الدميري : و إلى هذا الجفر أشار أبو العلاء المعري بقوله :

لقد عجبوا لأهل البيت لما

أتاهم علمهم في مسك جفر

و مرآة المنجم و هي صغرى

أرته كل عامرة و قفر ٤

قال : و قيل : إن ابن تومرت المعروف بالمهدي ظفر بكتاب الجفر ، فرأى فيه ما يكون على يد عبد المؤمن صاحب المغرب و قصته و حليته و اسمه ،

فأقام ابن تومرت مدة يتطلبه حتى وجده و صحبه ، و كان يكرمه و يقدمه على سائر أصحابه و ينشد إذا أبصره :

تكاملت فيك أوصاف خصصت بها

فكلنا بك مسرور و مغتبط

السن ضاحكة و الكف مانحة

و النفس واسعة و الوجه منبسط ٥

و في (فصول ابن الصباغ المالكي) : قد نقل بعض أهل العلم أن كتاب الجفر الذي بالمغرب ، الذي يتوارثه بنو عبد المؤمن بن علي ،

(١) تاريخ الطبري ٢ : ١٩٨ سنة ١٤٥ .

(٢) حياة الحيوان للدميري ١ : ١٩٧ مادة (جفر) .

(٣) لم أجد في أدب الكاتب لابن قتيبة .

(٤) حياة الحيوان للدميري ١ : ١٩٧ مادة (جفر) .

(٥) حياة الحيوان للدميري ١ : ١٩٧ مادة (جفر) .

الصفحة ١٦٠

من كلام الصادق جعفر بن محمد ١ .

و في (فهرست النجاشي) بعد عنوان هشام بن محمد بن السائب الكلبى النسابة العالم بالأيام و المشهور بالفضل و العلم : و له الحديث المشهور ، قال :

اعتلت علة عظيمة نسيت علمي ، فجلست إلى جعفر بن محمد عليه السلام ، فسقاني العلم في كأس ، فعاد إليّ علمي « ٢ .

و في (معرفة رجال الكشي) : روى حمدويه عن محمد بن عيسى عن ابن أبي عمير عن هشام بن الحكم : أن أبا موسى البناء دخل على أبي عبد الله عليه السلام مع نفر من أصحابه ، فقال عليه السلام لهم : « احتفظوا بهذا الشيخ » . قال : فذهب على وجهه في طريق مكة فذهب من قزح فلم ير بعد ذلك ٣ .

و روى (الكافي) عن عمرو بن أبي المقدم قال : كنت شاهدا عند البيت الحرام و رجل ينادي بأبي جعفر المنصور و هو يطوف ، و يقول : إن هذين الرجلين طرقا أخي ليلا فأخرجاه من منزله ، فلم يرجع إليّ ، و الله ما أدري ما صنعا به ؟ فقال لهما أبو جعفر : و ما صنعتما به ؟ فقالا : كلمناه ثم رجع إلى منزله . فقال لهما : و افياني غداة صلاة العصر في هذا المكان . فوافياه من الغد ،

و حضرته ، فقال لجعفر بن محمد عليه السلام و هو قابض على يده : اقض بينهم . فقال :

اقض بينهم أنت . فقال له : بحقّي عليك إلا قضيت بينهم . فخرج جعفر عليه السلام ،

فطرح له مصلى قصب فجلس عليه ، ثم جاء الخصماء فجلسوا قدامه ، فقال للرجل : ما تقول ؟ فقال : يا ابن رسول الله إن هذين طرقا أخي ليلا فأخرجاه من منزله ، فو الله ما رجع إليّ ، و و الله ما أدري ما صنعا به ؟ فقال : ما تقولان ؟ فقالا :

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ : ٢٢٣ .

(٢) فهرست النجاشي : ٣٠٥ .

(٣) معرفة الرجال للكشي ، اختياره : ٣١٠ ح ٥٦١ و أسناده « حمدويه و إبراهيم ابنا نصير قالوا :

حدثنا محمد بن عيسى . . . » .

الصفحة ١٦١

يابن رسول الله كَلَّمناه ثمَّ رجع إلى منزله . فقال جعفر : يا غلام اكتب : « بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم . قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ : كلَّ مَنْ طَرَقَ رجلاً بالليل فأخرجَه من منزله فهو له ضامن ، إلاَّ أَنْ يقيم البيئَةَ : أَنَّهُ قد رَدَّه إلى منزله » . يا غلام نَحَّ هذا فاضرب عنقه . فقال : يابن رسول الله ، وَ اللهُ ما قتلته أنا ، وَ لكنِّي أَمسكته ثمَّ جاء هذا ، فوجأه فقتله . فقال : أنا ابن رسول الله ، يا غلام ، نَحَّ هذا وَ اضرب عنق الآخر .

فقال : وَ اللهُ يابن رسول الله ما عَذَّبته ، وَ لكنِّي قتلته بضربة واحدة . فأمر أخاه فاضرب عنقه ، ثمَّ أمر بالآخر ، فاضرب جنبه وَ حبسه في السَّجَن ، وَ وَقَّع على رأسه بحبس عمره ، وَ يضرب كلَّ سنة خمسين جلدة ١ .

وَ روى (الكافي) أيضاً ، أَنْ ربيعا أتى المنصور في الطَّوْف ، فقال له : مات فلان مولاك البارحة ، فقطع فلان مولاك رأسه بعد موته . فاستشاط وَ غضب ،

فقال لابن شبرمة وَ ابن أبي ليلى وَ عدَّة معه من القضاة وَ الفقهاء : ما تقولون في هذا ؟ فكلَّ قال : ما عندنا في هذا شيء . قال : فجعل يردُّ المسألة في هذا وَ يقول :

أفتله أم لا ؟ فقالوا : ما عندنا في هذا شيء . فقال له بعضهم : قد قدم رجل الساعة ، فإن كان عند أحد علم شيء فعنده الجواب في هذا ، وَ هو جعفر بن محمد وَ قد دخل المسعى . فقال للرَّبِيع : اذهب إليه فقل له : لو لا معرفتنا بشغل ما أنت فيه لسألناك أَنْ تأتينا ، وَ لكن أجبنا في كذا وَ كذا . فأتاه ربيع وَ هو على المروة فأبلغه الرِّسالة ، فقال عليه السَّلَام له : قد ترى شغل ما أنا فيه ، وَ قبلك العلماء وَ الفقهاء فسلمهم . قال : قد سألمهم ، وَ لم يكن عندهم فيه شيء . قال : فردَّه إليه .

فقال : أسألك إلاَّ أجبتنا ، فليس عند القوم في هذا شيء . فقال عليه السَّلَام : حتَّى أفرغ .

فلما فرغ جاء فجلس في جانب المسجد الحرام ، فقال للرَّبِيع : اذهب إليه فقل له :

عليه مائة دينار . فأبلغه ، فقالوا له : فسله : كيف صار عليه مائة دينار ؟

الصفحة ١٦٢

فقال عليه السلام : في النطفة عشرون ، و في العلقة عشرون ، و في المضغة عشرون ،

و في العظم عشرون ، و في اللحم عشرون ، ثم أنشأناه خلقا آخر ١ ، و هذا هو ميّت بمنزلته قبل أن ينفخ فيه الرّوح في بطن امّته جنينا . فأخبره الجواب فأعجبهم ، و قالوا : ارجع إليه فسله : الدّنانير لمن هي ، ألورثته أم لا ؟ فقال عليه السلام :

ليس لورثته منها شيء ، إنّما هذا شيء اتى إليه في بدنه بعد موته ، يحجّ بها عنه ،

أو يتصدق بها ، أو تصير في سبيل من سبل الخير . . . ٢ .

و روى (الكافي) أيضا عن صفوان الجمال قال : حملت أبا عبد الله عليه السلام في الحملة الثانية إلى الكوفة و المنصور فيها ، فلما أشرف على الهاشمية مدينة أبي جعفر أخرج رجله من غزر الرّحل ، ثم نزل و دعا ببغلة شهباء و لبس ثياب بيض و كمة بيضاء ، فلما دخل عليه قال له المنصور : لقد تشبّهت بالأنبياء ؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام و أنّى تبعّدي من أبناء الأنبياء ؟ فقال : لقد هممت أن أبعث إلى المدينة من يعقر نخلها ، و يسبي ذريّتها . فقال : و لم ؟ قال : رفع إليّ أنّ مولاك المعلى بن خنيس يدعو إليك ، و يجمع لك الأموال . فقال : و الله ما كان . فقال :

لست أرضى لك إلا بالطلاق و العتاق ، و الهدى و المشي . فقال عليه السلام : أبالأنداد من دون الله تأمرني أن أحلف ؟ من لم يرض بالله فليس من الله في شيء . فقال :

أتفقّه عليّ ؟ فقال : و أنّى تبعّدي من الفقه و أنا ابن رسول الله ؟ قال : فإنّي أجمع بينك و بين من سعى بك . قال : فافعل . فجاء الرّجل الذي سعى به . فقال أبو عبد الله عليه السلام أهكذا ؟ فقال : نعم و الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب و الشهادة الرّحمن الرّحيم لقد فعلت . فقال له أبو عبد الله عليه السلام : و يلك تمجّد الله فيستحيي من تعذيبك ، و لكن قل : برئت من حول الله و قوّته و ألجأت إلى حولي و قوّتي .

فحلف

(١) المؤمنون : ١٤ .

(٢) الكافي للكليني ٧ : ٣٤٧ ح ١ .

الصفحة ١٦٣

بها الرجل فلم يستتمها حتى وقع ميتا ١ .

و رواه ابن الصَّبَّاح المالكي في (فصوله) مع زيادة و نقيصة ٢ . و روى (مهج ابن طاووس) إحضار المنصور له عليه السَّلام ليقْتله مرَّات ، و دفع الله تعالى له عنه بدعائه عليه السَّلام ٣ .

و روي أيضا عن العباس الفقيمي : أن ابن أبي العوجاء و ابن طالوت و ابن الأعمى و ابن المقفَّع في نفر من الزنادقة كانوا مجتمعين في الموسم بالمسجد الحرام ، و أبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السَّلام إذ ذاك فيه يفتي الناس ،

و يفسر لهم القرآن ، و يجيب عن المسائل بالحجج و البيِّنات ، فقال القوم لابن أبي العوجاء : هل لك في تغليب هذا الجالس و سؤاله عما يفضحه عند هؤلاء المحيطين به ، فقد ترى فتنة الناس به ، و هو علامة زمانه ؟ فقال لهم ابن أبي العوجاء : نعم . ثم تقدّم ففرَّق النَّاس ، فقال له : إنَّ المجالس أمانات و لا بدَّ لمن كان به سعال أن يسعل ، أفتأذن لي في السَّؤال ؟ فقال عليه السَّلام له : سل إن شئت .

فقال له : إلى كم تدوسون هذا البيدر ، و تلوذون بهذا الحجر ، و تعبدون هذا البيت المرفوع بالطَّوب و المدر ، و تهزلون حوله هرولة البعير إذا نفر ؟ من فكَّر في هذا و قدَّر علم أنه فعل غير حكيم و لا ذي نظر ، فقل ، فإنك رأس هذا الأمر و سنامه ، و أبوك أسَّه و نظامه . فقال عليه السَّلام : إنَّ من أضلَّه الله و أعمى قلبه ،

استوخم الحق فلم يعذبه ، و صار الشيطان وليه و ربه ، يورده مناهل الهلكة و لا يصدره . هذا بيت استعبد الله به خلقه ، ليختبر طاعتهم في إتيانه ، فحثَّهم على تعظيمه و زيارته ، و جعله قبلة للمصلِّين له ، فهو شعبة من رضوانه ، و طريق

(١) الكافي للكليني ٦ : ٤٤٥ ح ٣ .

(٢) الفصول المهمة لابن الصَّبَّاح : ٢٢٥ .

(٣) مهج الدعوات لابن طاووس : ١٨ .

الصفحة ١٦٤

مؤدّ إلى غفرانه ، منصوب على استواء الكمال ، و مجمع العظمة و الجلال ، خلقه الله تعالى قبل دحو الأرض بألفي عام ، فأحقّ من اطيع في ما أمر ، و انتهى عما زجر الله المنشئ للأرواح و الصّور .

فقال له ابن أبي العوجاء : ذكرت فأحلت على غائب . فقال عليه السّلام : و يلك كيف يكون غائبا من هو مع خلقه شاهد ، إليهم أقرب من حبل الوريد ، يسمع كلامهم و يعلم أسرارهم ، لا يخلو منه مكان ، و لا يشغل به مكان ، و لا إلى مكان أقرب من مكان ، تشهد له بذلك آثاره ، و تدلّ عليه أفعاله ، و الذي بعثه بالآيات المحكمة و البراهين الواضحة ، و هو محمد صلّى الله عليه و آله جاءنا بهذه العبادة ، فإن شككت في شيء من أمره فسل عنه اوضّحه لك . فأبلس ابن أبي العوجاء ، و لم يدر ما يقول ، فانصرف من بين يديه ، و قال لأصحابه : سألتكم أن تلتمسوا لي خمرة ، فألقيتموني على جمره . قالوا له : اسكت لقد فضحتنا بحيرتك و انقطاعك ، و ما رأينا اليوم أحقر منك في مجلسه . فقال لهم : ألي تقولون ؟ إنه ابن من حلق رؤوس من ترون . و أوما بيده إلى أهل الموسم ١ .

و روي أيضا : أنّ أبا شاعر الديصاني وقف ذات يوم في مجلسه ، فقال :

إنك لأحد النجوم الزواهر ، و كان أبواك بدورا بواهر ، و أمهاتك عقيلات عباهر ،

و عنصرك من أكرم العناصر ، و إذا ذكر العلماء فعليك تتنى الخناصر ، خبرنا أيها البحر الزاخر ما الدليل على حدوث العالم ؟ فقال عليه السّلام : من أقرب الدليل على ذلك ما ظهره لك . ثمّ دعا ببيضة فوضعها في راحته ، و قال : هذا حصن ملموم ،

داخله غرقىء رقيق يطيف به كالفضة السائلة و الذهب المائعة ، أتشكّ في ذلك ؟

(١) ارشاد المفيد : ٢٨٠ ، و كنز الفوائد للكرجكي : ٢٣٠ عن العباس الفقيمي ، و أخرجه بفرق الكليني في الكافي ٤ : ١٩٧ ح ١ ، و الصدوق في التوحيد : ٢٥٣ ح ٤ عن عيسى بن يونس ، و أخرجه الصدوق في علل الشرائع : ٤٠٣ ح ٤ و أماليه : ٤٩٣ ح ٤ المجلس ٩٠ عن الفضل بن يونس .

الصفحة ١٦٥

قال أبو شاعر : لا شكّ في ذلك . قال عليه السّلام : ثمّ إنه ينفلق عن صورة كالطاووس ،

أدخله شيء غير ما عرفت؟ قال: لا. قال: فهذا الدليل على حدوث العالم. فقال أبو شاعر دلت فأوضحت و ذكرت فأوجزت، و قد علمت أنا لا نقبل إلا ما أدرناه بأبصارنا، أو سمعناه بأذاننا، أو ذقناه بأفواهنا، أو شممناه بأنوفنا،

أو لمسناه ببشرتنا. فقال عليه السلام: ذكرت الحواس الخمس، و هي لا تنفع في الاستنباط إلا بدليل، كما لا تقطع الظلمة بغير مصباح. قال: يريد عليه السلام أن الحواس بغير عقل لا توصل إلى معرفة الغائبات، و أن الذي تراه من حدوث الصورة معقول بني العلم به على محسوس ١.

و روي عن أحمد بن محسن الميثمي قال: كنت عند أبي منصور المتطبب، فقال: أخبرني رجل من أصحابي، قال: كنت أنا و ابن أبي العوجاء،

و عبد الله بن المقفّع في المسجد الحرام، فقال ابن المقفّع: ترون هذا الخلق و أوما بيده إلى موضع الطواف ما منهم أحد أوجب له اسم الإنسانية إلا ذلك الشيخ الجالس يعني: أبا عبد الله عليه السلام فأما الباقر فرعاع و بهائم. فقال له ابن أبي العوجاء: و كيف أوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ دون هؤلاء؟ قال: لأنني رأيت عنده ما لم أراه عندهم. فقال له ابن أبي العوجاء: لا بدّ من اختبار ما قلت فيه منه.

فقال له ابن المقفّع: لا تفعل فإنني أخاف أن يفسد عليك ما في يدك. فقال: ليس ذا رأيك، و لكن تخاف أن يضعف رأيك عندي في إحلالك إياه المحلّ الذي وصفت. فقال ابن المقفّع: أما إذ توهمت عليّ هذا فقم إليه و تحفظ ما استطعت من الزلل، و لا تثن عنائك إلى استرسال فيسلمك إلى عقاب، و سمه ما لك أو عليك.

قال: فقام ابن أبي العوجاء، و بقيت أنا و ابن المقفّع جالسين، فلما رجع

(١) توحيد الصدوق: ٢٩٢ ح ١ و أماليه: ٢٨٨ ح ٥ المجلس ٥٦، و إرشاد المفيد: ٢٨١.

الصفحة ١٦٦

إلينا ابن أبي العوجاء قال: و يلك يابن المقفّع ما هذا ببشر، و إن كان في الدنيا روحاني يتجسد إذا شاء ظاهرا، و يتروح إذا شاء باطنا فهو هذا.

فقال له: و كيف ذلك؟ قال: جلست إليه، فلما لم يبق عنده غيري ابتدأني فقال: إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء، و هو على ما يقولون يعني أهل الطواف فقد سلموا و عطبتم، و إن يكن الأمر على ما تقولون و ليس كما تقولون فقد استويتم و هم. فقلت له: يرحمك الله و أي شيء نقول، و أي شيء يقولون

؟ ما قولي و قولهم إلا واحدا . فقال : و كيف يكون قولك و قولهم واحدا و هم يقولون : إن لهم معادا و ثوابا و عقابا ، و يدينون بأنّ في السّماء إلها ، و أنّها عمران ، و أنتم تزعمون أنّ السّماء خراب ليس فيها أحد ؟ قال : فاغتمتها منه ،

فقلت له : ما منعه إن كان الأمر كما يقولون أن يظهر لخلقه ، و يدعوهم إلى عبادته حتّى لا يختلف منهم اثنان ؟ و لم احتجب عنهم ، و أرسل إليهم الرسل ،

و لو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الإيمان به ؟

فقال لي : و يلك و كيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك : نشؤك و لم تكن ، و كبرك بعد صغرك ، و قوتك بعد ضعفك ، و ضعفك بعد قوتك ،

و سقمك بعد صحّتك ، و صحّتك بعد سقمك ، و رضاك بعد غضبك ، و غضبك بعد رضاك ، و حزنك بعد فرحك ، و فرحك بعد حزنك ، و حبّك بعد بغضك ،

و بغضك بعد حبّك ، و عزمك بعد أناتك ، و أناتك بعد عزمك ، و شهوتك بعد كراهتك ، و كراهتك بعد شهوتك ، و رغبتك بعد رهبتك ، و رهبتك بعد رغبتك ،

و رجاؤك بعد يأسك ، و يأسك بعد رجاؤك ، و خاطرك بما لم يكن في وهمك ،

و عزوب ما أنت معتقده عن ذهنك . قال : و ما زال يعدّد عليّ قدرته التي هي في نفسي التي لا أذفعا ، حتّى ظننت أنّه سيظهر في ما بيني و بينه ١ .

(١) الكافي للكليني ١ : ٧٤ ح ٢ ، و توحيد الصدوق : ١٢٥ ح ٤ .

الصفحة ١٦٧

و روي أيضا عن هشام بن الحكم قال : كان بمصر زنديق تبليغه عن أبي عبد الله عليه السّلام أشياء ، فخرج إلى المدينة ليناظره إلى أن قال فقال له أبو عبد الله عليه السّلام : أتعلم أنّ للأرض تحتنا و فوقنا ؟ قال : نعم . قال : فدخلت تحتها ؟ قال :

لا . قال : فما يدريك ما تحتها ؟ قال : لا أدري ، إلا أنّي أظنّ أنّ ليس تحتها شيء .

فقال عليه السّلام : فالظن عجز لما لا تستيقن . ثمّ قال : أفصعدت السّماء ؟ قال : لا . قال :

أفتدري ما فيها ؟ قال : لا . قال : عجبا لك لم تبلغ المشرق و لم تبلغ المغرب ، و لم تنزل الأرض ، و لم تصعد السّماء ، و لم تجر هناك فتعرف ما خلفهنّ ، و أنت جاحد بما فيهنّ ، و هل يجحد العاقل ما لا يعرف . قال الزّنديق : ما كلّمني بهذا أحد غيرك .

فقال عليه السّلام : فأنت من ذلك في شكّ ، فلعلّه هو و لعلّه ليس هو . فقال الزّنديق : و لعل ذلك . فقال عليه السّلام : أيّها الرجل ليس لمن لا يعلم حجّة على من يعلم ،

و لا حجّة للجاهل . يا أبا أهل مصر تفهّم عنيّ ؟ فإنّا لا نشكّ في الله أبدا ، أما ترى الشمس و القمر و الليل و النّهار يلجان فلا يشتبهان ، و يرجعان قد اضطرّا ليس لهما مكان إلاّ مكانهما ، فإن كانا يقدران على أن يذهبا فلم يرجعان ؟ و إن كانا غير مضطرين فلم لا يصير الليل نهارا و النّهار ليلا ؟ اضطرّا و الله يا أبا أهل مصر إلى دوامهما ، و الذي اضطرّهما أحكم منهما ، و أكبر . فقال الزّنديق :

صدق .

ثمّ قال أبو عبد الله عليه السّلام : يا أبا أهل مصر إنّ الذي تذهبون إليه و تظنون أنّه الدهر ، إن كان الدهر يذهب بهم لم لا يردّهم ؟ و إن كان يردّهم ، لم لا يذهب بهم ؟ القوم مضطرونّ يا أبا أهل مصر لم السّماء مرفوعة و الأرض موضوعة ؟ لم لا يسقط السّماء على الأرض ؟ لم لا تتحدر الأرض فوق طبقاتها و لا يتماسكان ؟ و لا يتماسك من عليها ؟ قال الزّنديق : أمسكهما الله ربّهما و سيدهما . قال : فأمن الزّنديق على يدي أبي عبد الله عليه السّلام . فقال له حمران :

الصفحة ١٦٨

جعلت فداك إن آمنت الزنادقة على يدك فقد آمن الكفار على يدي أبيك ١ .

و روي أنّ عبد الله الديصاني قال لهشام بن الحكم : ألك ربّ ؟ فقال : بلى .

قال : أقادر هو ؟ قال : نعم ، قادر قاهر . قال : يقدر أن يدخل الدنّيا كلّها البيضة لا تكبر البيضة ، و لا تصغر الدنّيا . قال هشام : النظرة . فقال : قد أنظرتك حولا . ثمّ خرج هشام إلى أبي عبد الله عليه السّلام

، فقال له : أتاني عبد الله الديصاني بمسألة ليس المعول فيها إلا على الله و عليك ، قال لي كيت و كيت . فقال عليه السلام له : كم حواسك ؟

قال : خمس . قال : أيها أصغر ؟ قال : الناظر . قال : و كم قدر الناظر . قال : مثل العدسة أو أقل منها . فقال له : يا هشام فانظر أمامك ، و فوقك ، و اخبرني بما ترى . فقال : أرى سماء و أرضا و دورا ، و قصورا ، و براري ، و جبالا ، و أنهارا .

فقال له عليه السلام : إن الذي قدر أن يدخل الذي تراه العدسة أو أقل منها قادر على أن يدخل الدنيا كلها البيضة لا تصغر الدنيا ، و لا تكبر البيضة . فأكب هشام عليه ،

و قبل يديه و رأسه و رجليه ، و قال : حسبي . و انصرف إلى منزله ، و غدا عليه الديصاني فقال له : إنني جئتك مسلما ، و لم أجئك متقاضيا للجواب . فقال له هشام : إن كنت جئت متقاضيا فهالك الجواب . فخرج الديصاني عنه حتى أتى باب أبي عبد الله عليه السلام . إلى أن قال قال الديصاني : دلني على معبودي ، و لا تسألني عن اسمي . فقال عليه السلام له : اجلس ، و إذا غلام له صغير في كفه بيضة يلعب بها ، فقال : ناولني يا غلام . فناوله : فقال : يا ديصاني هذا حصن مكنون له جلد غليظ ، و تحت الجلد الغليظ جلد رقيق ، و تحت الجلد الرقيق ذهب مائة ،

و فضة ذاتية ، فلا الذهب المائعة تختلط بالفضة الذاتية ، و لا الفضة الذاتية تختلط بالذهب المائعة ، فهي على حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن صلاحها ، و لا دخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها ، لا يدرى للذكر خلقت أم

(١) الكافي للكليني ١ : ٧٢ ح ١ ، و توحيد الصدوق : ٢٩٣ ح ٤ .

الصفحة ١٦٩

للانثى ، تتفلق عن مثل ألوان الطواويس ، أتري لها مدبرا ؟ قال : فأطرق مليا ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أن محمدا عبده و رسوله و أنك إمام و حجة ١ .

و روي أيضا في خبر أنه عليه السلام قال لزنديق : لا يخلو قولك : « إنهما اثنان » من أن يكونا قديمين قويين ، أو يكونا ضعيفين ، أو يكون أحدهما قويا و الآخر ضعيفا ، فإن كانا قويين ، فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه و يتفرّد بالتدبير ؟

و إن زعمت : أن أحدهما قويّ و الآخر ضعيف ، ثبت أنه واحد كما نقول للعجز الظاهر في الثاني . فإن قلت : إنهما اثنان ، لم يخل من أن يكونا متفقين من كلّ جهة ، أو مفترقين من كلّ جهة ، فلما رأينا الخلق منتظما ، و الفلك جاريا ،

و التدبير واحدا ، و الليل و النهار و الشمس و القمر ، دلّ صحّة الأمر و التدبير و ائتلاف الأمر على أن المدبّر واحد . ثم يلزمك إن ادّعت اثنين فرجة ما بينهما حتى يكونا اثنين ، فصارت الفرجة ثالثا بينهما قديما معهما ، فيلزمك ثلاثة ، فإن ادّعت ثلاثة لزمك ما قلت في الاثنين ، حتى تكون بينهم فرجة فيكونوا خمسة ،

ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة . قال هشام : فكان من سؤال الزنديق أن قال : فما الدليل عليه ؟ فقال عليه السلام : وجود الأفاعيل دلّت على أنّ صانعا صنعها ، ألا ترى أنك إذا نظرت إلى بناء مشيد مبنيّ علمت أنّ له بانيا ، و إن كنت لم تر الباني و لم تشاهده ؟ قال : فما هو ؟ قال عليه السلام : شيء بخلاف الأشياء . ارجع بقولي إلى إثبات معنى ، و أنه شيء بحقيقة الشّيئية ، غير أنه لا جسم و لا صورة ، و لا يحسّ و لا يجسّ و لا يدرك بالحواسّ الخمس ، و لا تدركه الأوهام و لا تنقصه الدّهور ، و لا تغيّره الأزمان ٢ .

(١) الكافي للكليني ١ : ٧٩ ح ٤ و النقل بتلخيص يسير .

(٢) الكافي للكليني ١ : ٨٠ ح ٥ ، و توحيد الصدوق : ٢٤٣ ح ١ .

الصفحة ١٧٠

و في (المناقب) : أنّ رجلا من الحاجّ نام في مسجد المدينة و استيقظ ،

فتوهم أنّ هميانه سرق ، فرأى جعفر الصادق عليه السلام مصليا ، و لم يعرفه فتعلّق به ، و قال له : أنت أخذت همياني . قال : ما كان فيه ؟ قال : ألف دينار . فحملة إلى داره ، و وزن له ألف دينار ، و عاد إلى منزله و وجد هميانه ، فعاد إلى جعفر عليه السلام معتذرا بالمال ، فأبى قبوله ، و قال : شيء خرج من يدي لا يعود إليّ . فسأل الرّجل عنه ، فقيل له : هذا جعفر الصّادق . قال : لا جرم هذا فعال مثله ١ .

و في (فصول ابن الصّبّاغ المالكي) : روى أنّ داود بن عليّ قتل المعلى بن خنيس مولى كان لجعفر الصادق عليه السلام فأخذ ماله ، فبلغ ذلك جعفرا فدخل إلى داره ، و لم يزل ليله كلّه قائما إلى الصباح ، و لما كان وقت السّحر سمع منه و هو يقول في مناجاته : يا ذا القوّة القويّة ، و يا ذا المال الشّديد ، و يا ذا

العزة التي كلّ خلقك لها ذليل ، اكفنا هذا الطاغية ، و انتقم لنا منه . فما كان إلا ارتفعت الأصوات بالصراخ و العويل ، و قيل : مات داود فجأة ٢ .

و قال ابن الصباغ المالكي أيضا : و لما بلغ جعفر الصادق قول الحكم بن عباس الكلبى :

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة
و لم أر مهديا على الجذع يصلب

فرفع جعفر يديه إلى السماء ، و هما يرتعشان فقال : اللهم سلّط على الحكم بن عباس الكلبى كلبا من كلابك . فبعثه بنو امية إلى الكوفة ، فافترسه الأسد في الطريق ، فاتصل ذلك بالصادق فخرّ ساجدا ، و قال : الحمد لله الذي أنجزنا ما وعدنا ٣ .

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ٢٧٤ .

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ : ٢٢٦ .

(٣) الفصول المهمة لابن الصباغ : ٢٢٧ .

الصفحة ١٧١

و قال صاحب (عمدة الطالب) : يقال لمحمد بن عبد الله بن علي بن الحسين عليه السلام : الأرقط ، قال ذلك أبو الحسن العمري : قال أبو نصر البخاري : من يطعن في الأرقط فلا يطعن فيه من حيث النسب و العقب ، و إنما يطعنون لشيء جرى بينه و بين جعفر بن محمد الصادق ، يقال : إنه بصق في وجه الصادق ،

فدعا عليه فصار أرقط الوجه به نمش كرية المنظر . و أما نسبه فلا مطعن فيه ١ .

و روى (الكافي) عن صفوان بن يحيى قال : قال لي جعفر بن محمد بن الأشعث : أتدري ما كان سبب دخولنا هذا الأمر و معرفتنا به ، و ما كان عندنا منه ذكر ، و لا معرفة شيء مما عند الناس ؟ إنّ أبا جعفر يعني : أبا الدوانيق قال لأبي : ابغ لي رجلا له عقل يؤدي عني . فقال له : إنّي قد أصبت لك هذا فلان بن مهاجر خالي . قال : فأننتي به . فأتاه به ، فقال له : خذ هذا المال و أنت المدينة ،

و أنت عبد الله بن الحسن ، و عدّة من أهل بيته فيهم جعفر بن محمد فقل لهم : إنّي رجل غريب من أهل خراسان ، و بها شيعة من شيعتكم وجّهوا إليكم بهذا المال ، و ادفع إلي كلّ منهم كذا و كذا ، فإذا قبضوا

المال فقل : إنِّي رسول ، و احبّ أن يكون معي خطوطكم بقبضكم ما قبضتم . فأخذ المال و أتى المدينة ، فرجع إلى أبي الدّوانيق و أبي عنده ، فقال له : ما وراءك ؟ قال : أتيت القوم ، و هذه خطوطهم بقبضهم المال ، خلا جعفر بن محمّد ، فإنّي أتيتهم و هو يصلّي في مسجد النّبيّ صلّى الله عليه و آله فجلست خلفه ، و قلت : حتّى ينصرف فأذكر له ما ذكرت لأصحابه . فعجّل و انصرف ثم التفت إليّ و قال : يا هذا اتّق الله ، و لا تغرّ أهل بيت محمّد ، فإنهم قريبو العهد بدولة بني مروان ، فكلمهم محتاج . فقلت : و ما ذاك ؟

فأدنى رأسه مني ، و أخبرني بجميع ما جرى بيني و بينك كأنه كان ثالثنا . فقال

(١) عمدة الطالب للحسيني : ٢٥٢ ، و النقل بتصريف يسير .

الصفحة ١٧٢

له أبو جعفر : يابن مهاجر اعلم أنّه ليس من أهل بيت نبوة إلاّ و فيه محدث ، و أنّ جعفر بن محمّد محدثنا اليوم . فكانت هذه الدّلالة سبب قولنا بهذه المقالة ١ .

و عن المفضل بن عمر : أنّ المنصور وجّه إلى الحسن بن زيد و هو و اليه على الحرمين أن أحرق على جعفر بن محمّد داره . فألقى النّار في دار أبي عبد الله عليه السّلام فأخذت النّار في الباب و الدهليز ، فخرج أبو عبد الله عليه السّلام يتخطى النّار ، و يمشي فيها ، و يقول : أنا ابن أعراب الثّرى ، أنا ابن إبراهيم خليل الله ٢ .

و في (تاريخ اليعقوبي) : قال إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس :

دخلت على أبي جعفر المنصور يوما ، و قد اخضلت لحيته بالدموع ، فقال لي : ما علمت ما نزل بأهلك ؟ فقلت : و ما ذاك ؟ قال : فإنّ سيدهم و عالمهم و بقية الأخيار منهم توفي . فقلت : و من هو ؟ قال : جعفر بن محمّد . فقلت : أعظم الله أجر أمير المؤمنين ، و أطال لنا بقاءه . فقال لي : إنّ جعفرا كان ممّن قال الله فيه : ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ٣ كان ممّن اصطفى الله ، و كان من السابقين بالخيرات ٤ .

و في (الكافي) عن أبي أيّوب النّحوي قال : بعث إليّ المنصور في جوف الليل ، فأتيتهم فدخلت عليه و هو جالس على كرسي ، و بين يديه شمعة و في يده كتاب ، فلما سلّمت عليه رمى بالكتاب إليّ و هو يبكي ،

فقال لي : هذا كتاب محمد بن سليمان يخبرنا أن جعفر بن محمد قد مات ، و إنا لله و إنا إليه راجعون ثلاثا و أين مثل جعفر ؟ ثم قال لي : اكتب . قال : فكتبت صدر الكتاب ، ثم قال :

(١) الكافي للكليني ١ : ٤٧٥ ح ٦ .

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ٢٣٦ .

(٣) فاطر : ٣٢ .

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٨٣ و النقل بتلخيص .

الصفحة ١٧٣

اكتب إن كان أوصى إلى رجل واحد بعينه فقدّمه و اضرب عنقه . فرجع إليه الجواب : أنه قد أوصى إلى خمسة ، و أحدهم أبو جعفر المنصور و محمد بن سليمان و عبد الله و موسى و حميدة . قال النضر بن سويد : فقال المنصور :

ليس إلى قتل هؤلاء سبيل ١ .

قلت : و لو لم يكن للصادق عليه السلام إلا ما بينه للمفضل بن عمر ، من حكم الله تعالى في خلق الإنسان ، و تنقله في أحواله ، و في أقسام الحيوان و السباع و الطيور ، و في السماء ، و الشمس ، و القمر ، و النجوم ، و الفلك ، و الليل ، و النهار ،

و الحرّ و البرد ، و الرياح و الأرض ، و الماء ، و الهواء ، و النار ، و المطر ، و الصحو ،

و الجبال ، و الأنهار ، و الأحجار ، و الأشجار ، و ما فيها من العبر ، و في حكمة الآفات الحادثة في بعض الأزمان ، و قد جمعها المفضل في كتاب الذي يضطر كل ملحد إلى الإقرار بالصانع ، لكفاه عليه السلام دليلا على إمامته ، و كونه آية من آيات الله تعالى و حجة على خلقه ، مع أنه ملأ الدنيا من علمه ، بل أئمة العامة أيضا علومهم منتهية إليه . فأحمد بن حنبل قرأ على الشافعي ، و الشافعي قرأ على محمد بن الحسن ، و محمد بن الحسن قرأ على أبي حنيفة ، و أبو حنيفة قرأ عليه عليه السلام ، كما صرح بذلك ابن أبي الحديد في أوّل (شرحه) ٢ .

و أمّا الكاظم موسى بن جعفر عليه السّلام فنقل ابن الصّبّاح المالكي عن سبط ابن الجوزي و (معالم الجنابذي) ، و (كرامات قاضي القضاة الرامهرمزي) عن شقيق البلخي قال : خرجت حاجًا في سنة (١٤٩) فنزلت القادسية ، فبينما أنا أنظر في زينتهم و كثرتهم إذ نظرت إلى شاب حسن الوجه شديد السمرة ، نحيف ، فوق ثيابه ثوب صوف مشتمل بشملة ، و في رجليه نعل ، و قد جلس

(١) الكافي للكليني ١ : ٣١٠ ح ١٣ ، ١٤ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١ : ٦ المقدمة .

الصفحة ١٧٤

منفردا ، فقلت في نفسي : هذا الفتى من الصوفيّة ، و يريد أن يخرج مع النّاس فيكون كلاً عليهم في طريقهم ، و الله لأمضين إليه و لأوبخنه . فدنوت منه ، فلمّا رأيته مقبلاً نحوه قال : يا شقيق اجتنبوا كثيراً من الظنّ إنّ بعض الظنّ إثمٌ ١ فتركني و ولّى ، فقلت في نفسي : إنّ هذا لأمر عظيم تكلم على ما في خاطري ، و نطق باسمي ، هذا عبد صالح لأحقنه و أسأله الدّعاء ، و أن يحلّلني ممّا ظننته به . فغاب عني و لم أره ، فلمّا نزلنا واقصة فإذا هو واقف يصليّ ،

فقلت : هذا صاحبي أمضي إليه و أستحلّه . فصبرت حتّى فرغ من صلاته ،

فالتفت إليّ و قال : يا شقيق و إنّي لغفّار لمن تاب و آمن و عمل صالحاً ثمّ اهتدى ٢ ثمّ قام و مضى و تركني ، فقلت : هذا الفتى من الأبدال قد تكلم على سرّي مرتين . فلمّا نزلنا (زباله) إذا أنا بالفتى قائم على البئر ، و أنا أنظر إليه ،

و بيده ركوة يريد أن يستسقي فيها الماء ، فسقطت الركوة من يده في البئر ،

فرمق إلى السماء بطرفه و سمعته يقول : « أنت ربّي إذا ظمئت إلى ماء ، و قوتي إذا أردت طعاماً . إلهي و سيدي مالي سواك فلا تعدمنيها » . فو الله لقد رأيت الماء ارتفع إلى رأس البئر ، و الركوة طافية عليه ، فمدّ يده و أخذها ملآن إلى أن قال ثمّ صلّى خلف المقام ، ثمّ خرج يريد الدّهاب ، فخرجت خلفه اريد السّلام عليه ،

و إذا بجماعة قد أطافوا به يمينا و شمالا ، و من خلفه و قدّامه ، و إذا حشم و موالي ، و أتباع قد خرجوا معه ، فقلت لهم : من هذا ؟ فقالوا : موسى بن جعفر . . . ٣ .

و قال ابن الصَّبَّاح أيضا : قال صاحب (نثر الدر) : ذكر لموسى بن جعفر

(١) الحجرات : ١٢ .

(٢) طه : ٨٢ .

(٣) الفصول المهمة لابن الصباغ : ٢٣٣ .

الصفحة ١٧٥

أنَّ الهادي قد همَّ بك . فقال لمن يليه : ما تشيرون به عليه ؟ قالوا : نرى أن تتباعد عنه ، و أن تغيب شخصك عنه . فتبسّم ثم قال :

زعمت سخينة أن ستغلب ربّها
و ليغلبن مغالب الغلاب

ثم رفع يده إلى السماء ، فقال : إلهي كم من عدوّ لي شحذ ظبة مديته ،

و داف لي قوائل سمومه ، و لم تتم عني عين حراسته ، فلما رأيت ضعفي عن احتمال الفواح ، و عجزني عن كلمات الجوانح ، صرفت ذلك عني بحولك و قوتك لا بحولي و قوتي ، و ألقيته في الحفيرة التي احتقرها لي ، خائبا ممّا أمّله في دنياه ، متباعدا عمّا يرجوه في آخراه ، فلك الحمد على قدر ما عممتني فيه من نعمك ، و ما توليتني به من جودك و كرمك . اللهمّ فخذ بقوتك ، و افلح حدّه عني بقدرتك ، و اجعل له شغلا في ما يليه ، و عجزا به عمّا ينويه . اللهمّ و أعدني عليه عدوة حاضرة تكون من غيظي شفاء ، و من حنفي عليه وفاء ، و صل اللهمّ دعائي بالإجابة ، و انظم شكايتي بالتغيير ، و عرفه عمّا قليل ما وعدت به من الإجابة لعبيدك المضطربين ، إنك ذو الفضل العظيم ، و المنّ الجسيم . ثم انصرفوا عنه . فلما كان بعد مدّة يسيرة اجتمعوا ، لقراءة الكتاب الوارد عليه عليه السّلام بموت موسى الهادي ١ .

و روى (عيون ابن بابويه) الذي صنّفه للصّاحب بن عباد مسندا عن الفضل بن الرّبيع قال : كنت أحبب الرّشيد ، فأقبل عليّ يوما غضبانا ، و بيده سيف يقبّله ، فقال لي بقرابتي من النّبيّ لأن لم تأتني بآبن عمّي لأخذنّ الذي فيه عيناك . فقلت : بمن ؟ فقال : بهذا الحجازي . قلت : و أيّ حجازي ؟ قال : موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب . فخفت من الله أن أجيء به ، ثمّ فكّرت في النّقمة ، فقلت له : أفعل . فقال : ايتني بسواطين ، و هبارين ،

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ : ٢٣٥ .

الصفحة ١٧٦

و جلّادين . فأنتيته بذلك ، و مضيت إلى منزل موسى بن جعفر فأنتيت إلى خربة فيها كوخ من جراند النخل ، فإذا أنا بغلام أسود ، فقلت له : استأذن لي على مولاك . فقال : ليس له حاجب و لا بواب . فولجت إليه ، فإذا بغلام أسود بيده مقصّ ، يأخذ اللحم من جبينه و عرنين أنفه ، من كثرة سجوده ، فقلت له : السّلام عليك يا ابن رسول الله أحب الرّشيد . فقال : ما له ولي ؟ أما تشغله نعمته عني ؟ ثم وثب مسرعا و هو يقول : لو لا أنني سمعت خبرا عن جدّي صلّى الله عليه و آله أنّ طاعة السّلطان للنّقية واجبة ما جنّنت . فقلت : استعدّ للعقوبة . فقال : أليس معي من يملك الدّنيا و الآخرة ؟ و لن يقدر اليوم على سوء بي . فرأيتته و قد أدار يده على رأسه ثلاث مرّات . فدخلت على الرّشيد فإذا هو كأنه امرأة ثكلى ، فلما رأني قال : يا فضل . قلت : لبيك . قال : جنّنتي بابن عمّي ؟ قلت : نعم . قال : لا تكون أزعجته ؟ فقلت له : لا . قال : ائذن له بالدخول . فأذنت له ، فلما رآه وثب إليه و عانقه ، و قال له : مرحبا بابن عمّي ما الذي قطعك عن زيارتنا ؟ فقال : سعة مملكتك و حبك للدّنيا . فقال : ايتوني بحقّة الغالية . فاتي بها ، فغلقه بيده ، ثم أمر أن يحمل بين يديه خلع و بدرتا دنانير . فقال موسى بن جعفر : و الله لو لا أن ازوج بها من عزّاب بني أبي طالب ، لئلا ينقطع نسله ما قبلتها . ثم تولى و هو يقول : الحمد لله ربّ العالمين . فقال الفضل للرّشيد : أردت أن تعاقبه فخلعت عليه و أكرمته ؟ فقال : يا فضل إنك لمّا مضيت لتجيني به رأيت أقواما قد أحدقوا بداري ، بأيديهم حراب قد غرزوها في أصل الدّار ، و يقولون : إن أذى ابن رسول الله خسفنا به و بداره الأرض ، و إن أحسن إليه تركناه و انصرفنا .

قال الفضل : فتبعت موسى عليه السّلام و قلت له : ما الذي قلت حتّى كفيت أمر الرّشيد ؟ فقال : دعاء جدّي عليّ عليه السّلام ، كان إذا دعا به ما برز إلى عسكر إلا هزمه ،

و لا إلى فارس إلا قهره ، و هو دعاء كفاية البلاء : اللهم بك اساور ، و بك احاول ،

و بك أنتصر و بك أموت ، و بك أحيا . أسلمت نفسي إليك ، و فوّضت أمري عليك ،

الصفحة ١٧٧

و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم . اللهم إنك خلقتني و رزقتني ، و سترتني عن العباد ، و بلطفك خولتني و أغنيتني ، و إذا هويت رددتني ، و إذا عثرت قومتي ، و إذا مرضت شفيتني ، و إذا دعوت أحببتي ، يا سيدي ارض عني ، فقد أرضيتني ١ .

و عن إبراهيم بن هاشم القمي عن بعض أصحابه قال : لما حبس الرشيدي موسى بن جعفر عليه السلام جنّ عليه الليل و خاف من ناحية هارون أن يقتله ، فجدّد موسى بن جعفر طهوره فاستقبل بوجهه القبلة ، و صلّى لله أربع ركعات ثم دعا بهذه الدعوات : يا مخلص الشجر من بين رمل و طين ، و يا مخلص اللين من بين فرث و دم ، و يا مخلص الولد من بين مشيمة و رحم ، و يا مخلص النار من بين الحديد و الحجر خلّصني من يد هارون . فلما دعا بهذه الدعوات أتى هارون رجل أسود في منامه ، و بيده سيف قد سلّه فوقف على رأسه ، و قال :

اطلق موسى بن جعفر ، و إلا ضربت علاوتك بسيفي هذا . فخاف من هيئته .

فقال للحاجب : اذهب إلى السجّ فاطلق عن موسى بن جعفر . قال : إلى أن حبسه الثانية فلم يطلقه ، حتّى سلّمه إلى السندي بن شاهك و قتله بالسّم ٢ .

و عن سفيان بن نزار قال : كنت يوماً على رأس المأمون ، فقال : أتدرون من علّمني التشيع ؟ فقال القوم جميعاً : لا و الله ما نعلم . قال : الرشيدي . قيل له :

و كيف ذلك ، و الرشيدي كان يقتل أهل هذا البيت ؟ قال : كان يقتلهم على الملك و الملك عقيم و لقد حجبت معه سنة ، فلما صار إلى المدينة تقدّم إلى حجّابه ،

و قال : لا يدخل عليّ رجل من أهل المدينة و مكّة من أبناء المهاجرين و الأنصار ،

و بني هاشم ، و سائر بطون قريش إلاّ نسب نفسه ، و كان الرجل إذا دخل عليه

(١) عيون الأخبار للصدوق ١ : ٦٢ ح ٥ .

(٢) عيون الأخبار للصدوق ١ : ٧٦ ، و النقل بتلخيص .

قال : أنا فلان بن فلان حتى ينتهي إلى جدّه من هاشمي أو قرشي أو مهاجري أو أنصاري ، فيصله من المال بخمسة آلاف دينار ، و ما دونها إلى مائتي دينار ،

على قدر شرفه و هجرة آباءه .

قال : فإذا أنا ذات يوم واقف إذ دخل الفضل بن الرّبيع فقال : على الباب رجل يزعم أنّه موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب . فأقبل علينا و نحن قيام على رأسه : أنا و الأمين و المؤمن ، و ساير القوّد ، فقال : احفظوا على أنفسكم . ثم قال لأذنه : ائذن له ، و لا ينزل إلّا على بساطي . فبينما نحن كذلك إذ دخل شيخ قد أنهكته العبادة ، كأنّه شنّ بال قد كلم من السجود وجهه و أنفه . فلمّا رأى الرّشيد رمى بنفسه عن حمار كان ركبه ،

فصاح الرّشيد : لا و الله إلّا على بساطي . فمنعه الحجاب من التّرجل ، و نظرنا إليه بالإجلال و الإعظام ، فما زال يسير على حماره حتى صار إلى البساط ،

و الحجاب و القوّد محدقون به فنزل ، فقام إليه الرّشيد و استقبله إلى آخر البساط ، و قبل وجهه و عينيه ، و أخذ بيده حتى صيره في صدر المجلس ،

و أجلسه معه فيه ، و جعل يحدثه ، و يقبل بوجهه عليه ، و يسأله عن أحواله .

ثمّ قال له : يا أبا الحسن ما عليك من العيال ؟ فقال : يزيدون على الخمسمائة . قال : كلّهم أولادك ؟ قال : لا ، أكثرهم موالي و حشم ، فأما الولد فلي نيف و ثلاثون : الذّكران منهم كذا و النّسوان كذا . قال : فلم لا تزوّج النّسوان من بني عمومتهم و أكفأهن ؟ قال : اليد تقصر عن ذلك . قال : فما حال الضيّعة ؟ قال :

تعطي في وقت و تمنع في آخر . قال : فهل عليك دين ؟ قال : نعم نحو عشرة آلاف دينار . فقال الرّشيد : يا بن عم أنا اعطيك ما تزوّج به الذّكران و النّسوان ،

و تقضي الدّين ، و تعمّر الضياع . فقال له : وصلتك رحم يابن عم ، و شكر الله لك هذه النّيّة الجميلة ، و الرّحم ماسة ، و القرابة و اشجّة ، و النّسب واحد ، و العباس عمّ النّبيّ و صنو أبيه ، و عمّ عليّ بن أبي طالب و صنو أبيه ، و ما أبعدك الله من أن

تفعل ذلك و قد بسط يدك ، و أكرم عنصرك ، و أعلى محتدك . فقال : أفعل ذلك و كرامة . فقال : إنَّ الله تعالى قد فرض على ولاة عهده أن ينعشوا فقراء الأمة ،

و يقضوا عن الغارمين ، و يؤدوا عن المتقل ، و يكسوا العاري ، و يحسنوا إلى العاني ، و أنت أولى من يفعل ذلك . فقال : أفعل .

ثمَّ قام فقام الرشد لقيامه ، و قبل عينيه و وجهه ، ثمَّ أقبل عليّ و على الأمين و المؤمن ، فقال : يا عبد الله و يا محمد ، و يا إبراهيم امشوا بين يدي عمّكم و سيّدكم و خذوا بركابه ، و سوّوا عليه ثيابه ، و شيّعوه إلى منزله . فأقبل عليّ أبو الحسن موسى بن جعفر سرّاً بيني و بينه فبشّرني بالخلافة ، و قال لي :

إذا ملكت هذا الأمر فأحسن إلى ولدي . ثمَّ انصرفنا .

و كنت أجراً ولد أبي عليه ، فلمّا خلا المجلس قلت له : من هذا الرجل الذي قد أعظمته و أكرمته و أجلته ، و قمت من مجلسك إليه فاستقبلته ، و أعددته في صدر المجلس و جلست دونه ، ثمَّ أمرتنا بأخذ الركاب له ؟ قال : هذا إمام الناس ،

و حجة الله على خلقه ، و خليفته على عباده . فقلت : أو ليست هذه الصّفات كلّها لك و فيك ؟ فقال : أنا إمام الجماعة في الظاهر بالغلبة و القهر ، و موسى بن جعفر إمام حقّ ، و الله يا بنيّ إنّه لأحقّ بمقام النّبّيّ صلّى الله عليه و آله منّي و من الخلق جميعاً ، و و الله لو نازعتني في هذا الأمر لأخذت الذي فيه عيناك ، فإنّ الملك عقيم .

فلمّا أراد الرحيل من المدينة إلى مكّة أمر بصرة سوداء فيها مائتا دينار ،

و قال للفضل : اذهب بهذه الى موسى بن جعفر ، و قل له : يقول الخليفة : نحن في ضيقة ، و سيأتيك برّنا بعد الوقت . قال المأمون : فقلت و في صدري حيرة .

فقلت له : تعطي أبناء المهاجرين و الأنصار و سائر قريش و من لا تعرف حسبه و نسبه خمسة آلاف دينار إلى ما دونها ، و تعطي موسى بن جعفر ، و قد أعظمته و أجلته مائتي دينار ؟ فقال : اسكت لا أم لك ، فإنّي لو أعطيت هذا ما ضمنته ، ما كنت آمنته أن يضرب وجهي غدا بمائة ألف سيف من شيعته

و مواليه ، و فقر هذا و أهل بيته أسلم لي و لكم من بسط أيديهم و أعينهم . . . ١ .

و روى خبرا آخر بمضمونه ، و في آخره قال المأمون : قال أبي : هذا وارث علم النبيين ، إن أردت العلم الصحيح فعند هذا . قال المأمون : فحينئذ انغرس في قلبي محبتهم ٢ .

و في (أخبار طوال أبي حنيفة الدينوري) : ذكر عن الأصمعي قال : دخلت على الرّشيد و كنت غبت عنه حولين بالبصرة فأومأ إليّ بالجلوس قريبا منه ، فجلست في خفّ الناس ، ثمّ قال لي : يا أصمعي ألا تحبّ محمّدا و عبد الله إلى أن قال قال الرّشيد : كيف ترى أدبهما ؟ قلت له : ما رأيت مثلهما في ذكائهما ، و جودة ذهنهما إلى أن قال فضمّهما الرّشيد إلى صدره ، و سبقته عبرته حتّى تحدرت دموعه ، ثمّ أذن لهما حتّى إذا نهضا و خرجا قال لي : كيف بكم إذا ظهر تعاديهما ، و بدا تباغضهما ، و وقع بأسهما بينهما حتّى تسفك الدماء و يودّ كثير من الأحياء أنهم موتى ؟ قلت له : هذا شيء قضى به المنجّمون عند مولدهما ، أو شيء أخبر به العلماء في أمرهما ؟ قال : لا ، بل شيء أخبر به العلماء من الأوصياء عن الأنبياء في أمرهما . قالوا : فكان المأمون يقول في خلافته : قد كان الرّشيد سمع جميع ما جرى بيننا من موسى بن جعفر . فلذلك قال ما قال ٣ .

و روى الخطيب في عنوان مقابر بغداد : عن الحسن بن إبراهيم أبي علي الخلال قال : ما همّني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسّلت به إلّا سهّل الله تعالى لي ما أحبّ ٤ .

(١) عيون الأخبار للصدوق ١ : ٧٢ ح ١١ .

(٢) عيون الأخبار للصدوق ١ : ٧٥ ح ١٢ .

(٣) الأخبار الطوال للدينوري : ٣٨٤ ، و النقل بتصريف في اللفظ .

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١ : ١٢٠ .

الصفحة ١٨١

و قال الدميري في (حياة حيوانه) : كان الشافعي يقول : قبر موسى بن جعفر التّرياق المجرب ١ .

و قال السيوطي في (تاريخ خلفائه) : و في سنة ثمانين (أي : بعد الأربعمئة) جعل الناصر الخليفة العباسي مشهد موسى الكاظم أمنا لمن لاذبه . قال : و كان الناصر يتشيع و يميل إلى مذهب الامامية ٢ .

و روى أبو الفرج في (مقاتله) عن يحيى بن الحسن قال : كان موسى بن جعفر عليه السلام إذا بلغه عن الرجل ما يكره بعث إليه بصرةً دنانير و كانت صراره ما بين الثلاثمائة إلى المائتي دينار فكانت صرار موسى مثلاً ٣ .

و روى الخطيب عن ربيع أن المهدي لما حبس موسى بن جعفر رأى في النوم علي بن أبي طالب و هو يقول : فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض و تقطعوا أرحامكم . . . ٤ و عنه أيضاً : أن رجلاً من آل عمر كان إذا رأى موسى بن جعفر يشتم علياً عليه السلام ، و يؤذيه إذا لقيه ، فقال له بعض مواليه : دعنا نقتله . فقال : لا . ثم مضى راكباً حتى قصده في مزرعة له فتواطأها فصاح : لا تدس بزرعنا فلم يصغ إليه ، و أقبل حتى نزل عنده ، و جعل يضاحكه ، و قال له : كم غرمت على زرعك هذا ؟ قال مائة دينار . قال : فكم ترجو أن تربح ؟ قال : لا أدري . قال : إنما سألتك كم ترجو ؟ قال : مائة أخرى . فأخرج ثلاثمائة دينار فوهبها له ، فقام فقُبل رأسه ،

فلما دخل المسجد بعد ذلك وثب العمري فسلم عليه و جعل يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالته قال : فوثب أصحابه عليه فشاتهم ، و كان بعد ذلك كلما

(١) لم أجده في مظانه من حياة الحيوان .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٤٥١ ، ٤٥٢ .

(٣) مقاتل الطالبين لأبي الفرج : ٣٣٢ .

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣ : ٣٠ ، و الآية ٢٢ من سورة محمد .

الصفحة ١٨٢

دخل موسى عليه السلام خرج يسلم عليه و يقوم له ، فقال موسى لمن قال له ذلك القول : أيما كان خيراً ما أردتم أو ما أردت ؟

و روى الخطيب عن عيسى بن محمد القرظي قال : زرعت بطيخاً و قثاء و قرعا في موضع بالجوانية ، على بئر يقال لها : أم عظام . فلما استوى الزرع بغتني الجراد ، فأتى على الزرع كله ، و كنت غرمت على الزرع ، و في ثمن جملين مائة و عشرين ديناراً ، فبينما أنا جالس طلع موسى بن جعفر فسلم ، ثم قال :

أيش حالك؟ فقلت: أصبحت كالصريم، بغتتي الجراد فأكل زرعني. قال: وكم غرمت؟ قلت: مائة و عشرين ديناراً مع ثمن الجملين. فقال: يا عرفة زن له مائة و خمسين ديناراً، فربحك ثلاثين ديناراً و الجملين. فقلت: يا مبارك ادخل و ادع لي فيها. فدخل و دعا، و حدثني عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال: تمسكوا ببقية المصائب.

قال: ثم علقت عليه الجملين، و سقيته فجعل الله فيها البركة، زكت فبعت منها بعشرة آلاف ٢.

و روى المرتضى في (غرره) عن أيوب بن الحسين الهاشمي قال: قدم على الرشيد رجل من الأنصار يقال له: نفيح و كان عريفاً فحضر بابه يوماً،

و معه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، و حضر موسى بن جعفر عليه السلام على حمار له، فتلقاه الحاجب بالبشر و الإكرام، و أعظمه من كان هناك، و عجل له الإذن، فقال نفيح لعبد العزيز: من هذا الشيخ؟ قال: أو ما تعرفه؟ قال: لا. قال:

هذا شيخ آل أبي طالب موسى بن جعفر. فقال: ما رأيت أعجز من هؤلاء القوم يفعلون هذا برجل يقدر أن يزيلهم عن السرير، أما لئن خرج لأسوئته. فقال له عبد العزيز: لا تفعل، فإن هؤلاء أهل بيت قلما تعرض أحد لهم في خطاب إلا

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣ : ٢٨ ، و النقل بتصريف .

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣ : ٢٩ ، و النقل بتصريف .

الصفحة ١٨٣

و صموه في الجواب و صمة ، يبقى عارها عليه مدى الدهر .

قال: و خرج موسى عليه السلام فقام إليه نفيح و أخذ بلجام حماره، فقال: من أنت؟ فقال: يا هذا إن كنت تريد النسب، فأنا ابن محمد حبيب الله، ابن إسماعيل ذبيح الله، ابن إبراهيم خليل الله، و إن كنت تريد البلد، فهو الذي فرض الله على المسلمين و عليك إن كنت منهم الحج إليه، و إن كنت تريد المفاخرة، فو الله ما رضي مشركو قومي مسلمي قومك أكفاء لهم، حتى قالوا: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش. و إن كنت تريد الصيت و الاسم، فنحن الذين أمر الله تعالى بالصلاة عليهم في الصلوات الفرائض

في قوله : « اللهم صلّ على محمد و آله » و نحن آله ، خلّ عن الحمار . فخلّى عنه و يده ترعد ، و انصرف بخزي ، فقال له عبد العزيز : ألم أقل لك ١ ؟

و في (تذكرة سبط ابن الجوزي) : ذكر الزمخشري في (ربيع الأبرار) :

أنّ هارون كان يقول لموسى : خذ فدكا . و هو يمتنع ، فلمّا ألحّ عليه قال :

ما أخذها إلاّ بحدودها . قال : و ما حدّها ؟ قال : الحدّ الأوّل عدن . فتغيّر وجه الرّشيد ، قال : و الحدّ الثاني ؟ قال : سمرقند . فأربدّ وجهه . قال : و الحدّ الثالث ؟ قال : إفريقية . فاسودّ وجهه . قال : و الحدّ الرابع ؟ قال : سيف البحر ممّا يلي الخزر و ارمينية . فقال هارون : فلم يبق لنا شيء . فتحوّل في مجلسه ، فقال موسى : قد أعلمتك أنّي إن حدّتها لم تردّها . فعند ذلك عزم على قتله . . . ٢ و روى أبو الفرج في (مقاتله) : أنّ الحسين بن عليّ صاحب فخ قال لموسى بن جعفر في الخروج . فقال : إنّك مقتول فاجد الضراب فإنّ القوم

(١) أمالي المرتضى المسمى بالغرر و الدرر ١ : ١٩٨ المجلس ١٩ .

(٢) تذكرة الخواص لابن الجوزي : ٣٥٠ .

الصفحة ١٨٤

فساقّ يظهرون إيماننا ، و يضمرون نفاقا و شركا ١ .

و في (فصول ابن الصبّاح المالكي) : روى إسحاق بن عمّار قال : لمّا حبس هارون موسى دخل عليه السّجن ليلا أبو يوسف ، و محمد بن الحسن صاحبا أبي حنيفة و أرادا أن يختبراه بالسّؤال ، لينظرا مكانه من العلم . قال :

و جاء بعض الموكلين به ، و قال له : إنّ نوبتي قد فرغت ، و اريد الانصراف إلى غد . فإن كان لك حاجة تأمرني أن أتيتك بها معي غدا إذا جئتك ؟ فقال : ما لي حاجة ، انصرف . ثمّ قال لأبي يوسف و محمد بن الحسن : إنّني لأعجب من هذا الرجل يسألني أن اكلفه حاجة يأتيني بها معه غدا إذا جاء ، و هو ميّت في هذه اللّيلة . فأمسكا عن سؤاله و قاما و قالوا : أردنا أن نسأله عن الفرض و السنّة ،

و أخذ يتكلم معنا في علم الغيب ، و الله لنرسل خلف الرجل من يبيت عند باب داره ، و ننظر ما ذا يكون من أمره . فأرسلا شخصا ، فلمّا كان أثناء الليل ، و إذا بالصراخ و الواعية . فقيل لهم : ما الخبر ؟ قالوا : مات صاحب البيت فجأة . فعاد الرسول و أخبرهما ذلك ، فتعجبا من ذلك غاية العجب ٢ .

و روى (الأغاني) في جعيفران مسندا عن صالح بن عطية قال : كان أبو جعيفران عليّ بن أصغر يتشيّع ، فظهر على ابنه جعيفران أنه خالفه إلى جارية له سرية ، فطرده عن داره ، و حجّ ، فشكا ذلك إلى موسى بن جعفر ، فقال له موسى : إن كنت صادقا عليه فليس يموت حتّى يفقد عقله ، و إن كنت قد تحققت ذلك عليه فلا تساكفه في منزلك ، و لا تطعمه شيئا من مالك ، و أخرجه عن ميراثك بعد وفاتك . فقدم فطرده و أخرجه عن منزله ، و سأل الفقهاء عن حيلة يشهد بها في ماله حتّى يخرج عن ميراثه ، فدّلوه على السبيل إلى ذلك ، فأشهد

(١) مقاتل الطالبين : ٢٩٨ ، في صدر حديث .

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ : ٢٤١ .

الصفحة ١٨٥

به ، و أوصى إلى رجل ، فلمّا مات جاز الرجل ميراثه ، و منع منه جعيفران فاستعدى عليه أبا يوسف القاضي ، فأحضر الوصي ، و سأل جعيفران البيّنة على نسبه و تركة أبيه ، و أحضر الوصي بيّنة يشهدون على أبيه بما كان احتال به عليه ، فلم ير أبو يوسف ذلك شيئا ، و عزم على أن يورثه ، فكتب الوصي رقعة خبره فيها بحقيقته ، و ما أفتى به موسى بن جعفر ، و دفعها إلى صديق لأبي يوسف ، فدفعها إليه ، فلمّا قرأها دعا الوصي ، و استحلفه أنّه قد صدق في ذلك ، فحلف باليمين الغموس ، فقال له : اغد عليّ مع صاحبك . فحضر و حضر جعيفران معه ، فحكم عليه أبو يوسف للوصي ، فلمّا أمضى الحكم عليه وسوس جعيفران ، و اختلط منذ يومئذ ١ .

و رواه (نواذر وصية الكافي) ناسبا لأبيه إلى جدّه بلفظ (عليّ بن السري) و مسمّيا لجعيفران جعفر ٢ . و الظاهر أنّه إنّما أمر الرجل بإخراجه من ميراثه لعلمه عليه السّلام بكونه من زنا ، فروى (الأغاني) أنّ جعيفران اطّلع يوما في الحبّ ، فرأى وجهه قد تغيّر و عفي شعره ، فقال :

ما جعفر لأبيه

و لا له بشبيهه

أضحى لقوم كثير
فكلهم يدعيه

و الامّ تضحك منهم
لعلمها بأبيه ٣

و أنّ أبا يوسف كان عارفاً بأنّه عليه السّلام حكم لذلك ، فأنفذ حكمه عليه السّلام ، و إنّ الزّنا بالسريّة للأب لا يوجب الحرمان من ميراثه ، لا على قواعد العامّة ، و لا على قواعد الخاصّة .

(١) الأغاني لأبي الفرج ٢٠ : ١٨٨ ، و النقل بتصريف .

(٢) الكافي للكليني ٧ : ٦١٠ ح ١٥ ، بفرق كثير .

(٣) الأغاني لأبي الفرج ٢٠ : ١٩٥ ، و النقل بتصريف .

الصفحة ١٨٦

و روى في (مقاتله) بأسانيد عن النوفلي ، و يحيى بن الحسن العلوي ،

و غيرهما : أنّ الرّشيد جعل ابنه محمّداً في حجر جعفر بن محمّد بن الأشعث ،

فحسده يحيى بن خالد بن برمك على ذلك ، و قال : إنّ أفضت الخلافة إليه زالت دولتي و دولة ولدي ، فاحتال على جعفر و كان يقول بالإمامة حتّى دخله و أنس إليه ، و كان يكثر غشيانه في منزله فيقف على أمره ، و يرفعه إلى الرّشيد ،

و يزيد عليه في ذلك بما يقدر في قلبه ، ثمّ قال يوماً لبعض ثقاته : أتعرفون لي رجلاً من آل أبي طالب ليس بوسع الحال يعرفني ما أحتاج إليه من أخبار موسى بن جعفر ؟ فدلّ على عليّ بن إسماعيل بن جعفر ، فحمل إليه يحيى مالا ،

و كان موسى عليه السّلام يأنس إليه و يصله ، و ربما أفضى إليه بأسراره . فلمّا طلب لي شخص به أحسن موسى عليه السّلام بذلك ، فدعاه ، فقال له : إلى أين يابن أخي ؟ قال :

إلى بغداد . قال : و ما تصنع به ؟ قال : عليّ دين ، و أنا مملق .

قال : فإنّي أفضي دينك ، و أفعل بك ، و أصنع . فلم يلتفت إلى ذلك ، فعمل على الخروج ، فاستدعاه موسى عليه السّلام و قال له : أنت خارج ؟ فقال له : نعم لا بدّ من ذلك . فقال له : انظر يابن أخي و اتق الله لا توتّم أو لادي ، و أمر له بثلاثمائة دينار و أربعة آلاف درهم .

فخرج عليّ بن إسماعيل حتّى أتى يحيى بن خالد ، فتعرف منه خبر موسى بن جعفر ، فرفعه إلى الرشيد ، فسأله عن عمّه ، فسعى به إليه ، و قال له :

إنّ الأموال تحمل إليه من المشرق و المغرب ، و أنّ له بيوت أموال ، و أنّه اشترى ضيعة بثلاثين ألف دينار فسمّاها اليسيرة ، و قال له صاحبها و قد أحضره المال : لا آخذ هذا النقد ، و لا آخذ إلاّ نقدا كذا و كذا . فأمر بذلك المال فردّ ، و أعطاه ثلاثين ألف دينار من النّقد الذي سأل بعينه . فسمع ذلك منه الرشيد ، فأمر له بمائتي الف درهم يسبب له على بعض النّواحي ، فاختر كور المشرق ،

و مضت رسله لقبض المال ، و دخل هو في بعض الأيّام إلى الخلاء ، فخرجت

الصفحة ١٨٧

حشوته كلّها فسقطت ، و جهدوا في ردّها فلم يقدروا فوقع لما به ، و جاءه المال ،

و هو ينزع . فقال : و ما أصنع به و أنا أموت ؟

قال : و حجّ الرشيد في تلك السنة فبدأ بقبر النّبّي صلّى الله عليه و آله ، فقال : يا رسول الله إنّي أعتذر إليك من شيء أريد أن أفعله ، أريد أن أحبس موسى بن جعفر ، فإنّه يريد التّشّنت بين أمّتك و سفك دمائها ، ثمّ أمر به فأخذ من المسجد فادخل إليه ،

و أخرج من داره بغلان عليهما قبتان مغطّتان هو في إحداهما ، و وجّه مع كلّ واحدة منهما خيلا ، و أخذ بواحدة على طريق البصرة ، و اخرى على طريق الكوفة ليعمي على النّاس أمره ، و كان عليه السّلام في التي مضت إلى البصرة ، فأمر الرّسول أن يسلمه إلى عيسى بن جعفر بن المنصور ، و كان على البصرة حينئذ فمضى به فحبسه عنده سنة .

ثمّ كتب الى الرشيد : أن خذه منّي و سلّمه إلى من شئت ، و إلاّ خلّيت سبيله ، فقد اجتهدت أن آخذ عليه حجة ، فما أقدر على ذلك ، حتّى إنّي لأتسمّع عليه إذا دعا لعلّه يدعو عليّ أو عليك ، فما أسمعته يدعو إلاّ لنفسه يسأل الله الرّحمة و المغفرة . فوجّه من تسلّمه منه ، و حبسه عند الفضل بن الرّبيع ببغداد ،

فبقي عنده مدّة طويلة ، و أراد الرّشيد على شيء من أمره فأبى ، فكتب إليه ليسلمه إلى الفضل بن يحيى فتسلمه منه ، و أراد ذلك منه فلم يفعله ، و بلغه أنّه عنده في رفاهية و سعة و هو حينئذ بالرقّة ، فأنفذ مسرور الخادم إلى بغداد على البريد ، و أمره : أن يدخل من فوره على موسى فيعرف خبره ، فان كان الأمر على ما بلغه أوصل كتابا منه كتبه إلى العباس بن محمّد و أمره بامتثاله ،

و أوصل كتابا منه إلى السندي بن شاهك يأمره بطاعة العباس بن محمّد . فقدم مسرور ، فنزل دار الفضل لا يدري أحد ما يريد ، ثمّ دخل على موسى فوجده على ما بلغ الرّشيد ، فمضى من فوره إلى العباس بن محمّد و السندي ، و أوصل الكتابين إليهما ، فلم يلبث الناس أن خرج الرّسول يركض إلى الفضل فركب

الصفحة ١٨٨

معه ، و خرج دهشا حتى دخل على العباس ، فدعا العباس ، بالسيّاط و عقابين ،

فوجّه بذلك إليه السندي فأمر بالفضل ، فجرّد ثمّ ضربه مائة سوط ، و خرج متغيّر اللون بخلاف ما دخل ، فذهبت قوّته فجعل يسلم يمينا و شمالا ، و كتب مسرور بالخبر إلى الرّشيد ، فأمر بتسليم موسى إلى السندي ، و جلس مجلسا حافلا و قال : أيّها النّاس إنّ الفضل بن يحيى قد عصاني ، و خالف طاعتي و رأيت أن ألعنه فالعنوه . فلعنه ، النّاس من كلّ ناحية حتّى ارتجّ البيت و الدّار بلعنه ، فبلغ يحيى بن خالد الخبر فركب إلى الرّشيد ، فدخل من غير الباب الذي يدخل منه النّاس ، حتّى جاءه من خلفه و هو لا يشعر ، ثمّ قال له : التفت إليّ .

فأصغى إليه فرعا . فقال له : إنّ الفضل حدث ، و أنا أكفيك ما تريد . فانطلق وجهه و سرّ ، فقال له يحيى : غضضت من الفضل بلعنك إيّاه فشرّفه بإزالة ذلك عليّ .

فأقبل على النّاس فقال : إنّ الفضل كان قد عصاني في شيء فلعنته ، و قد تاب و أناب إلى طاعتي ، فتولّوه . فقالوا : نحن أولياء من و البيت ، و أعداء من عاديت ،

و قد تولّيناه .

ثم خرج يحيى على البريد حتّى وافى بغداد ، فماج الناس و ارجفوا بكلّ شيء ، و أظهر أنّه ورد لتعديل السّواد ، و النّظر في أمر العمّال ، و تشاغل ببعض ذلك ، ثمّ دخل و دعا بالسندي و أمره ، فلفّه على بساط ، و قعد الفراشون النّصارى على وجهه .

و أمر موسى بن جعفر عليه السلام عند وفاته السّندي : أن يحضر مولى له ينزل عند دار العباس بن محمّد ، في مشرعة القصب ليغسله ، ففعل ذلك .

قال السّندي : و سألته أن يأذن لي في أن أكفنه ، فأبى و قال : إنّ أهل بيت مهور نساننا ، و حجّ صرورتنا ، و أكفان موتانا من أظهر أموالنا ، و عندي كفي .

فلما مات ادخل عليه الفقهاء ، و وجوه أهل بغداد ، و فيهم الهيثم بن عدي ، فنظروا إليه لا أثر به ، و شهدوا على ذلك ، و اخرج فوضع على الجسر ببغداد ، فنودي :

الصفحة ١٨٩

هذا موسى بن جعفر قد مات ، فانظروا إليه .

و عن بعض الطالبين : نودي عليه : هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنه لا يموت ، فانظروا إليه . ١

و رواه (الإرشاد) و زاد بعد ذكر طلب عيسى بن جعفر من هارون تسلّم الكاظم عليه السلام منه ، و روى أن بعض عيون عيسى رفع إليه أنه يسمعه كثيرا يقول في دعائه و هو محبوس عنده : اللهم إنك تعلم أنّي كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك ، اللهمّ و قد فعلت ، فلك الحمد « ٢ .

و روى (الكافي) عنه عليه السلام قال : إنّ الله عزّ و جلّ غضب على الشيعة ،

فخبرني نفسي أوهم ، فوقيتهم و الله بنفسي ٣ .

و في (فرق شيعة الحسن بن موسى النوبختي) و في رواية : أنّ الكاظم عليه السلام دفن بقيوده ، و أنّه أوصى بذلك ٤ .

و روى (الكافي) عن الحسن بن محمّد بن بشار قال : حدّثني شيخ من أهل قطيعة الرّبيع ، من العامّة ببغداد ، ممّن كان ينقل عنه قال : قال لي : قد رأيت بعض من يقولون بفضله من أهل هذا البيت ، فما رأيت مثله قط في فضله و نسكه . فقلت له : من ، و كيف رأيتّه ؟ قال : جمعنا أيّام السّندي بن شاهك ثمانين رجلا من الوجوه المنسوبين إلى الخير ، فأدخلنا على موسى بن جعفر ، فقال لنا السّندي : يا هؤلاء

انظروا إلى هذا الرجل هل حدث به حدث؟ فإنّ الناس يزعمون أنّه قد فعل به ، و يكثرّون في ذلك ، و هذا منزله و فراشه موسّع عليه غير مضيق ، و لم يرد به أمير المؤمنين سوءا ، و إنّما ينتظر به أن يقدم فيناظر

(١) مقاتل الطالبين : ٣٣٣ ٣٣٦ .

(٢) الإرشاد للمفيد : ٢٩٨ .

(٣) الكافي للكليني ١ : ٢٦٠ ح ٥ .

(٤) فرق الشيعة للنوبختي : ٨٥ .

الصفحة ١٩٠

أمير المؤمنين ، و هذا هو صحيح موسّع عليه في جميع اموره ، فسלוه . قال :

و نحن ليس لنا همّ إلاّ النّظر إلى الرجل ، و إلى فضله و سمته . فقال موسى بن جعفر : أمّا ما ذكر من التّوسعة ، و ما أشبهها فهو على ما ذكر ، غير أنّي اخبركم أيّها النّفّر أنّي قد سقيت السمّ في سبع تمرات ، و أنا غدا أخضرّ و بعد غد أموت .

قال : فنظرت إلى السندي بن شاهك يضطرب ، و يرتعد مثل السّعة ١ .

و روى (العيون) عن أحمد بن عبد الله القزويني عن أبيه ، قال : دخلت على الفضل بن الرّبيع ، و هو جالس على سطح ، فقال لي : ادن . فدنوت حتّى حاذيته ثمّ قال لي : اشرف على البيت في الدّار . فأشرفت فقال : ما ترى في البيت ؟ قلت :

ثوبا مطروحا . فقال : انظر حسنا . فتأمّلت ، فقلت : رجل ساجد . فقال : أتعرفه ؟

قلت : لا . قال : هذا مولاك . قلت : و من مولاي ؟ قال : تتجاهل عليّ ؟ فقلت : لا أعرف لي مولى . فقال : هذا موسى بن جعفر ، إنّي أتفقده الليل و النهار ، فلا أجده في وقت من الأوقات إلاّ على الحالة التي اخبرك بها . إنّه يصلّي الفجر ، فيعقب ساعة في دبر صلاته إلى أن تطلع الشّمس ، ثمّ يسجد سجدة فلا يزال ساجدا حتّى تزول الشّمس ، و قد وكلّ من يترصد له الزّوال ، فلست أدري متى يقول الغلام : قد زالت الشّمس إذ وثب فيبتدئ الصّلاة من غير أن يحدث حدثا ،

فاعلم أنّه لم ينم في سجوده و لا أغفى ، و لا يزال إلى أن يفرغ من صلاة العصر ،

فإذا صَلَّى العصر يسجد سجدة ، فلا يزال ساجدا حتى تغيب الشمس ، فإذا غابت الشمس ، وثب من سجده
فصلَّى المغرب من غير أن يحدث حدثا ، و لا يزال في صلاته و تعقيبه إلى أن يصلِّي العتمة ، و إذا صَلَّى
العتمة أفطر على شوى يؤتى به ، ثم يجدد الوضوء ثم يسجد ثم يرفع رأسه ، فينام نومة خفيفة ،

ثم يقوم فيجدد الوضوء ، فلا يزال يصلِّي في جوف الليل ، فلست أدري متى

(١) الكافي للكليبي ١ : ٢٥٨ ح ٢ .

الصفحة ١٩١

يقول الغلام : إنَّ الفجر قد طلع . إذ قد وثب هو لصلاة الفجر ، فهذا دأبه منذ حوّل إليّ . فقلت : اتق الله ،
و لا تحدثن في أمره حدثا يكون فيه زوال النعمة ، فقد تعلم أنه لم يفعل أحد بأحد منهم سوءا إلا كانت نعمته
زائلة . فقال : قد أرسلوا إليّ غير مرّة يأمروني بقتله ، فلم أجهم إلى ذلك ، و أعلمتهم أنني لا أفعل ذلك ،
و لو قتلوني ما أحببهم إلى ما سألوني . قال : فلما كان بعد ذلك حوّل إلى الفضل بن يحيى البرمكي فحبس
عنده أياما ، و كان الفضل بن الربيع يبعث إليه كل يوم مائدة حتى مضى ثلاثة أيام و لياليها ، فلما كان
الليلة الرابعة قدّمت إليه مائدة الفضل بن يحيى ، فرفع يده إلى السماء ، فقال : يا ربّ إنك تعلم أنني لو أكلت
هذا قبل اليوم كنت أعنت على نفسي . قال : فأكل فمرض ، فلما كان من الغد جاءه الطبيب ، فعرض عليه
خضرة في بطن راحته و كان السمّ الذي سمّ به قد اجتمع في ذلك الموضع فانصرف الطبيب إليهم ، و قال
: هو و الله أعلم بما فعلتم به . ثم توفّي عليه السلام ١ .

و عن الثوباني قال : كانت لأبي الحسن موسى عليه السلام في بضع عشرة سنة كلّ يوم سجدة بعد
انفصاض الشمس إلى وقت الزوال ، فكان هارون ربّما صعد سطحا يشرف على المجلس الذي حبس فيه ،
فكان يراه ساجدا ،

فقال يوما : يا ربيع ما ذاك الثوب الذي أراه كلّ يوم في ذلك الموضع ؟ قال : ما ذاك بثوب ، و إنما هو
موسى بن جعفر له كلّ يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال . فقال : أما إنّ هذا من رهبان بني
هاشم . قلت : فمالك قد ضيّقت عليه في الحبس ؟ قال : هيهات لا بدّ من ذلك ٢ .

و عن الحسن بن عبد الله الصيرفي عن أبيه قال : توفّي موسى بن

(١) عيون الأخبار للصدوق ١ : ٨٦ ح ١٠ .

(٢) عيون الأخبار للصدوق ١ : ٧٧ ح ١٤ و : ٨١ ح ٥ .

الصفحة ١٩٢

جعفر عليه السلام في يد السندي ، فحمل على نعش و نودي عليه : هذا إمام الرافضة فاعرفوه . فلما اتى به مجلس الشرطة قام أربعة نفر فنادوا : ألا من أراد أن يرى الخبيث ابن الخبيث موسى بن جعفر فليخرج . و خرج سليمان بن أبي جعفر من قصره إلى الشط ، فسمع الصياح و الضوضاء ، فقال لغلمانه و لولده : ما هذا ؟ قالوا : السندي بن شاهك ينادي على موسى بن جعفر على نعشه . فقال لولده : يوشك أن يفعل به هذا في الجانب الغربي ، فإذا عبر به فانزلوا مع غلمانكم فخذوه من أيديهم ، فإن مانعوكم فاضربوهم ، و أخرجوا ما عليهم من السواد . فلما عبروا به نزلوا إليهم فأخذوه من أيديهم ، و ضربوهم ، و خرقوا عليهم سوادهم ، و وضعوه في مفرق أربعة طرق ، و أقاموا المنادين ينادون : ألا من أراد أن يرى الطيب ابن الطيب موسى بن جعفر فليخرج . و حضر الخلق ،

و غسل و حنط بحنوط فاخر ، و كفنه بكفن فيه حبرة استعملت له بألفي و خمسمائة دينار عليها القرآن ، و احتفى و مشى في جنازته ملبياً مشقوق الجيب إلى مقابر قريش ، فدفنه هناك ، و كتب بخبره إلى الرشيد . فكتب إليه الرشيد : و صلتك رحم يا عم ، و أحسن الله جزاك ، و الله ما فعل السندي ما فعل عن أمرنا ١ .

و في (الارشاد) : و كان عليه السلام يدعو كثيرا : اللهم إني أسألك الراحة عند الموت ، و العفو عند الحساب ٢ . و كان من دعائه عليه السلام : عظم الذنب من عبدك ،

فليحسن العفو من عندك ٣ .

و فيه : و كان الإمام بعد أبيه عليه السلام ، لاجتماع خلال الفضل فيه و الكمال ، و لنص أبيه عليه ، و كان مولده بالأبواء سنة ثمان و عشرين

(١) عيون الأخبار للصدوق ١ : ٧٧ ح ١٤ و : ٨١ ح ٥ .

(٢) إرشاد المفيد : ٢٩٦ .

(٣) إرشاد المفيد : ٢٩٦ .

الصفحة ١٩٣

و مائة ، و قبض عليه السّلام ببغداد في حبس السّندي ، لستّ خلون من رجب سنة ثلاث و ثمانين و مائة ، و له يومئذ خمس و خمسون سنة ، فكانت مدّة خلافته بعد أبيه خمسا و ثلاثين سنة ، و كان أفقه أهل زمانه و أحفظهم لكتاب الله ،

و أحسنهم صوتا بالقرآن ، و كان إذا قرأ يحزن و يبكي السّامعون لتلاوته ، و كان النّاس بالمدينة يسمّونه زين المتّجدين ، و سمّي بالكاظم لما كظمه من الغيظ ، و صبر عليه من فعل الظّالمين به ، حتّى مضى قتيلا في وثاقهم ١ .

قلت : و يقال له عليه السّلام : أبو الحسن الماضي لقول ابنه الرّضا عليه السّلام لمّا كان يسأل هل مات ؟ : نعم مضى كما مضى أباه ٢ . ردّا على الواقعة في قولهم بعدم موته و مضيّه ، و يقال له : أبو الحسن الأوّل ، و الرّضا عليه السّلام الثاني ، و الهادي عليه السّلام الثالث .

و أمّا أبو الحسن الرّضا عليه السّلام ، فقال المسعودي في (مروه) : إنّ المأمون أمر في سنة مائتين بإحصاء ولد العباس من رجالهم و نسائهم ،

و صغيرهم و كبيرهم ، فكان عددهم ثلاثة و ثلاثين ألفا ، و بعث برعاء بن أبي الضّحّاك و ياسر الخادم إلى عليّ بن موسى الرّضا عليه السّلام لإشخاصه ، فحمل إليه مكرّما وصل إليه و هو بمدينة مرو ، فأنزله أحسن إنزال ، و أمر بجمع خواصّ الأولياء ، و أخبرهم أنّه نظر في ولد العباس ، و ولد عليّ عليه السّلام فلم يجد في وقته أحدا أفضل و لا أحقّ بالأمر من عليّ بن موسى ، فبايع له بولاية العهد ، و ضرب اسمه على الدّنانير و الدّراهم ، و زوج ابنه محمّد بن عليّ بن موسى بابنته أمّ الفضل ، و أمر بإزالة السّواد من اللباس و الأعلام ، و نمي ذلك إلى من بالعراق

(١) ارشاد المفيد : ٢٨٨ ، ٢٩٨ ، و النقل بتلخيص .

(٢) معرفة الرجال للكليني ، اختياره : ٤٦٣ ح ٨٨٣ ، ضمن حديث ، و النقل بالمعنى .

الصفحة ١٩٤

من ولد العباس ، فأعظموه إذ علموا أنّ في ذلك خروج الأمر عنهم ١ .

و في (تاريخ الطبري) : ذكر أن عيسى بن محمد بن أبي خالد بينما هو في ما هو فيه من عرض أصحابه بعد منصرفه من عسكره إلى بغداد إذ ورد عليه كتاب من الحسن بن سهل ، يعلمه أن المأمون قد جعل عليّ بن موسى وليّ عهده من بعده و ذلك أنه نظر في بني العباس و بني عليّ فلم يجد أحدا هو أفضل و لا أروع و لا أعلم منه ، و أنه سمّاه الرضا من آل محمد ، و أمره بطرح لبس الثياب السود و لبس ثياب الخضرة و ذلك يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة (٢٠١) ، و يأمره أن يأمر من قبله من أصحابه و الجند و القوادم و بني هاشم بالبيعة له ، و أن يأخذهم بلبس الخضرة في أقيبتهم و قلانسهم و أعلامهم ، و يأخذ أهل بغداد جميعا بذلك ٢ .

و روى أبو الفرج في (مقاتله) بأسانيد : أن المأمون وجّه إلى جماعة من آل أبي طالب فحملهم إليه من المدينة ، و فيهم عليّ بن موسى ، فأخذ بهم على طريق البصرة ، و كان المتولّي لأشخاصهم المعروف بالجلودي من أهل خراسان ، فقدم بهم على المأمون فأنزلهم دارا ، و أنزل عليّ بن موسى دارا ،

و وجّه إلى الفضل بن سهل ، فأعلمه أنه يريد العقد له ، و أمره بالاجتماع مع أخيه الحسن بن سهل على ذلك ، ففعل و اجتمعا بحضرته فجعل الحسن يعظّم ذلك عليه ، و يعرفه ما فيه من إخراج الأمر من أهله ، فقال له : إنّي عاهدت الله أن اخرجها إلى أفضل آل أبي طالب إن ظفرت بالمخلوع ، و ما أعلم أحدا أفضل من هذا الرجل . فاجتمعا معه على ما أراد ، فأرسلهما إلى عليّ بن موسى فعرضا ذلك عليه فأبى فلم يزاالا به ، و هو يأبى ذلك ، و يمتنع منه ، إلى أن قال له أحدهما :

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣ : ٤٤٠ ، و النقل بتصريف يسير .

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ١٣٩ سنة ٢٠١ .

الصفحة ١٩٥

إن فعلت ، و إلا فعلنا بك و صنعنا . و تهدّاه ، ثمّ قال له أحدهما : و الله أمرني بضرب عنقك إذا خالفت ما يريد . ثمّ دعا به المأمون فامتنع ، فقال له قولا شبيها بالتهدد . ثمّ قال له : إنّ عمر جعل الشورى في ستة أحدهم جدّك ، و قال : من خالف فاضربوا عنقه ، و لا بدّ من قبول ذلك ، فأجابته .

ثمّ جلس المأمون في يوم خميس ، و خرج الفضل فأعلم الناس برأي المأمون ، و أنه و لاه عهده ، و سمّاه الرضا ، و أمرهم بلبس الخضرة ، و العود لبيعتة في الخميس الآخر على أن يأخذوا رزق سنة ، فلمّا كان ذلك اليوم ركب الناس من القوادم و القضاة و غيرهم من الناس في الخضرة ، و جلس المأمون ،

و وضع للرّضا عليه السّلام و سادتين عظيمتين حتّى لحق بمجلسه و فرشه ، و أجلس الرّضا عليه السّلام عليهما في الخصرة ، و عليه عمامة و سيف ، ثمّ أمر ابنه العباس فبايع له أولّ الناس ، فرفع الرّضا عليه السّلام يده ، فتلقّى بظهرها وجه نفسه و بطنها وجوههم . فقال له المأمون : ابسط يدك للبيعة . فقال له : إنّ النّبىّ صلّى الله عليه و آله هكذا كان يبايع . فبايعه النّاس ، و وضعت البدر ، و قامت الخطباء و الشّعراء فجعلوا يذكرون فضل الرّضا عليه السّلام و ما كان من أمر المأمون فيه إلى أن قال ثمّ قال المأمون للرّضا عليه السّلام : قم فاخطب النّاس . فقام و قال بعد حمد الله و الثناء عليه :

إنّ لنا عليكم حقّا برسول الله صلّى الله عليه و آله ، و لكم علينا حقّ به ، فإذا أدبتم إلينا ذلك و جب علينا الحقّ لكم . و لم يذكر عنه غير هذا في ذاك المجلس ١ .

و روى أيضا عن محمّد بن أبي عمر المدني و غيره عن عبد الجبار بن سعيد يخطب تلك السنة على منبر رسول الله بالمدينة ، أنّه قال في الدّعاء :

و أصلح وليّ عهد المسلمين عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ عليه السّلام .

(١) مقاتل الطالبين : ٣٧٥ .

الصفحة ١٩٦

سنة أبائهم ما هم

هم خير من يشرب صوب الغمام ١

و في (تذكرة سبط ابن الجوزي) : ذكر عبد الله بن أحمد المقدسي في كتاب أنساب القرشيين نسخة يرونها : عليّ بن موسى الرّضا عن أبيه موسى عن أبيه جعفر عن أبيه محمّد عن أبيه عليّ عن أبيه الحسين عن أبيه عليّ عليه السّلام عن النّبىّ صلّى الله عليه و آله . ثمّ قال : أسناد لو قرىء على مجنون يقرأ ٢ .

و فيه أيضا : أنّه لما جعل المأمون الرّضا وليّ عهده شغبت بنو العباس ببغداد عليه و خلعه من الخلافة ، و ولّوا إبراهيم بن المهدي و المأمون بمرور ،

و تفرقت قلوب شيعة بني العباس عنه . فقال له عليّ بن موسى الرّضا عليه السّلام :

النصح لك واجب ، و الغش لا يحل لمؤمن ، إنّ العامة تكره ما فعلت معي ،

و الخاصة تكره الفضل بن سهل ، فالرأي أن تتحينا عنك ، حتى يستقيم لك الخاصة و العامة ، فيستقيم أمرك إلى أن قال و فيه يقول أبو نواس :

قيل لي أنت أوحّد الناس في
كلّ كلام من المقال بديه

لك في جوهر الكلام فنون
ينثر الدرّ في يدي مجتبيه

فعلى ما تركت مدح ابن موسى
و الخصال التي تجمّعن فيه

قلت لا أهتدي لمدح إمام
كان جبريل خادما لأبيه ٣

و روى محمد بن بابويه في (عيون) الذي صنّفه للصاحب بن عباد عن ياسر الخادم ، قال : كان الرضا عليه السلام إذا خلا جمع حشمه كلّهم عنده الصّغير و الكبير . فيحدّثهم و يأنس بهم و يؤنسهم ، و كان إذا جلس على المائدة لا يدع صغيرا و لا كبيرا ، حتّى السائس و الحجام إلّا أقعده معه على مائدته . قال ياسر : فبينما نحن عنده إذ سمعنا وقع القفل الذي كان على باب المأمون إلى دار

(١) مقاتل الطالبين : ٣٧٦ ، ٣٧٧ عن محمد بن أبي عمر و يحيى بن الحسن العلوي .

(٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : ٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ .

(٣) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : ٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ .

الصفحة ١٩٧

الرضا عليه السلام ، فقال لنا : قوموا تفرّقوا فقمنا عنه ، فجاء المأمون و معه كتاب طويل ، فأراد الرضا عليه السلام أن يقوم فأقسم عليه المأمون بحقّ النبيّ صلّى الله عليه و آله أن لا يقوم ، ثمّ جاء حتّى انكبّ عليه ، و قبل وجهه ، و قعد بين يديه ، فقرأ ذلك الكتاب عليه ، فإذا فيه « فتح لبعض قرى كابل » كان فيه « إنا فتحنا قرية كذا و كذا » فقال له الرضا عليه السلام : و سرّك فتح قرية من قرى الشرك ؟ فقال

المأمون : أو ليس في ذلك سرور ؟ فقال : اتق الله في أمة محمد و ما ولاك الله و خصك به ، فإنك قد ضيقت أمر المسلمين ، و فوّضت ذلك إلى غيرك يحكم فيهم بغير حكم الله ،

و قعدت في هذه البلاد و تركت بيت الهجرة و مهبط الوحي ، و إن المهاجرين و الأنصار يظلمون دونك و (لا يرقبون في مؤمن إلا و لا ذمة) ، و يأتي على المظلوم دهر يتعب فيه نفسه ، و يعجز عن نفقته ، و لا يجد من يشكو إليه حاله ،

و لا يصل إليك ، فاتق الله في أمور المسلمين ، و ارجع إلى بيت النبوة و معدن المهاجرين و الأنصار ، أما علمت أن والي المسلمين مثل العمود في وسط الفسطاط ، من أراده أخذه ؟

قال المأمون : يا سيدي فما ترى ؟

قال : أرى أن تخرج من هذه البلاد ، و تتحول إلى موضع آبائك و أجدادك ،

و تنظر في أمور المسلمين و لا تكلمهم إلى غيرك .

فقال : نعم يا سيدي ما قلت هو الرأي . فخرج و أمر أن يقدم النجائب ، فبلغ ذلك ذا الرياستين فغمه غمًا شديدًا ، و قد كان غلب على الأمر ، و لم يكن للمأمون عنده رأي ، فلم يجسر أن يكشفه ، ثم قوي بالرضا عليه السلام جدًا ، فجاء ذو الرياستين إلى المأمون ، فقال له : ما هذا الرأي الذي أمرت به ؟ قال : أمرني سيدي أبو الحسن عليه السلام بذلك و هو الصواب . قال : ما هذا الصواب ؟ قتلت بالأمس أخاك و أزلت الخلافة عنه ، و بنو أبيك معادون لك ، و جميع أهل العراق ،

و أهل بيتك و العرب ، ثم أحدثت هذا الحدث الثاني : وليت ولاية العهد لأبي

الصفحة ١٩٨

الحسن و أخرجتها من بني أبيك ، و العامة و الفقهاء و العلماء ، و آل بني العباس لا يرضون بذلك ، و قلوبهم متنافرة عنك . فالرأي أن تقيم بخراسان حتى تسكن قلوب الناس على هذا الأمر و يتناسوا ما كان من أمر أخيك ، و هاهنا مشائخ قد خدموا الرشيد ، و عرفوا الأمر فاستشرهم في ذلك ، فإن أشاروا بذلك فامضه ، فقال المأمون : مثل من ؟ قال : علي بن أبي عمران ، و ابن يونس ،

و الجلودي و هؤلاء هم الذين نقموا ببيعة الرضا عليه السلام ، و لم يرضوا به ، فحبسهم المأمون بهذا السبب فقال المأمون : نعم . فلما كان الغد جاء أبو الحسن عليه السلام فدخل على المأمون ، و قال له : ما صنعت ؟ فحكى له ما قال ذو الرياستين ، و دعا المأمون بهؤلاء النفر فأخرجهم ، فأول من ادخل عليه علي بن أبي عمران ،

فنظر إلى الرضا عليه السلام بجنب المأمون ، فقال للمأمون : اعيدك بالله أن تخرج هذا الأمر الذي جعله الله لكم ، و تجعله في أيدي أعدائكم ، و من كان أبأوك يقتلهم و يشردهم في البلاد . فقال المأمون : يابن الزانية ، و أنت بعد على هذا ؟ قدمه يا حرسى فاضرب عنقه . فاضرب عنقه ، و ادخل ابن يونس ، فلما نظر إلى الرضا عليه السلام بجنب المأمون قال له : هذا الذي بجنبك و الله صنم يعبد من دون الله . قال له المأمون : يابن الزانية و أنت بعد على هذا ؟ يا حرسى قدمه فاضرب عنقه . فاضرب عنقه . ثم ادخل الجلودي و كان الرشيد في خلافته لما خرج محمد بن جعفر بن محمد بالمدينة ، و بعثه و أمره إن ظفر به أن يضرب عنقه ،

و أن يغير على دور آل أبي طالب ، و أن يسلب نساءهم و لا يدع على واحدة منهن إلا ثوبا واحدا ، ففعل الجلودي ذلك ، و قد كان مضى موسى بن جعفر عليه السلام ، فصار الجلودي إلى باب دار الرضا عليه السلام فهجم على داره بخيله ،

فلما نظر إليه الرضا عليه السلام جعل النساء كلهن في بيت ، و وقف على باب البيت ،

فقال الجلودي : لا بد من أن أدخل البيت فأسلبهن كما أمرني الخليفة . فقال له الرضا عليه السلام : أنا أسلبهن لك ، و أحلف أنني لا أدع عليهن شيئا حتى قراطهن

الصفحة ١٩٩

و خلاخلهن إلا أخذته . فلم يزل يطلب إليه ، و يحلف له حتى سكن . فدخل الرضا عليه السلام عليهن فلم يدع عليهن شيئا إلا أخذه منهن ، و جميع ما كان في الدار من قليل و لا كثير فلما كان هذا اليوم و ادخل الجلودي على المأمون قال الرضا عليه السلام للمأمون : هب لي هذا الشيخ . فقال المأمون : يا سيدي هذا الذي فعل ببنات النبي صلى الله عليه و آله ما فعل من سلبهن ، فنظر الجلودي إلى الرضا عليه السلام و هو يكلم المأمون فظن أنه يعين عليه لما كان فعله . فقال للمأمون : أسألك بالله و بخدمتي للرشيد أن لا تقبل قول هذا في . فقال : يا أبا الحسن قد أقسمني و نحن نبر قسمه . ثم قال : لا و الله لا أقبل قوله فيك ، أحقوه بصاحبيه . فقدم فاضرب عنقه ، و قد كان المأمون أمر أن يقدم النواب و ردها ذو الرياستين . فلما

قتل المأمون هؤلاء علم أنه قد عزم على الخروج فقال الرضا عليه السلام للمأمون : ما صنعت بتقديم النّواب ؟ فقال : مرهم يا سيدي أنت بذلك . فخرج عليه السلام و صاح بالناس قدّموا النّواب . فكأنما وقعت فيهم النيران . فأقبلت النّواب تتقدّم و تخرج . إلى أن قال بعد ذكر أخذ الفضل بن سهل كتاب أمان من المأمون :

و إنّ المأمون أعطاه كلّ ما أحبّ ، و كتب له بخطّه : أنّي قد حبوتك بكذا و كذا من الأموال ، و الضياع و السّطان . و بسط له أمله ، و طلب الفضل منه عليه السلام إمضاءه لكونه ولي العهد . فقال عليه السلام له : يا فضل لك علينا هذا ما اتّقيت الله تعالى .

قال ياسر : فنغص عليه أمره في كلمة واحدة ، فخرج فلما كان بعد ذلك بأيام ورد على الفضل كتاب من أخيه الحسن : بأنّي نظرت في تحويل هذه السنّة في النجوم فوجدت أنّك تذوق في شهر كذا يوم الأربعاء حرّ الحديد و حرّ النار ، فأرى أن تدخل أنت و الرضا و المأمون في الحمام في هذا اليوم فتحترج فيه ، و تصبّ الدّم على بدنك ليزول نحسه عنك . فبعث الفضل إلى المأمون ، و سأله أن يدخل الحمام معه و يسأل الرضا أيضا ذلك إلى أن قال فكتب الرضا عليه السلام إلى المأمون لست بدخل غدا الحمّام ، فإنّي رأيت النّبّي صلّى الله عليه و آله

الصفحة ٢٠٠

في النّوم في هذه الليلة يقول لي : يا عليّ لا تدخل الحمّام غدا ، فلا أرى لك ، و لا للفضل أن تدخلوا الحمام غدا . فكتب إليه المأمون : صدقت يا سيدي و صدق النّبّي صلّى الله عليه و آله لست بدخل الحمام غدا ، و أمّا الفضل فهو أعلم و ما يفعله إلى أن قال فلما صلّى الرضا عليه السلام الصّبح قال لنا : قولوا نعوذ بالله من شرّ ما ينزل في هذا اليوم . فلما كان قريبا من طلوع الشّمس قال الرضا عليه السلام : اصعد السّطح فاستمع هل تسمع شيئا ؟ فلما صعدت سمعت الضجّة ، فإذا بالمأمون قد دخل من الباب الذي كان إلى داره من دار الرضا عليه السلام يقول : يا سيدي أجرك الله في الفضل . و كان قد دخل الحمّام ، فدخل عليه قوم بالسيوف ، فقتلوه و اجتمع القوادم و الجند من كان من رجال الفضل على باب المأمون ، فقالوا : اغتاله و قتله فلنظلمنّ بدمه . فقال المأمون للرّضا عليه السلام : يا سيدي ترى أن تخرج إليهم و تفرّقهم . قال ياسر : فركب الرضا عليه السلام و قال لي : اركب . فلما خرجنا من الباب نظر الرضا عليه السلام إليهم ، و قد جاؤوا بالنيران ليحرقوا الباب ، فصاح بهم و أوما بيده إليهم تفرّقوا . قال ياسر : فو الله أقبل النّاس يقع بعضهم على بعض ، و ما أشار إلى أحد إلا ركض و مرّ ١ .

و في (فصول ابن الصبّاغ المالكي) لما جعل المأمون الرضا عليه السلام وليّ عهده كان في حاشيته اناس قد كرهوا ذلك ، و خافوا خروج الخلافة من بني العباس ، و عودها إلى بني فاطمة ، فحصل عندهم من الرضا نفور ، و كان عادة الرضا إذا جاء إلى دار المأمون ليدخل عليه بادر من في الدهليز من الحجاب بالقيام له و السلام عليه ، و يرفعون له السّتر حتّى يدخل ، فلما حصلت لهم هذه النفرة تفاوضوا في ذلك ، فبينما هم إذ جاء يدخل ، فقالوا : نعرض عنه ، و لا نرفع له السّتر ، و اتفقوا على ذلك ، فلم يملكوا أنفسهم أن قاموا و سلّموا ، و رفعوا له

(١) عيون الأخبار للصدوق ٢ : ١٥٧ ح ٢٤ .

الصفحة ٢٠١

السّتر ، فلما دخل أقبل بعضهم على بعض يتلاومون على ما فعلوا ، و قالوا :

الكرة الثانية إذا جاء لا نرفعه له ، فلما كان اليوم الثاني و جاء على عادته قاموا و سلّموا ، و لم يرفعوا السّتر فجاءت ريح شديدة فرفعت السّتر أكثر ممّا كانوا يرفعونه ، فدخل ثم سكنت ، ثمّ عند خروجه جاءت الريح من الجانب الآخر فرفعت له و خرج ، فأقبل بعضهم على بعض ، و قالوا : إنّ لهذا الرّجل عند الله منزلة ١ .

و فيه : روى الحاكم أبو عبد الله الحافظ بأسناده عن أبي حبيب قال :

رأيت النّبّيّ صلّى الله عليه و آله في المنام ، و كأنّه قد نزل في المسجد الذي ينزله الحجاج من بلدنا في كلّ سنة ، و كأنّي قد مضيت إليه و سلّمت عليه ، و وقفت بين يديه ،

فوجدت عنده طبقا من خوص المدينة فيه تمر صيحاني ، و كأنّه قبض قبضة من ذلك التمر فناولنيها فعددتها ، فوجدتها ثمانى عشرة ثمرة ، فتأولتها أنّي أعيش بعدد كلّ ثمرة سنة . فلما كان بعد عشرين يوما و أنا في أرض لي إذ جاءني من أخبرني بقدم أبي الحسن الرضا عليه السلام من المدينة ، و نزوله في ذلك المسجد ، و رأيت الناس يسعون إلى السلام عليه من كلّ جانب ، فمضيت نحوه فإذا هو جالس في الموضع الذي رأيت النّبّيّ صلّى الله عليه و آله فيه ، و تحته حصير مثل الحصير الذي رأيت تحت النّبّيّ صلّى الله عليه و آله ، و بين يديه طبق من خوص و فيه تمر صيحاني ، فسلّمت فردّ عليّ ، فاستدناي و ناواني قبضة من ذلك التمر ، فإذا هي بعدد ما ناواني النّبّيّ صلّى الله عليه و آله في النوم ثمانى عشرة حبة ، فقلت : زدني . فقال :

لو زادك النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لزدناك ٢ .

و روى الحاكم أيضا باسناده عن سعيد بن سعد أن الرضا عليه السلام نظر إلى

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ : ٢٤٤ .

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ : ٢٤٧ ، ٢٥١ .

الصفحة ٢٠٢

رجل فقال : يا عبد الله أوص بما تريد ، و استعدّ لما لا بدّ منه ، فمات الرجل بعد ذلك بثلاثة أيام ١ .

و عن الحسين بن موسى قال : كنا حول أبي الحسن الرضا عليه السلام ، و نحن شباب من بني هاشم إذ مرّ علينا جعفر بن علي العلوي و هو رثّ الهيئة ، فنظر بعضنا إلى بعض مستترين لهيئته ، فقال الرضا عليه السلام : سترونه عن قريب كثير المال كثير الخدم ، فما مضى إلا شهر واحد حتّى وليّ إمرة المدينة و حسنت حالته ، و كان يمرّ علينا و حوله الخدم و الحشم يسيرون بين يديه ٢ .

و فيه قال إبراهيم بن العباس : سمعت : العباس يقول : ما سئل الرضا عن شيء إلا علمه ، و لا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقت عصره ، و كان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء ، فيجيبه الجواب الشافي ، و كان قليل النوم كثير الصوم ، لا يفوته صيام ثلاثة أيام في كل شهر ، و يقول : ذلك صيام الدهر ، و كان كثير المعروف و الصدقة سرا ، و أكثر ما يكون ذلك منه في الليالي المظلمة ، و كان جلوسه في الصيف على حصير ، و في الشتاء على مسح ٣ .

و فيه أيضا : أورد صاحب كتاب (تاريخ نيسابور) في كتابه : أن الرضا عليه السلام لما دخل إلى نيسابور كان في قبة مستورة بالسقلاط على بغلة شهباء ، و قد شق نيسابور ، فعرض له الإمامان الحافظان للأحاديث النبوية أبو زرعة الرازي ، و محمد بن أسلم الطوسي ، و معهما خلائق لا يحصون من طلبية العلم ، و أهل الأحاديث و أهل الرواية و الدراية ، فقالا له : أيها السيد الجليل ابن السادة الأئمة بحق آبائك الأطهرين ، و أسلافك الأكرمين إلا ما أريتنا وجهك الميمون المبارك ، و رويت لنا حديثا عن آبائك عن جدك محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نذكرك به .

قال : فاستوقف له البغلة ، و أمر غلمانه بكشف المظلة عن القبة ، و أقرّ عيون تلك

(١) الفصول المهمة لابن الصَّبَّاح : ٢٤٧ ، ٢٥١ .

(٢) الفصول المهمة لابن الصَّبَّاح : ٢٤٧ ، ٢٥١ .

(٣) الفصول المهمة لابن الصَّبَّاح : ٢٤٧ ، ٢٥١ .

الصفحة ٢٠٣

الخلائق بروية طلعتة المباركة ، فكانت له ذؤابتان على عاتقه ، و النَّاس كلَّهم قيام على طبقاتهم ينظرون إليه ، و هم بين صارخ و باك و متمرغ في التراب ،

و مقبل لحافر بغلته ، و علا الضَّجيج ، فصاحت الأئمة و العلماء : معاشر النَّاس اسمعوا و عوا ، و انصتوا لسماع ما ينفعم ، و لا تؤذونا بكثرة صراخكم و بكاتكم ، و كان المستملي أبو زرعة ، و محمد بن أسلم . فقال عليّ الرضا :

حدَّثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه عليّ زين العابدين عن أبيه الحسين الشهيد بكر بلا عن أبيه عليّ بن أبي طالب ، قال : حدَّثني حبيبي ، و قرّة عيني رسول الله صلَّى الله عليه و آله قال : حدَّثني جبرئيل قال : سمعت ربَّ العزّة سبحانه و تعالى يقول : كلمة لا إله إلا الله حصني فمن قالها دخل حصني ، و من دخل حصني أمن من عذابي . ثمَّ أرخى الستر و سار ،

فعدّوا أهل المحابر و الدويّ الذين كانوا يكتبون ، فأنافوا على عشرين ألف .

قال الاستاد أبو القاسم القشيري : اتصل هذا الحديث بهذا السند ببعض الأمراء السامانية فكتبه بالذهب ، و أوصى بأن يدفن معه في قبره ، فرئي في النّوم بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله ؟ قال : قد غفر الله لي ١ .

و روى مضمونه محمد بن بابويه في (عيون) بأسناده عن إسحاق بن راهويه ، و زاد في آخره : فلمّا مرّت الرّاحلة نادانا : « بشروطها و أنا من شروطها » . و قال : إنّ من شروطها الإقرار بكون الرضا عليه السّلام إماما مفترض الطّاعة ٢ .

و في (فصول ابن الصَّبَّاح المالكي) : ذكر المدائني أنّ الرضا لمّا جلس ذلك المجلس ، و هو لابس تلك الخلع و الخطباء يتكلّمون ، و تلك الألوية تخفق

(١) الفصول المهمة لابن الصَّبَّاح : ٢٥٣ ، ٢٥٦ .

(٢) عيون الأخبار للصدوق ٢ : ١٣٤ ح ٤ .

الصفحة ٢٠٤

على رأسه نظر إلى بعض مواليه ممن كان يختص به ، و قد داخله من السرور ما لا عليه مزيد و ذلك لما رأى ، فأشار إليه الرضا فدنا منه ، و قال له في اذنه سرا : لا تشغل قلبك بشيء مما ترى من هذا الأمر ، و لا تستبشر فإنه لا يتم ١ .

و فيه ، و في عهد كتبه المأمون للرضا عليه السلام بخطه : فلما انقضت النبوة ،

و ختم الله بمحمد الرسالة جعل قوام الدين ، و نظام أمر المسلمين في الخلافة و نظامها ، و القيام بشرايعها و أحكامها ، و لم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة ، و حمل مشاقها ، و اختبر مرارة طعمها و مذاقها ، مسهرا لعينه ، منضيا لبدنه ، مطيلا لفكره في ما فيه عزّ الدين ، و قمع المشركين ، و صلاح الأمة ، و جمع الكلمة ، و نشر العدل ، و إقامة الكتاب و السنّة ، و منعه ذلك من الخفض و الدعة ،

و مهنا العيش محبة أن يلقي الله سبحانه و تعالى مناصحا له في دينه و عبادته ،

و مختارا لولاية عهده ، و رعاية الامّة من بعده أفضل من يقدر عليه في دينه و ورعه و علمه ، و أرجاهم للقيام بأمر الله تعالى و حقه مناجيا لله تعالى بالاستخارة في ذلك ، و مسألة إلهامه ما فيه رضاه ، و طاعته في آناء ليله و نهاره ، معملا فكره و نظره في ما فيه طلبه و التماسه في أهل بيته من ولد عبد الله بن عباس و عليّ بن أبي طالب ، مقتصرًا في من علم حاله و مذهبه منهم على علمه ، و بالغًا في المسألة في من خفي عليه أمره جهده و طاقته حتى استقصى أمورهم معرفة ، و ابتلى أخبارهم مشاهدة ، و استبرأ أحوالهم معاينة ، و كشف ما عندهم مسائلة ، و كانت خيرته بعداستخارة الله تعالى ، و إجهاده نفسه في قضاء حقه في عبادته و بلاده في الفئتين جميعا عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام لما رأى من فضله البارِع ، و علمه الذائع ، و ورعه الظاهر الشائع ، و زهده الخالص النافع ، و تخليته

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ : ٢٥٣ ، ٢٥٦ .

الصفحة ٢٠٥

من الدنيا ، و تفرده عن الناس ، و قد استبان له ما لم تنزل الأخبار عليه منطبقة ،

و الألسن عليه متفقة ، و الكلم فيه جامعة ، و الأخبار واسعة ، و لما لم نزل نعرفه به من الفضل يافعا ، و ناشئا ، و حدثا ، و كهلا . فذلك عقد له بالعهد و الخلافة من بعده واثقا بخيرة الله تعالى في ذلك ، إذ علم الله تعالى أنه فعله إيثارا له و للدين ،

و نظرا للإسلام و المسلمين ، و طلبا للسلامة و ثبات الحجّة ، و النجاة في اليوم الذي يقوم فيه الناس لربّ العالمين .

و دعا أمير المؤمنين ولده ، و أهل بيته ، و خاصته ، و قواده ، و خدمه فبايعوه الكلّ مطيعين مسارعين مسرورين عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله على الهوى في ولده و غيرهم ممّن هو أشبك رحما ، و أقرب قرابة ،

و سمّاه الرضا إذ كان رضيّا عند الله تعالى ، و عند الناس ، و قد أثر طاعة الله ،

و النظر لنفسه ، و للمسلمين و الحمد لله ربّ العالمين . و كتب بيده في يوم الاثنين لسبع خلون من شهر رمضان سنة إحدى و مائتين .

قال : و كتب الرضا بيده على ظهر العهد : « أقول و أنا عليّ بن موسى بن جعفر : إنّ أمير المؤمنين عضده الله بالسداد ، و وفقه للرّشاد ، عرف من حقّنا ما جهله غيره ، و إنّه جعل إليّ عهده و الإمرة الكبرى إن بقيت بعده ، و الجامعة و الجفر يدلّان على ضدّ ذلك ، و ما أدري ما يفعل بي و لا بكم إنّ الحكم إلّا لله يقصّ الحقّ و هو خير الفاصلين » . . . ١ و في (فواتح المبيدي) : كان الرضا عليه السلام واقفا على الجفر ، و كان ورّائه يستخرجون أحوال العالم من الجفر ، و المأمون بايع الرضا في سنة (٢٠١) و كتب له عهدا ، فكتب الرضا على ظهر عهد المأمون : « الجامعة و الجفر يدلّان على ضدّ ذلك ، و ما أدري ما يفعل بي و لا بكم إنّ الحكم إلّا لله

(١) الفصول المهمّة لابن الصباغ : ٢٥٧ ، و الآية ٥٧ من سورة الأنعام .

الصفحة ٢٠٦

يقصّ الحقّ ، و هو خير الفاصلين » ١ .

و في (تاريخ اليعقوبي) : توفي الرضا عليه السلام بقريّة يقال لها : النوقان ، قيل :

إنّ عليّ بن هشام أطعمه رمانا فيه سمّ ، و أظهر المأمون عليه جزعا شديدا .

فحدّثني أبو الحسن بن أبي عباد قال : رأيت المأمون يمشي في جنازته حاسرا في مبطنة بيضاء ، و هو بين قائمتي النعش يقول : إلى من أروح بعدك يا أبا الحسن ، و أقام عند قبره ثلاثة أيام يؤتى في كلّ يوم برغيف و ملح فيأكله ٢ .

قلت : أي المأمون ؟ و في (فصول ابن الصّبّاغ المالكي) أيضا ممّا نقل إلي بالاستماع أنّ المأمون وجد في يوم عيد انحراف مزاج أحدث عنده ثقلا له عن الخروج إلى الصلاة ، فقال للرّضا : قم يا أبا الحسن اركب و صلّ بالنّاس العيد .

فامتنع ، قال : قد علمت ما كان بيني و بينك من الشّروط فاعفني . فقال : إنّما اريد أن انوّه بذكرك ليشتهر أمرك بأنك وليّ عهدي ، و ألحّ عليه في ذلك ، فقال : إنّ اعفيتني كان أحبّ إليّ ، و إنّ أبيت إلا أن أخرج فإنّما أخرج على الصّفة التي كان يخرج عليها النّبيّ صلّى الله عليه و آله . فقال : افعل كيف أردت .

و أمر المأمون القوّاد و الجند ، و أعيان دولته بالركوب في خدمته إلى المصلّى ، فركب النّاس إلى بيته ، و حضر القوّاد ، و المؤدّنون و المكبّرون إلى بابه ينتظرون أن يخرج فخرج إليهم ، و قد اغتسل ، و لبس أفرّ ثيابه ، و تعمّم بعمامة قطن ، و ألقى طرفا منها على عاتقه ، و مسّ طيبا و أخذ عكازا في يده ،

و خرج ماشيا و لم يركب ، و قال لمواليه و أتباعه : افعلوا كما فعلت . ففعلوا كفعله ، و ساروا بين يديه عند شروق الشّمس رافعين أصواتهم بالتكبير و التّهليل ، فلمّا رآه القوّاد و الجند على تلك الحالة لم يسعهم إلا أن نزلوا عن

(١) فواتح المييدي : ١٨٥ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٥٣ و النقل بتلخيص .

الصفحة ٢٠٧

خيولهم و مراكبهم و ساروا بين يديه ، و تركوا مراكبهم مع غلمانهم خلف النّاس ، و كان الرّضا عليه السّلام كلّما كبّر كبّر النّاس تكبيرة واحدة ، و كلّما هلّل هلّلوا تهليله و هم سائرون بين يديه ، حتّى خيل للنّاس أنّ الحيطان و الجدران يجاوبهم بالتكبير و التّهليل ، و تزلزلت مرو ، و ارتفع البكاء و الضجيج .

فبلغ ذلك المأمون ، فقال له الفضل : إن بلغ الرضا المصلّي هكذا افتتن الناس به ، و خفنا على دماننا و أرواحنا ، و عليك في نفسك فابعث إليه يردّ . فبعث إليه : قد كلفناك ،

و لا نحبّ أن تلحقك مشقة أرجع إلى بيتك يصلّي بالناس غيرك .

و رواه ابن طلحة الشافعي في (مطالبه) و فيه : فخرج الرضا ، و عليه قميص قصير أبيض ، و عمامة بيضاء لطيفة و هما من قطن ، و في يده قضيب ،

فأقبل ماشيا يوم المصلّي ، و هو يقول : « السّلام على أبويّ آدم و نوح . السّلام على أبويّ إبراهيم و إسماعيل . السّلام على أبويّ محمّد و عليّ . السّلام على عباد الله الصالحين » . فلما رآه الناس هرعوا إليه ، و انتالوا عليه لتقبيل يده ،

فأسرع بعض الحاشية إلى الخليفة المأمون ، و قال له : تدارك النَّاس و اخرج إليهم و صلّ بهم و إلّا خرجت الخلافة منك الآن ١ .

و فيه أيضا : قال دعبل الخزاعي : لما قلت قصيدتي « مدارس آيات » قصدت بها الرضا عليه السّلام و هو بخراسان وليّ عهد المأمون ، فأحضرني المأمون و سألني عن خبري ، ثمّ قال لي : أنشدني « مدارس آيات خلت من تلاوة » فقلت : ما أعرفها . فقال : يا غلام أحضر أبا الحسن الرضا . فلم تكن ساعة إلّا حضر . فقال له : سألت دعبلا عن « مدارس آيات خلت من تلاوة » فذكر أنّه لا يعرفها . فقال لي : أنشده . فأخذت فيها فأنشدتها ، فاستحسنها المأمون .

فأمر لي بخمسين ألف درهم ، و أمر لي الرضا عليه السّلام بقريب من ذلك . فقلت : يا

(١) رواه ابن الصباغ في الفصول المهمّة : ٢٦٠ ، و ابن طلحة في مطالب السؤل : ٨٦ .

الصفحة ٢٠٨

سيدي إن رأيت أن تهب لي شيئا من ثيابك ليكون كفني ؟ فقال : نعم . ثمّ دفع لي قميصا قد ابتذله ، و منشفة لطيفة ، و قال لي : احفظ هذا تحرس به . ثمّ دفع إليّ الفضل بن سهل وزير المأمون صلة ، و حملني على بردون أصفر خراساني ،

و كنت اسأيره في يوم مطير ، و عليه مطير خز ، و برنس . فأمر لي به و دعا بغيره ، و قال : إنما أشرتك به خير ممطر . فاعطيت به ثمانين ديناراً ، فلم تطب نفسي ببيعه ، ثم كررت راجعاً إلى العراق ، فلما صرت في بعض الطريق خرج علينا الأكراد فأخذونا فكان ذلك اليوم يوماً مطيراً ، فبقيت في قميص خلق متأسفاً من جميع ما كان معي على القميص و المنشفة ، و مفكراً في قول سيدي الرضا عليه السلام إذا مرّ بي واحد من الأكراد الحرامية تحته الفرس الذي حملني عليه الفضل ذو الرّياستين ، و عليه الممطر ، و وقف بالقرب مني ليجتمع إليه أصحابه ، و هو ينشد : « مدارس آيات خلت من تلاوة » و يبكي . فقلت : يا سيدي لمن هذه القصيدة ؟ فقال : و ما أنت و ذلك و يلك . فقلت : لي سبب اخبرك به . فقال :

هي أشهر بصاحبها من أن يجهل . فقلت : من ؟ قال : دعبل بن عليّ الخزاعي شاعر آل محمد جزاه الله خيراً فقلت له : يا سيدي فأنا و الله دعبل و هذه قصيدتي . قال : و يلك ما تقول ؟ قلت : الأمر أشهر من ذلك . فاسأل أهل القافلة فاستحضر منهم جماعة ، و سألهم عنّي . فقالوا : هذا دعبل بن عليّ الخزاعي .

فقال : قد أطلقت كلّ ما اخذ من القافلة فما فوقها كرامة لك . ثم نادى في أصحابه : من أخذ شيئاً فليردّه . فردّ على الناس جميع ما اخذ منهم ، و رجع عليّ جميع ما كان معي ، فحرسنا أنا و القافلة ببركة ذلك القميص و المنشفة ١ .

و رواه (العيون) عن أبي الصلت الهروي هكذا : قال : دخل دعبل على الرضا عليه السلام بمرور فقال له : إنّي قد قلت قصيدة ، و آليت أن لا اتشدها

(١) مطالب السؤل لابن طلحة : ٨٥ .

الصفحة ٢٠٩

أحدا قبلك . فقال عليه السلام : هاتها . فأنشده :

مدارس آيات خلت من تلاوة
و منزل وحي مقفر العرصات

فلما بلغ إلى قوله :

أرى فيئهم في غيرهم متقسماً
و أيديهم من فيئهم صفرات

بكى الرضا عليه السلام و قال له : صدقت يا خزاعي . و لما بلغ إلى قوله :

إذا وتروا مدّوا إلى و اترهيم
أكفّا عن الأوتار منقبضات

جعل عليه السلام يقلّب كفيه ، و يقول : أجل و الله منقبضات . فلما بلغ إلى قوله :

لقد خفت في الدنيا و أيام سعيها
و إنّي لأرجو الأمن بعد وفاتي

قال عليه السلام : أمنك الله يوم الفزع الأكبر . فلما انتهى إلى قوله :

و قبر ببغداد لنفس زكيّة
تضمّنتها الرّحمن في الغرفات

قال : أ فلا ألحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك ؟ قال : بلى .

قال عليه السلام :

و قبر بطوس يا لها من مصيبة
توقد في الأحشاء بالحرقات

إلى الحشر حتّى يبعث الله قائما
يفرّج عنا همّ و الكربات

قال : يابن رسول الله هذا القبر الذي بطوس قبر من ؟ قال : قبري ، و لا تتقضي الأيام و الليالي حتّى
تصير طوس مختلف شيعتي و زواري ، ألا فمن زارني في غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم
القيامة ، مغفورا له ، ثم نهض عليه السلام و أمر دعبل أن لا يبرح ، فلما كان بعد ساعة خرج الخادم إليه
بمائة دينار رضوية ، و قال له : يقول لك مولاي : اجعلها في نفقتك . فقال : و الله ما لهذا جنّت و لا قلت
القصيدة طمعا ، و ردّ الصرّة ، و سأل ثوبا من ثيابه . فأنفذ عليه السلام إليه جبّة خز مع الصرّة ، و قال

للخادم : قل له : خذ هذه الصرة فإنك ستحتاج إليها . فأخذهما و انصرف ، و سار من مرو في قافلة فلما بلغ (ميان كوهان) وقع عليهم اللصوص فأخذوا القافلة بأسرها و كتفوهم و فيهم دعبل ، و جعلوا

الصفحة ٢١٠

يقسمون القافلة بينهم ، فتمثل رجل منهم بقول دعبل :

أرى فيئهم في غيرهم متقسما
و أيديهم من فيئهم صفرات

فقال له دعبل : لمن هذا البيت ؟ فقال : لرجل من خزاعة يقال له : دعبل . قال :

فأنا دعبل . فوثب الرجل إلى رئيسهم و كان يصلّي على رأس تلّ و كان من الشيعة فأخبره فجاء ، و قال له : أنت دعبل ؟ فقال : نعم . فقال : أنشدني القصيدة .

فأنشدها فحلّ كتافه ، و كتاف جميع القافلة ، و ردّ عليهم ما اخذ منهم لكرامة دعبل ، و سار دعبل حتى وصل إلى قم ، فسأله أن ينشدهم القصيدة فأمرهم أن يجتمعوا في الجامع فصعد المنبر فأنشدهم ، فوصلوه من المال و الخلع بشيء كثير ، و اتصل بهم خبر الجبة ، فسأله أن يبيعهما منهم بألف دينار ،

فأبى ، فقالوا : فشيئا منها . فأبى و سار فلما خرج من البلد لحق به قوم من الأحداث ، و أخذوا الجبة ، فرجع إلى قم ، و سألهم ردّها . فقالوا : لا سبيل لك إلى الجبة ، فخذ ثمنها ألف دينار . فأبى ، فلما يئس من ردّهم سألهم أن يدفعوا إليه شيئا منها ، فأجابوه و دفعوا ثمن باقيها ألف دينار ، فانصرف إلى وطنه ، فوجد اللصوص قد أخذوا جميع ما كان في منزله ، فباع مائة ديناره عليه السلام من الشيعة كلّ دينار بمائة درهم ، فحصل في يده عشرة آلاف درهم ، فذكر قول الرضا عليه السلام : إنك ستحتاج إلى الدنانير . و كانت له جارية لها من قلبه محل ،

فرممت رمدا عظيما ، فقال أهل الطبّ : أمّا العين اليمنى فقد ذهبت ، و أمّا اليسرى فنرجو أن تسلم . فذكر ما كان معه من وصلة الجبة ، فمسحها على عيني الجارية و عصيها بعصابة من أوّل الليل ، فأصبحت و عيناها أصحّ مما كانتا قبل ببركته عليه السلام ١ .

و روى أبو الفرج في (مقاتله) عن الحسن بن عليّ الخفاف عن أبي

(١) عيون الأخبار للصدوق ٢ : ٢٦٧ ح ٣٤ .

الصفحة ٢١١

الصلت قال : دخل المأمون إلى الرضا عليه السلام يعود ، فوجده يجود بنفسه ، فبكى و قال : اعزز عليّ يا أخي بأن أعيش ليومك ، و قد كان لي في بفائك أمل ، و أغلظ عليّ من ذلك و أشدّ أنّ الناس يقولون : إنني سقيتك سمّا و أنا إلى الله من ذلك بريء . فقال له الرضا عليه السلام : صدقت إلى أن قال فحضره المأمون قبل أن يحفر قبره ، و أمر أن يحفر إلى جانب أبيه ثم أقبل علينا ، فقال : حدّثني صاحب هذا النعش أنّه يحفر له قبر ، فيظهر فيه ماء و سمك ، احفروا . فحفروا ، فلما انتهوا إلى اللحد نبع فيه ماء و ظهر فيه سمك ، ثم غاض الماء فدفن فيه الرضا عليه السلام ١ .

و في (فصول ابن الصبّاح المالكي) و (مناقب ابن طلحة الشافعي) و اللفظ للثاني : قال : كان هرثمة بن أعين في خدم الخليفة إلاّ أنّه كان محبّا لأهل البيت إلى الغاية . قال طلبني سيدي الرضا عليه السلام ، قال : إنني مطلعك على أمر يكون عندك سرّا لا تظهره و أنا حيّ ، و إلاّ كنت خصمك عند الله تعالى ، اعلم أنّني بعد أيام آكل عنبا و رمّانا مفتوتا فأموت ، و يقصد المأمون أن يجعل مدفني خلف قبر أبيه ، و أنّ الله تعالى لا يقدره على ذلك ، و أنّ الأرض تشتدّ ، فلا يستطيع أحد حفر شيء منها ، و إنّما قبوري في الموضع الفلاني و عيّنه لي فإذا متّ و جهزت فأعلمه بجميع ما قلت لك ، و قل له : يتأنّ في الصلاة عليّ ، فإنّه يأتي رجل عربي مثلثم على بعير مسرع ، و عليه و عثاء السقر ، فينزل عن بعيره ،

و يصلّي عليّ ، ثمّ اقصد المكان الذي عيّنته لك ، فاحفر شيئا يسيرا من وجه الأرض تجد قبراً محفورا في قعره ماء أبيض ، فإذا كشفته ينضب الماء فهو مدفني .

قال : فو الله ما طالت الأيام حتّى أكل عنبا و رمّانا كثيرا فمات ، فدخلت

(١) مقاتل الطالبين : ٣٨٠ .

الصفحة ٢١٢

على الخليفة فوجدته يبكي عليه ، فقلت له : عاهدني الرضا على أمر أقوله لك ؟

و قصصت عليه تلك القصة من أولها إلى آخرها ، و هو يتعجب مما أقوله . فأمر بتجهيزه ، فلما تجهز تأنى في الصلاة عليه ، و إذا برجل قد أقبل من الصحراء على بعير مسرعا ، فلم يكلم أحدا ، ثم دخل على جنازته و صلى عليه و خرج ،

و صلى الناس عليه ، و أمر المأمون بطلب الرجل ففاتهم ، و لم يعلموا له خيرا . ثم أمر بأن يحفر له خلف قبر الرّشيد ، فعجز الحافرون ، فذهب إلى موضع ضريحه الآن ، فبقدر ما كشف وجه الأرض ظهر قبر محفور ، و إذا في قعره ماء أبيض كما قال ، فأعلمت المأمون فحضر و أبصر الصورة التي ذكرها ، فنضب الماء فدفن فيه ، و لم يزل المأمون يتعجب من قوله ، و كلما خلوت في خدمته يقول لي : يا هرثمة كيف قال لك أبو الحسن ؟ فاعيد عليه الحديث ، فيتلهف عليه ١ .

و رواه ابن بابويه في (عيون) عن تميم بن عبد الله بن تميم القرشي عن أبيه عن محمد بن يحيى عن محمد بن خلف الطاطري عن هرثمة بأبسط ٢ .

و في (مقاتل أبي الفرج) : اختلف في أمر وفاته و كيف كان سبب السمّ الذي سقيه ، فذكر محمد بن عليّ بن حمزة أنّ منصور بن بشير ذكر عن أخيه عبد الله بن بشير أنّ المأمون أمره أن يطول أظفاره ، ففعل ، ثم أخرج إليه شيئا يشبه التمر الهندي ، و قال له : افركه و اعجنه بيدك جميعا . ففعل ثم دخل على الرضا . فقال : ما خبرك ؟ قال : أرجو أن أكون صالحا . فقال له : هل جاءك أحد من المترفقين اليوم ؟ قال : لا . فغضب و صاح على غلمانه ، و قال له : فخذ ماء الرمان اليوم فإنه مما لا يستغنى عنه . ثم دعا برمان فأعطاه عبد الله بن بشير ، و قال له :

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ ، و مطالب السؤل لابن طلحة : ٨٦ .

(٢) عيون الأخبار للصدوق ١ : ٢٤٨ ح ١ .

الصفحة ٢١٣

اعصر ماءه بيدك . ففعل و سقاه المأمون الرضا بيده فشربه ، فكان ذلك سبب وفاته ، و لم يلبث إلا يومين حتى مات .

قال محمد بن عليّ بن حمزة و بلغني عن أبي الصلت الهروي أنّه دخل على الرضا عليه السلام بعد ذلك ، فقال له : يا أبا الصلت قد فعلوها أي قد سقوني السمّ و جعل يوحد الله و يمجده .

قال محمد بن علي : و سمعت محمد بن الجهم يقول : إنّ الرضا عليه السلام كان يعجبه العنب فاخذ له عنب ، و جعل في موضع أقماعه الأبر ، فتركت أياما ثم نزعت ، فأكل منه في علته فقتله ، و ذكر أنّ ذلك من لطيف السموم ١ .

و روى أبو الفرج أيضا في عبد الله بن موسى بن عبد الله المحض : أنّ المأمون كتب إليه و هو متوار منه يعطيه الأمان ، و يضمن له أن يوليّه العهد من بعده كما فعل بعليّ بن موسى ، و يقول : ما ظننت أنّ أحدا من آل أبي طالب يخافني بعد ما عملته بالرضا ، فكتب إليه عبد الله بن موسى : وصل كتابك و فهمته ، تختلني عن نفسي ختل القانص ، و تحتال عليّ حيلة المغتال القاصد لسفك دمي ، و عجبت من بذلك العهد ، و ولايته لي بعدك كأنك تظنّ أنه لم يبلغني ما فعلته بالرضا عليه السلام ، ففي أيّ شيء ظننت أنّي أرغب من ذلك ؟ أفي الملك الذي غرتك نضرتة و حلاوته ؟ فو الله لأن اقذف و أنا حيّ في نار تتأجج أحبّ إليّ من أن ألي أمرا بين المسلمين ، أو أشرب شربة من غير حلّها مع عطش شديد قاتل ، أم في العنب المسموم الذي قتلت به الرضا عليه السلام ٢ ؟

و في (كامل بن الأثير) : جدّد محمود الغزنوي عمارة المشهد بطوس الذي فيه قبر عليّ بن موسى الرضا ، و الرشيد و أحسن عمارته و كان أبوه

(١) مقاتل الطالبين لأبي الفرج : ٣٧٧ .

(٢) مقاتل الطالبين لأبي الفرج : ٤١٦ .

الصفحة ٢١٤

سبكتكين أخربه و كان أهل طوس يؤذون من يزوره فمنعهم عن ذلك ، و كان سبب فعله أنّه رأى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في المنام و هو يقول له : « إلى متى هذا » ؟ فعلم أنّه يريد أمر المشهد . فأمر بعمارته ١ .

و أمّا الجواد عليه السلام فروى محمد بن محمد بن النعمان في (إرشاده) مسندا عن محمد بن حمزة عن محمد بن عليّ الهاشمي . قال : دخلت على أبي جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام صبيحة عرسه بينت المأمون و كنت تناولت من الليل دواء ، فأولّ من دخل عليه في صبيحته أنا و قد أصابني العطش ، و كرهت أن أدعو بالماء ، فنظر أبو جعفر عليه السلام في وجهي و قال : أراك عطشان ؟ قلت : أجل .

قال : يا غلام اسقنا ماء . فقلت في نفسي : الساعة يأتونه بماء مسموم ،

و اغتمت لذلك ، فأقبل الغلام و معه الماء ، فتبسّم في وجهي ، ثمّ قال : يا غلام ناولني الماء فشرب ، ثمّ ناولني فشربت و أطلت عنده ، فعطشت فدعا بالماء ففعل كما فعل في المرّة الاولى فشرب ، ثمّ ناولني فشربت و تبسّم . قال محمّد ابن حمزة : فقال لي محمّد بن عليّ الهاشمي : و الله ، إنّي أظنّ أنّ أبا جعفر يعلم ما في النفوس كما يقول الرافضة ٢ .

و عن الريان بن شبيب قال : لما أراد المأمون أن يزوّج ابنته أمّ الفضل أبا جعفر محمّد بن عليّ بلغ ذلك العباسيين ، فغلظ عليهم و استكبروه ، و خافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى إليه مع الرضا ، فخاضوا في ذلك ، و اجتمع منهم أهل بيته الأذنون منه ، فقالوا : ننشدك الله أن تقيم على هذا الأمر الذي قد عزمت عليه من تزويج ابن الرضا ، فإنّا نخاف أن تخرج به عنّا أمرا قد ملكناه الله ،

و تنزع منّا عزّاً قد ألبسناه ، فقد عرفت ما بيننا و بين هؤلاء القوم قديما و حديثا ،

(١) الكامل لابن الاثير ٩ : ٤٠١ سنة ٤٢١ .

(٢) الإرشاد للمفيد : ٣٢٥ .

الصفحة ٢١٥

و ما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم و التّصغير بهم ، و قد كنّا في وهلة من عملك مع الرضا ما عملت حتّى كفانا الله المهمّ من ذلك ، فالله الله أن تردّنا إلى غمّ قد انحسر عنّا ، فاصرف رأيك عن ابن الرضا ، و اعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره . فقال لهم المأمون : أمّا ما بينكم و بين آل أبي طالب ، فأنتم السّبب فيه ، و لو أنصفتهم القوم لكانوا أولى بكم ، و أمّا ما كان يفعل من قبلي بهم ، فقد كان به قاطعا للرّحم ، و أعوذ بالله من ذلك ، و والله ما ندمت على ما كان منّي من استخلاف الرضا ، و لقد سألته أن يقوم بالأمر فأنزعه عن نفسي ، فأبى و كان أمر الله قدرا مقدروا ١ ، و أمّا أبو جعفر محمّد بن عليّ فقد اخترته لتبرّزه على كافّة أهل الفضل ، في العلم و الفضل ، مع صغر سنّه و الاعجوبة فيه بذلك ، و أنا أرجو أن يظهر للنّاس ما قد عرفته منه ،

فيعلموا أنّ الرّأي ما رأيت . فقالوا : إنّ هذا الفتى و إن رافك منه هديه فإنّه صبي لا معرفة له ، و لافقه ، فأمله حتّى يتأدّب و يتفقه في الدّين ، ثمّ اصنع ما تراه بعد ذلك . فقال لهم : و يحكم أنا أعرف بهذا الفتى منكم ، و إنّ هذا من أهل بيت علمهم من الله و من إلهامه ، لم يزل آباؤه أغنياء في علم الدّين و الأدب عن الرعايا الناقصة عن حدّ الكمال ، فإن شئتم فامتحنوه بما يتبيّن لكم ما وصف به من حاله . قالوا : فخلّ بيننا

و بينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة ، فإن أصاب الجواب لم يكن لنا اعتراض في أمره . فقال لهم : شأنكم و ذلك . فخرجوا من عنده و اجتمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكنم و هو يومئذ قاضي الزمان على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها ، و وعدوه بأموال نفيسة على ذلك ، و عادوا إلى المأمون فسألوه أن يختار لهم يوما للاجتماع ، فأجابهم ، فاجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه و حضر معهم يحيى ،

(١) الأحزاب : ٣٨ .

الصفحة ٢١٦

فأمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر دست و يجعل له فيه مسورتان . ففعل ذلك .

و خرج أبو جعفر عليه السلام و هو يومئذ ابن تسع سنين و أشهر فجلس بين المسورتين ، و جلس يحيى بين يديه ، و قام الناس في مراتبهم ، و المأمون جالس في دست متصل بدست أبي جعفر عليه السلام ، فقال يحيى للمأمون : أتأذن لي أن أسأل أبا جعفر ؟ فقال : استأذن منه . فأقبل عليه يحيى ، فقال : أتأذن جعلت فداك في مسألة ؟ قال : سل إن شئت . قال : ما تقول في محرم قتل صيدا ؟ فقال له أبو جعفر عليه السلام : قتله في حلّ أو حرم ، عالما كان أم جاهلا ، عمدا قتله أم خطأ ،

حرّا كان أم عبدا ، صغيرا كان أم كبيرا ، مبتدئا كان أم معيدا . من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها ، من صغار الصيد كان أم من كبارها ، مصرّا على ما فعل أو نادما ، في الليل كان قتله للصيد أم نهارا ، محرما كان بالحج أم بالعمرة ؟ فتحيّر يحيى و بان في وجهه العجز و الانقطاع ، و لجلج حتى عرف جماعة أهل المجلس أمره .

فقال المأمون : الحمد لله على التوفيق لي في الرأي ، ثمّ نظر إلى أهل بيته ،

و قال لهم : عرفتم الآن ما كنتم تنكرونه ؟ ثمّ أقبل على أبي جعفر عليه السلام ، فقال له :

أتخطب يا أبا جعفر ؟ قال : نعم . فقال له : اخطب جعلت فداك فقد رضيتك لنفسي ، و أنا مزوجك أمّ الفضل ابنتي ، و إن رغب قوم لذلك .

فقال أبو جعفر عليه السلام : الحمد لله إقراراً بنعمته ، و لا إله إلا الله إخلاصاً لوحدهانيته ، و صلى الله على محمد سيد بريته ، و الأصفياء من عترته . أما بعد فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام ، فقال سبحانه :

و أنكحوا الأيامى منكم و الصالحين من عبادكم و إمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله و الله واسع عليم ١ . ثم إن محمد بن علي بن موسى

(١) (النور : ٣٢ .

الصفحة ٢١٧

يخطب أم الفضل بنت عبد الله المأمون ، و قد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت محمد صلى الله عليه و آله و سلم و هو خمسمائة درهم جياذ ، فهل زوجته يا أمير المؤمنين بها على هذا الصداق ؟ قال المأمون : نعم قد زوجتك يا أبا جعفر أم الفضل ابنتي على الصداق ، فهل قبلت النكاح ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام : قد قبلت ذلك و رضيت به . قال : فأمر المأمون أن يقعد الناس على مراتبهم في الخاصة و العامة . و لم نلبث أن سمعنا أصواتاً تشبه أصوات الملاحين في محاوراتهم ،

فإذا بخدم يجرون سفينة مصنوعة من الفضة مشدودة بالحبال من الإبريسم على عجل مملوءة من الغالية ، فأمر المأمون أن يخضب لحي الخاصة من تلك الغالية ، ثم مدت إلى دار العامة فطيبوا منها ، و وضعت الموائد فأكل الناس ،

و خرجت الجوائز إلى كل قوم على قدرهم ، فلما تفرق الناس و بقي من الخاصة من بقي ، قال المأمون لأبي جعفر عليه السلام : إن رأيت جعلت فداك أن تذكر الفقه في ما فصلته من وجوه قتل المحرم الصيد لنعلمه .

فقال عليه السلام : نعم ، إن المحرم إذا قتل صيدا في الحل ، و كان الصيد من ذوات الطير ، و كان من كبارها فعليه شاة ، فإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفا ، فإذا قتل فرخا في الحل فعليه حمل قد فطم من اللبن ، فإذا قتله في الحرم فعليه حمل و قيمة الفرخ ، و إن كان من الوحش و كان حمار وحش فعليه بقرة ، و إن كان نعامة فعليه بدنه ، و إن كان ظبيا فعليه شاة ، فإن قتل شيئا من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفا هديا بالغ الكعبة ، و إذا أصاب المحرم ما يجب الهدى فيه ، و كان إحرامه بالحج نحره

بمنى ، و إن كان بالعمرة نحره بمكة . و جزاء الصّيد على العالم و الجاهل سواء ، و في العمد له المأثم ، و هو موضوع عنه في الخطأ . و الكفّارة في الحرّ على نفسه ، و في العبد على سيّده ،

و الصّغير لا كفّارة عليه ، و هي على الكبير واجبة . و النّادم يسقط عنه بئذمه عقاب الآخرة ، و المصّرّ يجب عليه العقاب في الآخرة . فقال المأمون : أحسنت

الصفحة ٢١٨

يا أبا جعفر ، أحسن الله إليك . فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك .

فقال أبو جعفر عليه السّلام ليحيى : أسألك ؟ قال : ذلك إليك جعلت فداك فإن عرفت جواب ما تسألني عنه ، و إلا استفتدته منك . فقال له أبو جعفر عليه السّلام : أخبرني عن رجل نظر إلى امرأة في أوّل النهار فكان نظره إليها حراما ، فلما ارتفع النّهار حلّت له ، فلما زالت الشّمس حرمت عليه ، فلما كان وقت العصر حلّت له ، فلما غربت الشّمس حرمت عليه ، فلما دخل عليه وقت عشاء الآخرة حلّت له ، فلما كان انتصاف الليل حرمت عليه ، فلما طلع الفجر حلّت له . ما حال هذه المرأة ؟

و بماذا حلّت و حرمت عليه ؟ فقال له يحيى : و الله ما أهتدي إلى جواب هذا السؤال ، و لا أعرف الوجه فيه ، فإن رأيت أن تفيدناه . فقال عليه السّلام : هذه أمة لرجل نظر إليها أجنبي في أوّل النّهار ، فكان نظره إليها حراما ، فلما ارتفع النّهار ابتاعها من مولاها فحلّت له ، فلما كان عند الظّهر أعتقها فحرمت عليه ، فلما كان وقت العصر تزوّجها فحلّت له ، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه ، فلما كان وقت العشاء الآخرة كفّر عن الظّهار فحلّت له ، فلما كان نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه ، فلما كان عند الفجر راجعها فحلّت له .

قال : فأقبل المأمون على من حضره من أهل بيته ، فقال لهم : هل فيكم أحد يجيب عن هذه المسألة أو يعرف القول في ما تقدّم من السّؤال ؟ قالوا :

لا و الله إنّ الخليفة أعلم بما رأى . فقال لهم : و يحكم إنّ أهل هذا البيت خصّوا من الخلق بما ترون من الفضل ، و إنّ صغر السنّ فيهم لا يمنعهم من الكمال ،

أما علمتم أنّ النّبىّ صلّى الله عليه و آله افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام و هو ابن عشر سنين ، و قبل منه الإسلام و حكم له به ، و لم يدع أحدا في سنّه غيره ، و بايع الحسن و الحسين عليهما السّلام ، و هما دون ستّ سنين ،

و لم يبايع صبيًا غيرهما ؟ أفلا تعلمون الآن ما اختصّ الله به هؤلاء القوم و أنهم ذريّة بعضهم من بعض ،
و أنه يجري لآخرهم ما يجري لأولهم ؟

الصفحة ٢١٩

قالوا : صدقت . ثم نهض القوم .

فلما كان من الغد حضر الناس و حضر أبو جعفر عليه السلام ، و صار القواد و الحجاب و الخاصة و
العامّة لتهنئة المأمون و أبي جعفر عليه السلام ، فأخرج ثلاثة أطباق من الفضة فيها بنادق مسك و زعفران
معجون ، و في أجواف تلك البنادق رقايع مكتوبة بأموال جزيلة و عطايا سنّية و إقطاعات ، فأمر المأمون
بنثرها على القوم في خاصّته . فكان كلّ من وقع في يده بندقة أخرج الرقعة التي فيها و التمسّه ، و أطلق
له . و وضعت البدر ، فنثر ما فيها على القواد و غيرهم ، و انصرف الناس و هم أغنياء بالجوائز و
العطايا ، و تقدّم المأمون بالصدقة على كافّة المساكين ، و لم يزل مكرما لأبي جعفر عليه السلام معظما
لقدره مدّة حياته ، يؤثره على ولده و جماعة أهل بيته ١ .

و روى محمد بن يعقوب عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه قال : استأذن على أبي جعفر عليه السلام قوم من
أهل النواحي من الشيعة ، فأذن لهم ، فدخلوا فسألوه في مجلس واحد عن ثلاثين ألف مسألة ، فأجاب عليه
السلام و له عشر سنين ٢ .

و بإسناده عن أبي هاشم الجعفري قال : صلّيت مع أبي جعفر عليه السلام في مسجد المسيب ، و كان فيه
سدرية يابسة ، فدعا بماء و تهيأ تحت السدرية فعاشت ، و أورقت ، و حملت من عامها ٣ .

و روى في اسناد آخر أنّ عمر بن فرج الرّخجي خاطب الجواد عليه السلام ، فقال له : أظنّك سكران ؟
فقال عليه السلام : اللهمّ إن كنت تعلم أنّي أمسيت لك صائما ، فأذقه طعم الحرب ، و ذلّ الأسر . قال : فو
الله إن ذهب الأيام حتّى حرب ماله و ما كان

(١) الإرشاد للمفيد : ٣١٩ .

(٢) الكافي للكليني ١ : ٤٩٦ ، ح ٧ .

(٣) الكافي للكليني ١ : ٤٩٧ ح ٩ ، بتلخيص .

الصفحة ٢٢٠

له ، ثم أخذ أسيرا ١ .

و في التاريخ شرح حربه في ماله و ذلّ أسرته ، ففي (الطبري) : غضب المتوكّل في سنة ثلاث و ثلاثين و مائتين على عمر بن فرج ، و حبسه و قيّده و صادره ، و أخذ ضياعه و أثاثه و جواريه ٢ .

و في (مروج المسعودي) : في سنة ثلاث و ثلاثين و مائتين سخط المتوكّل على عمر بن فرج الرّحجي ، و كان من عليّة الكتاب ، و أخذ منه مالا و جواهر نحو مائة ألف و عشرين ألف دينار ، و أخذ من أخيه نحو مائة ألف و خمسين ألف دينار إلى أن قال ثمّ غضب عليه غضبة ثانية ، و أمر أن يصفع في كلّ يوم ، فأحصي ما صفع فكان ستّة آلاف صفقة ، و ألبسه جبّة صوف ، ثمّ رضى عنه ، و سخط عليه ثلاثة و أحرى إلى بغداد ، و أقام بها حتّى مات ٣ .

و في (عمدة الطالب) : إنّ الجواد عليه السّلام دخل على عليّ العريضي ، فقام له ،

و أجلسه في موضعه ، و لم يتكلّم حتّى قام ، فقال له أصحاب مجلسه : أتفعل هذا مع أبي جعفر و أنت عمّ أبيه ؟ فضرب بيده على لحيته ، و قال : إذا لم ير الله هذه الشّبيبة أهلا للإمامة ، أراها أنا أهلا للنار ٤ .

و أمّا الهادي عليه السّلام فقال سبط ابن الجوزي : قال علماء السّير : أشخصه المتوكّل من المدينة إلى بغداد ، لأنّ المتوكّل كان يبغض عليّا عليه السّلام و ذريّته ،

فبلغه مقام عليّ بن محمّد بالمدينة ، و ميل النّاس إليه ، فخاف منه ، فدعا يحيى ابن هرثمة ، و قال له : اذهب إلى المدينة و انظر في حاله ، و أشخصه إلينا . قال

(١) الكافي للكليني ١ : ٤٩٧ ح ١٠ ، بتلخيص .

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٣٤٧ سنة ٢٣٣ ، و النقل بالمعنى .

(٣) مروج الذهب للمسعودي ٤ : ١٩ .

(٤) عمدة الطالب للسيد الحسيني : ٢٤٢ ، و الكشي في معرفة الرجال (اختياره) : ٤٢٩ ح ٨٠٣ .

الصفحة ٢٢١

يحيى : فذهبت إلى المدينة ، فلمّا دخلتها ضجّ أهلها ضجيجا عظيما ما سمع النّاس بمثله خوفا على عليّ بن محمّد ، و قامت الدّنيا على ساق ، لأنّه كان محسنا إليهم ملازما للمسجد ، و لم يكن عنده ميل إلى الدّنيا .

قال يحيى : فجعلت اسكنهم ، و أحلف لهم أنني لم أؤمر فيه بمكروه ، و أنه لا بأس عليه . ثم فتشت منزله ، فلم أجد فيه إلا مصاحف و أدعية و كتب العلم ، فعظم في عيني ، و توليت خدمته بنفسي ، و أحسنت عشرته . فلما قدمت به بغداد بدأت بإسحاق بن إبراهيم الطاهري و كان واليا على بغداد فقال لي : يا يحيى إن هذا الرجل قد ولده رسول الله صلى الله عليه و آله و أن المتوكل من تعلم ، و إن حرصته عليه قتله ، و كان النبي صلى الله عليه و آله خصمك يوم القيامة . فقلت له : و الله ما وقفت منه إلا على كل أمر جميل . ثم صرت به إلى سر من رأى ، فبدأت بوصيف التركي ، فقال : و الله لئن سقطت منه شعرة لا يطالب به سواك . فعجبت كيف وافق قوله قول إسحاق فلما دخلت على المتوكل سألتني عنه ، فأخبرته بحسن سيرته و ورعه و زهادته ، و أنني فتشت داره فلم أجد فيها غير المصاحف و كتب العلم ، و أن أهل المدينة خافوا عليه . فأكرمه المتوكل ، و أنزله معه سر من رأى ، فاتفق مرض المتوكل بعد ذلك ، فنذر إن عوفي ليتصدق بدرهم كثيرة . فعوفي ، فسأل الفقهاء عن ذلك ، فلم يجد عندهم فرجا ، فبعث إليه فسأله فقال : يتصدق بثلاثة و ثمانين . فقال المتوكل : من أين لك هذا ؟ فقال : من قوله تعالى : لقد نصركم الله في مواطن كثيرة و يوم حنين . . . ١ . و المواطن الكثيرة هي هذه الجملة ،

و ذلك لأن النبي صلى الله عليه و آله غزا سبعا و عشرين غزاة و بعث خمسا و خمسين سرية ،

و آخر غزواته يوم حنين . فعجب المتوكل و الفقهاء من هذا الجواب ، و قال له :

هذا الواجب ، و تصدق أنت بما أحببت . إلى أن قال و قال يحيى : تذاكر الفقهاء

(١) التوبة : ٢٥ .

الصفحة ٢٢٢

بحضرة المتوكل : من حلق رأس آدم ؟ فلم يعرفوا ، فقال المتوكل : أرسلوا إلى علي بن محمد . فأحضره ، فقال : حدثني أبي عن جدي عن أبيه عن جدّه ، قال :

إن الله تعالى أمر جبرئيل أن ينزل بياقوتة من يواقيت الجنة ، فنزل بها فمسح بها رأس آدم ، فتناثر الشعر منه ، فحيث بلغ نورها صار حرما ١ .

و روى المسعودي في (مروجّه) عن ابن عرفة النحوي عن المبرد قال :

قال المتوكل لأبي الحسن علي بن محمد : ما يقول ولد أبيك في العباس ؟ قال :

و ما يقول ولد أبي يا أمير المؤمنين في رجل افترض الله طاعة بنيه على خلقه ،

و افترض طاعته على بنيه ؟ قال : فأمر له بمائة ألف درهم .

و إنما أراد أبو الحسن عليه السلام بقوله : « طاعته على بنيه » طاعة الله على بنيه ،

فعرّض ٢ .

و فيه : و قد كان سعي بأبي الحسن عليّ بن محمد إلى المتوكّل ، و قيل له :

إنّ في منزله سلاحا و كتباً و غيرها من شيعته . فوجّه إليه ليلا من الأتراك و غيرهم من هجم عليه في منزله على غفلة ممّن في داره ، فوجده في بيت وحده مغلق عليه و عليه مدرعة من شعر ، و لا بساط في البيت إلاّ الرّمْل و الحصى ، و على رأسه ملحفة من الصوف متوجّها إلى ربّه ، يترنّم بآيات من القرآن في الوعد و الوعيد ، فاخذ على ما وجد عليه ، و حمل إلى المتوكّل في جوف الليل ، فمَثَل بين يديه ، و المتوكّل يشرب و في يده كأس ، فلما رآه أعظمه و أجلسه إلى جنبه ، و لم يكن في منزله شيء ممّا قيل فيه و لا حالة يتعلّل عليه بها ، فناوله المتوكّل الكأس الذي في يده ، فقال : يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي و دمي قطّ ، فاعفني منه . فأعفاه ، و قال : أنشدني شعرا أستحسنه . فقال :

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : ٣٥٩ .

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٤ : ١٠ .

الصفحة ٢٢٣

إنّي لقليل الرّواية للأشعار . فقال : لا بدّ أن تنشدني . فأنشده :

باتوا على قلل الأجدال تحرسهم
غلب الرّجال فما أغنتهم القل

و استنزلوا بعد عزّ عن معاقلهم
فاودعوا حفرا يا بنس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما قبروا
أين الأسرة و التيجان و الحلل

أين الوجوه التي كانت منعمة
من دونها تضرب الأستار و الكلل

فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم
تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

قد طالما أكلوا دهرًا و ما شربوا
فأصبحوا بعد طول الأكل قد اكلوا

و طالما عمروا دورا لتحصنهم
ففارقوا الدور و الأهلين و انتقلوا

و طالما كنزوا الأموال و اتخروا
فخلفوها على الأعداء و ارتحلوا

أضحت منازلهم قفرا معطلة
و ساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

قال : فأشفق كل من حضر على عليّ ، و ظن أن بادرة تبرد منه إليه . قال :

و الله لقد بكى المتوكل بكاء طويلا حتى بلت دموعه لحيته ، و بكى من حضره ،

ثم أمر برفع الشراب ١ .

و روى (المروج) أيضا ما نقله (تذكرة سبط ابن الجوزي) في بعث المتوكل يحيى بن هرثمة لإشخاصه
عليه السلام و زاد بعد قوله : و « أحسنت عشرته » قال : فبينما أنا نائم يوما من الأيام و السماء صاحية و
الشمس طالعة ، إذ ركب و عليه ممطر ، و قد عقد ذنب دابته فعجبت من فعله ، فلم يكن بعد ذلك إلا هنيهة
حتى جاءت سحابة ، فأرخت عزاليها و نالنا من المطر أمر عظيم جدًا ،

فالتفت إليّ و قال : أنا أعلم أنك أنكرت ما رأيت ، و توهمت أنني علمت من الأمر ما لا تعلمه ، و ليس ذلك كما ظننت ، و لكن نشأت بالبادية فأنا أعرف الرياح التي يكون في عقبها المطر . فلما أصبحت هبت ريح لا تخلف ،

(١) مروج الذهب للمسعودي ٤ : ١١ .

الصفحة ٢٢٤

و شمت منها رائحة المطر فتأهبت ١ .

و روت الشيعة الخبر بطريق آخر ، فروى الراوندي في (خرائجه) عن يحيى قال : دعاني المتوكل ، فقال لي : اختر ثلاثمائة رجل ممن تريد ، و اخرجوا إلى الكوفة فخلّفوا أئقالكم فيها ، و اخرجوا على طريق البادية إلى المدينة ،

و أحضروا عليّ بن محمد بن الرضا إليّ معظماً مبجلاً ، ففعلت و خرجت ، و كان من أصحابي قائد من الشراة ، و كاتب يتشيع ، و أنا على مذهب الحشوية ، و كان ذلك الشاري يناظر الكاتب ، و كنت أستريح إلى مناظرتهما لقطع الطريق .

فلما انتصف المسافة قال الشاري للكاتب : أليس من قول صاحبكم يعني عليّاً عليه السلام : إنه ليس بقعة من الأرض إلا و هي قبر أو ستكون قبراً . انظر إلى هذه البرية ، أين من يموت في هذه البرية العظيمة ، حتى تمثلي قبورا ؟

و تضاحكنا ساعة من كلام الشاري إذ انخذل الكاتب في أيدينا ، ثم سرنا حتى دخلنا المدينة ، فقصدت باب أبي الحسن ، و دخلت عليه فقرأ كتاب المتوكل و قال : انزلوا و ليس من جهتي خلاف . فلما صرت إليه من الغد ، و كنا في تموز أشدّ ما يكون من الحرّ ، فإذا بين يديه خياط ، و هو يقطع من ثياب غلاظ الخفّاتين له و لغلمانة إلى أن قال فسرنا حتى صرنا إلى موضع المناظرة في القبور ارتفعت سحابة و أرددت و أبرقت ، حتى إذا صارت على رؤوسنا ،

أرسلت علينا برداً مثل الصّخور ، و قد شدّ أبو الحسن على نفسه ، و على غلمانة الخفّاتين ، و لبسوا اللبّابيد و البرانس ، و قال لغلمانة : ادفعوا إلى يحيى لبّادة ،

و إلى الكاتب برنسا ، و تجمعنا و البرد يأخذنا حتى قتل من أصحابي ثمانين رجلا ، و زالت السحابة ، و رجع الحر كما كان ، فقال : يا يحيى مر من بقي من أصحابك ليدفن من قد مات ، ثم قال : هكذا يملأ الله البرية قبورا . قال : فرميت

(١) مروج الذهب للمسعودي ٤ : ٨٤ .

الصفحة ٢٢٥

نفسى عن دابتي و عدوت ، فقبلت ركابه و رجله ، و قلت : أشهد أنكم خلفاء الله . . . ١ .

و قال المسعودي في (مروجه) أيضا : قد ذكرنا خبر علي بن محمد مع زينب الكاذبة بحضرة المتوكل ، و نزوله رضى الله عنه إلى بركة السباع ، و تذللها له ،

و رجوع زينب عما ادّعت من أنها ابنة الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، و أن الله تعالى أطال عمرها إلى ذلك الوقت ، في كتابنا (أخبار الزمان) ٢ .

و قال فيه : حدّثني محمد بن فرج قال : حدّثني أبو دعامة قال : أتيت علي بن محمد بن علي بن موسى عائدا في علته التي كانت وفاته منها في هذه السنة ، فلما هممت بالانصراف ، قال لي : يا أبا دعامة قد وجب حقك أفلا احديثك بحديث تسرّ به ؟ فقلت له : ما أحوجني إلى ذلك يا ابن رسول الله ؟ قال : حدّثني أبي محمد بن علي ، قال : حدّثني أبي علي بن موسى ، قال : حدّثني أبي موسى بن جعفر ، قال : حدّثني أبي جعفر بن محمد ، قال : حدّثني أبي محمد بن علي ،

قال : حدّثني أبي علي بن الحسين ، قال : حدّثني أبي الحسين ابن علي ، قال :

حدّثني أبي علي بن أبي طالب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه و آله : « اكتب يا علي . قلت :

و ما أكتب ؟ قال لي : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم الإيمان ما وقّرتة القلوب ،

و صدّفته الأعمال ، و الإسلام ما جرى به اللسان ، و حلّت به المناكحة « قال أبو دعامة . فقلت : يا ابن رسول الله ، ما أدري و الله أيهما أحسن ، الحديث أم الاسناد ؟

فقال : إنّها لصحيفة بخطّ عليّ بن أبي طالب عليه السّلام بإملاء رسول الله صلّى الله عليه وآله نتوارثها صاغرا عن كابر ٣ .

و قال محمد بن محمد بن النعمان المفيد في (إرشاده) : روى الحسين بن

(١) الخرائج للراوندي ، عنه البحار ٥٠ : ١٤٢ ح ٢٧ .

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٤ : ٨٥ ، ٨٦ .

(٣) مروج الذهب للمسعودي ٤ : ٨٥ ، ٨٦ .

الصفحة ٢٢٦

الحسن الحسني ، قال : حدّثني أبو الطيّب يعقوب بن ياسر ، قال : كان المتوكّل يقول : و يحكم قد أعيانني أمر ابن الرضا ، و جهدت أن يشرب معي ، و أن ينادمني ، فامتنع ، و جهدت أن أجد فرصة في هذا المعنى ، فلم أجدها . فقال له بعض من حضر : إن لم تجد من ابن الرضا ما تريده من هذا الحالة ، فهذا أخوه موسى قصّاف عزّاف يأكل و يشرب ، و يتعشّق و يتخالع فأحضره و أشهره ،

فإنّ الخبر يشيع عن ابن الرضا بذلك ، فلا يفرّق الناس بينه و بين أخيه ، و من عرفه أتهم أخاه بمثل فعاله . فقال : اكتبوا بإشخاصه مكرّما . فاشخص مكرّما ،

فتقدّم المتوكّل أن يلقاه جميع بني هاشم ، و القوّاد ، و سائر الناس ، و عمل على أنّه إذا وافى أقطعه قطيعة ، و بنى له فيها ، و حول إليها الخمارين و القيان ، و تقدّم بصلته و برّه ، و أفرد له منزلا سريّا يصلح أن يزوره هو فيه . فلما وافى موسى تلقاه أبو الحسن عليه السّلام في قنطرة و صيف و هو موضع يتلقّى فيه القادمون فسلم عليه و وفّاه حقّه ، ثمّ قال له : إنّ هذا الرّجل قد أحضرك ليهتكك ، و يضع منك ، فلا تقرّ له أنّك شربت نبيذا قطّ ، و اتق الله يا أخي أن ترتكب محظورا . فقال له موسى : و إنّما دعاني لهذا ، فما حيلتي ؟ قال : فلا تضع من قدرك ، و لا تعص ربّك ، و لا تفعل ما يشينك ، فما غرضه إلاّ هتكك . فأبى عليه موسى ، فكرّر عليه أبو الحسن عليه السّلام القول و الوعظ ، و هو مقيم على خلافه ، فلما رأى أنّه لا يجيب ،

قال : أما إنّ المجلس الذي تريد الاجتماع معه عليه لا تجتمع عليه أنت و هو أبدا .

قال : فأقام موسى ثلاث سنين يبكر كل يوم إلى باب المتوكّل ، فيقال له : قد تشاغل اليوم . فيروح و يبكر ، فيقال له : قد سكر . فيبكر ، فيقال له : قد شرب دواء .

فما زال على هذا ثلاث سنين حتى قتل المتوكّل و لم يجتمع معه على شراب ١ .

و أمّا الحسن العسكري عليه السّلام ، فروى محمّد بن يعقوب الكليني عن

(١) الإرشاد للمفيد : ٣٣١ .

الصفحة ٢٢٧

الحسن بن محمّد الأشعري ، و محمّد بن يحيى العطار ، و غيرهما ، و روى محمّد بن عليّ بن بابويه القمي بأسناده عن سعد بن عبد الله القمي ، و روى محمّد بن الحسن الطوسي بأسناده عن عبد الله بن جعفر الحميري عن جماعة من آل سعد بن مالك ، و آل طلحة قالوا : كان أحمد بن عبيد الله بن خاقان على الضياع و الخراج بقم ، فجرى في مجلسه يوما ذكر العلوية و مذاهبهم و كان شديد النصب و الانحراف عن أهل البيت عليهم السّلام فقال : ما رأيت و لا عرفت بسرّ من رأى رجلا من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمّد بن عليّ الرضا في هديه و سكونه ، و عفاقه و نبله ، و كبرته عند أهل بيته ، و بني هاشم ، و تقديمهم إياه على نوي السنّ منهم و الخطر ، و كذلك كانت حاله عند القواد و الوزراء ، و عامّة الناس ، فأذكر يوما أنّي كنت قائما على رأس أبي ، و هو يوم مجلسه للناس إذ دخل حجّابه ، فقالوا : أبو محمّد بن الرضا بالباب . فقال بصوت عال : ائذنوا له .

فتعجبت من جسارتهم أن يكتنوا رجلا بحضرة أبي ، و لم يكن يكنى عنده إلاّ خليفة أو ولي عهد ، أو من أمر السلطان أن يكنى ، فدخل رجل أسمر حسن القامة ، جميل الوجه ، جيّد البدن ، حديث السنّ له جلاله و هيئة حسنة ، فلما نظر إليه أبي قام فمشى إليه خطى ، و لا أعلمه فعل هذا بأحد من بني هاشم و القواد ،

فلما دنا منه عانقه ، و قبل وجهه و صدره ، و أخذ بيده ، و أجلسه على مصلاه الذي كان عليه ، و جلس إلى جنبه ، مقبلا عليه بوجهه ، و جعل يكلمه و يفديه بنفسه ، و أنا متعجب ممّا أرى منه إذ دخل الحاجب فقال : الموفق قد جاء .

و كان الموفق إذا دخل على أبي تقدّمه حجّابه و خاصّة قواده ، فقاموا بين مجلس أبي و بين باب الدار سماطين إلى أن يدخل و يخرج فلم يزل أبي مقبلا عليه يحدثه حتى إذا نظر إلى غلمان الخاصة فقال حينئذ

له : « إذا شئت جعلني الله فداك » ، ثم قال : خذوا به خلف السّماطين لا يراه هذا يعني الموفق فقام و قام أبي ، فعانقه و مضى .

الصفحة ٢٢٨

فقلت لحجّاب أبي و غلمانه : و يحكم من هذا الذي كنيتموه بحضرة أبي و فعل به أبي هذا الفعل ؟ فقالوا : هذا علوي يقال له : الحسن بن عليّ يعرف بابن الرضا . فازددت تعجّبا ، و لم أزل يومي ذلك قلّقا متفكّرا في أمره و أمر أبي ، و ما رأيته منه حتّى كان الليل و كانت عادته أن يصليّ العتمة ، ثمّ يجلس فينظر في ما يحتاج إليه من المؤامرات ، و ما يرفعه إلى السلطان ، فلما صلّى و جلس جئت و جلست بين يديه ، و ليس عنده أحد ، فقال لي : يا أحمد ألك حاجة ؟ فقلت : نعم يا أبا ، فإن أذنت ، سألتك ؟ قال : أذنت . قلت : من الرّجل الذي رأيته بالغداة فعلت به من الإجلال و الكرامة و التبجيل ، و فديته بنفسك و أبويك ؟ فقال : ذاك إمام الرّافضة : الحسن بن عليّ المعروف بابن الرضا . ثمّ سكت ساعة و أنا ساكت ،

ثمّ قال : يا بني لو زالت الإمامة عن خلفاء بني العباس ما استحقّها أحد من بني هاشم غيره ، لفضله و عفافه و صيانتته و زهده و عبادته و جميل أخلاقه و صلاحه ، و لو رأيت أباه ، رأيت رجلا جزلا نبيلًا فاضلا .

قال : فازددت قلّقا و تفكّرا و غيظا على أبي ، و ما سمعته منه فيه ، و رأيت من فعله به ، فلم يكن لي همّة بعد ذلك إلاّ السؤال عن خبره ، و البحث عن أمره ،

فما سألت أحدا من بني هاشم و القواد ، و الكتاب ، و القضاة ، و الفقهاء ، و سائر الناس ، إلاّ وجدته عندهم في غاية الإجلال و الإعظام ، و المحل الرقيع ، و القول الجميل ، و التّقديم له على جميع أهل بيته و مشائخه ، فعظم قدره عندي إذ لم أر له وليّا و لا عدواّ إلاّ و هو يحسن القول فيه و الثناء عليه . فقال له بعض من حضر مجلسه من الأشعريين : فما خبر أخيه جعفر ، و كيف كان منه في المحلّ ؟ فقال : و من جعفر حتّى يسأل عن خبره أو يقرن بالحسن ؟ جعفر معتلّ بالفسق ، و فاجر شريّب للخمر ، أقلّ من رأيت من الرّجال ، و أهتكهم لنفسه ،

خفيف قليل في نفسه ، و لقد ورد على السلطان و أصحابه في وقت وفاة الحسن ما تعجّبت منه ، و ما ظننت أنّه يكون ، و ذلك أنّه لما اعتلّ الحسن بعث

إلى أبي : أن ابن الرضا قد اعتلّ . فركب من ساعته إلى دار الخلافة ، ثم رجع مستعجلاً و معه خمسة من خدم أمير المؤمنين ، كلهم من ثقاته و خاصته فيهم نحير ، و أمرهم بلزوم دار الحسن ، و تعرّف خبره و حاله ، و بعث إلى نفر من المتطبيين ، فأمرهم بالاختلاف إليه ، و تعاوده صباحاً و مساءً ، فلما كان بعد ذلك بيومين اخبر أنه قد ضعف ، فأمر المتطبيين بلزوم داره ، و بعث إلى قاضي القضاة ، فأحضره مجلسه ، و أمره أن يختار عشرة ممّن يوثق به في دينه و ورعه و أمانته ، فبعث بهم إلى دار الحسن و أمرهم بلزومه ليلاً و نهاراً ، فلم يزلوا هنالك حتى توفي ، فلما ذاع خبر وفاته صارت سرّاً من رأى ضجّة واحدة ، فبعث السلطان إلى داره من فتشها و فتش حجرها ، و ختم على جميع ما فيها ، و طلبوا أثر ولده و جاؤوا بنساء يعرفن الحمل ، فدخلن على جواريه ينظرون إليهنّ ، فذكر بعضهنّ أنّ هناك جارية بها حمل ، فجعلت في حجرة ،

و وكلّ بها نحير الخادم و أصحابه و نسوة معهم .

ثم أخذوا بعد ذلك في تهيئته ، و عطّلت الأسواق و ركب بنو هاشم ،

و القواد ، و الكتاب ، و القضاة ، و المعدلون ، و سائر الناس إلى جنازته ، فكانت سرّاً من رأى يومئذ شبيهاً بالقيامة ، فلما فرغوا من تهيئته ، بعث السلطان إلى أبي عيسى ابن المتوكّل فأمره بالصلاة عليه ، فلما وضعت الجنازة للصلاة دنا أبو عيسى منه فكشف عن وجهه ، فعرضه على بني هاشم من العلوية و العباسية ،

و القواد ، و الكتاب ، و القضاة ، و المعدلين و قال : « هذا الحسن بن عليّ بن محمد بن الرضا مات حتف أنفه على فراشه ، و حضره من خدم أمير المؤمنين و ثقاته فلان و فلان ، و من القضاة فلان و فلان ، و من المتطبيين فلان و فلان » ،

ثم غطى وجهه ، و صلى عليه ، و أمر بحمله ، فحمل من وسط داره ، فدفن في البيت الذي دفن فيه أبوه . فلما دفن أخذ السلطان الناس في طلب ولده ، و كثر التفتيش في المنازل و الدور ، و توقّفوا عن قسمة ميراثه ، و لم يزل الذين وكلّوا

بحفظ الجارية التي توهم عليها الحمل حتى توهم بطلان الحمل ، فلما بطل الحمل عنهن قسم ميراثه بين امه و أخيه جعفر ، و ادعت امه وصيته ، و ثبت ذلك عند القاضي فجاء جعفر أخوه بعد ذلك إلى أبي ، فقال : اجعل لي مرتبة أخي ،

و أنا اوصل إليك في كل سنة عشرين ألف دينار ، فزيره أبي و أسمعه ما كره ،

و قال له : يا أحمق إنَّ السلطان جرّد سيفه في الذين زعموا أنّ أباك و أخاك أئمة ،

ليردّهم عن ذلك فلم يتهبأ له ذلك ، فإن كنت عند شيعة أبيك و أخيك إماما ، فلا حاجة بك إلى السلطان يرتبك مراتبهم ، و لا غير سلطان ، و إن لم تكن عندهم بتلك المنزلة لم تتلها بنا . فاستقله أبي عند ذلك و استضعفه ، و أمر أن يحجب ،

فلم يأذن له في الدّخول حتى مات أبي ، و خرجنا و هو على تلك الحال ،

و السلطان يطلب أثر ولد الحسن إلى اليوم ، و هو لا يجد إلى ذلك سبيلا و شيعة مقيمون على أنه مات ، و خلف ولدا يقوم مقامه في الإمامة ١ .

و روى محمد بن يعقوب عن عليّ بن محمد عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى بن جعفر عن عليّ بن عبد الغفّار قال : دخل العباسيون و صالح بن عليّ ، و غيره من المنحرفين عن هذه النّاحية على صالح بن وصيف عند ما حبس أبا محمد عليه السّلام ، فقال لهم صالح : و ما أصنع قد وكّلت به رجلين أشرّ ما قدرت عليه ، فقد صارا من العبادة و الصّلاة و الصّيّام إلى أمر عظيم ، فقلت لهما : ما فيه ؟ فقالا : ما نقول في رجل يصوم النّهار ، و يقوم الليل كلّه لا يتكلّم ، و لا يتشاغل ، و إذا نظرنا إليه ارتعدت فرائصنا ، فيدخلنا ما لا

(١) أخرجه الكليني مسندا في الكافي ١ : ٥٠٣ ح ١ ، و رواه الفتال مجردا في الروضة ١ : ٢٤٩ ، كلاهما عن الحسن بن محمد الأشعري و محمد بن يحيى و غيرهما ، و رواه عن طريق الكليني أيضا المفيد مسندا في الارشاد : ٣٣٨ ، و الطبرسي مجردا في أعلام الوري : ٣٧٦ ، و أخرجه ابن بابويه الصدوق مسندا في كمال الدين : ٤٠ ، و الطوسي مسندا مختصرا في الغيبة : ١٣١ ، كلاهما عن سعد بن عبد الله القمي ، و رواه الطوسي مسندا اشارة في الفهرست : ٣٥ ، و مجردا اشارة في رجاله : ٤٤٨ عن عبد الله بن جعفر الحميري ، و رواه اشارة بلا اسناد النجاشي في الفهرست : ٦٤ .

الصفحة ٢٣١

نملكه من أنفسنا؟ فلما سمعوا ذلك انصرفوا خائبين ١ .

و عنه : عن أبي عليّ محمد بن عليّ بن إبراهيم عن أحمد بن الحرث القزويني ، قال : كنت مع أبي بسرّ من رأى ، و كان أبي يتعاطى البيطرة في مربوط أبي محمد عليه السلام ، و كان عند المستعين بغل لم ير مثله حسنا و كبيرا ، و كان يمنع ظهره اللجام و السرج ، و قد كان جمع عليه الرأضة فلم تكن له حيلة في ركوبه ، فقال له بعض ندمائه : ألا تبعث إلى الحسن بن عليّ بن الرضا حتى يجيء ، فإما أن يركبه ، و إما أن يقتله فتستريح منه ؟ فبعث إليه عليه السلام و مضى أبي معه . قال أبي : لما دخل الدار كنت معه ، فنظر إلى البغل واقفا في صحن الدار ،

فعدل إليه ، فوضع يده على كفله فنظرت إلى البغل و قد عرق حتى سال العرق منه ، ثم سار إلى المستعين فسلم عليه فرحب به ، فقال : يا أبا محمد أجم هذا البغل . فقال لأبي : أجمه يا غلام . فقال المستعين : أجمه أنت . فوضع طيلسانه ،

ثم قام فأجمه ثم رجع إلى مجلسه ، و قعد . فقال له : يا أبا محمد أسرجه . فقال لأبي : يا غلام أسرجه . فقال : أسرجه أنت . فقام ثانية فأسرجه ، و رجع . فقال له :

ترى أن تركبه؟ فقال : نعم . فركبه من غير أن يمتنع عليه ، ثم ركضه في الدار ،

ثم حمله على الهملجة فمشى أحسن مشي يكون ، ثم رجع فنزل ، فقال له المستعين : كيف رأيته؟ قال : ما رأيته مثله حسنا و فراهة ، و ما يصلح أن يكون مثله إلاّ للأمير المؤمنين . فقال : يا أبا محمد فإن أمير المؤمنين قد حملك عليه ،

فقال عليه السلام لأبي : خذه يا غلام . فأخذه أبي فقادته ٢ .

و عنه : عن محمد بن إبراهيم المعروف بابن الكردي عن محمد بن عليّ بن إبراهيم بن موسى بن جعفر قال : ضاق بنا الأمر ، فقال لي أبي : امض بنا

(١) الكافي للكليبي ١ : ٥١٢ ح ٢٣ .

(٢) الكافي للكليبي ١ : ٥٠٧ ح ٤ .

الصفحة ٢٣٢

حتى نصير إلى هذا الرجل يعني : أبا محمد فإنه قد وصف لي عنه سماحة .

فقلت : تعرفه ؟ فقال : ما أعرفه و لا رأيته قط . فقصدناه ، فقال لي أبي و هو في طريقه : ما أحوجنا أن يأمر لنا بخمسمائة درهم : مائتان للكسوة ، و مائتان للدقيق ، و مائة للنفقة قال : و قلت في نفسي : ليته أمر لي بثلاثمائة درهم اشتري بمائة حمارا ، و مائة للنفقة ، و مائة للكسوة ، و أخرج إلى الجبل . فلما وافينا الباب خرج إلينا غلامه . فقال : يدخل عليّ بن إبراهيم و محمد ابنه . فلما دخلنا عليه و سلمنا ، قال لأبي : ما خلفك عنا إلى هذا الوقت ؟ فقال : يا سيدي استحييت أن ألقاك على هذه الحال . فلما خرجنا من عنده جاءنا غلامه ، فناول أبي صرة ،

فقال : هذه خمسمائة درهم : مائتان للكسوة ، و مائتان للدقيق ، و مائة للنفقة .

و أعطاني صرة ، فقال : هذه ثلاثمائة درهم ، اجعل مائة في ثمن حمار ، و مائة للكسوة ، و مائة للنفقة ، و لا تخرج إلى الجبل ، و صر إلى سورا . فصار إلى سورا و تزوج بامرأة و دخله اليوم ألف دينار ، و مع هذا يقول بالوقف . قال محمد بن إبراهيم : فقلت له : و يحك أتريد أمرا أبين من هذا ؟ فقال : هذا أمر قد جرينا عليه ١ .

و عنه : عن إسحاق بن محمد النخعي قال : حدثني إسماعيل بن محمد بن عليّ بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلّب قال : قعدت لأبي محمد على ظهر الطريق ، فلما مرّ بي شكوت إليه الحاجة ، و حلفت أنه ليس عندي درهم فما فوقه ، و لا غداء و لا عشاء . فقال : تحلف بالله كاذبا ، و قد دفنت مائتي دينار ، و ليس قولي هذا دفعا لك عن العطيّة ، أعطه يا غلام ما معك .

فأعطاني غلامه مائة دينار ، ثمّ أقبل عليّ فقال : إنك تحرمها أحوج ما تكون إليها يعني الدنانير التي دفنت و صدق و كان كما قال ، دفنت مائتي دينار ، و قلت :

(١) الكافي للكليني ١ : ٥٠٦ و ٥٠٩ ح ٣ و ١٤ .

الصفحة ٢٣٣

يكون ظهرا و كهفا لنا . فاضطرت ضرورة شديدة إلى شيء أنفقه ، و انغلقت عليّ أبواب الرزق ، فنبشت عنها ، فإذا ابن لي قد عرف موضعها ، فأخذها و هرب ، فما قدرت منها علي شيء ١ .

و أما الحجّة بن الحسن المهدي القائم صلوات الله عليه و على آبائه فأخبار العامّة به عليه السّلام عن النّبيّ صلّى الله عليه و آله و أمير المؤمنين عليه السّلام متواترة كروايات الخاصّة عنهما ، و عن باقي الأئمّة عليهم السّلام حتّى صنّف جمع من العامّة فيه ، كأبي نعيم الاصبهاني و الكنجي الشافعي ، و أبي صالح السّليبي ، و زكريّا بن يحيى ،

و نعيم بن حمّاد ، و جمع آخر .

و لتواتر الخبر بالمهدي ضلّت الكيسانيّة في محمّد بن الحنفية ، فتوهّموا أنّه القائم الذي يغيّب ، ثم يظهر و أنّه غاب في شعب جبل رضوى فقال كثير عزة و كان كيسانيا مشيرا إليه :

و سبط لا يذوق الموت حتّى
تقود الخيل يقدمها اللواء

و قال السيد الحميري وقت كيسانيّته :

ألا قل للامام فدتك نفسي
أطلت بذلك الجبل المقاما

أضرّ بمعشر و ألوك منّا
و سمّوك الخليفة و الإماما

و عدّوا أهل هذي الأرض طرّا
مقامك فيهم ستين عاما

و ما ذاق ابن خولة طعم موت
و لا وارت له أرض عظاما

لقد أمسى بمورق شعب رضوى
تراجعه الملائكة الكراما

و قال أيضا :

يا شعب رضوى ما لمن بك لا يرى
و بنا إليه من الصبابة أشوق

حتى متى و إلى متى و كم الذي
يابن الوصي و أنت حي ترزق

(١) الكافي للكليني ١ : ٥٠٦ و ٥٠٩ ح ٣ و ١٤ .

الصفحة ٢٣٤

ثم ضلّ جمع في محمّد بن عبد الله بن الحسن الذي قتله المنصور ، قال أبو الفرج : كان أهل بيته يسمّونه المهدي ، و يقدّرون أنّه الذي جاءت فيه الرواية ، حتى لم يشك أحد أنّه المهدي ، و شاع ذلك له في العامّة ، و بايعه رجال من بني هاشم جميعا ، من آل أبي طالب و آل العباس ، و ساير بني هاشم ، ثمّ ظهر من جعفر بن محمّد عليه السلام قول في أنّه لا يملك ، و أنّ الملك يكون في بني العباس ، فانتهبوا من ذلك لأمر لم يكونوا يطعمون فيه ١ .

و ممّن قال بقائميته المغيرة بن سعيد و أصحابه ، و زادوا له في حديث النبيّ صلّى الله عليه و آله المتواتر : « لا تذهب الدنيا حتى يبعث الله رجلا من أهل بيتي يواطى اسمه اسمي حتى يملأها قسطا » ٢ فقرة : « و اسم أبيه اسم أبي » ٣ حتى ينطبق عليه ، و وضعوا له خبرا بأنّ اسم امّه على ثلاثة أحرف أولها هاء ، و آخرها دال ٤ ، لكون اسم امّه هذا .

و لتواتر الخبر بالمهدي و بعلاماته كان يعرفه خلفاء بني امية ، فروى أبو الفرج أنّه قيل لمروان بن محمّد : إنّ محمّد بن عبد الله يدّعي هذا الأمر ،

و يتسمّى بالمهدي فقال : مالي و له ، ما هو به و لا من أبيه ، و إنّ لابن امّ ولد . و لم يهجه مروان حتى قتل ٥ .

و لتواتر الخبر بالمهدي ، ادّعى المنصور ذلك بعد خلافته في ابنه فسماه المهدي ، و كان اسم المنصور نفسه عبد الله ، فلما زادوا لمحمّد بن عبد الله

(١) مقاتل الطالبين لأبي الفرج : ١٥٧ ، بتقطيع .

- (٢) هذا حديث رزين جيش عن عبد الله بن مسعود عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، يحضرنى ثلاثة و ستون من أسانيدِهِ ، منها ما أخرجه أبو داود بخمس طرق في سننه ٤ : ١٠٦ ح ٤٢٨٢ ، و الترمذي بطريقتين في سننه ٤ : ٥٠٥ ح ٢٢٣٠ و ٢٢٣١ توجد فقرة : « اسم أبيه اسم أبي » في تسعة عشر منها .
- (٢) هذا حديث رزين جيش عن عبد الله بن مسعود عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، يحضرنى ثلاثة و ستون من أسانيدِهِ ، منها ما أخرجه أبو داود بخمس طرق في سننه ٤ : ١٠٦ ح ٤٢٨٢ ، و الترمذي بطريقتين في سننه ٤ : ٥٠٥ ح ٢٢٣٠ و ٢٢٣١ توجد فقرة : « اسم أبيه اسم أبي » في تسعة عشر منها .
- (٣) هذا حديث رزين جيش عن عبد الله بن مسعود عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، يحضرنى ثلاثة و ستون من أسانيدِهِ ، منها ما أخرجه أبو داود بخمس طرق في سننه ٤ : ١٠٦ ح ٤٢٨٢ ، و الترمذي بطريقتين في سننه ٤ : ٥٠٥ ح ٢٢٣٠ و ٢٢٣١ توجد فقرة : « اسم أبيه اسم أبي » في تسعة عشر منها .
- (٤) مقاتل الطالبين لأبي الفرج : ١٥٨ .
- (٥) مقاتل الطالبين لأبي الفرج : ١٦٢ .

الصفحة ٢٣٥

- المحض في حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . « و اسم أبيه اسم أبي » أراد تطبيق ذلك على ابنه ذاك ، فكتب إلى الآفاق في أخذ البيعة لابنه ما لفظه : « فإن اسم المهدي محمد ابن أمير المؤمنين ، و اسم أبيه اسم أبيه » و هو يعلم بطلان ادعائه كبطلان ادعاء محمد بن عبد الله المحض .
- فروى أبو الفرج : أن المنصور أرسل مولى له إلى مجلس محمد بن عبد الله يسمع ما يقول على المنبر ، فسمعه يقول : إنكم لا تشكون أنني أنا المهدي .
- فأخبر المنصور بذلك ، فقال : كذب بل المهدي ابني ١ .
- و روي عن مسلم بن قتيبة قال : قال المنصور لي : قد خرج محمد بن عبد الله ، و تسمى بالمهدي ، و والله ما هو به . و اخرى أقولها لك لم أقلها لأحد قبلك ،
- و لا أقولها لأحد بعدك : و ابني و الله ما هو بالمهدي الذي جاءت به الرواية ،
- و لكني تيمنت به و تفألت به ٢ .
- و كان ابنه جعفر يستهزئ بأبيه في تسمية أخيه المهدي بما أجل الكتاب عن ذكره .

و كان المنصور يعلم أصله الصحيح الذي تقوله الإمامية أخذاً عن المعصومين عليهم السلام ، لسماعه ذلك عن الباقر عليه السلام ، فروى محمد بن محمد بن النعمان المفيد في (إرشاده) بأسناده عن سيف بن عميرة قال : كنت عند المنصور ، فقال لي ابتداء : يا سيف لا بد من مناد ينادي من السماء باسم رجل من ولد أبي طالب إلى أن قال يا سيف لو لا أنني سمعت من أبي جعفر محمد بن عليّ يحدثني به ، و حدثني به أهل الأرض كلّهم ما قبلته منهم ، و لكنّه محمد بن عليّ ٣ .

(١) مقاتل الطالبين لأبي الفرج : ١٦٧ ، بتلخيص .

(٢) المقاتل لأبي الفرج : ١٦٦ .

(٣) الإرشاد للمفيد : ٣٥٨ .

الصفحة ٢٣٦

و لما قلنا عن تواتر الخبر بالمهديّ ادّعت الامويّة ذلك لسليمان بن عبد الملك ، قال الجاحظ في كتابه (مفاخرات هاشم و امية) : قالت امية و منّا سليمان كان جواداً خطيباً جميلاً صاحب سلامة و دعة و حبّ للعافية ، و قرب من الناس حتّى سمّي المهدي ، و قيلت الأشعار في ذلك ١ .

و كذلك لتواتر الخبر به ادّعاه أول ملوك العلويّة ملوك إفريقية ، فتسمّى بالمهديّ و هو إن صحّ نسبه عبيد الله بن محمد بن عبد الله بن ميمون بن إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام ، قال الجزري في (كامله) : دولته دولة اتسعت أكناف مملكتها ، و طالّت مدّتها ، ملكت إفريقية في سنة (٢٩٦) ، و انقضت بمصر سنة (٥٦٧) إلى أن قال و في سنة (٣٠٣) خرج المهدي بنفسه إلى تونس و قرطاجنة و غيرهما يرتاد موضعاً على ساحل البحر يتخذ فيه مدينة ،

و كان يجد في الكتب خروج أبي يزيد على دولته ، و من أجله بنى المهديّة ، فلم يجد موضعاً أحسن و لا أحسن من موضع المهديّة ، و هي : جزيرة متّصلة بالبرّ كهيئة كف متّصل بزند ، فبناها و جعلها دار ملكه ، و جعل لها سورا محكما و أبوابا عظيمة ، وزن كل مصراع مائة قنطار ، فلما ارتفع السور ، أمر راميا يرمي بالقوس سهما إلى ناحية المغرب ، فرمى سهمه فانتهى إلى موضع المصلّى ، فقال : إلى موضع هذا يصل صاحب الحمار يعني أبا يزيد الخارجي لأنّه كان يركب حماراً و أمر أن ينقر دار صناعته في الجبل ، حتّى تسع مائتي شيني و عليها باب مغلق ، و نقر في أرضها أهراء للطعام ، و مصانع للماء ، و بنى فيها القصور و الدور . فلما فرغ منها ، قال : اليوم أمنت على الفاطميّات يعني بناته . و لما رأى إعجاب الناس بها ، قال : هذه لساعة من نهار . و كان كذلك ، لأنّ

(١) رواه الجاحظ في مفاخرات هاشم و أمية عنه شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٤٨٦ ، شرح الكتاب ٢٨ .

الصفحة ٢٣٧

أبا يزيد وصل إلى موضع السهم ، و وقف فيه ساعة ، و عاد و لم يظفر ١ .

و إليه أشار النعماني في (غيبته) في ردّ المدّعين له المهدويّة فقال بعد ذكر أخبار في ملبس القائم عليه السّلام ، و مطعمه ، و أعماله ، و صفة أصحابه ، و إمداد الملائكة له : فتأملوا ، يا من وهب الله له بصيرة و عقلا ، و فتحه تمييزا و لبا ، هذا الذي قد جاء من الروايات في صفة القائم عليه السّلام و سيرته و ما خصّه الله تعالى به من الفضل ، و ما يؤيّده الله به من الملائكة ، و ما يلزمه نفسه عليه السّلام من خشونة الملبس ، و جشوبة المطعم ، و اتعاب النفس و البدن في طاعة الله تعالى و الجهاد في سبيله ، و غسل الظلم و الجور و الطغيان و بسط الإنصاف و العدل و الإحسان ، و صفة من معه في أصحابه الذين جاءت الروايات بعدتهم و هم (٣١٣) رجلا ، و أنّهم حكّام الأرض و عمّاله عليها ، و بهم يفتح شرق الأرض و غربها مع من يؤيّده الله به من الملائكة إلى أن قال فتأملوا بعد هذا ما يدّعيه المبطلون ، و يفخر به الطائفة البائنة المبتدعة من أنّ الذي هذا وصفه ، و هذه حالة و منزلته من الله جلّ و عزّ هو صاحبهم الذين يدّعون له بحيث هو في أربعمئة ألف عنان ، و أنّ في داره أربعة آلاف خادم رومي و صقالبي ،

و انظروا هل سمعتم و رويتم لو بلغكم عن النبيّ صلى الله عليه و آله و عن الأئمة الطاهرين عليهم السّلام أنّ القائم بالحقّ هذه صفته التي يصفونه بها ، و أنّه يظهر ،

و يقوم بعد ظهوره بحيث هو في هذه السنين الطويلة ، و هو في هذه العدة العظيمة ينافقه أبو يزيد الاموي ، فمرة يظهر عليه و يهزمه ، و مرة يظهر هو على أبي يزيد ، و يقيم بعد ظهوره و قوّته و انتشار أمره بالمغرب ، و الدنيا هي على ما هي عليه ؟ . . . ٢ .

(١) الكامل لابن الأثير ٨ : ٣٤ و ٩٤ سنة ٢٩٦ ، ٣٠٣ و النقل بتصريف يسير .

(٢) الغيبة للنعماني : ١٦٢ .

الصفحة ٢٣٨

و لكون الأخبار بالمهديّ بتلك المثابة ، ادعته الناوسية للصادق عليه السّلام و الواقفية للكاظم عليه السّلام و الإسماعيلية لإسماعيل بن جعفر .

و من علاماته المحتومة المتواترة ظهور السفيناني ، حتى إنّ عليّ بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية ، الذي خرج أيام الأمين و غلب على دمشق ، كان يدّعي أنه السفيناني المعهود ، و يشهد لشهرته أنّ جمعا زعموا أنّ خالد بن يزيد بن معاوية وضع ذكر السفيناني حين غلبه مروان على الملك . ذكر ذلك (نسب قريش مصعب) ١ .

و روى (تذكرة سبط ابن الجوزي) عن ابن عمر ، قال : قال النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ :

« يخرج في آخر زمان رجل من ولدي اسمه كاسمي ، و كنيته ككنيّتي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا » ، و قال : هذا حديث مشهور ، و قد أخرج أبو داود و الزّهرري عن عليّ عليه السّلام بمعناه ، و فيه : « لو لم يبق من الدّهر إلّا يوم واحد لبعث الله من أهل بيتي من يملأ الأرض عدلا » قال : و ذكره في روايات كثيرة ٢ .

و فيه : قال السّدي : يجتمع المهديّ و عيسى بن مريم ، فيجيء وقت الصلاة ، فيقول المهدي لعيسى : تقدّم . فيقول عيسى : أنت أولى بالصلاة .

فصلّي عيسى وراءه مأموما ٣ .

و فيه : و عامّة الإمامية على أن الخلف الحجّة موجود ، و أنّه حيّ يرزق و يحتجّون على حياته بأدلة : منها أنّ جماعة طالت أعمارهم كالخضر و الياس ،

فإنّه لا يدري كم لهما من السنين ، و أنّهما يجتمعان كلّ سنة ، و يأخذ هذا من شعر هذا ، و هذا من شعر هذا ، و في التوراة : أنّ ذا القرنين عاش ثلاثة آلاف

(١) نسب قريش للزبيرري : ١٢٩ ، ١٣١ ، و النقل بالمعنى .

(٢) رواه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص : ٣٦٣ ، و أخرجه أبو داود في سننه ٤ : ١٠٧ ح ٤٢٨٣ .

(٣) رواه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص : ٣٦٤ .

الصفحة ٢٣٩

سنة . و المسلمون يقولون : ألفا و خمسمائة . و قال محمّد بن إسحاق : عاش عوج بن عناق ثلاثة آلاف سنة و ستمائة سنة ولد في حجر آدم و عناق أمّه ،

و قتله موسى بن عمران و أبوه سيحان ، و عاش الضحّاك و هو بيور اسب ألف سنة ، و كذلك طهمورث ، و أمّا من الأنبياء فخلق كثير بلغوا الألف و زادوا عليها ،

كآدم و نوح و شيث و نحوهم ، و عاش قينان تسعمائة سنة ، و عاش مهلائيل ثمانمائة ، و عاش نفيل بن عبد الله سبعمائة سنة ، و عاش سطيح الكاهن و اسمه ربيعة بن عمرو ستمائة سنة ، و عاش عامر بن الظرب خمسمائة سنة ، و كان حاكم العرب ، و كذا تيم الله بن ثعلبة ، و كذا سام بن نوح ، و عاش الحرث بن مضاض الجرهمي أربعمائة سنة ، و هو القائل :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا .

و كذا أرفخشد ، و عاش قسّ بن ساعدة ثلاثمائة و ثمانين سنة ، و عاش كعب بن جمجمة الدوسي ثلاثمائة و تسعين سنة . . . ١ قلت : إنّ الإمامية استدّلوا بما قال من وجود جمع معمرين لإمكانه ، ردّا على مخالفهم في استحالة ذلك ، و يستدلّون على وقوعه بما رووه في طرقهم عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله لكميل : « اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة ، إمّا ظاهرا مشهورا ، أو خائفا مغمورا لنلّا تبطل حجج الله و بيناته » . و قد نقله النهج ٢ ، و قال ابن أبي الحديد عند شرحه للكلام : « و هذا يكاد يكون تصريحاً بمذهب الإمامية ، إلا أنّ أصحابنا يحملونه على أنّ المراد به الأبدال » ٣ . و يقال له : لو قبل كلّ جزاف لبطلت الديانات طرّا .

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : ٣٦٤ .

(٢) رواه الشريف الرضي في نهج البلاغة ٤ : ٣٧ الحكمة ١٤٧ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٤ : ٣١٣ شرح الحكمة ١٤٧ .

الصفحة ٢٤٠

و روى محمد بن عليّ بن بابويه في (إكماله) الذي صنّفه بإرشاد الحجّة عليه السلام له في المنام بتأليف كتاب غيبة الأنبياء عليهم السلام ، ردّا على القائلين بعدم الفائدة في وجود إمام غائب نصوصا كثيرة فيه عن النبيّ صلى الله عليه و آله و الأئمّة و كثير منها من طرقهم ، و تقتصر منها على خبرين :

أحدهما : ما رواه مسندا عن سدير الصيرفي ، قال : كنت دخلت أنا و المفضل بن عمر و أبو بصير و أبان بن تغلب على مولانا أبي عبد الله الصادق عليه السلام ، فرأيناه جالسا على التراب ، و عليه مسح خيبري

مطوق بلا جيب ، مقصر الكمّين ، و هو يبكي بكاء الوالدة التّكلى ذات الكبد الحرّى ، قد نال الحزن من وجنتيه ، و شاع التغيّر في عارضيه ، و املاً الدّموع لحجريه و هو يقول : سيّدي غيبتك نفت رقادي ، و ضيّقت عليه مهادي ، و ابتزّت منّي راحة فؤادي . سيّدي غيبتك وصلت مصابي بفجائع الأبد إلى أن قال فاستطارت قلوبنا و لها ، و تصدّعت قلوبنا جزعا ، فقلنا : لا أبكى الله يابن خير الورى عينيك .

فزفر زفرة ، و قال : و يلکم نظرت في كتاب الجفر صبيحة هذا اليوم ، و هو الكتاب المشتمل على علم المنايا و البلايا ، و علم ما كان و ما يكون إلى يوم القيامة الذي خصّ الله به محمّدا صلّى الله عليه و آله و الأئمة من بعده ، و تأملت مولد قائمنا و غيبته ،

و إبطاءه و طول عمره ، و بلوى المؤمنين في ذلك الزّمان ، و تولد الشّكوك في قلوبهم من طول غيبته ، و ارتداد أكثرهم عن دينهم ، و خلعهم ربقة الإسلام من أعناقهم التي قال الله تعالى : و كلّ إنسان أّزمناء طائره في عنقه . . . ١ يعني الولاية ، فاستولت عليّ الأحزان . فقلنا : كرّمنا بإشراكك إيّانا في بعض ما أنت تعلمه من علم ذلك . قال : إنّ الله تعالى أدار للقائم منّا ثلاثة ، أدارها لثلاثة من الرّسل : قدرّ مولده تقدير مولد موسى عليه السّلام ، و قدرّ غيبته تقدير غيبة

(١) الاسراء : ١٣ .

الصفحة ٢٤١

عيسى عليه السّلام ، و قدرّ إبطاءه بتقدير إبطاء نوح ، و جعل له من بعد ذلك عمر العبد الصالح أعني الخضر عليه السّلام دليلا على عمره . فقلنا : اكشف لنا عن وجوه هذه المعاني :

قال : أمّا مولد موسى . فإنّ فرعون لمّا وقف على أنّ زوال ملكه على يده ،

أمر باحضار الكهنة ، فدلّوه على نسبه ، و أنّه يكون من بني إسرائيل ، و لم يزل يأمر أصحابه بشقّ بطون الحوامل من نساء بني إسرائيل ، حتّى قتل في طلبه نيفا و عشرين ألف مولود ، و تعذّر عليه الوصول إلى قتل موسى لحفظ الله تعالى إيّاه . كذلك بنو امية و بنو العباس لمّا وقفوا على أنّ زوال ملك الامراء و الجبابرة منهم على يد القائم منّا ناصبونا العداوة ، و وضعوا سيوفهم في قتل آل الرسول و إبادة نسله ، طمعا منهم في الوصول إلى قتل القائم ، و يأبى الله أن يكشف أمره لواحد من الظلمة ، إلاّ أن يتمّ نوره و لو كره المشركون .

و أما غيبة عيسى عليه السلام فإن اليهود و النصارى اتفقوا على أنه قتل ،

فكذبهم الله تعالى بقوله : . . . و ما قتلوه و ما صلبوه و لكن شبه لهم . . . ١ .

كذلك غيبة القائم ، فإن الأمة ستكرها طولها ، فمن قائل يهذى : بأنه لم يولد ،

و قائل يقول : إنه ولد و مات . و قائل يقول : إن حادي عشرنا كان عقيما . و قائل يمرق و يتعدى إلى

ثالث عشر . و قائل يقول : إن روح القائم ينطق في هيكل غيره .

و أما إبطاء نوح فإنه لما استنزلت العقوبة بعث الله تعالى جبرئيل معه سبع نوايات ، و قال : إن الله تعالى

يقول : إن هؤلاء خلائقي لست أبيدهم إلا بعد توكيد الدعوة ، فعاود اجتهادك في الدعوة ، و اغرس هذا

النوى ، فإن لك في نباتها إذا أثمرت الفرج ، و بشر بذلك من أتبعك . قال : فلما نبتت الأشجار وزها

(١) النساء : ١٥٧ .

الصفحة ٢٤٢

الثمر استنجز من الله العدة ، فأمره تعالى أن يغرس نوى تلك الأشجار ، و يعاود الصبر و الاجتهاد . فأخبر بذلك الطوائف التي آمنت به ، فارتد منهم ثلاثمائة ،

و قالوا : لو كان ما يدعيه نوح حقاً لما وقع في وعد ربه خلف . ثم إن الله تعالى لم يزل يأمره عند كل

مرة بأن يغرسها إلى سبع مرات ، فما زالت تلك الطوائف ترتد منهم طائفة بعد طائفة ، إلى أن عاد إلى

نيف و سبعين رجلا ، فأوحى تعالى عند ذلك إليه : الآن أسفر الصبح عن الليل حين صرح الحق محضه ،

و صفا الكدر بارتداد كل من كانت طينته خبيثة ، فلو أنني أهلكت الكفار و أبقيت من قد ارتد من الطوائف

التي كانت آمنت بك ، لما كنت أنجزت و عدي السابق للمؤمنين الذين أخلصوا التوحيد من قومك ، و

اعتصموا بحبل نبوتك بأني استخلفهم في الأرض ، و امكن لهم دينهم لكي يخلص العبادة لي ، و كيف يكون

الاستخلاف و التمكين و بذل الأمن لهم مع ما كنت أعلم من ضعف يقين الذين ارتدوا و خبت طينتهم ؟ و

كذلك القائم عليه السلام فإنه تمتد أيام غيبته ، فيصرح الحق عن محضه ، و يصفو الايمان بارتداد كل من

كانت طينته خبيثة من الشيعة الذين يحس عليهم النفاق إلى أن قال و أما العبد الصالح أعني الخضر عليه

السلام فإن الله تعالى ما طول عمره لنبوته قدرها له ، و لا كتاب ينزله عليه ، و لا لشريعة ينسخ بها شريعة

من قبله من الأنبياء ، و لا لإمامة يلزم عباده الاقتداء بها ، و لا لطاعة يفرضها له ، بل إن الله تعالى لما

كان في سابق علمه أن يقدر من عمر القائم عليه السلام ما يقدر طول عمر العبد الصالح في غير سبب
يوجب ذلك إلا لعلّة الاستدلال به على عمر القائم ، و ليقطع بذلك حجّة المعاندين لئلا يكون للناس على الله
حجة ١ .

و ثانيهما : ما رواه عن أحمد بن زياد الهمداني عن علي بن إبراهيم بن

(١) كمال الدين للصدوق : ٣٥٢ ح ٥٠ .

الصفحة ٢٤٣

هاشم القمي عن أبيه عن عبد السلام بن صالح الهروي ، قال : سمعت دعبل بن علي الخزاعي يقول :
أنشدت مولاي الرضا علي بن موسى عليه السلام قصيدتي التي أولها :

مدارس آيات خلت من تلاوة
و منزل وحي مقفر العرصات

فلما انتهيت إلى قولي :

خروج إمام لا محالة خارج
يقوم على اسم الله و البركات

يميز فينا كل حق و باطل
و يجزي على النعماء و النقمات

بكى الرضا عليه السلام بكاء شديدا ، ثم رفع رأسه إليّ فقال لي : يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك
بهذين البيتين ، فهل تدري من هذا الإمام و متى يقوم ؟

فقلت : لا يا مولاي ، إلا أنّي سمعت بخروج إمام منكم يطهر الأرض من الفساد ،

و يملؤها عدلا . فقال : يا دعبل الامام بعدي محمد ابني ، و بعد محمد ابني علي ،

و بعد علي ابني الحسن ، و بعد الحسن ابني الحجة القائم المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره ، لو لم يبق
من الدنيا إلا يوم واحد لظول الله عزّ و جلّ ذلك اليوم حتى يخرج ، فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا .

و أما (متى) فإخبار عن الوقت ، فقد حدثني أبي عن أبيه عن آبائه عليه السلام أن النبي صلى الله عليه و آله قيل له : يا رسول الله متى يخرج القائم من ذريتك ؟ فقال صلى الله عليه و آله : مثله مثل الساعة التي . . . لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات و الأرض لا تأتكم إلا بغتة . . . ١ .

و روى مسندا عن جابر الجعفي عن الباقر عليه السلام قال : سألت عمر عليا عليه السلام عن المهدي ، فقال : يابن أبي طالب أخبرني عن المهدي ، ما اسمه ؟ فقال : أما اسمه فلا . إن حبيبي و خليلي عهد إلي أن لا أحدث باسمه حتى يبعثه الله تعالى ،

(١) كمال الدين للصدوق : ٣٧٢ ح ٦ و ٦٤٨ ح ٣ ، و الآية ١٨٧ من سورة الأعراف .

الصفحة ٢٤٤

و هو في ما استودع الله تعالى رسوله في علمه ١ .

و روى أبو الفرج في (مقاتله) بأسانيد عن سفيان بن أبي ليلى قال : أتيت الحسن بن علي عليه السلام حين بايع معاوية ، فوجدته بفناء داره و عنده رهط ، فقلت :

السلام عليك يا مذلّ المؤمنين . فقال : عليك السلام يا سفيان انزل إلي أن قال فقال لي : ما جاء بك يا سفيان ؟ قلت : حبكم ، و الذي بعث محمدا بالهدى و دين الحق . قال : فابشر يا سفيان ، فإن الدنيا تسع البرّ و الفاجر حتى يبعث الله إمام الحق من آل محمد عليهم السلام ٢ .

و في (النهج) يعطف الهوى على الهدى إلى أن قال تخرج له الأرض أفاليز كبدها ، و تلقي إليه سلما مقاليدها ، فيريكم كيف عدل السيرة ، و يحيي ميّت الكتاب و السنّة ٣ .

« قوله : قال الرضا أبو الحسن » هذا كلام ابن أبي الحديد ٤ لا المصنّف ،

لخلو (الخطية) عنه .

« قوله عليه السلام : املكوا عني هذا الغلام من أعلى الكلام و أفصحه » من الغريب عدم وجوده في (ابن ميثم) ٥ .

من خطبة (١٥٠) وَ إِنَّمَا الْأَئِمَّةُ قُورَامُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَ عُرْفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَ عَرَفُوهُ وَ لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَ أَنْكَرُوهُ .

(١) كمال الدين للصدوق : ٣٧٢ ح ٦ و ٦٤٨ ح ٣ ، و الآية ١٨٧ من سورة الأعراف .

(٢) المقاتل لأبي الفرج : ٤٤ ، و النقل بتقطيع .

(٣) هذا بعض من الخطبه ١٣٦ في نهج البلاغه ٢ : ٢١ .

(٤) يوجد هذا في شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٩ ، و شرح ابن ميثم ٤ : ١٤ .

(٥) لفظ شرح ابن ميثم ٤ : ١٤ مثل المصرية أيضا .

الصفحة ٢٤٥

« و إِنَّمَا الْأَئِمَّةُ قُورَامُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ » واضح أن مراده عليه السلام بالأئمة : أئمة أهل البيت عليهم السلام لا المتقدمون عليه ، و لو فرض أن الأمر كما تقول العامة ، من كونه عليه السلام غير منصوص عليه ، و لم يكن المتقدمون عليه مخالفين لنص الله و رسوله ، فإن كونهم الباغين عليه بتقدمهم مع قرابته بالنبي صلى الله عليه و آله و بعدهم عنه ، و مع علمه و جهلهم ، و مع ورعه و عدم تخرجهم ، و غير ذلك ، أمر مقطوع ،

و اولو الأرحام بعضهم أولى ببعض ١ . . . قل هل يستوي الذي يعلمون و الذين لا يعلمون ٢ ، أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا و عملوا الصالحات . . . ٣ و شكايته عليه السلام عنهم متواترة ،

فقول ابن أبي الحديد في شرح العنوان : « أصحابنا كافة قائلون بصحة هذه القضية ، و هي أنه لا يدخل الجنة إلا من عرف الأئمة ، ألا ترى أنهم يقولون :

الأئمة بعد النبي صلى الله عليه و آله فلان و فلان . و يعدونهم واحدا واحدا ، فلو أن إنسانا لا يقول بذلك كان عندهم فاسقا ، و الفاسق لا يدخل الجنة عندهم أبدا » ٤ مغالطة ،

فإنما الكلام في الصغرى : أئمة الحق من هم ؟ و الكبرى مفروغ عنها .

و توهم الخوئي أنّ مراده بالأئمة : أئمتنا ، فاعترض عليه بأنّ مجرد معرفتهم و تعدادهم لا يكفي ، و إنّما اللازم معرفتهم بوصف الإمامة و الخلافة ٥ ، فإنّه واضح أنّ مراد ابن أبي الحديد بأصحابه : المعتزلة ، و هم قائلون بإمامة الثلاثة ، و كان الحقّ أن يقول له : كيف يكون من قال : إنّ له

(١) الأنفال : ٧٥ .

(٢) الزمر : ٩ .

(٣) الجاثية : ٢١ .

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٤٢٥ .

(٥) شرح الخوئي ٤ : ١٨٦ ، و النقل بتقطيع .

الصفحة ٢٤٦

شيطاننا يعتريه ١ . و من منع النبيّ صلى الله عليه و آله من الوصيّة ، و قال : إنّه ليهجر ٢ . و من فعل أفعالا استحلّ المسلمون بها دمه ، و لم يوجبوا تجهيزه بل أباحوا إحراق جسده ، قوامه تعالى على خلقه ، عرفاء على عباده ؟ . . . فما لكم كيف تحكمون ٣ ؟

« و عرفاؤه على عباده » قال النبيّ صلى الله عليه و آله لأمير المؤمنين عليه السّلام : ثلاثة أقسم أنّهنّ حقّ : إنّك و الأوصياء من بعدك عرفاء لا يعرف الله إلاّ بسبيل معرفتكم ،

و عرفاء لا يدخل الجنّة إلاّ من عرفكم و عرفتموه ، و عرفاء لا يدخل النار إلاّ من أنكركم و أنكرتموه . رواه (الخصال) في باب الثلاثة ٤ .

و روى (عيون ابن بابويه) عن ابن المتوكّل عن الأسيدي عن الصّولي عن يوسف بن عقيل عن إسحاق بن راهويه ، قال : لما وافى أبو الحسن الرضا نيسابور ، و أراد أن يخرج منها إلى المأمون ، اجتمع عليه أصحاب الحديث ،

فقالوا له : يا بن رسول الله ترحل عنا و لا تحدّثنا بحديث فنستقيده منك ؟ إلى أن قال بعد ذكر روايته عليه السّلام لهم عن آبائه عن النبيّ صلى الله عليه و آله عن الله تعالى قال : « لا إله إلاّ الله حصني ، فمن دخل حصني أمن من عذابي » فلما مرّت الراحلة نادى :

بشروطها ، و أنا من شروطها ٥ .

و روى محمد بن يعقوب في (كافيه) عن علي بن إبراهيم عن أبيه ، قال :

(١) قوله : « ان لي شيطاناً يعتريني » نقله في ضمن خطبة له بعد البيعة الطبري في تاريخه ٢ : ٤٦٠ السنة ١١ و ابن راهويه في مسنده و أبو ذر الهروي في الجامع عنهما منتخب كنز العمال ٢ : ١٦١ و غيرهم .

(٢) حديث منع عمر النبي صلى الله عليه و آله من الوصية أخرجه البخاري في صحيحه ١ : ٣٢ ، و ٤ : ٧ ، ٢٧١ و غيره ، مرّ تخريجه في أواخر العنوان ٣ من هذا الفصل .

(٣) يونس : ٣٥ .

(٤) الخصال للصدوق : ١٨٣ ح ١٥٠ باب الثلاثة .

(٥) عيون الأخبار للصدوق ٢ : ١٣٤ ح ٤ .

الصفحة ٢٤٧

قال محمد بن فلان الواقفي : كان لي ابن عمّ يقال له : الحرّ بن عبد الله ، و كان من أعبد أهل زمانه ، و كان يتقى السلطان لجدّه في الدين و اجتهاده ، و ربما استقبل السلطان بكلام صعب يعظه ، و يأمره بالمعروف و ينهاه عن المنكر . و كان السلطان يحتمله لصلاحه ، فلم يزل هذه حاله حتّى كان يوم من الأيام إذ دخل عليه أبو الحسن موسى عليه السلام و هو في المسجد ، فرآه فأوماً إليه ، فأثاه فقال له :

يا أبا عليّ ما أحبّ إليّ ما أنت فيه و أسرّتي ، إلاّ أنّه ليست لك معرفة . قال : جعلت فداك ، و ما المعرفة ؟ قال : اذهب فتفقه و اطلب الحديث . قال : عمّن ؟ قال : عن فقهاء أهل المدينة ، ثمّ أعرض عليّ الحديث . قال : فذهب فكتب ثمّ جاءه فقرأه عليه ،

فأسقط كلّهُ ، ثمّ قال له : اذهب فاعرف المعرفة و كان الرّجل معنيّاً بدينه . فلم يزل يترصدّ أبا الحسن عليه السلام حتّى خرج إلى ضيعة له ، فلقية في الطّريق ، فقال له : جعلت فداك ، إنّي أحتجّ عليك بين يدي الله تعالى ، فدلّني على المعرفة .

فأخبره عليه السلام بأمر أمير المؤمنين عليه السلام و ما كان بعد النبيّ صلى الله عليه و آله و أخبره بأمر الرجلين ، و ما كان ، ثمّ قال له : فمن كان بعد أمير المؤمنين ؟ قال : الحسن ، ثمّ الحسين عليهما السلام . حتّى انتهى إلى نفسه ، ثمّ سكت فقال له : جعلت فداك ، فمن هو اليوم ؟ قال : إن أخبرتك تقبل ؟ قال : نعم ، جعلت فداك . قال : أنا هو . قال : فشئء استدلّ به . قال : اذهب إلى تلك الشجرة و أشار إلى ام غيلان فقل لها : يقول لك موسى بن جعفر : اقبلي . فأثاها ، قال : فرأيتها و الله تخذّ الأرض خدّاً حتّى وقفت بين

يديه ، ثم أشار إليها فرجعت ، فأقرّ به عليه السّلام ، ثمّ لزم الصّمت و العبادة ، فكان لا يراه أحد يتكلم بعد ذلك ١ .

و قال المفيد : اتّفتت الإماميّة على أنّ من أنكر أحدا من الأئمّة ، و جحد ما أوجبه الله تعالى لهم من فرض الطّاعة فهو كافر ضالّ مستحقّ للخلود .

(١) الكافي للكليّني ١ : ٣٥٢ ح ٨ ، بهذا الاسناد و باسناد آخر .

الصفحة ٢٤٨

و أجمعت المعتزلة على خلاف ذلك ، و أنكروا كفر من ذكرناه ، و حكموا لبعضهم بالفسق خاصّة ، و لبعضهم بما دون الفسق من العصيان ١ .

« لا يدخل الجنّة إلاّ من عرفهم و عرفوه ، و لا يدخل النار إلاّ من أنكرهم و أنكروه » قال أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السّلام : خرجت أنا و أبي حتّى إذا كنّا بين القبر و المنبر إذا هو باناس من الشيعة فسلمّ عليهم ، ثمّ قال : إني و الله لأحبّ رياحكم و أرواحكم ، فأعينوني على ذلك بورع و اجتهاد ، و اعلموا أنّ ولايتنا لا تنال إلاّ بالورع و الاجتهاد ، و من ائتمّ منكم بعبد فليعمل بعمله . أنتم شيعة الله و أنتم أنصار الله ، و أنتم السّابقون الأوّلون ، و السّابقون الآخرون ، و السّابقون في الدّنيا ، و السّابقون في الآخرة إلى الجنّة ، قد ضمنا لكم الجنّة بضمنان الله ،

و ضمان رسول الله صلّى الله عليه و آله . و الله ما على درجة الجنّة أكثر أرواحا منكم ،

فتنافسوا في فضائل الدّرجات ، أنتم الطّيبون و نسأؤكم الطّيبات . كلّ مؤمنة حوراء عيناء ، و كلّ مؤمن صدّيق ، و لقد قال أمير المؤمنين عليه السّلام لقنبر : يا قنبر أبشر و بشرّ و استبشر ، فو الله لقد مات النّبّي صلّى الله عليه و آله و هو على امته ساخط إلاّ الشيعة . . . ٢ .

و كيف لا يكون كما قال عليه السّلام من عدم دخول الجنّة إلاّ من عرفهم بعد عدم قبول عبادة إلاّ بولايتهم ، و عدم صحّة صلاة إلاّ بالصلاة عليهم ؟ و إن كان ابن الزّبير يترك الصلاة على النّبّي صلّى الله عليه و آله في صلاته و خطبه لبغض أهل بيته ٣ .

و بدّل معاوية و باقي بني اميّة الصلاة عليهم عليهم السّلام بالسّبب لهم .

و في (مروج المسعودي) : كان أهل حرّان قاتلهم الله حين ازيل لعن

(١) أوائل المقالات للمفيد : ٤٩ ، و النقل بالمعنى .

(٢) أخرجه الكليني في الكافي ٨ : ٢١٢ و ٢١٤ ح ٢٥٩ و ٢٦٠ بطريقتين ، و الصدوق في فضائل الشيعة : ٩ ح ٨ بطريقتين ، و الطبري في بشارة المصطفى : ١٣ .

(٣) مروج الذهب للمسعودي ٣ : ٧٩ .

الصفحة ٢٤٩

أمير المؤمنين عليه السلام عن المنابر يوم الجمعة امتنعوا عن إزالته ، و قالوا : لا صلاة إلا بلعن أبي تراب . و أقاموا على ذلك سنة حتى كان من أمر المشرق و ظهور المسودة ما كان ١ .

و لعمرى ، لو كنت كشفيق البلخي أو معروف الكرخي في العرفان ، و لم تعرفهم لم يعرفك الله . و أما صحّة كليّة الحصر في قوله عليه السلام : « و لا يدخل النار إلا من أنكرهم و أنكروه » مع دخول العاصين الذين لا ينكرونهم النار فيمكن أن تكون بوجوه ، أحدها : أن لا يدخلونها دخولا مخلدا ، و ثانيها : أن يكون الحصر إضافيا من حيث إنكار رجال الدين ، و لو كان في العمل من أول العابدين ، و ثالثها : بأن من عصى الله تعالى ينكرهم عليهم السلام ، و ينكرونه لقولهم عليهم السلام : « لا تتال ولايتنا إلا بالعمل » ٢ . و أمّا القول بعدم دخول فساق الشيعة أيضا النار ، فمخالف للقرآن و السنّة المقطوعة .

١٤

من الخطبة (١٨٥) و من خطبة له عليه السلام تختص بذكر الملاحم :

أَلَا بِأَبِي وَ أُمِّي هُمْ مِنْ عِدَّةِ أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ وَ فِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ
إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ وَ انْقِطَاعِ وُصْلِكُمْ وَ اسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنْ
الدَّرْهِمِ مِنْ حِلِّهِ ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَعْظَمَ أَجْرًا مِنَ الْمُعْطَى ذَاكَ حَيْثُ تَسْكُرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ بَلْ مِنْ
النَّعْمَةِ وَ النَّعِيمِ وَ تَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ وَ تَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِجْرَاجِ ذَاكَ

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣ : ٢٤٥ .

(٢) جاءت هذه العبارة في حديث مرور الباقر عليه السلام على اناس من الشيعة ، و مرّ تخريجه آنفا .

الصفحة ٢٥٠

إِذَا عَضَّكُمْ الْبَلَاءُ كَمَا يَعْضُ الْقَتَبُ غَارِبَ الْبَعِيرِ مَا أَطْوَلَ هَذَا الْعَنَاءَ وَ أَبْعَدَ هَذَا الرَّجَاءَ أَيُّهَا النَّاسُ أَلْقُوا هَذِهِ
الْأَرْمَةَ الَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورَهَا الْأَنْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ وَ لَا تَصَدَّعُوا عَلَى سُلْطَانِكُمْ فَتَذْمُوا غِبَّ فِعَالِكُمْ وَ لَا تَقْتَحِمُوا مَا
اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فَوْرِ نَارِ الْفِتْنَةِ وَ أَمِيطُوا عَنْ سَنَنِهَا وَ خَلُّوا قَصْدَ السَّبِيلِ لَهَا فَقَدْ لَعَمْرِي يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا الْمُؤْمِنُ وَ
يَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِ .

إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السَّرَّاجِ فِي الظُّلْمَةِ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَ لَجَّهَا فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَ عُوا وَ أَحْضِرُوا آذَانَ
قُلُوبِكُمْ فَفَهَمُوا أَقُولُ : الأصل فيه ما رواه المدائني في (صفينه) قال : خطب علي عليه السلام بعد انقضاء
أمر النهروان ، فذكر طرفا من الملاحم قال : « إذا كثرت فيكم الأخلاط ،

و استولت الأنباط إلى أن قال فيابن خيرة الآباء ، متى تنتظر البشير بنصر قريب من رب رحيم ؟ ألا فويل
للمتكبرين عند حصاد الحاصدين ، و قتل الفاسقين عصاة ذي العرش العظيم ، فبأبي و أمي من عدة قليلة ،
أسماؤهم في الأرض مجهولة ، قد دان حينئذ ظهورهم ، و لو شئت لأخبرتكم بما يأتي ،

و يكون من حوادث دهركم ، و نوائب زمانكم ، و بلايا أيامكم و غمرات ساعاتكم ، و لكنه أفضيه إلى من
أفضيه إليه ، مخافة عليكم و نظرا لكم ، علما مني بما هو كائن ، و ما يلقون من البلاء الشامل ، ذلك عند
تمرد الأشرار ، و طاعة اولي الخسار ، ذلك أو ان الحنف و الدمار ، ذلك إدمار أمركم ، و انقطاع أصلكم
و تشتت أنفسكم ، و إنما يكون ذلك عند ظهور العصيان ، و انتشار الفسوق حيث يكون الضرب بالسيف
أهون على المؤمن من اكتساب درهم حلال ،

حين لا تنال المعيشة إلا بمعصية الله في سمائه ، حين تسكرون من غير شراب ، و تحلفون من غير
اضطرار ، و تظلمون من غير منفعة ، و تكذبون من

الصفحة ٢٥١

غير إخراج ، تتفكّهون بالفسوق ، و تتنازبون بالمعصية ، قولكم البيهتان ،

و حديثكم الزور ، و أعمالكم الغرور . فعند ذلك لا تأمنون البيات ، فياله من بيات ما أشد ظلمته ، و من
صائح ما أقطع صوته ذلك بيات لا يتمنى صاحبه صباحه . فعند ذلك تقتلون ، و بأنواع البلاء تضربون ، و
بالسيف تحصدون ،

و إلى النار تصيرون ، و يعضكم البلاء كما يعضّ الغارب القتب . يا عجباً كلّ العجب بين جمادى و رجب ، من جمع اشتات ، و حصد نبات ، و من أصوات بعدها أصوات سبق القضاء سبق القضاء . قال رجل من أهل البصرة لرجل من أهل الكوفة إلى جانبه : أشهد أنه كاذب على الله و رسوله . قال الكوفي : و ما يدريك ؟ قال : فو الله ما نزل عليه السلام عن المنبر حتى فلع الرجل ، فحمل إلى منزله في شقّ محمل ، فمات من ليلته .

نقله عن المدائني ابن أبي الحديد في موضع آخر ١ و غفل عنه هنا ، كما أنّ ابن ميثم قال عند قوله عليه السلام : « كنتم جند المرأة . . . » : رويت الخطبة مع إضافات و هي : « هل علمت أنّ بين التي تسمى البصرة و التي تسمى الإبلة أربعة فراسخ ، و ستكون في التي تسمى الإبلة موضع أصحاب العشور ، يقتل في ذلك الموضع من أمّتي سبعون ألفاً شهيدهم يومئذ بمنزلة شهداء بدر ؟

فقال له المنذر : يا أمير المؤمنين و من يقتلهم فداك أبي و أمي ؟ قال : يقتلهم إخوان الجنّ ، و هم جيل كأنهم الشياطين ، سود ألوانهم ، منتنة أرياحهم ، شديد كلبهم ، قليل سلبهم ، طوبى لمن قتلهم ، و طوبى لمن قتلوه ، ينفر لجهادهم في ذلك الزمان قوم هم أدلة عند المتكبرين من أهل ذلك الزمان ، مجهولون في الأرض ، معروفون في السماء ، تبكي السماء عليهم و سكّانها ، و الأرض

(١) رواه عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٢ : ٤٩ ، شرح الخطبة ٦٩ .

الصفحة ٢٥٢

و سكّانها . قال : ثم هملت عيناه بالبكاء « ١ .

قول المصنّف : « تختص بذكر الملاحم » في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) ٢ و لكن في (الخطبة) بدله : « في الملاحم » و ليس في (المصرية) الاولى رأساً و الثانية أخذه من (ابن أبي الحديد) كما يفهم من رمزه . و الملاحم : جمع الملحمة ، و في (الصحاح) : الملحمة : الواقعة العظيمة في الفتنة ٣ .

قوله عليه السلام : « ألا بآبي و أمي هم من عدّة ، أسماؤهم في السماء معروفة ،

و في الأرض مجهولة » قال ابن أبي الحديد : الإمامية تقول : المراد بالعدّة الأئمة الأحد عشر من ولده عليه السلام . و غيرهم يقول : إنه عنى الأبدال الذين هم أولياء الله ٤ .

قلت : ما قاله من ترهات المتصوفة التي لم تشهد بها عيان ، و لا قام عليها برهان ، و نقل الخطيب عن الكتاني أحد مشايخهم أنه قال : النقباء ثلاثمائة ،

و النقباء سبعون ، و الأبدال أربعون ، و الأخيار تسعة ، و العمدة أربعة ، و الغوث واحد . فمسكن النقباء المغرب ، و مسكن النقباء مصر ، و مسكن الأبدال الشام ،

و الأخيار سيّاحون في الأرض ، و العمدة في زوايا الأرض ، و مسكن الغوث في مكة « ٥ .

و في خبر عن الرضا الأبدال هم الأئمة عليهم السلام لأنهم بدل الأنبياء ٦ .

(١) هذه الخطبة نقلها ابن ميثم متفرقة في شرحه ١ : ٢٨٩ ، و في مواضع اخرى ، و جمعها المجلسي في الفتن من البحار : ٤١٥ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٢١٣ ، و شرح ابن ميثم ٤ : ١٨٢ .

(٣) صحاح اللغة للجوهري ٥ : ٢٠٢٧ مادة (لحم) .

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٢١٣ .

(٥) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٣ : ٧٥ .

(٦) الاحتجاج للطبرسي : ٤٣٧ ، و النقل بالمعنى .

الصفحة ٢٥٣

و الإمامية لم نقل : إنّ المراد الأئمة عليهم السلام معينا بل كلامه عليه السلام محتمل لهم و لأصحاب القائم عليه السلام ، بل هو الظاهر ، لأنّ الخطبة في ذكر الملاحم ، و ما يلحق الناس من الشدة ، و فيها كما عرفت الأصل : « فيابن خيرة الإمام متى تنتظر ؟

ابشر بنصر قريب من ربّ رحيم » . و فيها أيضا كما عرفت : « قد دان حينئذ ظهورهم » فإنه ظاهر في ظهورهم دفعة ، و الأئمة عليهم السلام إنّما كان ظهورهم متدرّجا ، و الاثنان أو الثلاثة منهم كانوا في زمانه عليه السلام ، و أيضا فيها : « دنا خسوف البيداء » و خسف البيداء من علامات قيام القائم و ظهوره .

و الأئمة عليهم السلام لم تكن أسماؤهم في الأرض مجهولة ، بل كونهم حجج الله و مفترضي الطاعة كالنبيّ صلى الله عليه و آله عند العامة مجهولة ، أمّا أسماؤهم فمعروفة عندهم لا سيما الحسان عليهما

السَّلام ، فشهرة اسمهما مثله عليه السَّلام ، و بعدهما الرِّضَا عليه السَّلام ، و إنّما أسماء أصحاب القائم عليه السَّلام مجهولة في الأرض حتّى عند الخاصّة ، و لكن في السماء معروفة .

روى النُّعماني في (غيبته) عن الصّادق عليه السَّلام قال : إذا قام القائم عليه السَّلام نزلت سيوف القتال ، على كلّ سيف اسم الرّجل و اسم أبيه ١ .

و روى ابن بابويه في (إكماله) عن أبيّ بن كعب عن النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله خبيرا في الاثني عشر ، إلى أن قال بعد ذكر الثّاني عشر : يجمع الله عزّ و جلّ له من أقاصي البلاد على عدد أهل بدر ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلا ، و له صحيفة مختومة فيها عدد أصحابه بأسمائهم و أنسابهم و بلدانهم . . . ٢ .

و قال النُّعماني : جاءت الروايات بعدتّهم و هم ثلاثمائة و ثلاثة عشر

(١) الغيبة للنعماني : ١٦٢ في صدر حديث .

(٢) اكمال الدين للصدوق : ٢٦٨ في حديث طويل باسناده عن الحسين عليه السَّلام عن النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله و اما ابي بن كعب فهو مخاطب النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله لا راوي الحديث .

الصفحة ٢٥٤

رجلا ، و أنّهم حكّام الأرض و عماله عليها ، و بهم يفتح شرق الأرض و غربها مع من يؤيّده الله به من الملائكة ١ .

هذا ، و روى الكشي : أنّ أبا ذر دخل على النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله و معه جبرئيل عليه السَّلام ،

فقال جبرئيل : من هذا يا رسول الله ؟ قال : أبو ذر . قال : أما إنّ في السّماء أعرف منه في الأرض ، سلّه عن كلمات يقولهن إذا أصبح . فسأله النّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فقال : إذا أصبحت أقول : اللهم إنّني أسألك الإيمان بك ، و العافية من جميع البلياء ، و الشكر على العافية ، و الغنى عن النّاس ٢ .

« ألا فتوقّعوا ما يكون من إديار اموركم و انقطاع وصلكم و استعمال صغاركم » قد عرفت أنّ المدائني نقل بدله : « ذاك إديار أمركم ، و انقطاع أصلكم ، و تشتت أنفسكم » ٣ .

و كيف كان ، فحصل ما قاله عليه السَّلام بعده أيام معاوية و يزيد ، و عبد الملك و بنيّه .

« ذاك حيث تكون ضربة السيّف على المؤمن أهون من الدرهم من حلّه » قد عرفت أنّ المدائني نقل بدله : « و إنّما يكون ذلك عند ظهور العصيان ، و انتشار الفسوق حيث يكون الضرب بالسيّف أهون على المؤمن من اكتساب درهم حلال ، حين لا تنال المعيشة إلاّ بمعصية الله في سمائه » ٤ . و مراده عليه السّلام عدم رعاية النّاس لقوانين الإسلام .

« ذاك حيث يكون المعطى أعظم أجرا من المعطي » قال ابن أبي الحديد : لأنّ أكثر من يعطي و يتصدّق في ذلك الزّمان يكون ماله حراما ، فلا أجر له في

(١) الغيبة للنعماني : ١٦٣ .

(٢) أخرجه الكشي في معرفة الرجال (اختياره) : ٢٥ ح ٤٩ ، و النقل بتلخيص .

(٣) نقله عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٢ : ٥٠ ، شرح الخطبة ٦٩ .

(٤) نقله عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٢ : ٥٠ ، شرح الخطبة ٦٩ .

الصفحة ٢٥٥

التصدّق به ، ثمّ أكثرهم يقصد الرياء و السّعة بالصدقة أو لهوى نفسه أو لخطرة من خطراته ، و لا يفعل الحسن لأنّه حسن ، و لا الواجب لوجوبه ، فتكون اليد السفلى خيرا من اليد العليا ، عكس ما ورد في الأثر ، و أمّا المعطى فإنّه يكون ذا عيال لا يلزمه أن يبحث عن المال : أحرام هو أم حلال ؟ فإذا أخذه ليسدّ به خلّته و يصرفه في قوت عياله ، كان أعظم أجرا ممّن أعطاه ، و خطر لي فيه معنى آخر و هو : أن يكون صاحب المال الحرام إنّما يصرفه في أكثر الأحوال و أغلبها في الفساد و ارتكاب المحظور ، كما قال : « من اكتسب مالا من منهوش أذهبه الله في منهابر » ، فإذا أخذه الفقير منه على وجه الصدقة فقد فوّت عليه صرفه في تلك القبائح ١ .

قلت : بل المراد ما يأخذه أئمة الحقّ عليهم السّلام و أتباعهم من خلفاء الجور ، فإن استيلاءهم على المال حيث كان بغير حقّ لم يكن في إعطائهم أجر ، بخلاف الذي يأخذ نفسه حقّه و يضعه في موضعه الذي أمره الله تعالى به ، مع أنّ ما خطر له بلا معنى ، لأنّه إنّما يصدق أنّ الفقير فوّت عليه صرفه في القبيح إذا كان أخذه منه قهرا ، و الفقير بل كلّ الرّعايا لا يستطيعون ذلك .

و كيف كان ، فالفقرة ليست في رواية المدائني ٢ .

« ذاك حيث تسكرون من غير شراب بل من النعمة و النعيم » و مرّ عن رواية المدائني : « حين تسكرون من غير شراب » ٣ .

« و تحلفون من غير اضطرار » مع أنه تعالى قال : و لا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم . . . ٤ .

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٢١٣ .

(٢) نقله عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٢ : ٥٠ ، شرح الخطبة ٦٩ .

(٣) نقله عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٢ : ٥٠ ، شرح الخطبة ٦٩ .

(٤) البقرة : ٢٢٤ .

الصفحة ٢٥٦

« و تكذبون من غير إخراج » أي : من غير إلقاء ، أو من غير أن تعدّوا كذبكم حرجا و إثما ، و قد قال تعالى : إنّما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون . . . ١ .

« ذاك إذا عضّكم » الأصل في العض : إذا أخذ بالأسنان .

« البلاء كما يعضّ القتب » بفتحيتين ، و في (الصحاح) : القتب : رحل صغير على قدر السنام ٢ .

« غارب البعير » و في (الصحاح) : الغارب : ما بين السنام إلى العنق ، و منه قولهم : حبلك على غاربك ٣ .

قال ابن أبي الحديد : هذا الكلام غير متصل بما قبله . قال : « و قد ذكرنا هذه الخطبة أو أكثرها في ما تقدّم » ٤ .

قلت : ذكر الخطبة عند شرح قوله عليه السلام : « يا أهل العراق إنّما أنتم كالمرأة الحامل » و في (٦٨) و قد نقلناها منه هنا ٥ ، و يفهم منها أنّ المصنّف أسقط بين هذا و ما قبله فقرات ، و هي : « فعند ذلك لا تأمنون البيات . إلى قوله : و بأنواع البلاء تضربون ، و بالسيف تحصدون ، و إلى النار تصيرون » ، و لفظه بدل : « ذاك إذا عضّكم . . . » : « و يعضّكم . . . » ، إلا أنّ المصنّف لم يعلم أخذها من رواية المدائني ،

بدليل زيادته ما ليس في تلك و نقصه ، لكن ربط الكلام يقتضي سقوط شيء .

« ما أطول هذا العناء ، و أبعد هذا الرجاء » قال ابن أبي الحديد : هذا حكاية كلام شيعته و أصحابه ٦ .

(١) النحل : ١٠٥ .

(٢) صحاح اللغة للجوهري ١ : ١٩٨ مادة (قتب) .

(٣) صحاح اللغة ١ : ١٩٣ مادة (غرب) .

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢١٤ .

(٥) يأتي في العنوان ٣٧ من الفصل التاسع .

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢١٤ .

الصفحة ٢٥٧

قلت : لم يعلم ما قاله ، و أيّ مانع من أن يكون إنشاء منه عليه السّلام ؟ و الحكاية إنّما تصحّ بإسقاط القول ، و إبقاء المقول ، و لم نقف على مثله في كلامه عليه السّلام ،

و إن كان في القرآن كثيرا كقوله تعالى : يوسف أعرض عن هذا . . . ١ .

و كيف كان ، فليس هذا الكلام في رواية المدائني ، و كذا ما بعده ٢ .

« أيّها النّاس ألقوا هذه الأزمّة التي تحمل ظهورها الأتقال من أيديكم » قال ابن أبي الحديد : الظّهور هنا : هي الإبل أنفسها ، و الأتقال : المآثم ، و إلقاء الأزمّة : ترك اعتماد القبيح . فهذا عمومه ، و أمّا خصوصه فتعريض بما كان عليه أصحابه من الغدر ، و مخامرة العدو عليه و إظهار الغشّ له ٣ .

قلت : ما قاله من أنّ المراد بالظّهور نفس الإبل غلط ، بل المراد بها ظهور النّاس ، كما في قوله تعالى : . . و هم يحملون أوزارهم على ظهورهم . . . ٤ .

مع أنّه لو كان المراد بالظّهور الإبل ، لم تكن الأتقال بمعنى الأوزار كما قال ، بل بمعنى الأحمال ، كما في قوله تعالى : و تحمل أتقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلاّ بشقّ الأنفس . . . ٥ .

و إنّما تكون الأتقال بمعنى الأوزار ، إذا كان المراد بالظّهور ظهور النّاس ، كما قلنا و كما في قوله : و ليحملنّ أتقالهم و أتقالا مع أتقالهم . . . ٦ .

ثم كأنّ في الكلام استخداما ، فظاهر (ظهورها) ظهور الأزمّة ، و المراد ظهور صاحبات الأزمّة ، و يمكن أن يكون الأصل في قوله : « ألقوا هذه الأزمّة

(١) يوسف : ٢٩ .

(٢) نقله عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٢ : ٥٠ ، شرح الخطبة ٦٩ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢١٤ .

(٤) الأنعام : ٣١ .

(٥) النحل : ٧ .

(٦) العنكبوت : ١٣ .

الصفحة ٢٥٨

التي » : « ألقوا أزمّة هذه التي » فيكون وقع في الكلام تقديم و تأخير ، و المراد في الجميع : لا تكونوا قاندين للجبابرة الدّاعين إلى المنكرات ، قال تعالى : و لا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار . . . ١ .

« و لا تصدّعوا » في (الصحاح) : تصدع القوم : تفرّقوا .

« على سلطانكم » جعله ابن أبي الحديد تفسيرا لما قبله الذي قال : إنّه تعريض لأصحابه في ما كانوا عليه . ٢ .

قلت : و حيث عرفت اشتمال الخطبة على ذكر القائم عليه السّلام يمكن أن يكون المراد : النهي عن القيام على سلاطين الجور ما لم تكن دولة أئمّة الحق ، فكان أئمتنا عليهم السّلام ينهون أصحابهم عن الخروج على سلطان وقتهم قبل قيام قائمهم عليه السّلام .

« فتذمّوا غبّ فعالمكم » أي : عاقبة عملكم ، فكان الطّالبيون يخرجون على ملوك بني اميّة و بني العبّاس ، و يعاونهم الشيعة رجاء أن يحصل لهم فرج ،

لكن كان بالعكس يصير الأمر عليهم أشدّ ، كما في خروج زيد بن عليّ على هشام بن عبد الملك ، و ابنه يحيى على الوليد بن يزيد ، و محمّد و إبراهيم ابني عبد الله المحض على المنصور .

« و لا تفتحموا » في (الصحاح) : قحم في الأمر قحوما : رمى بنفسه فيه من غير رويه ٣ .

« ما استقبلتم من فور » في (الصحاح) : فارت القدر تفور فورا و فورانا : جاشت ، و منه قولهم : ذهبت في حاجة فلان ثم أتيت فلانا

(١) هود : ١١٣ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٢١٤ .

(٣) صحاح اللغة ٥ : ٢٠٠٦ مادة (قحم) .

الصفحة ٢٥٩

من فوري . أي : قبل أن أسكن ١ .

« نار الفتنة » فإن استقبل فوران نارها يوجب إحراقكم و إهلاككم .

« و أميطوا » في (الصحاح) : حكى أبو عبيد : مطت عنه و أمطت ، إذا تحييت عنه ٢ .

« عن سننها » أي : وجهها ، و يجوز في سين السنن الضمّ و الفتح و الكسر .

« و خلّوا قصد السبيل لها » الظاهر أنّ المعنى : خلّوا سبيلا تقصده نار الفتنة لها ، فيكون من إضافة الصفة إلى الموصوف ، مع كون المصدر بمعنى المفعول .

« فقد لعمرى يهلك في لهبها » لهب النار : لسانها .

« المؤمن و يسلم فيها غير المسلم » لأنّ المؤمن يريد أن يطفىء نار الفتنة ،

و لا يقدر عليه لشدتها ، و هي تحرقه بتعرضه لها ، و غير المسلم لا يقوم في قبالتها فيسلم ، و كان في زمان خلفاء الجور الفجرة و الكفرة في أمان ، و المؤمن المخلص في الخوف و الفزع ، كما أنّ في زمان معاوية من نسب إليه التشيع يؤاخذوه ، و من تحقّق إحاده لم يتعرّض له أحد .

« إنّما مثلي بينكم كمثل السراج في الظلمة » و فسّر قوله تعالى : . . . إنّما أنت منذر و لكلّ قوم هاد ٣ به عليه السلام ٤ .

« ليستضيء » هكذا في (المصرية) ، و الصواب : (يستضيء) كما في (ابن

(١) صحاح اللغة ٢ : ٧٨٣ مادة (فور) .

(٢) صحاح اللغة ٣ : ١١٦٢ مادة (ميظ) .

(٣) الرعد : ٧ .

(٤) رواه عاصم بن حميد في أصله : ٤١ ، و الصفار بطرق في البصائر : ٤٩ ح ٥١ ح ٩٢ ، و الفرات في تفسيره : ٧٦ ، و القمي في تفسيره ١ : ٣٥٩ ، و الصدوق في كمال الدين : ٦٦٧ ح ١٠ ، و النعماني في الغيبة : ٦٩ ، و ابن جرير و ابن مردويه و أبو نعيم في المعرفة و الديلمي و ابن النجار و الضياء في المختارة ، عنهم الدر المنثور ٤ : ٤٥ و غيرهم .

الصفحة ٢٦٠

أبي الحديد و ابن ميثم و الخطبة (١) و لأنه لا مورد للام هنا .

« به من ولجها » أي : دخل الظلمة .

« فاسمعوا أيها الناس وعوا » اي : اجعلوا آذانكم كالوعاء لمقالي .

« و احضروا » من باب الافعال .

« آذان قلوبكم تفهموا » لأن آذان الرؤوس بدون آذان القلوب بلا فائدة .

١٥

من الخطبة (١٨٧) وَ الْهَجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الْأَوَّلِ مَا كَانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِرِّ الْإِمَّةِ وَ مُعْلِنِهَا لَا يَقَعُ اسْمُ الْهَجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ عَرَفَهَا وَ أَقْرَبَهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ وَ لَا يَقَعُ اسْمُ الْأَسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَ وَعَاها قَلْبُهُ إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ وَ لَا يَعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ وَ أَحْلَامٌ رَزِينَةٌ « و الهجرة قائمة على حدّها الأول » قال ابن أبي الحديد : هذا كلام يختصّ بأمير المؤمنين عليه السلام ، و هو من أسرار الوصية ، لأنّ الناس يروون عن النبيّ صلى الله عليه و آله أنه قال : « لا هجرة بعد الفتح » ٢ ، فشفع عمّه العباس في نعيم ابن مسعود الأشجعي أن يستثنيه ، فاستثناه . و هذه الهجرة التي يشير إليها أمير المؤمنين عليه السلام ليست تلك الهجرة ، بل هي الهجرة إلى الإمام ، قال : « إنها قائمة

(١) يوجد اللام في شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٢١٣ ، و شرح ابن ميثم ٤ : ١٨٣ أيضا .
 (٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٢ : ١٣٤ ، و مسلم في صحيحه ٣ : ١٤٨٩ ح ٨٥ ، و الترمذي في سننه ٤ : ١٤٨ ، ح ١٥٩٠ و الدارمي في سننه ٢ : ٢٣٩ ، و غيرهم ، عن ابن عباس و في الباب عن مجاشع بن مسعود و أبي سعيد و عبد الله ابني عمرو و عمر و صفوان بن امية و عائشة و عبد الله بن حبشي .

الصفحة ٢٦١

على حدّها الأوّل « ما دام التّكليف باقيا ١ .

قلت : ما قاله صواب ، إلاّ أنّه لا منافاة بين كلامه عليه السّلام و الرواية عن النّبّي صلّى الله عليه و آله ، لأنّ مراد النّبّي صلّى الله عليه و آله بقوله : « لا هجرة بعد الفتح » انتفاء الموضوع بالنّسبة إلى مكّة ، لأنّ مكّة بعد فتحها صارت كالمدينة يعبد الله فيها جهرة ،

فعدم الهجرة منها لا ينافي الهجرة من ساير بلاد الكفر فرضا ، و إنّما قال عليه السّلام ذلك مقدّمة لغرضه ، من كون الهجرة إلى الإمام كالهجرة إلى النّبّي صلّى الله عليه و آله ، و إلاّ ففي عصره عليه السّلام و إن كان الإسلام فتح الأرض شرقا و غربا ، إلاّ أنّه لما كان رجال قاموا على خلافه من يوم وفاة النّبّي صلّى الله عليه و آله إلى آخر عمره عليه السّلام ، صار الأمر مثل أوّل الإسلام .

« ما كان لله في أهل الأرض حاجة » قال ابن أبي الحديد : أي ما دام التّكليف باقيا . قال : و قال الرّاوندي : (ما) هاهنا نافية ، أي : لم يكن لله في أهل الأرض من حاجة ، و هذا ليس بصحيح ، لأنّه إدخال كلام منقطع بين كلامين يتّصل أحدهما بالآخر ٢ .

و قال ابن ميثم : غير بعيد أن تكون نافية مع اتّصال الكلام بما قبله ،

و وجهه أنّه لما رغب النّاس في طلب الدّين و العبادة ، فكأنّه أراد أن يرفع حكم الوهم ، بما عساه يحكم به عند تكرار طلب الله للدّين و العبادة من حاجته تعالى إليها من خلقه ، حيث كرّر طلبه منهم بتواتر الرّسل و الأوامر الشرعية ،

و يصير معنى الكلام : أنّ الهجرة باقية على حدّها الأوّل في صدقها على المسافرين لطلب الدّين ، فينبغي للنّاس أن يهاجروا في طلبه إلى أئمة الحق ،

و ليس ذلك لأنَّ لله تعالى إلى أهل الأرض ممَّن أسرَّ دينه أو أظهره حاجة ، فإنَّه

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٢١٦ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٢١٦ ، و شرح الراوندي ٢ : ٤٤٥ .

الصفحة ٢٦٢

تعالى الغني المطلق ١ .

قلت : الإنصاف أنَّه لا مناسبة هنال (ما) النافية ، و ليس المحلّ محلّ التّوهم حتّى يحتاج إلى الدّفع ، فإنَّه لو كان قوله عليه السّلام : « الهجرة قائمة على حدّها الأوّل » موهما لاحتياجه تعالى ، كان بيان كلّ حكم من أحكام الشريعة كذلك ، و إنّما لدفع التّوهم موضع ، كقوله تعالى : . . . تخرج بيضاء من غير سوء . . . ٢ .

و كقول الشاعر :

فسقى ديارك غير مفسدها
صوب الربيع و ديمة تهمي

ثمّ الغريب أنّ الخوئي ٣ تبع ابن ميثم في كون (ما) نافية ، و لكن نسب إلى ابن ميثم جعله (ما) مصدرية ، مثل ابن أبي الحديد .

« من مستسرّ الامّة و معلنها » قال ابن أبي الحديد : (من) زائدة من قولك : ما جاعني من أحد ٤ .

قلت : يشترط في زيادة (من) تقدّم نفي أو شبهه ، و كون مدخولها نكرة كما في ما مثّل به ، و الأمران مفقودان في كلامه عليه السّلام ، و الصّواب كون (من) لبيان الجنس ، كما نقله ابن ميثم عن الراوندي بكونها بيان (أهل الأرض) ٥ .

« لا يقع اسم الهجرة على أحد إلا بمعرفة الحجّة في الأرض ، فمن عرفها و أقرّ بها فهو مهاجر » كأنه بيان لمعنى الهجرة الحقيقيّة ، فإنّ الأشياء لها ظواهر و حقايق ،

و الأصل الثاني لعدم ترتب الثمرة إلاّ عليها ، فيمكن أن يهاجر إنسان إلى النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ يكون منافقا ، كما في كثير ممّن هاجر مع النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله ، وَ ممّن هاجر

(١) شرح ابن ميثم ٤ : ١٩٦ .

(٢) القصص : ٣٢ .

(٣) شرح الخوئي ٥ : ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٢١٦ .

(٥) شرح ابن ميثم ٤ : ١٩٦ ، وَ شرح الراوندي ٢ : ٤٤٥ .

الصفحة ٢٦٣

إليه ، وَ منهم المغيرة بن شعبه الذي كفّ زيادا عن الشهادة على زناه ، بأنّه يرى وجه رجل لا يخزى على لسانه أحد من المهاجرين ، وَ اعتذر عثمان عن تولية أخيه لامّه الوليد بن عقبة الذي سماه الله تعالى فاسقا في القرآن باستعمال عمر للمغيرة ، وَ صرّح عبد الرّحمن بن عوف حكم عمر في الشورى لما اختار عثمان ، وَ قال له المغيرة : « لو اخترت غيره لم نرض به » بأنّه منافق . فقال له : لو كنت اخترت غيره أيضا كنت تقول له ذلك .

كما يمكن أن يكون الباقي في بلده مجدّا في طاعة الله تعالى وَ طاعة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله ، فيكون أفضل من المهاجرين ، كما في اويس القرني الذي قال فيه النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله ما قال ١ .

وَ روى محمد بن سعد كاتب الواقدي في (طبقاته) : أنّه قدم ثلاثة نفر من بني عبس على النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فقالوا : إنّهم قدم علينا قراؤنا فأخبرونا أنّه : « لا إسلام لمن لا هجرة له » وَ لنا أموال وَ مواش هي معاشنا ، فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له ، بعناها وَ هاجرنا ؟ فقال النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله : اتّقوا الله حيث كنتم ، فلن يلتكم من أعمالكم شيئا ، وَ لو كنتم بصمد وَ جازان ٢ .

وَ في خبر : المهاجر من هجر ما نهى الله عنه ٣ .

وَ يشهد لقوله عليه السّلام : إنّ الأصل في الإسلام وَ هجرته معرفة الحجّة ما تواتر عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله أنّه قال : الأئمّة اثنا عشر من قريش ٤ . وَ لا ينطبق ذلك إلاّ على مذهب الإمامية ، وَ أمّا العامّة فحيارى في تفسير كلامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله كما لا يخفى

(١) جاءت عدّة أحاديث في فضائل اويس القرني ، منها ما أخرجه مسلم في صحيحه ٤ : ١٩٦٨ ح ٢٢٣ ٢٢٥ ، و جمع بعض طرقه السيوطي في الجامع الصغير ٢ : ٣٦ ، و المنقي في منتخب كنز العمال ٥ : ٢٨٩ .

(٢) الطبقات لابن سعد ١ ق ٢ : ٤٢ .

(٣) صحيح البخاري ١ : ١١ و ٤ : ١٢٧ بأربعة طرق ، و غيره .

(٤) حديث جابر بن سمرة مرّ تخريجه في أواخر العنوان ٨ من هذا الفصل .

الصفحة ٢٦٤

على من راجع (خلفاء السيوطي) فيه ١ .

مع أنه روى جمع من العامة أسماء الأئمة عليهم السلام بأعيانهم ، روى أخطب خوارزم منهم في كتابه مسندا عن أبي سلمى راعي النبي صلى الله عليه و آله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول : ليلة اسري بي إلى السماء قال لي الجليل جلّ و علا :

أمن الرسول بما انزل إليه من ربه ٢ فقلت : « و المؤمنون » قال : صدقت يا محمد ، من خلفت في أمّك ؟ قلت : خيرها . قال : عليّ بن أبي طالب ؟ قلت : نعم يا ربّ . قال : يا محمد إنني اطّلت إلى الأرض اطلاعة ، فاخترتك منها ، فشققت لك اسما من أسمائي ، فلا اذكر في موضع إلا ذكرت معي ، فأنا المحمود و أنت محمد . ثم اطّلت الثانية فاخترت عليّا ، و شققت له اسما من أسمائي ، فأنا الأعلى و هو عليّ . يا محمد إنني خلقتك و خلقت عليّا و فاطمة و الحسن و الحسين و الأئمة من ولده من سنخ نور من نوري ، و عرضت ولايتكم على أهل السماوات و أهل الأرض ، فمن قبلها كان عندي من المؤمنين ، و من جدها كان عندي من الكافرين ، يا محمد لو أنّ عبدا من عبيدي عبدني حتى ينقطع أو يصير كالشنّ البالي ، ثم أتاني جاحدا لولايتكم ما غفرت له ، حتى يقرّ بولايتكم .

يا محمد أتحبّ أن تراهم ؟ قلت : نعم يا ربّ . فقال لي : التفت عن يمين العرش .

فالتفت فإذا أنا بعليّ ، و فاطمة ، و الحسن ، و الحسين ، و عليّ بن الحسين ، و محمد بن عليّ ، و جعفر بن محمد ، و موسى بن جعفر ، و عليّ بن موسى ، و محمد بن عليّ ، و عليّ بن محمد ، و الحسن بن عليّ ، و المهديّ في ضحضاح من نور قيام يصلّون ، و هو في وسطهم يعني المهدي كأنه كوكب درّي .

قال : يا محمد هؤلاء الحجج ، و هو الثائر من عترتك ، و عزّتي و جلالتي إنه الحجّة الواجبة

(١) نقل السيوطي بعض أقوال أهل السنة في ذلك في تاريخ الخلفاء ٩ ١٢ ، و قد مرّ في العنوان ١ من هذا الفصل .

(٢) البقرة : ٢٨٥ .

الصفحة ٢٦٥

لأوليائي ، و المنتقم من أعدائي ١ .

و روى أيضا مسندا عن الحارث و سعد بن بشير عن عليّ عليه السلام قال : قال النبيّ صلّى الله عليه و آله : أنا و اردكم على الحوض ، و أنت يا عليّ السّاقى ، و الحسن الرائد ،

و الحسين الأمر ، و عليّ بن الحسين الفارط ، و محمّد بن عليّ النّاشر ، و جعفر بن محمّد السائق ، و موسى بن جعفر محصي المحبّين و المبغضين و قانع المنافقين ، و عليّ بن موسى مزين المؤمنين ، و محمّد بن عليّ منزل أهل الجنّة درجاتهم ، و عليّ بن محمّد خطيب شيعته و مزوجهم من الحور العين ،

و الحسن بن عليّ سراج أهل الجنّة يستضيئون به ، و المهديّ شفيهم يوم القيامة ، حيث لا يأذن الله إلاّ لمن يشاء و يرضى ٢ .

و روى مسندا عن سلمان قال : دخلت على النبيّ صلّى الله عليه و آله و إذا الحسين على فخذه ، و هو يقبل عينيه ، و يلثم فاه ، و يقول : إنك سيّد ابن سيّد أبو سادة ، إنك إمام ابن إمام أبو أمّة ، إنك حجة ابن حجة أبو حجج تسعة من صلبك ، تاسعهم قائمهم ٣ .

هذا ثمّ الذي وجدنا في النسخ ٤ : « فمن عرفها و أقرّ بها » و الضميران راجعان إلى « الحجّة في الأرض » و الحجّة في الأرض شخص لا معنى كقوله تعالى : . . . حجّتهم داخضة . . . ٥ . فالظاهر كون الأصل : (فمن عرفه و أقرّ به) و صحّف في النسخ الأولى .

(١) أخرجه أخطب خوارزم في مقتل الحسين ١ : ٩٥ ، و الطوسي في الغيبة : ٩٥ .

(٢) مقتل الحسين لأخطب خوارزم ١ : ٩٤ .

(٣) أخرجه أخطب خوارزم في مقتل الحسين ١ : ١٤٥ ، و الصدوق في كمال الدين : ٢٦٢ ح ٩ ، و

عيون الأخبار ١ : ٤١ ح ١٧ و الخصال : ٤٧٥ ح ٣٨ ، و الخزاز في كفاية الأثر : ٤٥ .

(٤) كذا في نهج البلاغة ٢ : ١٢٩ ، و شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٢١٣ ، و شرح ابن ميثم ٤ : ١٩٢ .

(٥) الشورى : ١٦ .

الصفحة ٢٦٦

« و لا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجّة » الظاهر أنّ الحجّة هنا بمعنى البرهان ، و البيّنة فيصح تأنيث مسنده قبله ، و إرجاع ضمير المؤنث إليها بعده بخلاف سابقها ، و لعل الحجّة هنا صارت لتوهم اتحاد المراد منها مع الحجّة ثمة .

« فسمعتها اذنه و وعاءها قلبه » قال الراوندي كما نقل ابن أبي الحديد و ابن ميثم : و يمكن أن يشير بهذا الكلام إلى آيتين ، إحداهما : إن الذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم . . . ١ ، فيكون مراده على هذا : أنّه لا يقع اسم الاستضعاف على من عرف الامام و بلغته أحكامه و وعاءها قلبه ، إن بقي في وطنه و لم يتجشم السقر إلى الامام ، كما لم يصدق على هؤلاء المذكورين في الآية . و الثانية : قوله تعالى بعد ذلك : إلاّ المستضعفين من الرجال و النساء و الولدان لا يستطيعون حيلة و لا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم . . . ٢ ، فالمراد على هذا : أنّه ليس من عرف الامام و بلغه خبره بمستضعف ، كهؤلاء الذين استثناهم من الظالمين ٣ .

قلت : الصواب كونه إشارة إلى الآيتين ، لأنّ معنى كلامه عليه السلام : أنّ من بلغته الحجّة و سمعها و وعاءها ليس بمستضعف ، حتّى يمكن شمول العفو له ،

فليس بمعذور ، و قد قال عترته عليهم السلام : إنّ المستضعف من لم يتميّز بين الحقّ و الباطل كبعض النساء ، و كثير من العبيد و الإماء ، و مثل البلهاء ٤ .

(١) النساء : ٩٧ .

(٢) النساء : ٩٨ ٩٩ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٢١٦ ، و شرح ابن ميثم ٤ : ١٩٧ ، و شرح الراوندي ٢ : ٤٤٥ ، و النقل بالمعنى .

(٤) الكافي للكليني ٢ : ٤٠٤ ٤٠٦ ح ١٢١ و غيره .

الصفحة ٢٦٧

« إنَّ أمرنا صعب مستصعب لا يحمله إلاَّ عبد مؤمن » هكذا في (ابن أبي الحديد) و (المصرية) ١ ، و ليست كلمة « مؤمن » في (ابن ميثم و الخطيئة) ٢ .

« امتحن الله قلبه للإيمان » قال ابن أبي الحديد : و هذه الكلمة قد قالها عليه السلام مرارا ، و وقفت في بعض الكتب على خطبة من جملتها : إنَّ قريشا طلبت السعادة فشقيت ، و طلبت النجاة فهلكت ، و طلبت الهدى فضلت ، ألم يسمعوا و يحجم قوله تعالى : و الذين آمنوا و اتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم . . ٣ ؟ فأين المعدل و المنزع عن ذرية الرسول الذين شيد الله بنيانهم فوق بينانهم ، و أعلى رؤوسهم فوق رؤوسهم ، و اختارهم عليهم ؟ ألا إنَّ الذرية أفنان أنا شجرتها ، و دوحة أنا ساقها ، و إنني من أحمد بمنزلة الضوء من الضوء ، كنا ظللالا تحت العرش قبل خلق البشر ، و قبل خلق الطينة التي كان منها البشر أشباحا عالية لا أجساما نامية ، إنَّ أمرنا صعب مستصعب لا يعرف كنهه إلاَّ الثلاثة : ملك مقرب ، أو نبي مرسل ، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان . فإذا انكشف لكم سرّ و وضع لكم أمر فاقبلوه ، و إلا فاسكتوا ، تسلموا ،

و ردوا علمنا إلى الله ، فإنكم في أوسع مما بين السماء و الأرض ٤ .

قلت : إنّه أقرّ أنه عليه السلام قال هذه الكلمة مرارا ، و روى كلامه هذا ، و يعترف بتواتر الخبر عن النبي صلى الله عليه و آله : « إنَّ عليّا مع الحقّ ، و الحقّ مع عليّ يدور حيثما دار » ٥ . و اقتصر من (حمل أمرهم عليهم السلام) على مجرد اللفظ ، حيث شارك

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٢١٣ .

(٢) لفظ شرح ابن ميثم ٤ : ١٩٣ مثل المصرية أيضا .

(٣) الطور : ٢١ .

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٢١٧ .

(٥) أخرجه ابن عساكر في تأريخه عنه ذيل ترجمة علي عليه السلام ٣ : ١٥٦ ، و البزار في مسنده عنه مجمع الزوائد ٧ : ٢٣٦ ، و ابن مردويه في مناقبه عنه احقاق الحق ٥ : ٦٣١ ، بفرق بين الألفاظ و في الباب عن علي عليه السلام و أم سلمة .

الصفحة ٢٦٨

بينه عليه السلام و بين المتقدمين عليه ، و لم يحمل أمرهم عليهم السلام على الحقيقة إلاَّ الإمامية ، فإنهم قالوا كما صرح به في (اعتقادات الصدوق) : « إنهم اولو الأمر الذين أمر الله بطاعتهم ، و إنهم شهداء

على النَّاسِ ، و إنَّهم أبواب اللّٰه و السَّبيل إليه و الأدلّة عليه ، و إنَّهم عيبة علمه و تراجمة وحيه و أركان توحيده ، و إنَّهم معصومون من الخطأ و الزلّ ، و إنَّهم الذّين أذهب اللّٰه عنهم الرّجس و طهّهم تطهيراً ، و إنَّ لهم المعجزات و الدلائل ، و إنَّهم أمان لأهل الأرض كما أنّ النّجوم أمان لأهل السّماء ، و مثلهم في هذه الامّة كسفينة نوح من ركبها نجا ، و كباب حطّة ، و إنَّهم عباد اللّٰه المكرمون الذّين لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون ١ ، و نعتقد أنّ حبّهم إيمان و بغضهم كفر ، و أنّ أمرهم أمر اللّٰه ،

و نهيبهم نهى اللّٰه ، و طاعتهم طاعة اللّٰه ، و معصيتهم معصية اللّٰه ، و وليّهم وليّ اللّٰه ،

و عدوّهم عدوّ اللّٰه ، و نعتقد أنّ الأرض لا تخلو من حجة اللّٰه على خلقه إمّا ظاهراً أو خائفاً مغموراً « ٢ .

قال الخوئي في بعض النسخ : « لا يتحمّله إلاّ ملك مقرب أو نبيّ مرسل أو مؤمن امتحن اللّٰه قلبه للإيمان » . ٣

قلت : ما ذكره كلامه عليه السّلام في غير النهج ، و لو كان فيه لنقله ابن أبي الحديد أو ابن ميثم ، و لا بدّ أنّه كان حاشية خلطته تلك النسخة بالمتن ، و يشهد لكونه من كلامه عليه السّلام غير ما نقله ابن أبي الحديد عن بعض الكتب ما رواه الصّدوق مسنداً عن سدير : أنّه سأل الصّادق عليه السّلام عن قول أمير المؤمنين عليه السّلام :

« إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يقرّ به إلاّ ملك مقرب أو نبيّ مرسل أو عبد

(١) الأنبياء : ٢٧ .

(٢) الاعتقادات للصدوق : ٣٦ .

(٣) شرح الخوئي ٥ : ١٨٩ .

الصفحة ٢٦٩

امتحن اللّٰه قلبه للإيمان » . فقال عليه السّلام : إنّ في الملائكة مقربين و غير مقربين ،

و من الأنبياء مرسلين و غير مرسلين ، و من المؤمنين ممتحنين و غير ممتحنين ، فعرض أمركم هذا على الملائكة ، فلم يقرّ به إلاّ المقرّبون ، و عرض على الأنبياء ، فلم يقرّ به إلاّ المرسلون ، و عرض على المؤمنين ، فلم يقرّ به إلاّ الممتحنون ١ .

و عن كتاب (اللبيات) لابن شريعة الواسطي يرفعه إلى ميثم التمار قال :

بيننا أنا في السوق إذا أتى أصبغ بن نباتة فقال : و يحك يا ميثم لقد سمعت من أمير المؤمنين عليه السلام حديثا صعبا شديدا . قلت : و ما هو ؟ قال : سمعته يقول : إن حديث أهل البيت صعب مستصعب ، لا يحتمله إلا ملك مقرب ، أو نبي مرسل ،

أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان . قال : ففقت من فورتني فأنتيت عليا عليه السلام فقلت : حديث حدثني به أصبغ عنك قد ضقت به ذرعا . فقال : ما هو ؟ فأخبرته ،

فتبسّم ثم قال : اجلس يا ميثم ، أو كلّ علم يحتمله عالم ؟ إن الله تعالى قال للملائكة : . . . إنني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء و نحن نسبح بحمدك و نقدر لك قال إنني أعلم ما لا تعلمون ٢ فهل رأيت الملائكة احتملوا العلم ؟ قلت : و إن هذا أعظم من هذا . قال : و الاخرى أن موسى بن عمران أنزل الله عليه التوراة ، فظن أن لا أحد أعلم منه ، فأخبره أن في خلقه أعلم منه ، و ذلك إذ خاف على نبيّه العجب ، فدعا ربّه أن يرشده إلى العالم ، فجمع الله بينه و بين الخضر ، فخرق السفينة فلم يحتمل ذلك موسى ،

و قتل الغلام فلم يحتمله ، و أقام الجدار فلم يحتمله ، و أمّا المؤمنون فإنّ نبينا يوم غدیر خم أخذ بيدي ، فقال : « اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه » فهل رأيت

(١) معاني الأخبار للصدوق : ٤٠٧ ح ٨٣ ، البصائر للصفار : ٤٦ ح ١ ، و شرح ابن أبي الحديد ٣ :

. ٢١٧

(٢) البقرة : ٣٠ .

الصفحة ٢٧٠

أحدا احتمل ذلك إلا من عصم الله ؟ فابشروا ، ثم ابشروا ، فقد خصمك الله بما لم يخص به الملائكة ، و النبيين ، و المرسلين في أمر النبي صلى الله عليه و آله و علمه ، فحدثوا عن فضلنا و لا حرج ، و عن عظيم أمرنا و لا إثم . ثم قال عليه السلام : قال النبي صلى الله عليه و آله :

امرنا معاشر الأنبياء أن نخاطب الناس على قدر عقولهم ١ .

« و لا يعي » أي : لا يستمع .

« حديثنا إلا صدور أمينة » لا كل صدر .

« و أحلام » أي : عقول .

« رزينة » أي : ربيعة لا كل حلم ، و في الخبر : أتى الحسين عليه السلام اناس فقالوا له : يا أبا عبد الله حدثنا بفضلكم الذي جعل الله لكم . فقال : إنكم لا تحتملونه و لا تطيقونه . قالوا : بلى نحتمل . قال : إن كنتم صادقين فليفتح اثنان ، و احده و احدا ،

فإن احتمله حدثتكم . ففتح اثنان و حدث واحدا . قال : فقام طائر العقل و مرّ على وجهه ، و كلمه صاحبه ، فلم يردّ عليهما شيئا ، و انصرفوا ٢ .

أيضا في الخبر : دخل زرارة على الباقر عليه السلام ، فسأله عما عنده من أحاديث الشيعة ، فقال زرارة : قد هممت أن أوقد لها نارا ثم أحرقها . قال : و لم ؟

هات ما أنكرت منها ، ما كان علم الملائكة حيث قالوا : . . . أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء . . . ٣ .

هذا ، و روى الكشي عن أمير المؤمنين عليه السلام ، قال : إن علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله ، و قد أخى رسول الله صلى الله عليه و آله بينهما فما ظنك بسائر الخلق ؟ ٤

(١) رواه ابن شريعة في اللبيات عنه بحار الأنوار ٢٥ : ٣٨٣ ح ٣٨ ، و الفرات الكوفي في تفسيره : ٦ ، و الطبري في بشارة المصطفى : ١٤٨ .

(٢) أخرجه الراوندي في الخرائج عنه البحار ٢٥ : ٣٧٨ ح ٢٦ .

(٣) أخرجه العياشي في تفسيره ١ : ٣١ ح ٩ و النقل بتلخيص . و الآية ٣٠ من سورة البقرة .

(٤) رواه الكشي في معرفة الرجال (اختياره) : ١٧ ح ٤٠ .

الصفحة ٢٧١

و عن الباقر عليه السلام قال : دخل أبو ذر على سلمان و هو يطبخ قدرا له ، فبينما هما يتحدثان إذ انكبت القدر على وجهها على الأرض ، فلم يسقط من مرقها و لا من ودكها شيء ، فعجب من ذلك أبو ذر عجباً

شديدا ، و أخذ سلمان القدر فوضعها على حالها الأول على النار ثانية و أقبلا يتحدثان ، فبينما هما كذلك إذا انكبت القدر على وجهها ، فلم يسقط منها شيء من مرقها و لا من ودكها ، فخرج أبو ذر و هو مذعور من عند سلمان ، فبينما هو متفكر إذ لقي أمير المؤمنين عليه السلام على الباب ، فلما أن بصر به أمير المؤمنين عليه السلام قال له : يا أبا ذر ما الذي أخرجك من عند سلمان ، و ما الذي أذعرك ؟ قال له أبو ذر : يا أمير المؤمنين رأيت سلمان صنع كذا و كذا فعجبت من ذلك فقال أمير المؤمنين عليه السلام : يا أبا ذر ، إن سلمان لو حدثك بما يعلم لقلت : رحم الله قاتل سلمان . . . ١ .

هذا ، و ممّا ينسلك في الباب من الهزل ما رواه (الأغانى) : أن رجلا شهد عند قاض بشهادة ، فقيل له : من يعرفك ؟ قال ابن أبي عتيق . فبعث إليه يسأله عنه ، فقال : عدل رضي . فقيل له : أكنت تعرفه قبل اليوم ؟ قال : لا ، و لكنني سمعته ينشد :

غيضن من عبراتهن و قلن له
ماذا لقيت من الهوى و لقينا

فعلمت أن هذا لا يرسخ إلا في قلب مؤمن ، فشهدت له بالعدالة ٢ .

١٦

من الخطبة (٢٣١) و من كلام له عليه السلام :

أَلَا وَ إِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الْبَشَرِ فَلَا يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ وَ لَا

(١) رواه الكشي في معرفة الرجال (اختياره) : ١٤ ح ٣٣ .

(٢) لم أجده في الأغانى .

الصفحة ٢٧٢

يُمَهِّلُهُ النَّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ وَ إِنَّا لِلْمُرَاءِ الْكَلَامُ وَ فِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ وَ عَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ : قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ فِي وَاقِعَةٍ اقْتَضَتْ أَنْ يَقُولَهُ ، وَ ذَلِكَ أَنَّهُ أَمَرَ ابْنَ أُخْتِهِ جَعْدَةَ بِنَ هُبَيْرَةَ الْمُخْزُومِيَّ أَنْ يَخْطُبَ النَّاسَ يَوْمًا ، فَصَعِدَ الْمَنْبِرَ فَحَصَرَ ، وَ لَمْ يَسْتَطِعِ الْكَلَامَ ، فَقَامَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَتَسَنَّمَ ذِرْوَةَ الْمَنْبِرِ ،

و خطب خطبة طويلة ذكر الرّضي رحمه الله منها هذه الكلمات . و قال الجاحظ في كتاب (البيان و التبيين) : إن عثمان صعد المنبر ، فارتج عليه فقال : إنّ أبا بكر و عمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا ، و أنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب ١ .

قلت : كان عثمان في فعالة أكثر ارتجاجا منه في مقاله ، و كان عبد الله بن عامر أحسن منه في اعتذاره ، خطب يوم أضحى فارتج عليه ، فقال : لا أجمع عليكم عيّا و لؤما ، من أخذ شاة من السوق فهي له و ثمنها عليّ .

قال ابن أبي الحديد أيضا : قال المدائني : لمّا حصر عبد الله بن عامر بن كريز على المنبر بالبصرة و كان خطيبا ، شقّ عليه ذلك ، فقال له زياد بن أبيه و كان خليفته : أيها الأمير لا تجزع ، فلو أقمت على المنبر عامّة من ترى أصابهم أكثر ممّا أصابك . فلما كانت الجمعة تأخّر عبد الله بن عامر ، و قال زياد للنّاس : إنّ الأمير اليوم موعوك . فقيل لرجل من وجوه امراء القبائل : قم فاصعد المنبر . فلما صعد ، حصر فقال : الحمد لله الذي يرزق هؤلاء . و بقي ساكنا فأنزلوه ، و أصدعوا آخر من الوجوه ، فلما استوى قائما قابل بوجهه النّاس ،

فوقعت عينه على صلعة رجل ، فقال : أيها النّاس ، إنّ هذا الأصلع قد منعني الكلام ، اللهمّ فالعن هذه الصلعة . فأنزلوه ، و قالوا لوزاع اليشكري : قم إلى المنبر

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣ : ١٨٤ .

الصفحة ٢٧٣

فتكلّم . فلما صعد و رأى النّاس ، قال : أيها النّاس إنّني كنت اليوم كارها لحضور الجمعة ، و لكن امرأتي حملتني على إتيانها ، و أنا أشهدكم أنّها طالق ثلاثا .

فأنزلوه . فقال زياد لعبد الله بن عامر : كيف رأيت ؟ قم الآن فاخطب ١ .

و قال الجاحظ : قال المدائني : خطب مروان بن الحكم فحصر ، فقال : اللهمّ إنّنا نحمدك ، و نستعينك و نشكرك بك ٢ .

قلت : الذي وجدت في (بيان الجاحظ) : و خطب أمير المؤمنين الموالي و هكذا لقبه خطبة نكاح فحصر ، فقال : « اللهمّ إنّنا نحمدك و نستعينك ، و لا نشكرك » ٣ ، لا مروان بن الحكم كما قال .

و في (الطبري) : كان ثابت بن قطنه خليفة عامل خراسان فحصر ، فقال :

من يطع الله و رسوله فقد ضلّ . و ارتجّ عليه فلم ينطق بكلمة ، فلما نزل عن المنبر ، قال :

فإن لم أكن يوما خطيبا فأبني
بسيقي إذا جدّ الوغى لخطيب

فقبل له : لو قلت هذا على المنبر لكنت خطيبا . فقال حاجب الفيل اليشكري يعيره حصره :

أبا العلاء لقد لا قيت معضلة
يوم العروبة من كرب و تخنيق

تلوى اللسان إذا رمت الكلام به
كما هوى زلق من شاهق النيق

لما رمتك عيون الناس ضاحية
أنشأت تحرض لما قمت بالريق

أما القران فلا تهدي لمحكمة
من القران و لا تهدي لتوفيق ٤

و في (عيون ابن قتبية) : ولّي رجل من بني هاشم يعرف بالدندان بحر

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣ : ١٨٥ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٣ : ١٨٥ .

(٣) البيان و التبیین للجاحظ ٢ : ٢٧٣ .

(٤) تاريخ الطبري ٥ : ٣٨٦ سنة ١٠٦ .

الصفحة ٢٧٤

اليمامة ، فلما صعد المنبر ، ارتجّ عليه فقال : حيّا الله هذه الوجوه ، و جعلني فداها ،

إنِّي قد أمرت طائفي بالليل أن لا يرى أحداً إلا أتاني به ، و إن كنت أنا هو . ثم نزل ١ .

و قال ابن أبي الحديد : قال الجاحظ : خطب السّاقح أوّل يوم سعد فيه المنبر . فارتج عليه ، فقال عمّه داود بن عليّ : أيّها النّاس إنّ أمير المؤمنين يكره أن يتقدّم قوله فيكم فعله ، و لأثر الأفعال أجدى عليكم من تشفيق المقال ،

و حسبكم كتاب الله علما فيكم ، و ابن عمّ النّبويّ صلّى الله عليه و آله خليفته عليكم ٢ .

قلت : و قال المسعودي : كان المعتضد في سنة تسع و سبعين و مائتين ركب يوم الفطر إلى مصلى أتخذه بالقرب من داره ، فصلّى بالنّاس و كبر في الرّكعة الاولى ست تكبيرات ، و في الأخيرة تكبيرة واحدة ، ثمّ سعد المنبر ،

فحصر و لم تسمع له خطبة ، ففي ذلك يقول بعض الشعراء :

حصر الامام و لم يبيّن خطبة
للنّاس في حلّ و لا إحرام

ما ذاك إلا من حياء لم يكن
ما كان من عي و لا إفحام ٣

و في (تاريخ بغداد) : اجتمع الكسائي و اليزيدي عند الرّشيد فحضرت صلاة يجهر فيها ، فقدّموا الكسائي يصلّي فارتج عليه في قراءة : قل يا أيّها الكافرن ٤ فلما أن سلّم قال اليزيدي : قارىء أهل الكوفة يرتج عليه في قل يا أيّها الكافرون . فحضرت صلاة يجهر فيها فقدّموا اليزيدي فارتج عليه في سورة الحمد . فلما أن سلّم قال :

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢ : ٢٥٨ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ١٨٥ ، و لم يصرح بالنقل عن الجاحظ .

(٣) مروج الذهب للمسعودي ٤ : ١٤٥ .

(٤) الكافرون : ١ .

احفظ لسانك لا تقل فتبتلى

إنّ البلاء موكل بالمنطق ١

و فيه : قال الكسائي صلّيت بهارون فاعجبنتي قراءتي ، فغلطت في آية ما أخطأ فيها صبي قطّ : أردت أن أقول : . . . لعلمهم يرجعون ٢ فقلت : لعلمهم ترجعين ، فوالله ما اجترأ هارون أن يقول لي : أخطأت . و لكن لما سلّمت ، قال لي :

يا كسائي أي لغة هذه ؟ قلت : قد يعثر الجواد . قال : أمّا هذا فنعم ٣ .

و فيه قال خلف : كان الكسائي إذا كان شعبان وضع له منبر ، فقرأ هو على الناس في كل يوم نصف سبع يختم ختمتين في شعبان ، و كنت أجلس أسفل المنبر ، فقرأ يوماً في سورة الكهف : . . . أنا أكثر منك . . . ٤ فنصب أكثر فعلمت أنه وقع فيه ، فلما فرغ ، أقبل الناس يسألون عن العلة في (أكثر) ، لم نصبه ؟ فثرت في وجوههم أنه أراد في فتحه (أقل) : إن ترن أنا أقل منك مالا .

فقال الكسائي : « أكثر » فمحوه من كتبهم . قال : ثم قال لي : يا خلف يكون أحد بعدي يسلم من اللحن ؟ قلت : لا ، أما إذا لم تسلم أنت فليس يسلم أحد بعدك ،

قرأت القرآن صغيراً ، و أفراأت الناس كبيراً ، و طلبت الآثار فيه و النحو ٥ .

و في (الطبري) : قال الواقدي : و في سنة (٦٥) عزل ابن الزبير أخاه عبيدة عن الكوفة لأنه خطب ، فقال : قد رأيتم ما صنع بقوم في ناقة قيمتها خمسمائة درهم . فسمي مقوم الناقة ، فبلغ ذلك ابن الزبير ، فقال : إن هذا هو التكلف .

و عزله ٦ .

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ١١ : ٤٠٨ .

(٢) آل عمران : ٧٢ و تسع آيات اخرى من القرآن .

(٣) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ١١ : ٤٠٧ ، و النقل بتصريف يسير .

(٤) الكهف : ٣٤ .

(٥) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ١١ : ٤٠٨ .

(٦) تاريخ الطبري ٤ : ٤٨٣ سنة ٦٥ .

الصفحة ٢٧٦

« ألا إنَّ اللسان بضعة من الإنسان » قالوا : ما المرء إلاَّ بأصغريه : جنانه و لسانه . و قال خالد بن صفوان : ما الإنسان لو لا اللسان إلاَّ صورة ممثلة أو بهيمة مهملة .

« فلا يسعده القول إذا امتنع » كان الفرزدق يقول : أنا أشعر تميم ، و ربما أتت عليّ ساعة : نزع ضررس أهون عليّ من قول بيت .

و كان عبد ربه اليشكري عاملاً لعيسى بن موسى على المدائن ، فصعد المنبر فارتج عليه ، فسكت ثم قال : و الله إنِّي لأكون في بيتي فيجيء على لساني ألف كلمة ، فإذا قمت على أعوادكم هذه جاء الشيطان فمحاها في صدري ، و لقد كنت و ما في الأيام يوم أحبَّ إليّ من يوم الجمعة ، فصرت و ما في الأيام أبغض إليّ من يوم الجمعة ، و ما ذلك إلاَّ لخطبتكم هذه .

و قال عليّ بن الجهم الشاعر : لما أفضت الخلافة إلى جعفر المتوكل أهدى إليه الناس أقدارهم ، و أهدى إليه ابن طاهر هدية فيها مائة و صيفة و وصيف ، و في الهدية جارية يقال لها : محبوبة . كانت لرجل من أهل الطائف ،

قد أدبها و ثقّفها و علّمها من صنوف العلم ، و كانت تحسن ما يحسنه علماء الناس ، فحسن موقعها من المتوكل ، و حلّت من قلبه محلاً جليلاً لم يكن أحد يعدلها عنده . قال ابن الجهم : فدخلت عليه يوماً للمنادمة ، فلما استقرّ بي المجلس قام فدخل بعض المقاصير ، ثمّ خرج و هو يضحك ، فقال : و يلك يا عليّ دخلت فرأيت قينة قد كتبت في خدها بالمسك : جعفر ، فما رأيت أحسن منه ،

فقل فيه شيئاً . فقلت : يا سيدي أنا وحدي أو أنا و محبوبة ؟ قال : بل أنت و محبوبة . فدعوت بدواة و قرطاس ، فسبقنتي محبوبة إلى القول ، ثمّ أخذت العود فترنمت حتّى صاغت لحنا ، ثمّ قالت للمتوكل : تأذن لي ؟ فقال : نعم ،

فغنّت :

لئن أودعت خطأ من المسك خدّها
لقد أودعت قلبي من الوجد أسطرا

الصفحة ٢٧٧

فيا من لمملوك يظل مليكه

مطيعا له في ما أسرّ و أجھرا

و تعلّلت خواطري حتّى كأنّي ما أحسن حرفا من الشعر ، فقال لي المتوكّل : و يلك ما أمرتك ؟ فقلت : يا سيّدي أقلني ، فو الله لقد عزب عن ذهني . فلم يزل يضرب بذلك على رأسي ، و يعيرني به إلى أن مات .

و ذكروا أنّ هارون قال في ليلة بيتا و رام أن يشفعه بآخر ، فامتنع القول عليه ، فقال عليّ بالعبّاس بن أحنف . فلما طرق دعر و فزع أهله ، فلما وقف بين يديه ، قال له : وجّهت إليك لبيت قلته ، و رمت أن أشفعه بمثله ، فامتنع القول عليّ .

فقال له : دعني حتى يرجع إليّ نفسي ، فإنّي قد تركت عيالي على حال من القلق عظيمة . فانتظره هنيهة ، ثمّ أنشد البيت :

جنان قد رأيناها

و لم تر مثلها بشرا

فقال العبّاس :

يزيدك وجهها حسنا

إذا ما زدته نظرا

قال : زدني . فقال :

إذا ما الليل مال عليك

بالإظلام و اعتكرا

و دجّ فلم تر قمرا

فأبرزها ترى قمرا

فقال الرّشيد : قد ذعرناك و أفزعنا عيالك ، فأقل الواجب أن نعطيك دينك .

و أمر له بعشرة آلاف و صرفه .

و في (الأغاني) عن أبي دهب الجمحي : لما قلت أبياتي التي قلت فيها :

إعلم بأنني لمن عاديت مظغن
ضبا و أنني عليك اليوم محسود

قلت : فيها نصف بيت :

و إن شركك عندي لا انقضاء له

ثم ارتج عليّ ، فأقمت حولين لا أقع على تمامه ، حتى سمعت رجلا من الحاجّ في الموسم يذكر لبنان ،
فقلت : ما لبنان ؟ فقال : جبل بالشّام .

الصفحة ٢٧٨

فأتممت نصف البيت :

ما دام بالهضب من لبنان جلمود ١

« و لا يمهلّه النطق إذا اتسع » في (العقد الفريد) صعد خالد بن عبد الله القسري المنبر فارتج عليه ،
فمكث مليا لا يتكلم ، ثمّ تهيأ له الكلام ، فتكلم فقال :

أمّا بعد فإنّ هذا الكلام يجيء أحيانا و يعزب أحيانا ، فيسيح عند مجيئه سيبه ،

و يعزّ عند عزوبه طلبه ، و لربّما كوبر فأبي ، و عولج فنأى ، فالتأني لمجيئه خير من التعاطي لأبيّه ، و
تركه عند تتركه أفضل من طلبه عند تعذّره ، و قد يرتج على البليغ لسانه ، و يختلج من الجري جنانه ، و
سأعود فأقول إن شاء الله ٢ .

و قيل : إنّ أول ما أنشأ الحريري من (مقاماته) و هي ثمان و أربعون مقامة بالبصرة فعرضها ببغداد
على أنوشروان الوزير ، فاستحسنها و أمره أن يضيف إليها ما شاكلها ، فقال : أفعل ذلك في رجوعي إلى
البصرة ، و تجمع خاطري بها . ثمّ انحدر إليها فصنع أربعين مقامة ، ثمّ اصعد إلى بغداد ،

فعرضها عليها فاستحسنها ، و اتهمه من كان يحسده بأنّها ليست من عمله ،

فإن كان صادقا فليصنع مقامة اخرى ، فقال : سأصنع ، و جلس في منزله ببغداد أربعين يوما فلم يتهيأ له تركيب كلمتين ، و الجمع بين لفظتين ، و سوّد كثيرا من الكاغذ ، فلم يصنع شيئا ، فعاد إلى البصرة و الناس يقعون فيه ، فما غاب عنهم إلاّ مديدة ، حتّى عمل عشرة اخرى ، و أضافها إلى تلك ، فعلم أنّها من عمله .

و قال العجاج : قلت ارجوزتي التي أولها :

بكيت و المحتزن البكيّ

و الدهر بالإنسان دوارى

و أنا بالرّمّل ، فانثالت عليّ قوافيها انثيالا ، و أنّي لاريد اليوم دونها في

(١) الأغاني لأبي الفرج ٧ : ١٣٠ .

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ٤ : ٢٠٣ .

الصفحة ٢٧٩

الأيام الكثيرة فما أقدر عليه . و لبعضهم :

قد يعترض الشعر البكيّ لسانه

و تعيي القوافي المرء و هو خطيب

« و إنّ لامراء الكلام » لبعضهم في خطيب :

فإذا تكلم خلته متكّما

بجميع ألسن الخطباء

فكأنّ آدم علّمه الذي

قد كان علّمه من الأسماء

أيضا :

إذا ما انتدى خاطبا لم يقل
له أطل القول أو قصر

طبيب بداء فنون الكلا
م لم يعي يوما و لم يهنر

فإن هو أطنب في خطبة
قضى للمقل على المكثر

و لابن ميادة :

فجرنا ينابيع الكلام و بحره
فأصبح فيه ذو الرواية يسبح

و ما الشعر إلا شعر قيس و خذف
و شعر سواهم كلفة و تملح

و يكفي في تصديق ما قاله عليه السلام من كونهم امراء الكلام هذا الكتاب الذي جمعه الرضي رضوان الله عليه من كلامه عليه السلام الذي هو تالي القرآن لفظا و معنى ١ . و قد جمع البحراني من أدعيته عليه السلام صحيفة ٢ ، و النوري اخرى ٣ .

و في (الحلية) قال سفيان الثوري : ما حاج علي عليه السلام أحدا إلا حجة ٤ .

و في (خلفاء) القتيبي : إن عبد الله بن أبي محجن الثقفي قدم إلى معاوية فقال : يا أمير المؤمنين اني أتيتك من عند الغبي الجبان البخيل ابن أبي طالب .

فقال معاوية : لله أنت أتدري ما قلت ؟ أما قولك الغبي ، فو الله لو أن ألسن الناس

(١) جمع الشريف الرضي نهج البلاغة ، و هو أشهر من أن يوصف ، و اما الصحيفة العلوية الاولى فقد جمعها الشيخ فهو للشيخ عبد الله السماهيجي البحراني ، و الصحيفة العلوية الثانية جمعها المحدث حسين

النوري صاحب المستدرک ، و ذکر الطهراني (في الذريعة ١٥ : ٢٣) صحيفة ثلاثة للسيد مهدي الغريفي البحراني .

(٢) جمع الشريف الرضي نهج البلاغة ، و هو أشهر من أن يوصف ، و اما الصحيفة العلوية الاولى فقد جمعها الشيخ فهو للشيخ عبد الله السماهيجي البحراني ، و الصحيفة العلوية الثانية جمعها المحدث حسين النوري صاحب المستدرک ، و ذكر الطهراني (في الذريعة ١٥ : ٢٣) صحيفة ثلاثة للسيد مهدي الغريفي البحراني .

(٣) جمع الشريف الرضي نهج البلاغة ، و هو أشهر من أن يوصف ، و اما الصحيفة العلوية الاولى فقد جمعها الشيخ فهو للشيخ عبد الله السماهيجي البحراني ، و الصحيفة العلوية الثانية جمعها المحدث حسين النوري صاحب المستدرک ، و ذكر الطهراني (في الذريعة ١٥ : ٢٣) صحيفة ثلاثة للسيد مهدي الغريفي البحراني .

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم ٧ : ٣٤ .

الصفحة ٢٨٠

جمعت فجعلت لسانا واحدا لكفاها لسان علي ١ .

و في (عيون ابن قتبية) : و فد الحسن عليه السلام على معاوية الشام ، فقال عمرو بن العاص : إن الحسن رجل أفه ، فلو حملته على المنبر فتكلم ، فسمع الناس من كلامه ، عابوه . فأمره فصعد المنبر فتكلم ، فأحسن ، و كان في كلامه أن قال :

أيها الناس لو طلبتم ابنا لنبيكم ما بين جابرس إلى جابلق لم تجدوه غيري ،

و غير أخي و إن أدري لعله فتنة لكم و متاع إلى حين ٢ . فساء ذلك عمرا و أراد أن يقطع كلامه ، فقال : يا أبا محمد هل تنعت الرطب ؟ فقال : أجل تلفحه الشمال ، و تخرجه الجنوب ، و ينضجه برد الليل بحرّ النهار . قال : يا أبا محمد هل تنعت الخراءة ؟ قال : نعم تبعد الممشى في الأرض الصحصح حتى تتوارى من القوم ، و لا تستقبل القبلة ، و لا تستدبرها ، و لا تستنجي بالروثة و لا العظم ،

و لا تبول في الماء الراكد . و أخذ عليه السلام في كلامه ٣ .

و روى المدائني أيضا : أن معاوية سأل الحسن عليه السلام بعد الصلح أن يخطب الناس ، فامتنع فناشده أن يفعل ، فوضع له كرسي فجلس عليه ثم قال :

الحمد لله الذي توحد في ملكه ، و تفرّد في ربوبيته ، يؤتي الملك من يشاء و ينزعه عمّن يشاء ، و الحمد لله الذي أكرم بنا مؤمنكم ، و أخرج من الشرك أولكم ، و حقن دماء آخركم ، فبلاؤنا عندكم قديما و حديثا أحسن البلاء ، إن شكرتم أو كفرتم . أيها الناس إن ربّ عليّ كان أعلم بعليّ حين قبضه إليه ، و لقد اختصه بفضل لم تعتدوا بمثله ، و لم تجدوا مثل سابقته ، فهيهات هيهات طالما قلبتم له الامور حتّى أعلاه الله عليكم ، و هو صاحبكم ، و عدوكم في بدر

(١) الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١ : ١١٤ .

(٢) الأنبياء : ١١١ .

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢ : ١٧٢ .

الصفحة ٢٨١

و أخواتها ، جرّعكم رنقا و سقاكم علقا ، و أذلّ رقابكم و أشرقكم بريقكم ، فلستم ملومين على بغضه ، و ايم الله لا ترى امّة محمّد صلّى الله عليه و آله خفضا ما كانت سادتهم و قادتهم بني اميّة ، و لقد وجه الله إليكم فتنة لن تصدروا عنها حتّى تهلكوا ،

لطاعتكم طواغيتكم و انضوائكم إلى شياطينكم ، فعند الله احتسب ما مضى و ما ينتظر من سوء دعتمكم و كيف حكمكم . ثمّ قال : يا أهل الكوفة لقد فارقكم بالأمس سهم من مرامي الله ، صائب على أعداء الله ، نكّال على فجّار قريش ، لم يزل آخذا بحناجرها ، جاثما على أنفاسها ، ليس بالملومة في أمر الله ، و لا بالسروقة لمال الله ، و لا بالفروقة في حرب أعداء الله ، أعطى الكتاب خواتمه و عزائمه ، دعاه فأجابته ، و قاده فاتّبعه . لا تأخذه في الله لومة لائم ، فصلوات الله عليه و رحمته . ثمّ نزل ، فقال معاوية : أخطأ عجل أو كاد ، و أصاب متنبّت أو كاد ،

ماذا أردت من خطبة الحسن ١ ؟

و روى أبو الفرج : أنّ معاوية لما سلّم الحسن عليه السّلام الأمر إليه أمره أن يخطب ، و ظنّ أنّه سيحصر ، فقال في خطبته : إنّما الخليفة من سار بكتاب الله ،

و سنّة نبيّه صلّى الله عليه و آله ، و ليس الخليفة من سار بالجور ، ذلك ملك ملكا يمتّع به قليلا ، ثمّ تتقطع لذّته و تبقى تبعته و إن أدري لعلّه فتنة لكم و متاع إلى حين ٢ .

و روى الطبرسي عن موسى بن عقبة أنه قيل لمعاوية : إنّ الناس قد رموا أبصارهم إلى الحسين ، فلو قد أمرته يصعد المنبر و يخطب ، فإنّ فيه حصرا أو في لسانه كلاله . فقال لهم معاوية : قد ظننا ذلك بالحسن فلم يزل حتى عظم في أعين الناس و فضحنا . فلم يزالوا به حتى قال للحسين : يا أبا عبد

(١) نقله عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٤ : ١٠ ، شرح الكتاب ٣١ .

(٢) المقاتل لأبي الفرج : ٤٧ ، و الآية ١١١ من سورة الأنبياء .

الصفحة ٢٨٢

اللّه لو صعدت المنبر فخطبت . فصعد الحسين عليه السّلام المنبر ، فحمد الله و أتى عليه ، و صلّى على النبيّ صلّى الله عليه و آله ، فسمع رجلا يقول : من هذا الذي يخطب ؟

فقال الحسين عليه السّلام : « نحن حزب الله الغالبون ، و عتره رسوله الأقربون ،

و أهل بيته الطيّبون ، و أحد الثقلين اللذين جعلنا رسول الله صلّى الله عليه و آله ثاني كتاب الله تبارك و تعالى ، الذي فيه تفصيل كلّ شيء لا يأتيه الباطل من بين يديه ، و لا من خلفه ، و المعول علينا في تفسيره ، و لا يبطننا تأويله بل نتبع حقائقه ، فأطيعونا ،

فإنّ طاعتنا مفروضة إن كانت بطاعة الله و رسوله مقرونة ، قال عزّ و جلّ . . . أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله و الرسول . . . ١ . و قال : . . . و لو ردّوه إلى الرسول و إلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم و لو لا فضل الله عليكم و رحمته لاتّبعتم الشيطان إلا قليلا ٢ . و احذرکم الإصغاء إلى هتوف الشيطان بكم ،

فإنّه لكم عدوّ مبين فتكونوا كأولياؤه الذين قال لهم : . . . لا غالب لكم اليوم من الناس ، و إنّي جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه ، و قال إنّي بريء منكم . . . ٣ فتلقون للسيوف ضربا ، و للرماح وردا ، و للعمد حطما ، و للسهم غرضا . ثمّ لا يقبل من نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ٤ قال معاوية : حسبك يا أبا عبد الله ، قد أبلغت ٥ .

و روى الطبري : أنّ الحسين عليه السّلام خطب الناس يوم الطّف ، فحمد الله و أتى عليه ، و ذكر الله بما هو أهله و صلّى على محمد صلّى الله عليه و آله و على ملائكته

- (١) النساء : ٥٩ .
 (٢) النساء : ٨٣ .
 (٣) الانفال : ٤٨ .
 (٤) الأنعام : ١٥٨ .
 (٥) الاحتجاج للطبرسي : ٢٩٨ .

الصفحة ٢٨٣

و أنبيائه ، فلم يسمع متكلم قط قبله و لا بعده أبلغ في منطق منه ١ .

و روى محمد بن أبي طالب في (مقتله) : أن الحسين عليه السلام تقدم يوم الطف حتى وقف بازاء القوم ، فجعل ينظر إلى صفوفهم كأنهم السيل ، و نظر إلى ابن سعد واقفا في صناديد الكوفة ، فقال : الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء و زوال ، متصرفة بأهلها حالا بعد حال ، فالمغرور من غرته ، و الشقي من فتنته ،

فلا تغرنكم الدنيا ، فإنها تقطع رجاء من ركن إليها ، و تخيب طمع من طمع فيها ،

و أراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم ، و أعرض بوجه الكريم عنكم ، و أحل بكم نقمته ، و خيبكم رحمته ، فنعم الرب ربنا ، و بئس العبيد أنتم ،

أقررتم بالطاعة ، و آمنتم بالرّسول صلّى الله عليه و آله ، ثم إنكم زحفتم إلى ذريته و عترته تريدون قتلهم ، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم ، فنبأ لكم و لما تريدون إننا لله و إننا إليه راجعون ٢ هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعدا للقوم الظالمين ٣ . فقال عمر بن سعد : و يلکم کلموه فإنه ابن أبيه ،

و الله لو وقف فيكم هكذا يوما جديدا لما انقطع و لما حصر ٤ .

و قد جمعوا من أدعيته عليه السلام صحيفة ٥ ، و لو لم يكن له إلا دعاؤه في يوم عرفة لكفاه في كونه من امراء الكلام .

و في الخبر لما دعا الحسن و الحسين عليهما السلام بأمر أبيهما عليه السلام بدعوات في الاستسقاء : سئل سلمان الفارسي : إنه شيء علماء ؟ فقال : ويحكم ألم

- (١) رواه الطبري في تاريخه ٤ : ٣٢٢ سنة ٦١ ، و أبو مخنف في مقتل الحسين : ٨٤ ضمن خطبة ، و النقل بتقطيع .
- (٢) البقرة : ١٥٦ .
- (٣) المؤمنون : ٤٤ ٤١ .
- (٤) رواه محمد بن أبي طالب الحائري في مقتله عنه مقتل الحسين للمقرم : ٢٢٧ ، و ابن شهر آشوب في مناقبه ٤ : ١٠٠ بتفاوت بين الألفاظ .
- (٥) هي الصحيفة الحسينية لمحمد حسين المرعشي الشهرستاني ، المطبوعة في إيران .

الصفحة ٢٨٤

تسمعوا قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله حيث يقول : اجريت الحكمة على لسان أهل بيتي ١ ؟
و جمعوا من كلام السَّجَاد عليه السَّلَام خمس صحايف من الدعاء و المناجاة ٢ ،

لو اجتمعت العرب ، و كلّ ذي أدب أن يأتوا بمثلها لعجزوا ، و قال ابن شهر آشوب : ذكر فصاحة الصحيفة الكاملة عند بليغ في البصرة ، فقال : خذوا عني املي عليكم ، و أخذ القلم ، و أطرق رأسه فما رفعه حتّى مات ٣ .

و يكفيه دعاؤه المعروف بدعاء أبي حمزة ، فإنّ فقراته في غاية القرب من آيات القرآن ، و منها : فإنّ قوما آمنوا بألسنتهم ليحققوا به دماءهم ، فادركوا ما أمّلوا ، و إنّنا آمنّا بك بألسنتنا و قلوبنا ، لتعفو عنّا فأدركنّا ما أمّلنا ٤ .

و ذكروا أنّ عبد الملك لما كتب إليه عليه السَّلَام يعنّفه في تزوّجه بأمنته بعد عتقها ، فأجابه عليه السَّلَام رمى بكتابه عليه السَّلَام إلى ابنه سليمان ، فقال : لشدّ ما فخر عليك .

فقال : يا بنيّ لا تقل ذلك ، فإنّها ألسن بني هاشم التي تفلق الصّخر ، و تغرف من بحر ، إنّ عليّ بن الحسين عليه السَّلَام يا بنيّ يرتفع من حيث يتّضع الناس ٥ .

و لو أردنا إشباع الكلام في المقام لطلال الكلام .

هذا ، و روي أنّ إبراهيم بن العباس الصّولي قال لأبي تمام الطائي و قد كان أبو تمام أنشده شعرا له في المعتصم : يا أبا تمام امراء الكلام رعية

- (١) من لا يحضره الفقيه للصدوق ١ : ٣٣٨ ح ١٧ ، و الحميري في قرب الاسناد : ٧٣ .
- (٢) الصحيفة الاولى هي الصحيفة التي تروى بطرق عن الامام الباقر و زيد عن السجاد عليه السلام ، و الصحيفة الثانية للشيخ الحرّ صاحب الوسائل ، و الثالثة للأفندي التبريزي صاحب الرياض ، و الرابعة للمحدّث النوري صاحب المستدرک ، و الخامسة للسيد الأمين صاحب أعيان الشيعة ، و ذكر الطهراني (في الذريعة ١٥ : ٢١) صحيفة سادسة للمولى صالح المازندراني .
- (٣) المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ٤٠٦ .
- (٤) مصباح المتهدد للطوسي : ٥٢٤ ، و البلد الأمين للكفعمي : ٢٠٥ .
- (٥) الكافي للكليني ٥ : ٣٤٤ ح ٤ ضمن حديث .

الصفحة ٢٨٥

- لإحسانك . فقال له أبو تمام : ذلك لأنني استضيء بك و أرد شريعتك ١ .
- « و فينا تنشبت » في (الصحاح) : نشب الشيء في الشيء بالكسر نشوبا ، أي : علق فيه ٢ .
- « عروقه و علينا تهدلت غصونه » في (الصحاح) : تهدلت أغصان الشجرة ،
- أي : تدلّت ٣ .

روى (الكافي) عن عبد الله بن مصعب الزبيري ، قال : جلسنا إلى الكاظم عليه السلام في مسجد النبيّ صلى الله عليه و آله فتذاكرنا أمر النساء ، فأكثرنا الخوض ، و هو ساكت لا يدخل في حديثنا بحرف ، فلما سكتنا ، قال : أمّا الحرائر فلا تذكروهنّ ،

و لكن خير الجواري ما كان لك فيها هوى ، و كان لها عقل و أدب ، فلست تحتاج إلى أن تأمر و لا تنهى ، و دون ذلك ما كان لك فيها هوى ، لها عقل و ليس لها أدب ،

فأنت تحتاج إلى الأمر و النهي ، و دونها ما كان لك فيها هوى و ليس لها عقل و لا أدب ، فتصبر عليها لمكان هواك فيها ، و جارية ليس لك فيها هوى ، و ليس لها عقل ، و لا أدب فتجعل في ما بينك و بينها البحر الأخضر . قال الزبيري : فأخذت بلحيتي فأردت أن أضرب فيها ، لكثرة خوضنا لما لم نعلم فيه على شيء ،

و لجمعه الكلام ، فقال لي : مه إن فعلت لم اجالسك ٤ .

١٧

من الخطبة (١٥٢) قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ وَ أَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ وَ أَرَزَ الْمُؤْمِنُونَ وَ نَطَقَ الضَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ

(١) أسقط الشارح هنا شرح فقرة : « و أنا لامراء الكلام » .

(٢) صحاح اللغة ١ : ٢٤٤ مادة (نشب) .

(٣) صحاح اللغة ٥ : ١٨٤٨ مادة (هذل) .

(٤) الكافي للكليبي ٥ : ٣٢٢ ح ٢ .

الصفحة ٢٨٦

نَحْنُ الشُّعَارُ وَ الْأَصْحَابُ وَ الْخَزَنَةُ وَ الْأَبْوَابُ وَ لَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقًا « قد خاضوا بحار الفتن » قال ابن أبي الحديد : إن هذا متصل بكلام لم يحكه الرضي رحمه الله ، و هو ذكر قوم من أهل الضلال ١ .

قلت : قوله عليه السلام في العنوان « نحن الشعار و الأصحاب و الخزنة و الأبواب » يدل على أن مراده عليه السلام بهذا الكلام : المتقدمون عليه ، سواء جعلناه متصلا بما قبله أو لا .

و يوضح ما ذكرنا ، من أنه عليه السلام جعل المتقدمين عليه خائضين في بحار الفتن ، أنهم لما دعوه إلى بيعة أبي بكر و قادوه إليه لاذ بقبر النبي صلى الله عليه و آله ، يصيح و ينادي ابن امّ إن القوم استضعفوني و كادوا يقتلونني ٢ .

نقل ذلك ابن قتيبة و غيره ٣ ، فتمثله عليه السلام بكلام هارون أخي موسى عليهما السلام يدل على أنهم في تقديمهم لأبي بكر صاروا مثل بني إسرائيل في عبادتهم العجل .

« و أخذوا بالبدع دون السنن » قد جمع الإمامية البدع التي أحدثها الثلاثة للناس ، في قبال سنن النبي صلى الله عليه و آله في كتبهم الكلامية .

« و أرز » بتقديم الرء .

« المؤمنون » الأصل في (أرز) التجمع ، كتجمع الحية ، قال أبو الأسود : إن فلانا إذا سئل أرز ، و إذا ادعى اهتز ٤ .

و قد كان المؤمنون كسلمان ، و أبي ذر و المقداد ، و عمّار ، و حذيفة

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٤٢٨ .

(٢) الأعراف : ١٥٠ .

(٣) الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١ : ١٣ .

(٤) نقله عنه في لسان العرب ٥ : ٣٠٥ مادة (ارز) .

الصفحة ٢٨٧

و نظرائهم في أيام الثلاثة ساكنين مخنفين ، روى الجواهري في (سقيفته) : أن عمّارا نادى يوم الشورى : يا معشر المسلمين إننا قد كنا و ما كنا نستطيع الكلام قلة و ذلة فأعزنا الله بدينه ، و أكرمنا برسوله ، فالحمد لله رب العالمين . يا معشر قريش إلى متى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم ، تحولونه هاهنا مرّة و هاهنا مرّة ، و ما أنا آمن أن ينزعه الله منكم و يضعه في غيركم ، كما نزعتموه من أهله و وضعتموه في غير أهله ؟ فقال له هاشم بن الوليد بن المغيرة : يابن سميّة لقد عدوت طورك ، و ما عرفت قدرك ، ما أنت ، و ما رأيت قريش لأنفسها ؟ إنك لست في شيء من أمرها ، و أمارتها فتتح عنها . و تكلمت قريش بأجمعها فصاحوا بعمّار و انتهروه ، فقال : الحمد لله رب العالمين ما زال أعوان الحق أذلاء ، ثم قام فانصرف . . . ١ و يظهر منه . . . لمن كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد ٢ أن دين إخواننا دين قريش أعداء النبي صلى الله عليه و آله لا دين النبي صلى الله عليه و آله .

« و نطق الضالون المكذبون » كالوليد بن عقبة الفاسق بنص القرآن ٣ ،

و المغيرة بن شعبة المنافق بإجماع الأمة ، و مروان بن الحكم طريد النبي صلى الله عليه و آله و لعينه .

و من المضحك أن أهل الشام لما أرادوا بيعه مروان بعد يزيد قالوا : إن مروان ما كان في الإسلام صدع إلا كان هو يشعبه ، فقاتل عليًا يوم الجمل و .

و لعمر الله ، إن كان الإسلام إسلاما وضعه قريش لإخواننا ، في كون أولئك أئمتهم و في رأسهم أبو سفيان الذي قال لحليفهم الثالث لما بويع : فو الله

(١) السقيفة للجوهري : ٩٠ .

(٢) ق : ٣٧ .

(٣) انظر السجدة : ١٨ ، و الحجرات : ٦ ، كما روى في شأن نزولهما ، جمع بعض رواياته السيوطي في الدر المنثور ٥ : ١٧٧ ، و ٦ : ٨٧ .

الصفحة ٢٨٨

ما جنّة و لا نار ، فأديروا الخلافة بينكم معشر قريش إدارة الكرة كان قيام عليّ الذي جعله الله تعالى نفس النبيّ صلى الله عليه و آله صدعا في الإسلام ، إسلام صنعوه ، أيّ صدع .

« نحن الشعار و الأصحاب ، و الخزنة و الأبواب » روى أبو بكر الجوهري في (سقيفته) عن أبي زيد ، عن هارون بن عمر ، عن محمد بن سعيد بن الفضل ، عن أبيه ، عن الحرث بن كعب ، عن عبد الله بن أبي أوفى الخزاعي ، قال : كان خالد بن سعيد بن العاص من عمّال النبيّ صلى الله عليه و آله باليمن ، فلما قبض النبيّ صلى الله عليه و آله جاء المدينة ، و قد بايع الناس أبا بكر ، فاحتبس عن أبي بكر ، فلم يبايعه أيّاما و قد بايع الناس ، و أتى بني هاشم فقال : أنتم الظهر و البطن ، و الشعار دون الدثار ،

و العصا دون اللها ، فاذا رضيتم رضينا ، و إذا سخطتم سخطنا ، حدّثوني إن كنتم قد بايعتم هذا الرجل ؟ قالوا : نعم . قال : على برد و رضا من جماعتكم قالوا :

نعم . قال : فأنا أرضى و اباع إذا بايعتم ، أما و الله يا بني هاشم إنكم الطّوال الشجر الطيّبو الثمر . ثمّ إنه بايع أبا بكر ، و بلغت أبا بكر فلم يحفل ، و اضطغنها عليه عمر ، فلما ولّاه أبو بكر الجند الذي استنفر إلى الشام قال له عمر : أتولّي خالدا و قد حبس عليك بيعته ، و قال لبني هاشم ما قال و قد جاء بورق من اليمن و عبيد و حبشان و دروع و رماح ؟ ما أرى أن تولّيه ، و ما آمن خلافة . فانصرف عنه أبو بكر و ولّى أبا عبيدة بن الجراح ، و يزيد بن أبي سفيان و شرحبيل بن حسنة ١ .

و ما فيه من أن بيعتهم هل كانت على برد ؟ فقالوا : نعم ، كان على برد إرادة إحراقهم بالنار ، و على رضا أيضا ، كان بعد القود له ، كما يقاد الجمل المخشوش . كما كتب إليه معاوية يعنّفه به ، و ذيل الخبر يكشف عن خافية .

(١) السقيفة للجوهري : ٥٢ .

الصفحة ٢٨٩

ثم إذا كانوا هم الظهر و البطن للنبي صلى الله عليه و آله ، و الشعار له دون الدثار ،

و الطوال الشجر و الطيبو الثمر ، هل كانت بيعة قريش للرجل إلا جورا و زورا و فجورا ؟ قال ابن أبي الحديد : و اعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام لو فخر بنفسه ، و بالغ في تعديد مناقبه و فضائله التي آتاه الله و اختصه بها ، و ساعده على ذلك فصحاء العرب كافة لم يبلغوا إلى معشار ما نطق به النبي الصادق صلى الله عليه و آله و سلم في أمره ، و لست أعني بذلك الأخبار العامة الشائعة التي يحتج بها الإمامية على إمامته ، كخبر الغدير ، و خبر المنزلة ، و قصة براءة ، و خبر المناجاة ، و قصة خبير ، و خبر الدار بمكة في ابتداء الدعوة ، و نحو ذلك ، بل الأخبار الخاصة التي رواها فيه أئمة الحديث التي لم يحصل أقل القليل منها لغيره ، و أنا أذكر من ذلك شيئا يسيرا مما رواه علماء الحديث الذين لا يتهمون فيه ، و جلهم قائلون بتفضيل غيره عليه ، فروايتهم فضائله توجب سكون النفس ما لا توجبه رواية غيرهم .

قلت : كلامه موهم أن أخبار الغدير ، و أخبار المنزلة ، و أخبار البراءة ،

و أخبار المناجاة ، و أخبار خبير ، و أخبار ابتداء الدعوة لم يروها أئمة حديثهم ،

و هو مغالطة منه . فكما رووا ما قال رووا تلك ، و إنما الإمامية احتجوا بها على إمامته عليه السلام ، و إذا لم تكن تلك دالة لم يكن ما استدلل به على وجود الصانع ،

و على نبوة النبي صلى الله عليه و آله و سلم أيضا دالا .

و كيف كان ، فنقل أربعة و عشرين حديثا من أبي نعيم ، و أحمد بن حنبل ،

و غيرهما ، و تقتصر على نقل ماله مزيد ربط بالعنوان ، مثل ثانيها : قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم لو فد تقيف : لتسلمن أو لأبعثن إليكم رجلا مني أو قال عديل نفسي فليضربن أعناقكم .

و مثل ثامنها : قال النبي صلى الله عليه و آله : أنا أول من يدعى به يوم القيامة إلى أن

الصفحة ٢٩٠

قال ثم يدعى بعليّ بن أبي طالب لقرابته منّي و منزلته عندي ، و يدفع إليه لوائيّ لواء الحمد ، آدم و من دونه تحت ذلك اللواء . ثمّ قال لعليّ عليه السّلام : فتسير به حتى تقف بيني و بين إبراهيم الخليل ، ثمّ يكسى حلّة و ينادي مناد من العرش : نعم الأب أبوك إبراهيم ، و نعم الأخ أخوك عليّ ، أبشر فإنك تدعى إذا دعيت ، و تكسى إذا كسيت ، و تحيي إذا حييت .

و مثل تاسعها : قال النّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ لِأَنَسٍ : أوّل من يدخل عليك من هذا الباب إمام المتّقين ، و يعسوب الدّين ، و خاتم الوصيّين ، و قائد الغرّ المحجلّين . فقلت :

اللّهم اجعله رجلاً من الأنصار ، فجاء عليّ ، فقال النّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ : من جاء ؟ فقلت :

عليّ . فقام إليه مستبشراً فاعتنقه ، ثمّ جعل يمسح عرق وجهه ، فقال : يا رسول الله لقد رأيت منك اليوم تصنع بي شيئاً ما صنعته بي قبل ؟ قال : و ما يمنعني و أنت تؤدي عنيّ ، و تسمعهم صوتي ، و تبين لهم ما اختلفوا من بعدي ؟

و مثل عاشرها : قال النّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ : ادعوا لي سيّد العرب عليّاً . فقالت عائشة : ألسنت سيّد العرب ؟ فقال : أنا سيّد ولد آدم ، و عليّ سيّد العرب . فلمّا جاء أرسل إلى الأنصار فأتوه ، فقال لهم : يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلّوا أبداً ؟ قالوا : بلى . قال : هذا عليّ فأحبّوه بحبّي ، و أكرموا بكرامتي ، فإنّ جبرئيل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عزّ و جلّ .

و مثل ثاني عشرها : قال النّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ : من سرّه أن يحيي حياتي و يموت مماتي ، و يسكن جنّة عدن التي غرسها ربّي ، فليوال عليّاً من بعدي ، و ليوال وليّه ، و ليقتد بالأئمّة من بعدي ، فإنّهم عترتي خلقوا من طينتي ، و رزقوا فهما و علما ، فويل للمكذّبين لهم من امتي القاطعين فيهم صلتني ، لا أنا لهم الله شفاعتي .

و مثل ثالث عشرها : في قصّة أخذه عليه السّلام جارية من سبي اليمن ، قال النّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ : دعوا لي عليّاً يكررها إنّ عليّاً منّي و أنا من عليّ ، و إنّ حظّه في

الصفحة ٢٩١

الخمسة أكثر ممّا أخذ ، و هو وليّ كلّ مؤمن من بعدي .

و مثل رابع عشرها : قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله : كنت أنا و عليّ نورا بين يديّ الله عزّ و جلّ قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام إلى أن قال حتّى صرنا في عبد المطلب فكان لي النبوة ، و لعليّ الوصية .

و مثل سادس عشرها : في قصة استقائه ليلة بدر ، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ :

فأوحى الله إلى جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل : أن تأهبوا لنصر محمد و أخيه و حزبه . فهبطوا من السماء لهم لفظ يذعر من يسمعه ، فلما حاذوا البئر سلّموا عليه من عند آخرهم إكراما له و إجلالا ، و قال : لتوتينّ يا عليّ يوم القيامة بناقة من نوق الجنة فتركبها ، و ركبتك مع ركبتي ، و فخذك مع فخذني حتّى تدخل الجنة .

و مثل عشرينها : كانت لجماعة من الصحابة أبواب شارعة في مسجد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله ، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله يوما : سدّوا كلّ باب في المسجد إلّا باب عليّ .

فسدّت ، فقال في ذلك قوم حتّى بلغ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فقام فيهم ، فقال : إنّ قوما قالوا في سدّ الأبواب ، و تركي باب عليّ ، إنّي ما سدّدت و لا فتحت ، و لكنّي امرت بأمر فاتّبعته .

و مثل الحادي و عشرينها : دعا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله عليّا عليه السّلام في غزاة الطائف ،

فانتجاه و أطال نجواه حتّى كره ذلك قوم من الصحابة ، فقال قائل منهم : لقد طال نجوى ابن عمه . فبلغه ذلك ، فجمع منهم قوما ثمّ قال : إنّ قائلا قال : لقد أطال اليوم نجوى ابن عمّه ، أما إنّي ما انتجيتّه ، و لكنّ الله انتجاه .

و مثل الثالث و عشرينها : في تزويجه ، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله لفاطمة عليها السّلام : ألا تعلمين أنّ الله اطلع إلى الأرض فاختار منها أباك ؟ ثمّ اطلع إليها ثانية فاختار منها بعلك ؟

الصفحة ٢٩٢

و مثل الرابع و عشرينها : عن الثعلبي لما نزل إذا جاء نصر الله . . . ١ بعد انصرافه من غزاة حنين جعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله يكثر « سبحان الله » و « استغفر الله » ، ثمّ قال : يا عليّ إنّه قد جاء ما وعدت به : جاء الفتح و دخل الناس في دين الله أفواجا ، و إنّه ليس أحد أحقّ منك بمقامي لقدمك في الإسلام ، و قربك منّي ،

و صهرك ، و عندك سيّدة نساء العالمين ، و قبل ذلك ما كان من بلاء أبي طالب عندي حين نزل القرآن ، فأنا حريص على أن اراعي ذلك لولده .

قال ابن أبي الحديد بعد نقل تلك الأخبار : و اعلم أننا ذكرنا هذه الأخبار هاهنا ، لأنّ كثيرا من المنحرفين عنه عليه السلام إذا مرّوا على كلامه في نهج البلاغة أو غيره المتضمّن للتحدّث بنعمة الله عليه من اختصاصه بالرّسول صلّى الله عليه وآله و تميزه إياه عن غيره ينسبونه فيه إلى التّيه و الزّهو و الفخر ، و لقد سبقهم بذلك قوم من الصّحابة ، قيل لعمر : ولّ علينا أمر الجيش و الحرب .

فقال : هو أتية من ذلك . و قال زيد بن ثابت : ما رأينا أزهى من عليّ و اسامة .

فأردنا بإيراد هذه الأخبار عند تفسير قوله عليه السلام : « نحن الشّعار و الأصحاب ،

و نحن الخزنة و الأبواب » أن ننّبّه على عظيم منزلته عند الرّسول صلّى الله عليه وآله و سلم ، و أنّ من قيل في حقّه ما قيل لو رقى إلى السّماء ، و عرج في الهواء ، و فخر على الملائكة و الأنبياء تعظّما و تبجّحا لم يكن ملوما ، بل كان بذلك جديرا ، فكيف و هو عليه السلام لم يسلك قط مسلك التعظّم و التكبّر في شيء من أقواله ، و لا من أفعاله ؟ و كان ألطف البشر خلقا ، و أكرمهم طبعا ، و أشدّهم تواضعا ، و أكثرهم احتمالا ، و أحسنهم بشرا ، و أطلقهم وجها حتّى نسبه من نسبه إلى الدعابة و المزاح ، و هما خلقان ينافيان التكبّر و الاستطالة ، و إنّ ما كان يذكره أحيانا ما يذكره من هذا النوع نفثة مصدر ، و شكوى مكروب ، و تنفس مهموم ، و لا

(١) النصر : ١ .

الصفحة ٢٩٣

يقصد به إذا ذكره إلاّ شكر النّعمة و تنبيه الغافل على ما خصّه الله به من الفضيلة ، فإنّ ذلك من باب الأمر بالمعروف ، و الحض على اعتقاد الحقّ ،

و الصّواب في أمره ، و النّهي عن المنكر الذي هو تقديم غيره عليه في الفضل ،

فقد نهى الله سبحانه عن ذلك ، فقال : . . . أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتبع أمّن لا يهدي إلاّ أن يهدى فما لكم كيف تحكمون ١ .

قلت : الأمر كما ذكر ، إلا أن لازمه ضلال المتقدمين عليه ، لا مجرد عدم أفضليتهم .

« و لا تؤتى البيوت إلا من أبوابها ، فمن أتاها من غير أبوابها سمّي سارقا » ننشد إخواننا السنّة بعد نقلهم ما قال النبي صلى الله عليه و آله فيه عليه السلام مع جعلهم المتقدمين عليه وسائط بينهم و بين النبي صلى الله عليه و آله : هل هم إلا سراق أتوا البيوت من غير أبوابها ؟ و هل أتى البيوت من أبوابها إلا شيعته عليه السلام الذين لم يسلكوا غير مسلكه ؟ و ما فعله إخواننا من الجمع بينه و بين المتقدمين ، هل هو إلا الجمع بين الضدين ، و القول باجتماع النقيضين ؟ فلو كان المتقدمون عليه على شيء ، كان الامويون و أتباعهم في توليهم للمتقدمين عليه ، و تبرئهم منه عليه السلام ،

و سبهم له أقرب إلى الصواب منهم ، لأنهم ما خالفوا بداهة العقول في الجمع بين الأضداد ، كالقول بالتوحيد و بالأنداد ، و قد أجمعوا على الرواية عن أبي ذر الذي اجمع على أنه ما أقلت الغبراء ، و لا أظلت الخضراء على أصدق لهجة منه ٢ أنه أخذ بحلقة باب الكعبة ، و قال : « أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، و من أنكرني فأنا أبو ذر ، سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول : إنما مثل أهل بيتي

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٤٢٩ ٤٣١ ، و الآية ٣٥ من سورة يونس .

(٢) أخرج حديث النبي صلى الله عليه و آله : « ما أقلت الغبراء و لا أظلت الخضراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر » ابن ماجه في سننه ١ : ٥٥ ح ١٥٦ ، و الترمذي في سننه ٥ : ٦٦٩ ح ٣٠٨١ ، و أحمد بثلاث طرق في مسنده ٢ : ١٦٣ ، ١٧٥ ، ٢٢٣ ، و غيرهم عن عبد الله بن عمرو ، و في الباب عن علي عليه السلام و أبي ذر و أبي الدرداء و غيرهم .

الصفحة ٢٩٤

فيكم مثل سفينة نوح ، من دخلها نجا ، و من تخلف عنها هلك » ١ . و قد أجمعوا أيضا على أنه صلى الله عليه و آله و سلم قال : « تفرق امتي على ثلاث و سبعين فرقة : إحداها في الجنة ، و الباقية في النار » ٢ ، فيتشكّل منهما صغرى و كبرى ، نتیجتها أنّ الشيعة فقط أهل النّجاة .

هذا ، و الأصل في قوله عليه السلام : « و لا تؤتى البيوت إلا من أبوابها . . . » قوله تعالى : . . . و ليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها و لكنّ البرّ من أتى و اتوا البيوت من أبوابها . . . ٣ .

و ننشدهم : أن بعد قول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ : « أنا مدينة العلم و عليّ بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب » ٤ هل يكون الأخذ بقول غيره إلاّ أخذاً عن غير النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ، أم لا ؟

١٨

من الخطبه (١٥٢) أيضا بعد ما مرّ منها :

فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ وَ هُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ إِنِ نَطَقُوا صِدْقًا وَ إِنِ صَمَتُوا لَمْ يُسْبِقُوا « فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ » من كرائم القرآن التي نزل فيهم عليهم السلام :

- (١) أخرجه أبو يعلى و البزار بطريقتين في مسنديهما عنهما المطالب العالية ٤ : ٧٥ ح ٤٠٠٣ ، ٤٠٠٤ ، و الصدوق في كمال الدين : ٢٣٩ ح ٥٩ ، و غيرهم .
- (٢) سنن أبي داود ٤ : ١٩٨ ح ٤٥٩٧ ، و سنن الترمذي ٥ : ٢٥ ، و ٢٦ ح ٢٦٤٠ ، ٢٦٤١ ، و سنن ابن ماجه ٢ : ١٣٢٢ ح ٣٩٩٢ ، و سنن الدارمي ٢ : ٢٤١ ، و مسند أحمد ٢ : ٣٣٢ ، و ٤ : ١٠٢ ، و غيرهم .
- (٣) البقرة : ١٨٩ .
- (٤) هذا حيث مشهور ، أخرجه بهذا اللفظ الحاكم بطريقتين في المستدرک ، و الطبراني في معجمه الكبير ، و ابن عدي بطريقتين في الكامل و العقبلي في الضعفاء عنهم الجامع الصغير ١ : ١٠٨ ، و غيرهم .

الصفحة ٢٩٥

- ١ . . . إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يَطَهِّرَكُم تَطْهِيرًا ١ .
- ٢ . . . فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنفُسَنَا وَ أَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ٢ .
- ٣ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ . وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ٣ .
- ٤ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا . . . ٤ .
- ٥ . . . قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى . . . ٥ .

٦ . . . أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و اولي الأمر منكم . . . ٦ .

٧ . . . و لو ردّوه إلى الرسول و إلى اولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم . . . ٧ .

٨ بل هو آيات بيّنات في صدور الذين اوتوا العلم . . . ٨ .

٩ شهد الله أنه لا إله إلا هو و الملائكة و اولو العلم . . . ٩ .

(١) الاحزاب : ٣٣ .

(٢) آل عمران : ٦١ .

(٣) المائدة : ٥٦ ٥٥ .

(٤) فاطر : ٣٢ .

(٥) الشورى : ٢٣ .

(٦) النساء : ٥٩ .

(٧) النساء : ٨٣ .

(٨) العنكبوت : ٤٩ .

(٩) آل عمران : ١٨ .

الصفحة ٢٩٦

١٠ . . . فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ١ .

١١ . . . فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون ٢ . . . ٢ .

١٢ إنّ الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا . . . إنّ هذا كان لكم جزاء و كان سعيكم مشكورا ٣ .

قال الكنجي الشافعي بعد ذكر أخبار من طرقهم في نزول آيات (هل أتى) فيهم عليهم السلام : سمعت بمكة من شيخ الحرم بشير التبريزي في تفسير و يطعمون الطعام على حبه مسكينا و يتيما و أسيرا ٤ : أنّ السائل الأوّل كان جبرئيل ، و الثاني ميكائيل ، و الثالث إسرافيل ٥ .

و روى نصر بن مزاحم في (صفين) : أن معاوية بن صعصعة بن أخي الأحنف كتب مع كتاب عمه إلى قومه في دعوتهم إلى نصره أمير المؤمنين عليه السلام :

و إن علياً خير حاف و ناعل
فلا تمنعوه اليوم جهدا و لا جدًا

إلى أن قال :

و من نزلت فيه ثلاثون آية
تسميه فيها مؤمنا مخلصا فردا

سوى موجبات جنن فيه و غيرها
بها أوجب الله الولاية و الودًا ٦

و روت العامة و الخاصة عن أمير المؤمنين عليه السلام ، قال : نزل القرآن أربعا : ربع فينا ، و ربع في عدونا ، و ربع سنن و أمثال ، و ربع

(١) النحل : ٤٣ .

(٢) التوبة : ١٠٥ .

(٣) الإنسان : ٢٢٥ .

(٤) الإنسان : ٨ .

(٥) كفاية الطالب للكنجي : ٢٠٥ ، و النقل بتصريف .

(٦) وقعة صفين لابن مزاحم : ٢٦ ، و النقل بتقطيع .

الصفحة ٢٩٧

فرائض و أحكام ، و لنا كرائم القرآن ١ .

هذا ، و نقل ابن أبي الحديد و ابن ميثم ٢ بدل « القرآن » : « الإيمان » ، و فسره الأوّل بالنوافل ٣ ، و الثاني بالأخلاق الفاضلة ٤ .

« و هم كنوز الرّحمن » قال أبو جعفر عليه السّلام : و الله إنّ لخزان الله في سمائه و أرضه ، لا على ذهب و لا على فضة إلاّ على علمه ٥ .

« إن نطقوا صدقوا » لأنّ الصادق الكامل من اتّصف بصفات وردت في قوله عزّ و جلّ : . . . و لكنّ البرّ من آمن بالله و اليوم الآخر و الملائكة و الكتاب و النبيّين و أتى المال على حبّه ذوي القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل و السائلين و في الرقاب و أقام الصلاة و أتى الزكاة و الموفون بعهدهم إذا عاهدوا و الصابرين في البأساء و الضراء و حين البأس فقال تعالى :

اولئك الذين صدقوا و اولئك هم المتّقون ٦ . و كانوا مستجمعين لجمعها .

و أما تلقيبهم لأوّل بالصديق فمجرد اسم كلقباء العباسيين ، فلم يكن كصاحبه من الصّابرين حين البأس يوم خيبر ، فضلا عن عريه عن باقي الصّقات .

« و إن صمتوا لم يسبقوا » في (المناقب) : سأل المتوكّل ابن الجهم : من

-
- (١) رواه شرف الدين في كنز جامع الفوائد عنه البحار ٢٤ : ٤٠٥ ح ١ ، و الفرات بطرق في تفسيره : ١ ، ٢ ، ٨٩ ، و العياشي في تفسيره ١ : ٩ ح ١ ، و غيرهم .
- (٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٤٣٢ ، و شرح ابن ميثم ٣ : ٢٤٩ في متن الخطبة : « القرآن » ، لكن عند الشرح : « الايمان » .
- (٣) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٤٣٢ .
- (٤) شرح ابن ميثم ٣ : ٢٤٩ .
- (٥) الكافي للكليني ١ : ١٩٢ ح ٢ ، البصائر للصفار : ١٢٤ ح ٣ .
- (٦) البقرة : ١٧٧ .

الصفحة ٢٩٨

أشعر النّاس ؟ فذكر شعراء الجاهلية و الإسلام ، ثمّ سأل الهادي عليه السّلام ، فقال :

أشعرهم الجماني حيث يقول :

لقد فاخرتنا من قریش عصابة
بمدّ خدود و امتداد أصابع

فلما تناز عنا المقال قضى لنا
عليهم بما تهوى نداء الصوامع

ترانا سكوتا و الشهيد بفضلنا
عليهم جهير الصوت في كل جامع

فإن رسول الله أحمد جدنا
و نحن بنوه كالنجوم الطوالع

قال المتوكّل : و ما نداء الصوامع ؟ قال : « أشهد ألا إله إلا الله ، و أشهد أن محمّدا رسول الله » محمّد
جدّي أم جدك ؟ فضحك المتوكّل ثمّ قال : هو جدك ، لا ندفعك عنه ١ .

١٩

الحكمة (١٠٩) و قال عليه السّلام :

نَحْنُ النَّمْرُقَةُ الْوَسْطَى بِهَا يَلْحَقُ النَّالِي وَ إِلَيْهَا يَرْجِعُ الْغَالِي أَقُولُ : رواه (تحف العقول) هكذا : إذا سمعتم
من حديثنا ما لا تعرفونه ،

فردّوه إلينا وقفوا عنده ، و سلّموا إذا تبين لكم الحقّ ، و لا تكونوا مذاييع عجلي ،

فالينا يرجع الغالي ، و بنا يلحق المقصر . من تمسك بنا لحق ، و من تخلف عنا محق ، من أتبع أمرنا لحق
، و من سلك غير طريقنا سحق . لمحبينا أفواج من رحمة الله ، و لمبغضينا أفواج من سخط الله . طريقنا
القصد ، و أمرنا الرشد ٢ .

« نحن النمرقة الوسطى » في (القاموس) : النمرق و النمرقة مثلثة :

الوسادة الصغيرة أو الميثرة أو الطنفسة فوق الرّحل . ثمّ قال : و النمرقة

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٤ : ٤٠٦ .

(٢) تحف العقول لابن شعبة : ١١٦ ضمن وصايا الأربعمائة .

الصفحة ٢٩٩

بالكسر من السحاب : ما كان بينه فتوق ١ .

و في (الأساس) : و نمارق مصفوفة : و سائد ، و قال أوس :

إذا ناقة شدت برحل و نمرق

إلى حكم بعدي فضل ضلالها ٢

و الوسطى في كلامه عليه السلام : نظير (الأوسط) في كلام النبي صلى الله عليه و آله : خير الامور أوسطها . بقريئة قوله عليه السلام بعد : بها يلحق التالي ، و إليها يرجع الغالي .

و احتمال (ابن أبي الحديد) ٣ كون الوسطى بمعنى : الفضلى ، في غير محلّه ، و إنما (الفضلى) حكمه لا معناه . فقد عرفت أنه عليه السلام قال : إن أوسط الامور خيرها و أفضلها .

كانوا عليهم السلام على حدّ الوسط في امورهم ، مجانيين عن التفریط و الإفراط ، كما قال تعالى : و الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا و كان بين ذلك قواما ٤ .

روى (الكافي) عن الوليد بن صبيح قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فجاء سائل ، فأعطاه ، ثمّ جاء آخر ، فأعطاه ، ثمّ جاء آخر ، فقال : يوسع الله عليك . ثمّ قال : إن رجلا لو كان له مال يبلغ ثلاثين أو أربعين ألف درهم ، ثمّ شاء ألا يبقى منها إلاّ وضعها في حق لفعل ، فيبقى لا مال له ، فيكون من الثلاثة الذين يرد دعاؤهم . قلت : من هم ؟ قال : أحدهم : رجل كان له مال فأنفقه في وجهه . ثمّ قال :

يا ربّ ارزقني . . . ٥ .

و روى عن عجلان قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فجاء سائل ، فقام إلى

(١) القاموس المحيط ٣ : ٢٨٦ مادة (نمرق) .

(٢) أساس البلاغة : ٤٧٣ مادة (نمرق) .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٤ : ٢٨٩ .

(٤) الفرقان : ٦٧ .

(٥) الكافي للكليبي ٢ : ٥١٠ ح ١ .

الصفحة ٣٠٠

مكتل فيه تمر ، فملاً يده فناوله ، ثم جاء آخر فسأله ، فقام فأخذ بيده فناوله ، ثم جاء آخر فسأله ، فقام فأخذه بيده فناوله ، ثم جاء آخر ، فقال : الله رازقنا و إياك .

ثم قال : إن النبي صلى الله عليه و آله كان لا يسأله أحد من الدنيا شيئاً إلا أعطاه ، فأرسلت إليه امرأة ابناً لها ، فقالت : انطلق إليه فاسأله ، فإن قال لك : ليس عندنا شيء فقل :

أعطني قميصك . قال : فأخذ قميصه ، فرمى به إليه ، فأدبه الله عزّ و جلّ على القصد ، فقال : و لا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك و لا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملوماً محسوراً ١ .

و ذكروا أن هارون لما قدم المدينة لقاها الكاظم عليه السلام على بغلة ، فاعترض عليه في ذلك . فقال : إنها تطأأت عن خيلاء الخيل ، و ارتفعت عن ذلة العير ،

و خير الامور أوسطها ٢ .

و ذكروا أن أبا حنيفة قال للصادق عليه السلام : عجب الناس منك أمس و أنت بعرفة تماكس بيدك أشدّ مكاس يكون فقال عليه السلام : و ما لله من الرضا أن اغبن في مالي ؟ فقال أبو حنيفة : لا و الله ، و ماله في هذا من الرضا قليل و لا كثير ، و ما نجيتك بشيء إلا جئتنا بما لا مخرج لنا منه ٣ .

« بها يلحق التالي » كان محمد بن المنكدر يقول : ما كنت أرى أن مثل علي بن الحسين عليهما السلام يدع خلفاً أفضل منه ، حتى رأيت ابنه محمد بن علي ، فأردت أن أعظه فوعظني . فقال له أصحابه : بأي شيء و عذك ؟ قال : خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة فلقيتهم و كان رجلاً بادننا ثقيلاً و هو منكىء على غلامين سوديين ، فقلت في نفسي : سبحان الله ، شيخ من أشياخ قریش في

(١) الكافي للكليبي ٤ : ٥٥ ح ٧ ، و الآية ٢٩ من سورة الاسراء .

(٢) المقاتل لأبي الفرج : ٣٣٣ ، و الارشاد للمفيد : ٢٩٧ .

(٣) الكافي للكليبي ٤ : ٥٤٦ ح ٣٠ .

هذه الساعة ، على هذه الحال في طلب الدنيا أما لأعظنه . فدنوت منه فسلمت عليه ، فردّ عليّ بنهر و هو يتصابّ عرقا ، فقلت : شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذا الحال في طلب الدنيا رأيت لو جاءك أجلك ، و أنت على هذه الحال ، ما كنت تصنع ؟ فقال : لو جاءني الموت و أنا على هذه الحال ، جاءني و أنا في طاعة من طاعات الله عزّ و جلّ ، أكفّ بها نفسي و عيالي عنك و عن الناس ،

و إنّما كنت أخاف أن يأتيني و أنا على معصية من معاصي الله . فقلت : صدقت برحمك الله ، أردت أن أعظك فوعظتني ١ .

و في (تاريخ اليعقوبي) ، في وقعة الحرّة : فكان الرّجل من قريش يؤتى به ، فيقال : بايع على أنك عبد قنّ ليزيد . فيقول : لا . فيضرب عنقه ، فأتاه عليّ بن الحسين عليهما السّلام ، فقال : علام يريد يزيد أن ابايحك ؟ قال : على أنك أخ و ابن عم .

فقال : و إن أردت أن ابايحك على أنّي عبد قنّ فعلت . فقال : ما أجشمك هذا . فلمّا أن رأى الناس إجابة عليّ بن الحسين قالوا : هذا ابن رسول الله يبايعه على ما يريد . فبايعوه على ما أراد ٢ .

« و إليها يرجع الغالي » دخل جابر الأنصاري على أبي جعفر الباقر عليه السّلام ،

فقال له : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت و الفقر أحبّ إليّ من الغنى ، و المرض أحبّ إليّ من الصّحة ، و الموت أحبّ إليّ من الحياة . فقال عليه السّلام : لكنّا أهل البيت ما أراد الله لنا من الفقر أو الغنى ، و المرض أو الصّحة ، و الموت أو الحياة هو أحبّ إلينا . فقال جابر : صدقت يا ابن رسول الله و صدق جدك ، أنت باقر العلوم ٣ .

(١) الارشاد للمفيد : ٢٦٣ ، و الفصول المهمة لابن الصباغ : ٢١٣ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٥١ .

(٣) لم أجده بهذا السياق ، نعم رويت هذه القصة بين الامام الحسن عليه السّلام و أبي ذر ، أخرجه ابن عساكر في ترجمة الحسن عليه السّلام : ١٥٨ ح ٢٧١ ، و رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١ : ٢٧٤ ، شرح الخطبة ٤٥ .

قوله عليه السلام في رواية (التحف) : « من تمسك بنا لحق » ١ ، في (الطبري) : قتل يوم الجمل من بني ذهل خمسة و ثلاثون رجلا ، فقال رجل لأخيه و هو يقاتل : يا أخي ما أحسن قتالنا إن كنا على حق ؟ قال : فإننا على الحق ، إن الناس أخذوا يميننا و شمالا ، و إنما تمسكنا بأهل بيت نبينا . فقاتلا حتى قتلا ٢ .

أيضا « و من تخلف عنا محق ، و من سلك غير طريقنا سحق » عن (أوائل أبي هلال العسكري) قام أبو الهيثم إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : كنت و الله احق قريش بشكر قريش ، نصرت نبيهم حيا ، و قضيت عنه الحقوق ميتا ، و الله ما بغيهم إلا على أنفسهم ، و لا نكثوا إلا ببيعة الله ٣ .

أيضا : « لمحبينا أنواع من رحمة الله . . . » ، روى (أمالي المفيد) عن الأصبغ قال : دخل الحارث الهمداني على أمير المؤمنين عليه السلام في نفر من الشيعة ، و كنت فيهم ، فجعل الحارث يتأود في مشيته ، و يخبط الأرض بمحجنه و كان مريضا فأقبل عليه أمير المؤمنين عليه السلام و كانت له منه منزلة فقال : كيف تجدك يا حارث ؟ فقال : نال الدهر مني ، و زادني أوارا و غليلا اختصام أصحابك ببابك . قال : و فيم خصومتهم ؟ قال : فيك و في الثلاثة قبلك ، فمن مفرط منهم غال ، و مقتصد ، و مبغض قال ، و متردد مرتاب ،

لا يدري أيقدم أم يحجم ؟ فقال : حسبك يا أبا همدان ، ألا إن خير شيعتي النمط الأوسط ، إليهم يرجع الغالي ، و بهم يلحق التالي . فقال الحارث :

فذاك أبي و امي لو كشفت الرين عن قلوبنا و جعلتنا في ذلك على بصيرة من أمرنا .

(١) تحف العقول : ١١٦ .

(٢) تاريخ الطبري ٣ : ٥٣٠ سنة ٣٦ .

(٣) نقله عن أوائل أبي هلال المجلسي في الفتن من البحار : ١٥٣ ضمن خطبة .

الصفحة ٣٠٣

قال عليه السلام : إن دين الله لا يعرف بالرجال ، بل بآية الحق ، فاعرف الحق تعرف أهله . يا حارث إن الحق أحسن الحديث ، و الصادع به مجاهد ، و بالحق أخبرك ، ثم خبر به من كان له حصافة من أصحابك . ألا إنني عبد الله ،

و أخو رسوله ، و صدّيقه الأوّل ، صدّفته و آدم بين الرّوح و الجسد ، ثمّ إنّي صدّيقة الأوّل في امتكم حقاً ، فنحن الأوّلون ، و نحن الآخرون ، و نحن خاصّته و خالصته ، و أنا صنوه ، و وصيّيه و وليّه ، و صاحب نجواه و سرّه ، اوتيت فهم الكتاب و فصل الخطاب ، و علم القرون و الأسباب ، و استودعت ألف مفتاح ، يفتح كلّ مفتاح ألف باب ، يفضي كلّ باب إلى ألف ألف عهد ، و امددت بليلة القدر نفلا ، و أنّ ذلك يجري لي و لمن استحفظ من ذريّتي ما جرى الليل و النّهار ،

حتّى يرث الله الأرض و من عليها ، و ابشرك يا حارث تعرفني عند الممات ، و عند الصّراط ، و عند الحوض ، و عند المقاسمة . قال الحارث : و ما المقاسمة ؟ قال :

مقاسمة النّار ، اقسامها قسمة صحيحة ، أقول : هذا وليّ فاتركيه ، و هذا عدوي فخذيه .

قال : ثمّ أخذ عليه السّلام بيد الحارث ، و قال : أخذت بيدك كما أخذ رسول الله بيدي و قال لي و قد شكوت إليه حسد قريش و المنافقين لي : إنّه إذا كان يوم القيامة أخذت بحبل الله و بحجزته ، و أخذت أنت يا عليّ بحجزتي ، و أخذ ذريّتك بحجزتك ، و أخذت شيعتكم بحجزتكم ، فما ذا يصنع الله بنبيّه ؟ و ماذا يصنع نبيّه بوصيّيه ؟ خذها إليك يا حارث قصيرة من طويلة : أنت مع من أحببت ، و لك ما اكتسبت يقولها ثلاثاً . فقام الحارث يجرّ رداءه ، و هو يقول : ما ابالي بعدها متى لقيت الموت أو لقيني ١ .

(١) أمالي المفيد : ٣ ح ٣ المجلس ١ ، و غيره ، و قد مرّ تخريجه في العنوان ٤ من هذا الفصل ، و النقل بتصريف يسير .

الحكمة (٢١) و قال عليه السّلام :

لَنَا حَقٌّ فَإِنْ أُعْطِينَاهُ وَ إِلَّا رَكِبْنَا أَعْجَازَ الْإِبِلِ وَ إِنْ طَالَ السَّرَى « و هذا القول من لطيف الكلام و فصيحِهِ ، وَ مَعْنَاهُ : أَنَا إِنْ لَمْ نَعْطُ حَقَّنَا كُنَّا أَذْلَاءً ، وَ ذَلِكَ أَنَّ الرَّدِيفَ يَرْكَبُ عَجْزَ الْبَعِيرِ ، كَالْعَبْدِ وَ الْأَسِيرِ وَ مَنْ يَجْرِي مَجْرَاهُمَا » .

أقول : روى الطبري : أنه عليه السّلام تكلم بذلك يوم الشورى مع زيادة هكذا :

« الحمد لله الذي بعث محمدًا صَلَّى اللهُ عليه و آله منَّا نبيًّا ، و بعثه إلينا رسولًا ، فنحن بيت النبوة ، و معدن الحكمة ، و أمان أهل الأرض ، و نجاة لمن طلب ، لنا حقٌّ إن نعطه نأخذه ، و إن نمنعه نركب أعجاز الإبل ، و لو طال السرى ، لو عهد إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله عهدًا لأنفذنا عهده ، و لو قال لنا قولًا لجادلنا عليه حتى نموت . لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حق و صلة رحم ، و لا حول و لا قوة إلا بالله . اسمعوا كلامي ،

وعوا منطقي عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا المجمع ، تنتضي فيه السيوف و تخان فيه العهود » ١ .

و رواه (غريب) ابن قتيبة إلى قوله : « و صلة رحم » . و بعده : « و الأمر إليك يا ابن عوف على صدق اليقين و جهد النصح . استغفر الله لي و لكم » ٢ .

قال ابن أبي الحديد : هذا الكلام تزعم الإمامية أنه قاله يوم السقيفة أو في تلك الأيام ، و يذهب أصحابنا إلى أنه قاله يوم الشورى ٣ .

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٣٠٠ سنة ٢٤ .

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة ٢ : ١٣٩ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٤ : ٢٥٢ .

الصفحة ٣٠٥

قلت : كون ذلك الكلام قاله عليه السلام يوم السقيفة أو يوم الشورى ليس بمذهب ، حتى يفصل بين أصحابه و الإمامية ، و إنما في مثله يرجع إلى مستنده ، و في مستنده صرح بوروده يوم الشورى كما عرفته من الطبري ،

و نقله هو عن أبي عبيد في الجمع بين غريبه ١ ، و نقله ابن ميثم عن القتيبي في (غريبه) ، و الأزهرى في (تهذيبه) ٢ ، و لعلّه رأى ذلك في كلام الراوندي قاله حدسا ، فنسبه إلى الإمامية ٣ ، و هذا ابن شهر آشوب أحد علماء الإمامية صرح بأنه عليه السلام قال هذا الكلام لابن عوف يوم الشورى ٤ .

ثمّ كونه يوم الشورى لا يثبت له إضاءه عليه السلام يوم السقيفة . فقد قال عليه السلام ذلك اليوم أقوالاً أشدّ من هذا ، كما تقف عليه في محله .

« لنا حقٌّ فإن اعطيناه » روى الطبري في (ذيله) عن المنهال بن عمرو قال :

دخلت على علي بن الحسين عليه السلام فقلت : كيف أصبحت أصلحك الله ؟ قال : ما كنت أرى أن شيخا من أهل مصر مثلك لا يدري كيف أصبحنا ؟ فأما إذا لم تدرا ، فساخبرك : أصبحنا في قومنا بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون إذ كانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ، و أصبح شيخنا و سيدنا يتقرب إلى عدونا بشفتمه و سبّه على المنابر إلى أن قال فلئن كانت العرب صدقت أن لها فضلا على العجم ، و صدقت قريش أن لها الفضل على العرب ، لأن محمدا منها ، فلقد فأصبحوا يأخذون بحقنا و لا يعرفون لنا حقا ، فهكذا أصبحنا إذا لم

(١) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٤ : ٢٥٢ .

(٢) نقله عن ابن قتيبة و الأزهرى ابن ميثم في شرحه ٥ : ٢٤٩ ، و الراوندي في شرحه ٣ : ٢٧٠ ، و الظاهر أخذ ابن ميثم عن الراوندي .

(٣) لم يتعرض الراوندي في شرحه ٣ : ٢٧٠ إلى ذلك ، و ظنّ الشارح لا مورد له .

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ١ : ٢٧٤ .

الصفحة ٣٠٦

تعلم كيف أصبحنا ؟ قال : فظننت أنه أراد أن يسمع من في البيت ١ .

و في (تاريخ بغداد) : توفي محمد بن جعفر الصادق بخراسان فركب المأمون لشهوده ، فلما نظر إلى السرير نزل فترجل ، و رفع عن تراقيه ، ثم دخل بين العمودين فلم يزل بينهما حتى وضع ، و تقدّم فصلّي عليه ، ثم حمله حتى بلغ به القبر ، ثم دخل قبره ، فلم يزل فيه حتى بني عليه ، ثم خرج فقام على القبر و هو يدق ، فقال له عبد الله بن الحسن : إنك قد تعبت فلو ركبت . فقال له المأمون :

إن هذه رحم قطعت من مائتي سنة . قال الحسن بن محمد بن يحيى : قال جدّي :

و روى في هذا الحديث أنه قال : هذا حقّ ضيّع من مائتي سنة ٢ .

قلت : أي من يوم وفاة النبي صلى الله عليه و آله .

« و إلّا ركبنا أعجاز الإبل و إن طال السرى » قد عرفت المراد منه من بيان الرضي رضوان الله عليه .

هذا ، و في السّير : دخل أبو بجيلة الشّاعر على السّفاح ، فقال له : أفتأذن لي في إنشادك ؟ فقال له : لعنك الله ألسّت القائل في مسلمة بن عبد الملك :

أ مسلم إنّي يابن كلّ خليفة
و يا فارس الهيجا و يا جبل الأرض

شكرتك إنّ الشكر حبل من النّقى
و ما كلّ من أوليته نعمة يقضي

و أحبيت لي ذكري و ما كان خاملا
و لكنّ بعض الذكر أنبه من بعض

قال : فأنا الذي أقول :

لما رأينا استمسكت يداكا
كنّا اناسا نرهب الملاكا

و نركب الأعجاز و الأوراكا
من كلّ شيء ما خلا الاثراكا

و كلّ ما قلته في سواكا
زور و قد كفرّ هذا ذاك

(١) منتخب ذيل المذيل للطبري : ١٢٠ .

(٢) تاريخ بغداد للخطيب ٢ : ١١٥ ، و النقل بتلخيص .

و ما عن رضى كان الحمار مطيتي
و لكنّ من يمشي سيرضى بما ركب

و في الأمثال : ركب في الطلب أعجاز الإبل .

هذا ، و عبّر عليه السّلام يوم الشورى عن حاله بعد أخذ حقه استعارة بما مر ،

و أوضح المراد في أوّل انتقال الأمر إليه عليه السّلام ، فروى المدائني عن عبد الله بن جنادة : أنّه عليه السّلام خطب يومئذ . فقال : أمّا بعد ، فإنّه لما قبض الله نبيّه صلى الله عليه و آله قلنا :

نحن أهله و وراثته و عترته و أولياؤه دون الناس ، لا ينازعنا سلطانه أحد ، و لا يطمع في حقنا طامع ، إذ انبرى لنا قومنا ، فغصبونا سلطان نبينا . فصارت الإمرة لغيرنا ، و صرنا سوقة يطمع فينا الضعيف و يتعزّز علينا الذليل ، فبكت الأعين منّا لذلك ، و خشنت الصدور ، و جزعت النفوس ، و ايم الله لو لا مخافة الفرقة بين المسلمين ، و أن يعود الكفر ، و يبور الدين لكنّا على غير ما كنّا لهم . . . ١

٢١

الحكمة (١١١) و قال عليه السّلام و قد توفّي سهل بن حنيف الأنصاريّ بالكوفة بعد مرجعه من صفين معه ، و كان أحبّ الناس إليه :

لَوْ أَحَبَّنِي جَبَلٌ لَتَهَافَتَ وَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْمَحَنَةَ تَغْلُظُ عَلَيْهِ فَتَسْرِعُ الْمَصَائِبُ إِلَيْهِ وَ لَا يُفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا بِالتَّقِيَاءِ
الْأَبْرَارِ وَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ : وَ هَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ ع : مَنْ أَحَبَّنَا ؟ أَهْلَ الْبَيْتِ ؟ فَلَيْسَتْ عَدَّ لِلْفَقْرِ جِلْبَابًا

(١) نقله عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ١ : ١٠١ .

الصفحة ٣٠٨

وَ قَدْ يُؤَوَّلُ ذَلِكَ عَلَى مَعْنَى آخَرَ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ أَقُولُ : الْقَوْلُ الْأَوَّلُ الْخَاصُّ بِسَهْلِ رَوَاهُ الْخَاصَّةُ فَقَطْ ، وَ الثَّانِي الْعَامُّ الْعَامَّةُ عَلَى مَا وَقَفْنَا .

أما الأول ففي (كتاب محمد بن مثنى الحضرمي) من الاصول الأربعمائة : عن جعفر بن محمد بن شريح ، عن ذريح المحاربي ، عن أبي عبد الله عليه السلام . و ذكر سهل بن حنيف ، فقال : كان من النقباء . فقلت له : من نقباء نبي الله الاثني عشر ؟ فقال : نعم كان من الذين اختيروا من السبعين . فقلت له :

كفلاء على قومهم ؟ فقال : نعم ، إنهم رجعوا و فيهم دم ، فاستنظروا النبي صلى الله عليه و آله إلى قابل ، فرجعوا ففرغوا من دمهم ، فاصطلحوا ، و أقبل النبي صلى الله عليه و آله معهم .

و ذكر سهلا ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : ما سبقه أحد من قريش ، و لا من الناس بمنقبة . و أثنى عليه ، و قال : لما مات جزع أمير المؤمنين عليه السلام جزعا شديدا ،

و صلى عليه خمس صلوات ، و قال : لو كان معي جبل لارفض^١ .

و أما الثاني فرواه ابن قتيبة و أبو عبيد^٢ .

قول المصنف : « و كان أحب^٣ » هكذا في (المصرية) ، و الصواب (من أحب) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب)^٣ .

« الناس إليه » و لذلك صلى عليه السلام عليه خمس صلوات ، كما عرفت من خبر كتاب محمد بن المثنى ، كما صلى النبي صلى الله عليه و آله على عمه حمزة أربع عشرة صلاة .

« لو أحبني جبل لتهافت » أي : تساقط قطعة قطعة ، و قد عرفت ذكر الخبر

(١) رواه محمد بن مثنى الحضرمي في أصله : ٨٦ .

(٢) نقله عن غريب الحديث لابن قتيبة و أبي عبيد المرتضى في أماليه ١ : ١٣ المجلس ٢ .

(٣) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٤ : ٢٨٩ مثل المصرية ، و لفظ شرح ابن ميثم ٥ : ٢٩٨ : « كان من أحب » .

(٤) مرّ نقله في صدر هذا العنوان .

الصفحة ٣٠٩

بدل التهافت : « لأرفض^٤ ، و المعنى واحد ، ففي (الصحاح) : و كل متفرّق ذاهب مرفض . قال القطامي :

أخوك الذي لا يملك الحسّ نفسه

و ترفضّ عند المحفظات الكتائف ١

قول المصنّف : « معنى ذلك أنّ المحنة » أي : الامتحان .

« تغلظ عليه فتسرع المصائب إليه » في حديث الأربعمئة عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال : و الذي فلق الحبة و برأ النسمة ، للبلاء أسرع إلى المؤمن من أقدار السّيل من أعلى التّلة إلى أسفلها ، و من ركض البراذين ٢ .

« و لا يفعل ذلك إلاّ بالأتقياء الأبرار » فحيث إنّ الامور مقسومة من الله تعالى بين عباده ، فمن آتاه الله الآخرة لا يؤتاه الدنيا ، كما أنّ من آتاه الحداقة و الكمال لا يؤتاه الرّياسة و المال ، فذكروا أنّ المقتدر لمّا خلع و بويع ابن المعتزّ ،

أخبر الطبري بذلك ، فقال : فمن رشّح للوزارة ؟ قيل : ابن الجراح . قال : فمن ذكره للقضاء ؟ فقيل : ابن المنثى . فأطرق قليلا ، ثمّ قال : إنّ هذا أمر لا يتمّ ، و لا ينتظم .

قيل له : و كيف ؟ قال : كلّ واحد من هؤلاء الذين سمّى متقدّم في معناه على الرّتبة في أبناء جنسه ، و الزّمان مدبر و الدّنيا مولية ، و ما أرى هذا إلاّ إلى اضمحلال ، و لا يكون لمدته طول . فكان الأمر كما قال ٣ .

« و المصطفين الأخيار » في (تاريخ يعقوبي) قدم على عليّ عليه السّلام أبو مريم القرشي المكيّ و كان صديقا له فلمّا رآه قال : ما أقدمك يا أبا مريم ؟

قال : و الله ما جئت في حاجة ، و لكن عهدي بك قديم فأحببت أن أراك ، و لو اجتمع أهل الأرض عليك ، لأقمتهم على الطريق . فقال : يا أبا مريم و الله إنّني لصاحبك

(١) صحاح اللّغة ٣ : ١٠٧٩ مادة (رفض) .

(٢) رواه ضمن حديث الاربعمئة الصدوق في الخصال : ٦٢١ و ابن شعبة في تحف العقول : ١١١ .

(٣) روى هذا المعنى الطبري في تاريخه ٨ : ٢٥١ سنة ٢٩٦ ، و القرطبي في صلة تاريخ الطبري :

١٨ سنة ٢٩٦ .

الصفحة ٣١٠

الذي تعلم ، و لكنني منيت بشرار خلق الله إلا من رحم الله يدعوني فأبى عليهم ، ثم أجيبهم فيتفرقون عني ، و الدنيا محنة الصالحين ، جعلنا الله و إياك منهم ، و لو لا ما سمعت من حبيبي أنه يقول ، لضاق ذرعي غير هذا الضيق ،

سمعته يقول : الجهد و البلاء أسرع إلى من أحب الله و أحبتي من السيل إلى مجاريه ١ .

« و هذا مثل قوله عليه السلام : من أحبنا أهل البيت فليستعد للفقر جلبابا » و رواه أبو عبيد ، و ابن قتيبة في (غريبهما) هكذا : « من أحبنا أهل البيت فليعد للفقر جلبابا أو تجفافا » ٢ .

و في (الصحاح) : الجلباب : الملحفة ، قالت امرأة من هذيل ترثي قتيلا :

تمشي النسور إليه و هي لاهية

مشي العذارى عليهنّ الجلابيب ٣

و التجفاف : لبس الفرس .

روى الصقار عن الأصبغ قال : كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام ، فأتاه رجل فسلم عليه ، ثم قال له : إنني و الله لأحبك في الله ، و أحبك في السر كما أحبك في العلانية ، و أدين الله بولائتك في السر كما أدين بها في العلانية . و بيد أمير المؤمنين عليه السلام عود فتطأ رأسه ، ثم نكت بعوده في الأرض ساعة ، ثم رفع رأسه إليه فقال : إن النبي صلى الله عليه و آله حدثني بألف حديث لكل حديث ألف باب ، و أن أرواح المؤمنين تلتقي في الهواء فتشام ، فما تعارف منها ائتلف ، و ما تناكر منها اختلف ، و يحك لقد كذبت فما أعرف وجهك في الوجوه ، و لا اسمك في الأسماء . ثم دخل عليه آخر ، فقال له : إنني أحبك في الله ، و أحبك في السر كما

(١) تاريخ يعقوبي ٢ : ٢٠٥ .

(٢) رواه عنهما المرتضى في أماليه ١ : ١٣ المجلس ٢ .

(٣) صحاح اللغة ١ : ١٠١ مادة (جلب) .

أحبك في العلانية ، و أدين الله بولايتك في السر كما أدين الله بها في العلانية فنكت عليه السلام بعوده الثانية ثم رفع رأسه إليه ، فقال له : صدقت إن طينتنا طينة مخزونة أخذ الله ميثاقها من صلب آدم ، فلم يشذ منها شاذ ، و لا يدخل فيها داخل من غيرها ، اذهب و اتخذ للفقر جلبابا ، فإنني سمعت النبي صلى الله عليه و آله يقول : و الله الفقر أسرع إلى محبينا من السيل إلى بطن الوادي . و رواه (أمالي) الشيخ ١ .

و لكن روى (معاني الأخبار) : عن أحمد بن المبارك قال : إن رجلا قال للصادق عليه السلام : حديث يروى : أن رجلا قال لأمير المؤمنين عليه السلام : إنني أحبك . فقال له : أعد للفقر جلبابا . فقال : ليس هكذا قال ، إنما قال له : أعددت لفاقتك جلبابا .

يعني : يوم القيامة ٢ .

و يمكن الجمع بكون لفظ (الفقر) في خبر الصقار ، و خبر أبي عبيد ، و ابن قتيبة من وهم الراوي ، و الأصل : البلاء ، كما يشهد له خبر الأربعمائة المتقدم ،

و خبر أبي مريم المتقدم ، لكن روى (الاسد) : عن عثمة أن رجلا من الأنصار رأى بوجه النبي صلى الله عليه و آله أثر الجوع ، فأتى بيته فلم يجد فيه شيئا ، فأتى بني قريظة فأجر نفسه على كل دلو بتمرة ، حتى جمع حفنة أو كفا ثم رجع بالتمر فوضعه بين يدي النبي صلى الله عليه و آله ، فقال صلى الله عليه و آله له : إنني لأظنك تحب الله و رسوله ؟ قال : أجل و الذي بعثك بالحق ، لأنك أحب إلي من نفسي و ولدي و أهلي و مالي . قال : أما لا فاصطبر للفاقة ، و أعد للبلاء تجففا ، فو الذي بعثني بالحق لهي أسرع إلى من يحبني من هبوط الماء من رأس الجبل إلى أسفله ٣ .

« و قد يؤول » من التأويل .

(١) أخرجه الصفاري البصائر : ٤١١ ح ٢ ، و أبو علي الطوسي في أماليه ٢ : ٢٣ المجلس ١٤ .

(٢) معاني الأخبار للصدوق : ١٨٢ ح ١ .

(٣) اسد الغابة ٣ : ٣٨٧ .

« على معنى آخر ليس هذا موضع ذكره » الظاهر أنه أراد ما ذكره أبو عبيد ، فإنه قال : إنه عليه السلام لم يرد الفقر في الدنيا ، ألا ترى أن في من يحبهم مثل ما في سائر الناس من الغنى ؟ وإنما أراد الفقر يوم القيامة ، و أخرج الكلام مخرج الوعظ و النصيحة و الحث على الطاعات ، فكأنه أراد : من أحبنا فليعد لفقره يوم القيامة ما يجبره من الثواب ، و التقرب إلى الله تعالى و الزلفى عنده ١ .

قلت : ما ذكره أبو عبيد معنى صحيح ، إلا أن لفظ الخبر آب عن الحمل عليه ، و قد عرفت أن خبر (المعاني) ذكر ذلك المعنى ، و حكم بكون لفظه غير ذلك اللفظ ، و كونه بلفظ : « أعددت لفاقتك ، أي : في القيامة جنابا » . و لو فرض صحة الخبر فالظاهر معنى قاله ابن قتيبة ، و هو : أن من أحبنا فليصبر على التقلل من الدنيا ، و ليأخذ نفسه بالكف عن أعراضها ٢ .

و ذكر المرتضى في (غرره) قولهما ، و يمكن أن يكون في الخبر وجه ثالث ، هو : أن أحد وجوه معنى لفظة (الفقر) أن يحز أنف البعير حتى يخلص إلى العظم أو قريب منه ، ثم يلوى عليه حبل يذلل به الصعب . بعير مقفور به :

فعل به ذلك . فيحتمل على هذا أنه عليه السلام أراد : أن من أحبنا فليلزم نفسه ،

و ليحطمها و ليقدما إلى الطاعات ، و ليصرفها عما تميل إليه طباعها من الشهوات ، و ليذللها على الصبر على ما ذكرناه ، و مشقة ما اريد منها ، كما يفعل ذلك بالبعير الصعب . و هذا وجه ثالث في الخبر لم يذكر ٣ .

قلت : هو أيضا معنى بعيد خلاف المتبادر من اللفظ ، و كيف كان ، فروي عن أبي خليفة الفضل بن حباب الجمحي قال :

(١) أمالي المرتضى ١ : ١٣ المجلس ٢ ، و النقل بتلخيص .

(٢) أمالي المرتضى ١ : ١٣ المجلس ٢ ، و النقل بتلخيص .

(٣) قاله المرتضى في أماليه المسمى بالغرر و الدرر ١ : ١٣ ، و النقل بتصريف يسير .

قالا إذا كنت فاطميا

فاصبر على نكبة الزمان

و في السير : كتب الحسين عليه السلام إلى الأحنف يدعوهُ إلى نفسه ، فلم يردّ جوابا ، و قال : قد جربنا آل أبي الحسن ، فلم نجد عندهم إيالة للملك ، و لا جمعا للمال ، و لا مكيدة في الحرب ١ .

و في (عيون ابن قتيبة) : قال الشعبي : ما لقينا من آل أبي طالب ؟ إن أحببناهم قتلونا ، و إن أبغضناهم أدخلونا النار ٢ .

و قيل لابن عمر : إن الحسين عليه السلام توجه إلى العراق . فلحقه و ناشده الله أن يرجع فأبى ، فقال ابن عمر : أما إنني سأحدثك حديثا : إن جبرئيل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه و آله فخيرهُ بين الدنيا و الآخرة فاختر الآخرة . و أنكم بضعة من النبي صلى الله عليه و آله ، و الله ، لا تليها أنت و لا أحد من أهل بيتك ، و ما صرفها الله عنكم إلا لما هو خير لكم ٣ .

و في (مقاتل أبي الفرج) : في حديث سفيان بن أبي ليلى الذي قال للحسن عليه السلام : أدللت رقابنا حين أعطيت هذا الطاغية البيعة قال الحسن عليه السلام له : ما جاءنا بك يا سفيان ؟ قال : حبكم . فقال عليه السلام فأبشر يا سفيان ، فإنني سمعت عليا يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول : يرد علي الحوض أهل بيتي و من أحبهم من أمّتي كهاتين يعني : السبابتين أو كهاتين يعني : السبابة و الوسطى إحداهما تفضل على الأخرى . أبشر يا سفيان ، فإن الدنيا تسع البر و الفاجر ، حتى يبعث الله إمام الحق من آل محمد عليهم السلام ٤ .

(١) الفائق للزمخشري ١ : ٥٢ مادة (اول) ، بفرق يسير .

(٢) عيون الاخبار لابن قتيبة ١ : ٢١٢ .

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ١ : ٢١١ ، و النقل بتلخيص .

(٤) المقاتل أبي الفرج : ٤٤ .

الصفحة ٣١٤

ثم حبهم عليهم السلام من الفرائض و إن سموا محبيهم روافض ، و في (فواتح المييدي) روى الكشاف و الواحدي : أنه لما نزلت . . . قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى . . . ١ ، سألوا النبي صلى الله عليه و آله و سلم : امرنا بمحبة من ؟ فقال ثلاث مرّات : علي و فاطمة و ابناهما ٢ .

و روى الترمذي عن المقداد قال : قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله : معرفة آل محمد براءة من النار ، و حبّ آل محمد جواز من الصراط ، و الولاية لآل محمد أمان من العذاب ٣ .

٢٢

من الخطبة (٩٨) وَ خَلْفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ وَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ وَ مَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ دَلِيلُهَا مَكِيثُ الْكَلَامِ بَطِيءُ الْقِيَامِ سَرِيعٌ إِذَا قَامَ فَإِذَا أَنْتُمْ أَنْتُمْ لَهُ رِقَابِكُمْ وَ أَشْرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ حَتَّى يُطْلَعَ اللَّهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ وَ يَضُمُّ نَشْرُكُمْ فَلَا تَطْمَعُوا فِي غَيْرِ مُقْبَلٍ وَ لَا تَيْأَسُوا مِنْ مُدْبِرٍ فَإِنَّ الْمُدْبِرَ عَسَى أَنْ تَزِلَّ إِحْدَى قَائِمَتَيْهِ وَ تَنْبُتَ الْآخَرَى فَتَرْجِعَا حَتَّى تَنْبُتَا جَمِيعاً أَلَا إِنَّ مَثَلَ ؟ آلِ مُحَمَّدٍ ص ؟ كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلْتُمْ مِنَ اللَّهِ فِيكُمْ الصَّنَائِعُ وَ أَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ .

(١) الشورى : ٢٣ .

(٢) رواه الزمخشري في الكشاف ٤ : ٢١٩ و عنه و عن الواحدي المييدي في الفواتح : ١٩٦ ، و أخرجه الطبراني و ابن أبي حاتم و الحاكم في مناقب الشافعي عنهم الكاف الشاف ٤ : ٢٢٠ و ابن المنذر و ابن مردويه عنهما الدر المنثور ٦ : ٧ ، و الجويني في فرائد السمطين ٢ : ١٣ ح ٣٥٩ و غيرهم .
(٣) رواه عن الترمذي المييدي في الفواتح : ١٩٦ ، لكن لم يوجد هذا في سنن الترمذي .

الصفحة ٣١٥

« وَ خَلْفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ » قال ابن أبي الحديد : إنّ المراد براءة الحقّ الثقلان المخلفان : الكتاب و العترة . ١

و قال ابن ميثم : المراد بها الكتاب و السنة ٢ .

قلت : كلّ منهما و إن كان معنى صحيحاً إلا أنّ الظاهر أنّ المراد براءة الحقّ هنا : الكتاب بالخصوص ، لقوله عليه السّلام بعد : « دليلها مكيث الكلام . . . » جاعلاً للعترة دليل الكتاب ، و حينئذ ففوله عليه السّلام هنا نظير قوله عليه السّلام في الخطبة الاولى :

« و خَلَّفَ فيكم ما خَلَّفَت الأنبياء في اممها إذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ، و لا علم قائم : كتاب ربكم فيكم » ٣ .

و أمَّا الرأية في كلامه عليه السَّلام في خبر عبيد بن كرب عنه عليه السَّلام : « أن لنا أهل البيت رأية من تقدّمها مرق ، و من تأخر عنها محق ، و من تبعها لحق » ٤ القائم عليه السَّلام بالخصوص ، و رووا الخبر في علاماته عليه السَّلام .

« من تقدّمها » بالحكم في قبالتها ، كمن أمر بغسل الرّجلين في قبال حكمها بمسحهما .

« مرق » أي : خرج من الدّين .

« و من تخلف عنها » بعدم العلم بأحكامها .

« زهق » أي : هلك .

« و من لزمها » بالالتزام بما فيها .

« لحق » بها و يصل إلى المقصد .

« دليلها مكيبث الكلام » قد عرفت أنّ المراد من دليل رأية الحق و هي

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ١٨٩ .

(٢) شرح ابن ميثم ٣ : ٧ .

(٣) رواه الشريف الرضي ضمن خطبة في نهج البلاغة ١ : ٢٥ .

(٤) أخرجه الصدوق في كمال الدين : ٦٥٤ ح ٢٣ .

الصفحة ٣١٦

الكتاب : العترة عليهم السَّلام ، لكونهم كتاب الله الناطق الدال على حكم كتابه الصّامت .

و قال ابن أبي الحديد في شرح الجملة : و قلّة الكلام من صفات المدح ،

و كثرته من صفات الذمّ . قالت جارية ابن السّمّاك : ما أحسن كلامك لو لا أنّك تكثر ترداده . . . ١ قلت : مكث الكلام غير قليل الكلام ، إنّما هو من يتكلم عن رويّة و تدبّر و لو كثر كلامه ، و في قبالة سريع الكلام : من يتكلم عن غير تدبّر و لو قلّ كلامه .

فالحكايات التي نقلها هنا ، و الأخبار التي ذكرها هنا بلا ربط ، و تطويل بلا طائل .

« بطيء القيام ، سريع إذا قام » المراد أنّه لا يفعل شيئاً حتّى يوجد المقتضي له و يصير ذا حكمة ، فما لا يكون كذلك لا يقرب منه ، فدعا أبو سفيان و العباس أمير المؤمنين عليه السّلام بعد وفاة النبيّ صلّى الله عليه و آله إلى أن يبايعاه ، فما توجّه إليهما ٢ ، لأنّ قيامه عليه السّلام في ذلك الوقت لتصدّي الإمرة لم يكن صلاحاً ، لأنّه بعد تعاقد قريش على عدم تخلية الأمر له ، و لو كان قام لانجر إلى اضمحلال أصل الاسلام ، كما أنّه إذا وجد المقتضي لا يدع الفرصة ، فاشير عليه عليه السّلام بأن لا يتبع طلحة و الزبير ، و يدع معاوية و الشام ، فخالف من أشار عليه ، و جدّ في الطلب و أوجد الجمل و صفيين .

و نقل ابن أبي الحديد في شرح هاتين الفقرتين قول المتنبي :

و ما قلت للبدر أنت اللجين
و لا قلت للشمس أنت الذهب

فيقلق منه البعيد الأناة
و يغضب منه البطيء الغضب

و نقل المثل :

يريك الهوينى و الامور تطير

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ١٩٠ .

(٢) السقيفة للجوهري : ٤٢ ، و غيره .

الصفحة ٣١٧

و قال : يضرب لمن ظاهره الأناة و باطنه الإبرام . و نقل أشياء اخر كثيرة لا ربط لشيء منها سوى قول الشاعر منها :

مسبل في الحيّ أحوى رفل
و إذا يغزو فسمع أزل ١

« فإذا أنتم أنتم له رقابكم ، و أشرتم إليه جاءه الموت فذهب به » قال ابن أبي الحديد : خطب بها أمير المؤمنين عليه السّلام في الجمعة الثالثة من خلافته ، و كنى فيها عن حال نفسه ، و أعلمهم فيها أنهم سيفا رقونه ، و يفقدونه بعد اجتماعهم عليه و طاعتهم ، و هكذا وقع الأمر ، فإنه نقل أنّ أهل العراق لم يكونوا أشد اجتماعا عليه من الشهر الذي قتل عليه السّلام فيه ٢ .

قلت : فيه أولا : من أين أنّ مراده عليه السّلام بقوله : « فإذا أنتم أنتم له رقابكم و أشرتم إليه » شهر قتله كما قال ؟ بل الظاهر أنّ مراده عليه السّلام : انتقال أصل الخلافة الظاهرية إليه ، لأنّه عليه السّلام في أيام الثلاثة لم يكن عندهم إلا كأحد الصحابة في عدم بسط يد له ، بل كان تحت الشدّة ، فإنّ حال من يراقبه الملوك و يعدّونه رقبيا لهم معلوم ، و في كتاب معاوية إلى محمد بن أبي بكر مشيرا إلى أبي بكر و عمر و إليه عليه السّلام : « و لقد همّا به الهموم ، و أرادا به العظيم » و إنّما في أيام خلافته لئن له الرقاب ، و اشير إليه بالأصابع .

و ثانيا : من قال : إنّ أهل العراق لم يكونوا أشد اجتماعا عليه من شهر قتل فيه ؟ كيف ، و بعد التحكيم صار أمره عليه السّلام مضطربا غاية الاضطراب ، حتّى بعد رجوعه عن حرب الخوارج نهى الناس عن دخول البلد ، ليشخصوا إلى معاوية ، فلم يعتنوا به ، و كان معاوية يغير كلّ يوم على بلاده عليه السّلام غير الكوفة ،

و يصيح عليه السّلام بهم في الدفاع ، و لم يصغوا إليه عليه السّلام حتّى قتل صلوات الله عليه

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ١٩٠ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ١٨٩ ، ١٩٢ .

الصفحة ٣١٨

أسفا ، و حينئذ فلا بد أنّ مراده عليه السّلام : أن لبثه فيهم أيام خلافته قليل ، فلم تكمل السنّة الرابعة من قيامه عليه السّلام .

« فلبثتم بعده ما شاء الله » و لا يعلم مدّة لبثهم غير الله .

« حتّى يطلع الله لكم من يجمعكم و يضم شركم » بظهور قائم آل محمد عليهم السلام ، و قال ابن ميثم : قيل هو الإمام المنتظر ، و قيل : هو قائم بني العباس بعد انقضاء دولة بني أمية ١ .

قلت : كيف يحتمل إرادته عليه السلام قائم بني العباس ، و كلامه عليه السلام في دليل راية الحق بعده عليه السلام ؟ فمن يجمع الناس ، و يضمّ نشرهم على راية الحق غير قائم أهل البيت عليهم السلام ؟ و إذا لم يكن المراد دليل راية الحق ، فأى فرق بين قائم العباسية و قائم الاموية ، في جمع أمر الناس على السلطنة الدنيوية ؟

و قال ابن أبي الحديد : كلامه عليه السلام إشارة إلى المهدي الذي يظهر في آخر الوقت ، إلا أنه عند أصحابنا غير موجود الآن و سيوجد و عند الإمامية أنه موجود ٢ .

قلت : فما يفعل بقوله عليه السلام هنا : « مثل آل محمد صلى الله عليه و آله كمثل نجوم السماء إذا خوى نجم طلع نجم » ٣ ، و بقوله عليه السلام في خطبة مرت في أول الفصل : « لا تخلو الأرض من قائم لله حجة إما ظاهرا مشهورا أو خائفا مغمورا » ٤ ؟

« فلا تطمعوا في غير مقبل » قال أيوب بن نوح للرضا عليه السلام : نرجو أن تكون صاحب هذا الأمر ، و أن يردّه الله إليك من غير سيف ، فقد بويع لك ، و ضربت الدراهم باسمك . فقال عليه السلام : ما منّا أحد اختلفت إليه الكتب ، و سئل عن المسائل ،

(١) شرح ابن ميثم ٣ : ٨ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ١٩٢ .

(٣) رواهما الشريف الرضي في نهج البلاغة ١ : ١٩٤ ضمن الخطبة ٩٨ و ٤ : ٣٧ ضمن الحكمة ١٤٧ .

(٤) المصدر نفسه .

الصفحة ٣١٩

و أشارت إليه إلا اعتلّ و مات على فراشه ، حتّى يبعث الله عزّ و جلّ لهذا الأمر رجلا خفي المولد و المنشأ ، حتّى خفي في نسبه ١ .

و قال عبد الله بن عطا للباقر عليه السلام : إنَّ شيعتك بالعراق كثيرون ، فو الله ما في أهل بيتك مثلك ، فكيف لا تخرج ؟ فقال : يا عبد الله بن عطا قد أمكنت الحشو من اذنيك و الله ما أنا بصاحبكم ٢ .

« و لا تيأسوا من مدبر » قال الهادي عليه السلام : إذا رفع عليكم من بين أظهركم ،

فتوقعوا الفرغ من تحت أقدامكم ٣ .

و قال الباقر عليه السلام : إذا دار الفلك و قال الناس : مات القائم أو هلك ، بأيّ واد سلك ، و قال الطالب أنى يكون ذلك ، و قد بليت عظامه ؟ فعند ذلك فارجوه ، فإذا سمعتم به فأتوه ، و لو حبوا على الثلج ٤ .

و عن الأصبغ : ذكر عند أمير المؤمنين عليه السلام القائم عليه السلام فقال : أما ليغيبنّ حتى يقول الجاهل : ما لله في آل محمد حاجة ٥ .

« فإن المدبر » و المراد به القائم الذي نهى عن اليأس عنه .

« عسى أن تزل » و زاد ابن أبي الحديد « به » ٦ .

« إحدى قائمته و تثبت الاخرى » فلا يسقط .

« و ترجعا » هكذا في (المصرية) و الصواب : (فترجعا) كما في

(١) الكافي للكليني ١ : ٣٤١ ح ٢٥ و الغيبة للنعماني : ١١٢ .

(٢) أخرجه الصدوق بطريقتين في كمال الدين : ٣٢٥ ح ٢ و الكليني في الكافي ١ : ٣٤٢ ح ٢٦ ، و النعماني بطريقتين في الغيبة : ١١١ في صدر حديث .

(٣) الكافي للكليني ١ : ٣٤١ ح ٢٤ عن الهادي عليه السلام ، و الغيبة للنعماني : ١٢٤ عن الرضا عليه السلام .

(٤) كمال الدين للصدوق : ٣٢٦ ح ٥ .

(٥) أخرجه الصدوق بطريقتين كمال الدين : ٣٠٢ ح ٩ ، و : ٣٠٣ ح ١٥ ، و النعماني في الغيبة : ١٠١ .

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ١٨٩ .

الصفحة ٣٢٠

(ابن أبي الحديد و ابن ميثم) ١ .

« حتّى تثبتنا جميعا » و لعلّ الإتيان بضمير التثنية في (ترجعا ، و تثبتنا) إن صحّ النقل ، لعدم تعيّن الزّالة ، فيحتمل كونها كلا منهما .

و كيف كان ، فعن الصادق عليه السّلام قال : المنتظر الثاني عشر هو المفرّج للكرب عن شيعته بعد ضنك شديد ، و بلاء طويل ، و جزع و خوف ، فطوبى لمن أدرك ذلك الزمان ٢ .

« ألا إنّ مثل آل محمّد صلّى الله عليه و آله كمثل نجوم السّماء إذا خوى نجم » في (الصحاح) :

خوت النجوم : إذا سقطت ، و لم تمطر في نوئها ٣ .

« طلع نجم » مكانه قال لقيط بن زرارة :

و إنّي من القوم الذين علمتهم
إذا مات منهم سيّد قام صاحبه

نجوم سماء كلّما غاب كوكب
بدا كوكب تأوي إليه كواكبه

لمّا مات السّجاد عليه السّلام قال محمّد بن المنكدر : ما كنت أظنّ أنّه يدع ولدا أفضل منه ، حتّى رأيت ابنه محمّد بن عليّ ، أردت أن أعظه فوعظني ٤ .

و لمّا مات الباقر عليه السّلام دخل سالم بن أبي حفصة على الصادق عليه السّلام معزّيّا له ، فقال له : ذهب و الله من كان يقول : قال رسول الله صلّى الله عليه و آله . فلا يسأل عمّن بينه و بين رسول الله صلّى الله عليه و آله ، و الله لا يرى مثله أبدا . فقال له الصادق عليه السّلام : قال الله تبارك و تعالى : إنّ من عبادي من يتصدّق بشقّ تمرّة ، فارببها كما يربي أحدكم فلوه ، حتّى يجعلها مثل جبل احد . فخرج سالم إلى أصحابه ، فقال : ما رأيت أعجب من هذا كنا نستعظم قول الباقر عليه السّلام : « قال رسول الله » بلا واسطة . فقال

- (١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢ : ١٨٩ ، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٣ : ٦ مثل المصرية .
- (٢) كمال الدين للصدوق : ٣٣٤ ح ٥ ، و الغيبة للنعماني : ٥٧ ، و النقل بنقطيع .
- (٣) صحاح اللغة ٦ : ٢٣٣٢ مادة (خوى) ، و النقل بنقطيع .
- (٤) الارشاد للمفيد : ٢٦٣ ، و النقل بتصرف ، و قد مرّ الحديث بتمامه في العنوان ١٩ من هذا الفصل .

الصفحة ٣٢١

ابنه « قال الله » بلا واسطة ١ .

و قال زيدي لإمامي من أصحاب الصادق عليه السلام : قد مات إسماعيل الذي كنتم تمدون أعناقكم إليه ، و جعفر شيخ كبير يموت غدا أو بعد غد ، فتبكون بلا إمام . فلم يدر ما يقول له ، فأخبر الصادق عليه السلام بمقالته ، فقال عليه السلام : هيهات هيهات ، أبا الله و الله أن ينقطع هذا الأمر حتى ينقطع الليل و النهار ، فإذا رأيت فقل له : هذا موسى بن جعفر يكبر و يزوجه ، فيولد له ولد ، فيكون خلفا إن شاء الله ٢ .

و كتب ابن قياما الواقفي إلى الرضا عليه السلام : كيف تكون إماما و ليس لك ولد ؟ فأجابه عليه السلام : و ما علمك أنه لا يكون لي ولد ؟ و الله لا تمضي الأيام و الليالي حتى يرزقني الله ولدا ذكرا ، يفرق به بين الحق و الباطل ٣ .

و قال أحمد بن محمد : خرج عن أبي محمد العسكري عليه السلام حين قتل الزبيرى : هذا جزاء من اجترأ على الله و أوليائه ، يزعم أنه يقتلني و ليس لي عقب ، فكيف رأى قدرة الله فيه ؟ قال : و ولد له ولد سمّاه « م ح م د » في سنة ست و خمسين و مائتين ٤ .

و روى الشيخ في (غيبته) توقيعا عن الحجّة عليه السلام إلى جماعة قالوا : إن أبا محمد عليه السلام مضى و لا خلف له : أو ما رأيتم كيف جعل الله لكم معاقل تأوون إليها ، و أعلاما تهتدون بها من لدن آدم عليه السلام إلى أن ظهر الماضي عليه السلام ، كلّما غاب علم بدا علم ، و إذا أقل نجم طلع نجم ؟ فلمّا قبضه الله إليه ظننتم أن الله

- (١) أمالي الطوسي ١ : ١٢٥ المجلس ٥ ، و النقل بتصرف في اللفظ .
- (٢) كمال الدين للصدوق : ٦٥٧ ح ٢ .
- (٣) الكافي للكليني ١ : ٣٢٠ ح ٤ ، و أخرجه بعنوان المشافهة لا المكاتبه الكشي في معرفة الرجال (اختياره) ٥٥٣ ح ١٠٤٤ .

(٤) الكافي للكليني ١ : ٣٢٩ ح ٥ .

الصفحة ٣٢٢

تعالى أبطل دينه ، و قطع السبب بينه و بين خلقه ؟ كلا ما كان ذلك و لا يكون حتى تقوم الساعة ١ .

« فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع » أي : نعمه الخاصة .

« و أراكم ما تأملون » من ظهور القائم عليه السلام ، في خبر جابر الجعفي ، عن الباقر عليه السلام : كأني بأصحاب القائم عليه السلام و قد أحاطوا بما بين الخافقين ، فليس من شيء إلا و هو مطيع لهم ، حتى سباع الأرض و سباع الطير ٢ .

و في خبر آخر عنه عليه السلام : إذا قام قائمنا عليه السلام وضع يده على رؤوس العباد ، فجمع بها عقولهم ، و كملت بها أحلامهم ٣ .

و عن الصادق عليه السلام : و إن الرجل منهم ليعطى قوة أربعين رجلا ، و إن قلبه لأشد من زبر الحديد ، و لو مروا بجبال الحديد لقلعوها . . . ٤ .

و قال ابن ميثم : وجدت له عليه السلام في أثناء بعض خطبه في اقتصاص ما يكون بعده فصلا يجري مجرى الشرح لهذا الوعد ، و هو أن قال : « يا قوم اعلّموا علما يقينا إن الذي يستقبل قائمنا من أمر جاهليّتم ليس بدون ما استقبل الرسول من أمر جاهليّتم و ذلك أن الأمة كلّها يومئذ جاهلية إلا من رحم الله . فلا تعجلوا فيعجل الخرق بكم ، و اعلّموا أن الرفق يمن ، و في الأناة بقاء و راحة ، و الإمام أعلم بما ينكر ، و لعمرى لينزعنّ عنكم قضاء السوء ، و ليقبضنّ عنكم المرائين ، و ليعزلنّ عنكم امراء الجور ، و ليظهرنّ الأرض من كلّ غاش ،

و ليعملنّ فيكم بالعدل ، و ليقومنّ فيكم بالقسطاس المستقيم ، ليتمنين أحياءكم لأمواتكم رجعة الكرة عما قليل فيعيشوا إذن ، فإن ذلك كائن لله ، أنتم بأحلامكم

(١) الغيبة للطوسي : ١٧٣ ، و النقل بنقطيع .

(٢) كمال الدين للصدوق : ٦٧٣ ح ٢٥ في صدر حديث .

(٣) كمال الدين للصدوق : ٦٧٥ ح ٣٠ ، و الكافي للكليني ١ : ٢٥ ح ٢١ .

(٤) كمال الدين للصدوق : ٦٧٣ ح ٢٦ .

الصفحة ٣٢٣

كفوا ألسنتكم ، و كونوا من وراء معاشكم ، فإن الحرمان سيصل إليكم ، و إن صبرتم و احتسبتم و ائتلفتم ،
إنه طالب و تركم ، و مدرك لثأركم ، و أخذ بحقكم ،

و اقسام بالله قسما حقاً : إن الله مع الذين اتقوا ، و الذين هم محسنون ١ .

و روى الطبري في إسلام عدي بن حاتم : أن النبي صلى الله عليه و آله قال له : يا عدي بن حاتم إنما
يمنعك من الدخول في هذا الدين لما ترى من حاجتهم ، فو الله ليوشكنّ المال يفيض فيهم حتى لا يوجد من
يأخذه إلى أن قال قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، و رأيت المرأة تخرج من القادسية
على بغيرها لا تخاف شيئاً حتى تحجّ هذا البيت ، و ايم الله لتكونن الثالثة لفيض المال حتى لا يوجد من
يأخذه ٢ .

قلت : و لا بد أن فيضان المال حتى لا يوجد من يأخذه إنما في عصر ظهوره عليه السلام ، فروي : أن
أصحاب الزكاة يجيئون بزكاتهم إلى المحاويج من شيعته ، فلا يقبلونها فيصرونها و يدورون في دورهم ،
فيخرجون إليهم فيقولون : لا حاجة لنا إلى دراهمكم إلى أن قال و يجتمع إليه أموال أهل الدنيا كلها من بطن
الأرض و ظهرها ، فيقول الناس : تعالوا إلى ما قطعتم فيه الأرحام و سفكتم فيه الدم الحرام ، و ركبتم فيه
المحارم ، فيعطي عطاء لم يعط أحد قبله ٣ .

٢٣

من الخطبة (١٠٣) (فَمَا إِحْلَوْلَتْ لَكُمْ الدُّنْيَا فِي لَدَّتِهَا وَ لَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رِضَاعِ أَخْلَافِهَا إِلَّا)

(١) شرح ابن ميثم ٣ : ٩ ، و الآية ١٢٨ من سورة النمل .

(٢) تاريخ الطبري ٢ : ٣٧٧ سنة ٩ .

(٣) رواه علي بن عبد الحميد في الغيبة عنه البحار ٥٢ : ٣٩٠ ح ٢١٢ ، و النقل بتصريف يسير .

الصفحة ٣٢٤

مَنْ بَعْدَ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلًا خَطَامُهَا فَلَقًا وَ ضَيْبُهَا قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ وَ
حَالَتِهَا بَعِيدًا غَيْرَ مَوْجُودٍ وَ صَادَفْتُمُوهَا وَ اللَّهُ ظِلًّا مَمْدُودًا إِلَى أَجْلِ مَعْدُودٍ فَالْأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ وَ أَيْدِيكُمْ

فِيهَا مَبْسُوطَةٌ وَ أَيْدِي الْقَادَةِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ وَ سُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلَّطَةٌ وَ سُيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ أَلَا إِنَّ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِرًا وَ لِكُلِّ حَقٍّ طَالِبًا وَ إِنَّ الثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ وَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ وَ لَا يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ أَقُولُ : وَ رَوَاهُ (الْإِرْشَادُ) هَكَذَا : « الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَ السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ . أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ رَضِينِي لِنَفْسِهِ أَخَا ، وَ اخْتَصَنِي لَهُ وَزِيرًا . أَيُّهَا النَّاسُ أَنَا أَنْفُ الْهَدَى وَ عَيْنَاهُ ، فَلَا تَسْتَوْحِشُوا مِنْ طَرِيقِ الْهَدَى لِقَلَّةِ مَنْ يَغْشَاهُ ، مِنْ زَعَمِ أَنْ قَاتَلِي مُؤْمِنٌ فَقَدْ قَتَلَنِي . أَلَا وَ إِنَّ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِرًا يَوْمًا مَا ، وَ إِنَّ الثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا ، وَ الْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ ، وَ حَقِّ ذَوِي الْقَرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ ، وَ ابْنِ السَّبِيلِ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مَا طَلَبَ لَا يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ ، وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مَنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ١ وَ أَقْسَمُ بِاللَّهِ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَ بَرَأَ النَّسْمَةَ لَتَنْتَحِرَنَّ عَلَيْهَا يَا بَنِي أُمِيَّةٍ وَ لَتَعْرِفَنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ ، وَ دَارِ عَدُوِكُمْ عَمَّا قَلِيلٍ وَ سَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ٢ .

وَ رَوَاهُ الْقَمِي فِي (تَفْسِيرِهِ) مُسْتَدًا عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَكَذَا : « قَالَ : خَطَبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ مَا بُويعَ بِخَمْسَةِ أَيَّامٍ ، فَقَالَ فِيهَا : وَ اعْلَمُوا أَنَّ لِكُلِّ حَقٍّ طَالِبًا ، وَ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِرًا ، وَ الطَّالِبُ بِحَقِّنَا كَقِيَامِ الثَّائِرِ بِدِمَائِنَا ، وَ الْحَاكِمِ فِي حَقِّ

(١) الشعراء : ٢٢٧ .

(٢) الارشاد للمفيد : ١٤٧ .

الصفحة ٣٢٥

نَفْسِهِ هُوَ الْعَادِلُ الَّذِي لَا يَحِيفُ ، وَ الْحَاكِمُ الَّذِي لَا يَجُورُ ، وَ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ .

وَ اعْلَمُوا أَنَّ عَلَى كُلِّ شَارِعٍ بَدْعَةٌ وَ زُرٌّ وَ وَزْرٌ كُلٌّ مَقْتَدٌ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ أَوْزَارِ الْعَامِلِينَ شَيْءٌ » ١ .

« فَمَا احْلُولْتُ » أَي : مَا صَارَ حُلُومًا ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : حَلَا الشَّيْءُ يَحْلُو حَلَاوَةً ،

وَ احْلُولِي مِثْلَهُ ٢ .

« لَكُمْ الدُّنْيَا فِي لَدُنَّهَا » وَ مَذَاقُهَا .

« وَ لَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رِضَاعٍ » مَصْدَرُ رَضَعَ الصَّبِيَّ أُمَّهُ ، وَ قَوْلُهُمْ : لَيْئِمٌ رَاضِعٌ .

أصله رجل كان يرضع إبله أو غنمه ، و لا يحلبها لئلا يسمع صوت حلبه فيطلب منه .

« أخلافها » الأخلاف : جمع الخلف بالكسر ، و في (الصحاح) : الخلف : حلمة ضرع الناقة ، القادمان و الآخران ٣ .

قال ابن أبي الحديد : الخطاب لمن في عصره من الصحابة و التابعين ٤ .

و قال ابن ميثم : لبني امية و نحوهم ٥ .

و الأول أصح لأنّ صيرورة الدنيا حلوا لهم ، و تمكنهم من رضاع ثديها إنّما كان من زمن الأولين ، و إنّما نال بنو امية ما نالوا بواسطتهم .

« إلا من بعد ما » هكذا في (المصرية) ، و الصواب : (إلا من بعده) ، أي : بعد النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطية) ٦ .

(١) تفسير القمي ١ : ٣٨٤ .

(٢) صحاح اللغة للجوهري ٦ : ٢٣١٧ مادة (حلوا) .

(٣) صحاح اللغة ٤ : ١٣٥٣ مادة (خلف) .

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢٠١ .

(٥) شرح ابن ميثم ٣ : ٢٥ .

(٦) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢٠٠ و شرح ابن ميثم ٣ : ٢٣ مثل المصرية أيضا .

الصفحة ٣٢٦

قال ابن أبي الحديد : فصانه الله تعالى في أيام حياته عن أن يفتح عليه الدنيا ، و أكرمه عن ذلك ، فلم يفتح عليكم البلاد ، و لا درت عليكم الأموال ، و لا أقبلت الدنيا نحوكم ، و ما دالت الدولة لكم ، إلا من بعده ١ .

خطب عتبة بن غزوان في إمارته البصرة من قبل عمر و هو الذي اختطّ البصرة فقال : و لقد رأيتني سابع سبعة من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله و قد تسلقت أفواههم من أكل الشجر ، و لقد رأيتنا أنا و سعد استبقنا بردة فاشتققناها ،

فأخذت أنا نصفها و سعد نصفها ، و اليوم ما منّا رجل إلاّ و قد أصبح أميراً على مصر ، و لقد بلغني أنّه لم تكن نبوة إلاّ و سننسخ ملكا .

و لما هزم خالد بن الوليد عجم البسط ، و كانوا بسطوا البسط ، و صفّوا الأطعمة فلم يمهلهم ، و وقف على طعامهم ففعدوا عليه ، و جعل من لم ير الأرياف ، و لا يعرف الرقاق يقول : ما هذه الرقاق البيض ؟ و جعل من قد عرفها يجيبهم ، و يقول لهم مازحا : هل سمعتم برقيق العيش ؟ فيقولون : نعم . فيقول :

هو هذا . فسمّي الرقاق ، قال الطبري : و كانت العرب تسمّيه القرى ٢ .

« صادفتموها » أي : وجدتموها .

« جائلا » من الجولان .

« خطامها » أي : زامها .

« قلقا » أي : مضطربا .

« وضيئها » قال الجوهري : الوضين للهودج بمنزلة البطان للقتب ،

و التصدير للرحل ، و الحزام للسرج ٣ .

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢٠١ .

(٢) تاريخ الطبري ٢ : ٥٦٢ سنة ١٢ .

(٣) صحاح اللغة للجوهري ٦ : ٢٢١٤ مادة (وضن) .

الصفحة ٣٢٧

« قد صار حرامها عند أقوام بمنزلة السدر المخضود » من : خضدت الشجر :

قطعت شوكه ، فهو خضيد و مخضود . فيسهل عليه تناول ثمره .

« و حلالها بعيدا غير موجود » لعدم ورع في الناس يتقون من الحرام .

قال ابن أبي الحديد و في شرح قوله عليه السّلام : « صادفتموها » إلى هنا :

ذكر عليه السّلام أنهم صادفوها يعني الدنيا و قد صعبت على من يليها ولاية حقّ ،

كما تستصعب النّاقة على راكبها إذا كانت جائئة الخطام ، ليس زمامها يمكّن راكبها من نفسه ، قلقة الوضين لا يثبت هودجها تحت الراكب . حرامها سهل التناول على من يريده ، كالسدر الذي خضد عنه شوكة فصار ناعما أملس ،

و حلالها غير موجود لغلبة الحرام عليه ، و كونه صار مغمورا مستهلكا بالنسبة ، و هذا إشارة إلى ما كان يقوله دائما من استبداد الخلفاء قبله دونه بالأمر ، و أنّه كان الأولى و الأحقّ ١ .

قلت : ما قاله من أنّه عليه السّلام كان دائما يقول باستبدادهم حقّ ، و تأويل أصحابه له باطل ، لكن الظاهر أنّ كلامه عليه السّلام ليس في هذا المقام ، بل في مقام أنّ الدّنيا إنّما فتحت على المتقدّمين عليه بفتح فارس و الروم ، حيث إنّ الدّنيا صارت متزلزلة باولئك و زال اقتدارهم ، و كانوا مشغولين بالنيب و السلب ،

و لم يتمكّن امراؤهم من ردعهم ، و إنّما كان من دولتهم مجرد اسم و محض صورة ، كما لا يخفى على من راجع السير .

« و صادفتموها و الله ظلا ممدودا إلى أجل معدود » قال ابن أبي الحديد :

ذكر عليه السّلام أنّ الدّنيا فانية ، و أنّها ظل ممدود إلى أجل معدود ٢ .

و قال ابن ميثم : كنى بذلك عن زوالها بعد حين تهديدا لهم به ٣ .

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢٠١ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢٠١ .

(٣) شرح ابن ميثم ٣ : ٢٦ .

الصفحة ٣٢٨

قلت : و في ما قالاه : أوّلا : إنّهُ لو كان المعنى ما ذكرناه ، لم يكن الكلام محتاجا إلى قوله : « و صادفتموها » ، و كان يقول : و إنّها و الله ظل ممدود إلى أجل معدود .

و ثانيا : إنه لا يناسب الظل الممدود الفناء و الزوال ، بل الظل الزائل كما قالوا :

إنما الدنيا كظل زائل

كيف و الظل الممدود ورد في وصف نعيم الجنة ؟ قال تعالى : و ظل ممدود ١ .

و ثالثا : إنه لا يناسب سياق الكلام سابقه و لاحقه ، و الظاهر بشهادة السوق أن المراد : أنهم صادفوا الدنيا بعد النبي صلى الله عليه و آله مصفى العيش مدة مديدة .

« فالأرض لكم شاغرة » يقال : شجر الرجل المرأة . أي : رفع رجلها للنكاح ،

و الظاهر أن المراد أن الأرض كانت لكم شاغرة كشجر رجل المرأة للرجل .

قالوا : لما فتح موسى بن نصير الأندلس غنموا من الذهب و الفضة حتى نعلوا دوابهم بمسامير الذهب و الفضة . و لما ضربوا الأوتاد لخيولهم في جدار كنيسة من كنايسها لم تلج ، فنظروا فإذا بصفائح الذهب و الفضة خلف بلاط الرخام . و لما فتح طليطلة ، وجد فيها بيتا كان فيه أربعة و عشرون تاجا من ملوك الأندلس ، كلما هلك ملك جعل تاجه في ذلك البيت ، و كتب على التاج اسم صاحبه و ابن كم هو ، و يوم ولي و يوم مات . و وجدوا أيضا مائدة عليها اسم سليمان بن داود ، و ليس لها أرجل قاعدتها منها ، و كانت من ذهب و فضة خليطين ، فهي تتلون صفرة و بياضا ، مطوقة بثلاثة أطواق : طوق لأول ، و طوق

(١) الواقعة : ٣٠ .

الصفحة ٣٢٩

ياقوت ، و طوق زمرد . و دلهم رجل على كنز فنزلوا فيه ، فسأل عليهم من الزبرجد و الياقوت ما لم يروا مثله قط ، و أما الذهب و الفضة و المتاع فلم يكن يحصيه أحد ١ .

« و أيديكم فيها مبسوطه » تفعلون ما تشاؤون .

« و أيدي القادة » من الله .

« عنكم مكفوفة » أي : مشدودة .

« و سيوفكم عليهم مسلّطة » فتقتلونهم .

« و سيوفهم عنكم مقبوضة » فلا يستطيعون القصاص منكم ، روى (الروضة) : عن الصادق عليه السلام قال : إنّ الله عزّ و جلّ أَعفَى نبيّكم أن يلقى من امته ما لقيت الأنبياء من اممها ، و جعل ذلك علينا . ٢ .

و في (تاريخ اليعقوبي) : أنّه لما قتل يوسف بن عمر زيد بن عليّ بن الحسين أحرق جسده ، و نرى نصفه في الفرات ، و نصفه في الزّرع ، و قال : و الله يا أهل الكوفة لأدعنكم تأكلونه في طعامكم ، و تشربونه في مائكم ٣ .

و في (عيون ابن بابويه) : دخل دعبل الخزاعي على الرّضا عليه السلام بمرور ،

فقال له : يا بن رسول الله إنّني قد قلت فيك قصيدة ، و آليت على نفسي ألاّ انشدها أحدا قبلك . فقال : هاتها . فأنشده :

مدارس آيات خلت من تلاوة
و منزل وحي مقفر العرصات

إلى أن قال :

إذا وتروا مدّوا إلى واطريهم
أكفّا عن الأوتار منقبضات

(١) الكامل لابن الأثير ٤ : ٥٦٤ ٥٦٦ سنة ٩٢ ، و النقل بالمعنى .

(٢) الكافي للكليّني ٨ : ٢٥٢ ح ٣٥٢ كتاب الروضة .

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٢٦ .

و قال ابن أبي الحديد : أعاد الشكوى و التآلم فقال : « و أيديكم في الدنيا مبسوفة إلى و سيوفهم مقبوضة » ، و كأنه كان يرمز إلى ما سيقع من قتل الحسين عليه السلام و أهله ، كأنه يشاهد ذلك عيانا ٢ .

قلت : بل أشار إلى إرادة قتلهم له يوم السقيفة ، و يوم الشورى لو لم يبايع ، قال ابن قتيبة في قصّة السقيفة : و بقي عمر و معه قوم ، فأخرجوا عليّا فمضوا به إلى أبي بكر ، فقالوا له : بايع . فقال : إن أنا لم أفعل فمه ؟ قالوا : إذن و الله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك . قال : إذن تقتلون عبد الله ، و أخا رسوله . قال عمر : أمّا عبد الله فنعم ، و أمّا أخو رسوله فلا ٣ .

و قال في يوم الشورى : خرج عبد الرحمن (ابن عوف) إلى المسجد ،

فجمع الناس ، فحمد الله و أثنى عليه ، ثمّ قال : إنّي نظرت في أمر الناس ، فلم أرهم يعدلون بعثمان ، فلا تجعل يا عليّ سبيلا إلى نفسك فإنه السيف لا غير . ثمّ أخذ بيد عثمان فبايعه ٤ .

و كان حقّ الكلام أن يقول : أشار إلى إرادة قتل الأولين له لو لم يبايعهم ،

و إرادة قتل طلحة و الزبير و عائشة له عليه السلام و لابنيه الحسن و الحسين عليهما السلام لو ظفروا بذلك يوم الجمل ، و إلى قتل معاوية للحسن عليه السلام ، و ابنه للحسين عليه السلام ،

و قتل باقي بني امية و العباسية لباقي أهل بيته و شيعتهم .

قال الباقر عليه السلام و قد نقله ابن أبي الحديد في عنوان اختلاف الخبر لبعض أصحابه : يا فلان ما لقينا من ظلم قريش إيانا ، و تظاهرهم علينا ، و ما

(١) عيون اخبار الرضا ٢ : ٢٦٧ ح ٣٤ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢٠١ .

(٣) الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١ : ١٣ .

(٤) الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١ : ٢٧ .

لقي شيعتنا و محبونا من الناس إن رسول الله صلى الله عليه و آله قبض ، و قد أخبر أنا أولى الناس بالناس ، فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معدنه ، و احتجبت على الأنصار بحقنا و حجبتنا إلى أن قال ثم لم نزل أهل البيت نستدل ،

و نستضام ، و نقصى ، و نمتهن ، و نحرم ، و نقتل ، و نخاف ، و لا نأمن على دماننا و دماء أولياننا ، و وجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم و جحودهم موضعا يتقربون به إلى أوليائهم ، و قضاة السوء و عمال السوء في كل بلدة ، فحدثوهم بالأحاديث الموضوعية المكذوبة ، و رووا عنا ما لم نقله ، و ما لم نفعله لبيغضونا إلى الناس ، و كان عظم ذلك و كبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام ، فقتلت شيعتنا بكل بلدة ، و قطعت الأيدي و الأرجل على الظنة ،

و كان من يذكر بحبنا و الانقطاع إلينا سجن ، أو نهب ماله ، أو هدمت داره . . . ١ .

و في زيارة لهم عليهم السلام رواها علي بن طاووس : يا موالى فلو عاينكم المصطفى ، و سهام الامّة مغرقة في أكبادكم ، و رماحهم مشرعة في نحوركم ، و سيوفها مولغة في دمائكم ، يشفي أبناء العواهر غليل الفسق من ورعكم ، و غيظ الكفر من إيمانكم ، و أنتم بين صريع في المحراب قد فلق السيّف هامته ، و شهيد فوق الجنازة قد شكّت أكفانه بالسّهام ، و قتل بالعرء قد رفع فوق القناة رأسه ، و مكبل في السجن قد رضت بالحديد أعضاؤه ،

و مسموم قد قطعت بجرع السمّ أمعاؤه ، و شملكم عباديد تفنيهم العبيد ، و أبناء العبيد ٢ .

ثم أي شيء يفيدته تخصيصه كلامه عليه السلام بقتل الحسين عليه السلام ، مع أنّ المؤسس ليزيد لم يكن إلاّ صديقهم و فاروقهم ، كما كان لأبيه ؟

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٣ : ١٥ ، شرح الخطبة ٢٠٨ .

(٢) نقله ابن طاووس في مصباح الزائر و صاحب المزار الكبير فيه عنهما البحار ١٠٢ : ١٦٩ ضمن زيارة جامعة .

فروى (مروج المسعودي) ، و (صفين نصر) ، و غيرهما : أنّ محمّد بن أبي بكر كتب إلى معاوية : كيف تقاتل عليّاً عليه السّلام و هو وليّ النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ أَنْتَ عَدُوّه ؟ فأجابه بأنّه اقتدى في ذلك بأبيه الصّدّيق و صديقه الفاروق ١ .

و روى (أنساب البلاذري) : أنّ ابن عمر كتب إلى يزيد يطعن فيه لما قتل الحسين عليه السّلام فأجبه بأنّه أسس له ذلك أبوه الفاروق ٢ .

و في (بلاغات نساء البغدادي) قالت زينب : و سيعلم من بوأك و مكّنك من رقاب المؤمنين ٣ .

نعم قتل الحسين عليه السّلام كان أظهر مصاديق كلامه ، و أشهر شنائع قريش أعداء أهل البيت . و في (معجم الحموي) : قال دعبل فيه عليه السّلام :

رأس ابن بنت محمّد و وصيّه
يا للرّجال على قناة ترفع

و المسلمون بمنظر و بمسمع
لا جازع من ذا و لا متخشّع ٤

و في (الأغاني) : قال دعبل :

و ليس حيّ من الأحياء نعلمه
من ذي يمان و من بكر و من مضر

إلّا و هم شركاء في دمائهم
كما تشارك ايسار على جزر

قتل و أسر و تحريق و منهبة
فعل الغزاة بأرض الرّوم و الخزر ٥

و في (معجم الحموي) : قال نصر الله بن مجلى : رأيت في المنام عليّ بن أبي طالب عليه السّلام فقلت له : يا أمير المؤمنين تفتحون مكّة فتقولون : من دخل دار

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣ : ١٢ ، و وقعة صفين لابن مزاحم : ١١٩ و أنساب الأشراف للبلاذري ٢ : ٣٩٦ .

(٢) رواه عن أنساب الأشراف ابن طاووس في الطرائف ١ : ٢٤٧ ح ٣٤٨ ، لكن لم يوجد في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ، و لا في ترجمة يزيد في أنساب الأشراف .

(٣) بلاغات النساء للبغدادي : ٣٦ .

(٤) معجم الادباء للحموي ١١ : ١١٠ .

(٥) الأغاني لأبي الفرج ٢٠ : ١٨٠ .

الصفحة ٣٣٢

أبي سفيان فهو آمن . ثم يتمّ على ولدك الحسين يوم الطفّ ما تم ؟ فقال : أما سمعت أبيات ابن الصيفي في هذا ؟ فقلت : لا . فقال : اسمعها منه . فلما استيقظت ،

بادرت إلى دار الحيص بيص ، فخرج إليّ ، فذكرت له الرؤيا فأجهش بالبكاء ،

و حلف بالله أنه ما سمعها منه أحد ، و أنه نظمها في ليلته هذه ، ثم أنشدني :

ملكنا فكان العفو منا سجية

فلما ملكتم سال بالدم أبطح

و حلّتم قتل الاسارى و طالما

غدونا عن الأسرى نعفّ و نصفح

فحسبكم هذا التفاوت بيننا

و كلّ إناء بالذي فيه ينضح ١

و في (المعجم) أيضا : قال ابن وصيف الناشي :

بني أحمد قلبي لكم يتقطّع

بمثل مصابي فيكم ليس يسمع

إلى أن قال :

عجبت لكم تفنون قتلا بسيفكم
و يسطو عليكم من لكم كان يخضع

كأن رسول الله أوصى بقتلكم
و أجسامكم في كل أرض توزع ٢

و في (معجم الحموي) أيضا : كان الخالع في المسجد الذي بين الوراقين و الصّاعة في بغداد ، و المسجد
غاصّ بالنّاس ، و إذا رجل قد وافى و عليه مرقعة ،

و في يده سطيحة و ركوة ، و معه عكاز ، و هو شعث ، فسلم على الجماعة بصوت يرفعه ، ثمّ قال : أنا
رسول فاطمة الزّهراء عليها السّلام . فقالوا : مرحبا بك و أهلا ،

و رفعوه . فقال : أتعرفون لي أحمد المزوّق النّائح ؟ فقالوا : ها هو جالس . فقال :

رأيت مولاتنا في النوم . فقالت لي : امض إلى بغداد و اطلبه ، و قل له : نح على ابني بشعر النّاشي الذي
يقول فيه :

بني أحمد قلبي لكم يتقطّع
بمثل مصابي فيكم ليس يسمع

(١) معجم الادباء للحموي ١١ : ٢٠٦ .

(٢) معجم الادباء للحموي ١٣ : ٢٩٢ .

الصفحة ٣٣٤

و كان النّاشي حاضرا فلطم لظما عظيما على وجهه ، و تبعه أحمد المزوّق ، و النّاس كلّهم ، و كان أشد
النّاس في ذلك النّاشي المزوّق ، ثمّ ناحوا بتلك القصيدة في ذلك اليوم إلى أن صلى النّاس الظهر و تقوّض
المجلس ،

و جهدوا بالرجل أن يقبل شيئا منهم ، فقال : و الله لو اعطيت الدّنيا ما أخذتها ،

أكون رسول مولاتي ثم أخذ عوضاً ؟ ١ .

و في (الطبري) : لما أتى المختار بعبد الله بن أسيد الجهني ، و مالك بن النسير البديّ ، و حمل بن مالك المحاربي ، قال لهم : يا أعداء الله قتلتم من أمرتم بالصلاة عليه في الصلاة ؟ فأمر بقطع يدي البديّ و رجليه ، و ترك في نزع دمه حتى يموت ، لكونه صاحب برنس الحسين عليه السلام ، و قتل الآخرين بالسيف ٢ .

و في (فواتح المبيدي) ينسب إلى أبي حنيفة هذه الأبيات :

حبّ اليهود لآل موسى ظاهر
و ولاؤهم لبني أخيه باد

و إمامهم من نسل هارون الالى
بهم اقتدوا و لكلّ قوم هاد

و كذا النصارى يكرمون محبة
لمسيحهم نجرا من الأعواد

و متى توالى آل أحمد مسلم
قتلوه أو سمّوه بالإلحاد

هذا هو الداء العياء لمثله
ضلّت حلوم حواضر و بواد

لم يحفظوا حقّ النبيّ محمّد
في آله و الله بالمرصاد ٣

قلت : يقال لقائل الأبيات : هذا الداء العياء من أنتمكم ، أليس فاروقكم دبّر الأمر لعثمان رئيس بني امية أعداء النبيّ ، و أعداء أهل بيته ، و أعداء دينه حتى يفعلوا ما فعلوا ؟

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٥٢٩ سنة ٦٦ ، و النقل بالمعنى .

(٣) فواتح المبيدي : ١٩٨ .

الصفحة ٣٣٥

و ضلال حلوم حاضريهم و باديههم في محلّه ، لأنّ دينهم دين متناقض و متضاد ، و مثله محال في العقول

« ألا إنّ لكلّ دم ثائرا ، و لكلّ حقّ طالبا ، و إنّ الثائر في دماننا » في (الصحاح) :

الثائر : الذي لا يبقي على شيء حتّى يدرك ثاره ، و يقال أيضا : هو ثاره : أي قاتل حميمه ، قال جرير :

قتلوا أباك و ثاره لم يقتل

و قولهم : يا ثارات فلان . أي : يا قتلة فلان ١ .

و في (الأساس) : ثارت حميمي و بحميمي ، إذا قتلت قاتله ، فعدوك مثوور ، و حميمك مثور به ، قال قيس بن الخطيم :

و ثارت عديّا و الخطيم فلم أضع

وصية أشياخ جعلت إزاءها

و ثاري عند فلان : أي : ذلي . و جمع الثار الذي هو معنى فليل : « يا لثارات الحسين » اريد : تعالين يا ثاراته ، أي : يا ذحوله ، فهو أو ان طلبكنّ ٢ .

« كالحاكم في حقّ نفسه ، و هو الله الذي لا يعجزه من طلب » كائنا من كان .

« و لا يفوته من هرب » في أي مكان كان .

و في رواية الحسين بن ثوير : عن الصادق عليه السّلام في زيارة الحسين عليه السّلام :

السّلام عليك يا قتيل الله و ابن قتيله ، السّلام عليك يا ثار الله و ابن ثاره ٣ .

و روى (العقد الفريد) مسندا عن الزهري قال : خرجت مع قتيبة اريد المصيصة ، فقدمنا على عبد الملك ، فإذا هو قاعد في إيوان له و إذا سماطان من الناس على باب الإيوان ، فإذا أراد حاجة قالها للذي يليه حتى تبلغ المسألة باب

(١) صحاح اللغة ٢ : ٦٠٣ مادة (ثأر) .

(٢) أساس البلاغة للزمخشري : ٤٢ مادة (ثأر) ، و النقل بتقطيع .

(٣) الكافي للكليني ٤ : ٥٧٦ ح ٢ و كامل الزيارات لابن قولويه : ١٩٩ ح ٢ ضمن زيارة طويلة .

الصفحة ٣٣٦

الإيوان ، و لا يمشي أحد بين السّماطين . قال الزهري فجئنا فقما على باب الإيوان ، فقال عبد الملك للذي عن يمينه : هل بلغكم أيّ شيء أصبح في بيت المقدس ليلة قتل الحسين بن عليّ عليه السّلام ؟ إلى أن قال قال الزهري : فدعيت فمشيت بين السّماطين و انتسبت له ، و قلت : حدّثني فلان : أنّه لم يرفع تلك الليلة التي صبيحتها قتل الحسين بن علي بن أبي طالب حجر في بيت المقدس إلّا وجد تحته دم عبيط . قال عبد الملك : صدقت حدّثني الذي حدّثك ، و إنّي و إياك في هذا الحديث لغريبان ١ .

و في باب نقش خواتيم (الكافي) عن أبي الحسن عليه السّلام : كان على خاتم عليّ بن الحسين عليه السّلام : خزي و شقي قاتل الحسين بن عليّ عليه السّلام ٢ .

و روى (مجالس ثعلب) في أوائل ثانيه مسندا عن السّدي قال : أتيت كربلا أبيع البز بها ، فعمل لنا شيخ من طيّ طعاما فتعشنا عنده ، فذكرنا قتل الحسين عليه السّلام ، فقلت : ما شرك في قتله أحد إلّا مات بأسوء ميتة . فقال : ما أكذبكم يا أهل العراق فأنا في من شرك في ذلك . فلم نبرح حتى دنا من المصباح و هو يتقد بنفط ، فذهب يخرج الفتيلة بإصبعه ، فأخذت النّار فيها ،

فأخذ يطفئها بريقه ، فأخذت النّار في لحيته ، فعدا فألقى نفسه في الماء فرأيته كأنه حممة ٣ .

و روى الطبري في (ذيله) عن شيخ من النّخع قال : قال الحجاج :

من كان له بلاء فليقم . فقام قوم ، فذكروا ، و قام سنان بن أنس ، فقال :

أنا قاتل الحسين . فقال : بلاء حسن ، و رجع إلى منزله . فاعتقل لسانه ، و ذهب

- (١) العقد الفريد لابن عبد ربه ٥ : ١٢٦ ، و النقل بتقطيع .
 (٢) الكافي للكليني ٦ : ٤٧٣ ح ٦ .
 (٣) مجالس ثعلب ٢ : ٤٠٧ .

الصفحة ٣٣٧

عقله . فكان يأكل و يحدث مكانه ١ .

و من العجب أنهم وثّقوا عمر بن سعد قاتل سيّد شباب أهل الجنّة ، و من شهد الله بطهارته ، و بكونه ابن الرسول ، و من باهل به النبيّ صلى الله عليه و آله نقل توثيقه تهذيب المزّي عن أحمد بن عبدون العجلي . ٢

و أغرب أنهم جعلوا قتله حقاً فعن ابن حجر في شرح القصيدة الهمزية :

قال ابن المالكي : ما قتل الحسين إلاّ بسيف جدّه ٣ .

و من العجب أنهم يرون شيعتهم شرّاً من الكفار ففي (الطبري) : أنّ معاوية بن قرّة المزني قاضي البصرة أدخل سنان رمحه في عين رجل من عسكر المختار بعد هزيمتهم ، و أخذ يخضخض عينه بسنان رمحه ، و يقول :

هم أحلّ دما من الترك و الديلم ٤ .

و لا غرو في ذلك بعد معاملتهم مع حجج الله ما عاملوا .

و روى أبو الفرج في (مقاتله) : أنّ عيسى بن موسى ولي عهد المنصور الذي قتل محمّداً و إبراهيم لمّا قدم ، قال جعفر بن محمّد عليه السّلام : أهو هو ؟ قيل : من تعني يا أبا عبد الله ؟ قال : المتلعب بدمائنا و الله لا يحلّ منها بشيء ٥ .

قلت : أشار عليه السّلام إلى خلعه .

و في (مروج المسعودي) في يحيى بن عمر الطالبي الذي قتل في سنة (٢٥٠) أيّام المستعين ، و حمل رأسه إلى بغداد ، و دخل الناس إلى ابن طاهر يهنّونونه بالفتح ، قال أبو هاشم الجعفري :

- (١) منتخب ذيل المذيل للطبري : ٢٥ .
 (٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ٧ : ٤٥٠ ، لكن تهذيب الكمال للمزني لم أظفر على نسخته .
 (٣) لم أظفر بمصدر نقله .
 (٤) تاريخ الطبري ٤ : ٥٦١ سنة ٦٧ ، و النقل بالمعنى .
 (٥) المقاتل لأبي الفرج : ١٨٤ ، ٤٢٣ .

الصفحة ٣٣٨

يا بني طاهر كلوه و بيا
 إن لحم النبي غير مري
 إن وترا يكون طالبه الله
 لو تر بالفوت غير حري ١

و في (مقاتل أبي الفرج) أيضا في يحيى ذلك : قال أبو هاشم الجعفري لمحمد بن عبد الله طاهر : قد جنتك مهنتا بما لو كان رسول الله حيا لعزي به .

قال : و أمر محمد بن عبد الله حينئذ اخته و نسوة من حرمة بالشحوص إلى خراسان ، و قال : إن هذه الرؤوس من قتلى أهل هذا البيت ، لم تدخل بيت قوم قط إلا خرجت منه النعمة ، و أزالته عنه الدولة ٢ .

و كتب عبد الملك إلى الحجاج : أما بعد ، فجنبني دماء بني عبد المطلب ،

فإني رأيت آل أبي سفيان لما و لعوا فيها لم يلبثوا بعدها إلا قليلا .

و روى المسعودي عن ابن الغنوي عن ابن أبي عباد الجليس قال : رأى المعتضد بالله و هو في سجن أبيه كأن شيئا جالسا على دجلة ، يمد يده إلى ماء دجلة فيصير في يده و تجف دجلة ، ثم يردّه من يده ، فتعود دجلة كما كانت ،

فسأل عنه . فقيل له : هذا علي بن أبي طالب عليه السلام . فقام إليه و سلم عليه . فقال : يا أحمد إن هذا الأمر صائر إليك فلا تتعرض لولدي و لا تؤذهم . فقال : السمع و الطاعة يا أمير المؤمنين ٣ .

من الخطبة (١٦٤) أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ لَمْ تَتَخَذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ وَ لَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ وَ لَمْ يَقْوِ مِنْ قَوِي عَلَيكُمْ

(١) مروج الذهب للمسعودي ٤ : ٦٤ ، ١٨١ .

(٢) المقاتل لأبي الفرج : ١٨٤ ، ٤٢٣ .

(٣) مروج الذهب للمسعودي ٤ : ٦٤ و ١٨١ .

الصفحة ٣٣٩

لَكَنَّكُمْ تَهْتُمُ مَنَاهَ ؟ بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟ وَ لَعَمْرِي لِيُضَعَفَنَّ لَكُمْ النَّبِيُّ مِنْ بَعْدِي أضعافاً بما خَلَفْتُمْ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَ قَطَعْتُمْ الْأَدْنَى وَ وَصَلْتُمْ الْأَبْعَدَ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ اتَّبَعْتُمْ الدَّاعِيَ لَكُمْ سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ ؟ الرَّسُولِ ؟ وَ كُفَيْتُمْ مَوْنَةَ الْأَعْتَسَافِ وَ نَبَذْتُمْ الثَّقَلَ الْفَادِحَ عَنِ الْأَعْنَاقِ أَقُولُ : رواه الكليني في (روضة كافيهِ) و زاد قبله : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ الْمُنْتَحِلِينَ لِلْإِمَامَةِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا كَثِيرٌ » ١ .

« أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ لَمْ تَتَخَذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ » تخاذل الناس بعد نبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ ، نصر أهل بيته ، فاستشفع نساء أمير المؤمنين عليه السلام إليهم بسيدة نساء العالمين ، التي قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فِيهَا بِإِقْرَارِ الْأَوَّلِ وَ الثَّانِي كَمَا نَقَلَهُ ابْنُ قَتِيْبَةَ : « رِضَا فَاطِمَةَ مِنْ رِضَايَ ، وَ سَخَطَ فَاطِمَةَ مِنْ سَخَطِي ، فَمَنْ أَحَبَّ فَاطِمَةَ ابْنَتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَ مَنْ أَرْضَى فَاطِمَةَ فَقَدْ أَرْضَانِي ، وَ مَنْ أَسْخَطَ فَاطِمَةَ فَقَدْ أَسْخَطَنِي » ٢ فلم ينجع .

ففي (خلفاء ابن قتيبة) : وَ خَرَجَ عَلَيَّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ يَحْمِلُ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ عَلَى دَابَةِ لَيْلَا فِي مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ ، تَسْأَلُهُمُ النَّصْرَةَ ، فَكَانُوا يَقُولُونَ : يَا بِنْتَ رَسُولِ اللهِ قَدْ مَضَتْ بَيْعَتُنَا لِهَذَا الرَّجُلِ ، وَ لَوْ أَنَّ زَوْجَكَ وَ ابْنَ عَمِّكَ سَبَقَ إِلَيْنَا قَبْلَ أَبِي بَكْرٍ مَا عَدَلْنَا بِهِ . فيقول عليّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ : أَفَكَنْتِ أَدْعِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فِي بَيْتِهِ لَمْ أَدْفِنِهِ ، وَ أَخْرَجَ أَنْزَاعَ النَّاسِ بِسُلْطَانِهِ ؟ فقالت فاطمة :

ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ، و لقد صنعوا ما الله حسيبهم و طالبهم ٣ .

(١) رواه الكليني في الكافي ٨ : ٦٦ كتاب الروضة ضمن خطبة .

(٢) الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١ : ١٤ .

(٣) الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١ : ١٢ .

الصفحة ٣٤٠

« و لم تهنوا » أي : تضعفوا .

« عن توهين » أي : تضعيف .

« الباطل » خرجت عايشة عليه عليه السّلام و قد قال تعالى لها : و قرن في بيوتكنّ و لا تبرّجن تبرّج الجاهلية الاولى . . . ١ . و قال تعالى فيها و في صاحبته حفصة : . . . و إن تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه و جبريل و صالح المؤمنين و الملائكة بعد ذلك ظهيرا ٢ . و ضرب عزّ و جلّ لهما ، رامزا بكفرهما باطنا ، مثلا باعتراف عمر كما في (الكشّاف) في قوله جلّ و علا :

ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح و امرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا و قيل ادخلا النار مع الداخلين ٣ فتبادر إلى نصرها آلاف و كانوا يقولون :

يا أيّها الناس عليكم امّكم
فإنّها صلاتكم و صومكم

و كانوا يشمّون بعر جملها و يقولون : ريح بعره أطيب من المسك .

و كذلك طلحة و الزبير حاصرا عثمان حتّى قتل ، و كان عليه السّلام عن ذلك بمعزل ،

فخرجا عليه عليه السّلام بطلب ثاره ، فقتلا آلافا من عباد الله الصالحين ، و كان بطلان دعواهما و دعوى عايشة من الوضوح بمثابة أنكرها مثل المغيرة بن شعبه ،

الذي كان منافقا ، و كان أول من أمر بسبّه عليه السّلام مقيما خطباء في ذلك ليسرّ معاوية ، ففي (خلفاء ابن قتيبة) لما نزل طلحة و الزبير و عايشة بأوطاس ، قال المغيرة : أيّها الناس إن كنتم إنّما خرجتم مع امّكم فارجعوا بها خيرا لكم ، و إن كنتم غضبتم لعثمان فرؤساؤكم قتلوا عثمان ، و إن كنتم نقمتم على عليّ

شيئا

(١) الاحزاب : ٣٣ .

(٢) رواه من طرق كثيرة السيوطي في الدر المنثور ٦ : ٢٣٩ ٢٤١ و الفيروز آبادي في السبعة من

السلف : ١٣٥ ١٤٣ . و الآية ٤ من سورة التحريم .

(٣) الكشف للزمخشري ٤ : ٥٦٣ ، و الآية ١٠ من سورة التحريم .

الصفحة ٣٤١

فبيّنوا ما نقمتم عليه ١ .

« لم يطمع فيكم من ليس مثلكم ، و لم يقو من قوي عليكم » من بني امية أيام عثمان ، فإنّ استيلاء الأراذل على الناس أثر قهري لرديلة خذلان الحقّ و نصر الباطل ، قالوا : كان ابن عمر يبغض سلمان رحمه الله لما رآه يوم السقيفة يقول :

« كريد و نكريد » . فلما رأى مروان عدوّ الإسلام على منبر النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله ، قال :

رحم الله سلمان قال ما قال بعلم ٢ .

و لو كانوا لم يتخاذلوا عن منع الأوّل و الثاني لم يطمع فيه الثالث ، و لو لم يكن الثالث لم يطمع فيه معاوية ، اللعين بن اللعين على لسان النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله و المحارب له إلى أن أسلم كرها ، فاستسلم و لم يسلم ، و لو لم يكن معاوية لم يطمع فيه السكير القمير القردي يزيد ، و لو لم يكن هو لم يطمع فيه بنو مروان طريد النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله و الشجرة الملعونة في القرآن . و لذا قال النظام في جواب كلام عبد الملك ، الذي قرأه في السير في وصف نفسه : « إنّه ليس الخليفة الضعيف يعني عثمان و لا المداهن يعني معاوية و لا المافون يعني يزيد » : أيها الرجل لو لم يكن أولئك كنت أبعد من الخلافة من الثرى إلى الثريا .

« لكنكم تهتم » أي : تحيرتم .

« متاه بني إسرائيل » قال ابن أبي الحديد : جاء في المسانيد الصحيحة أنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله قال : لتركبن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل ، و القذة بالقذة حتّى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه . فقيل : يا رسول الله اليهود و النصارى ؟

قال : فمن إذن ٣ ؟

(١) الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١ : ٦٣ .

(٢) الشافي للمرتضى عنه الفتن من البحار : ٧٦ ، و الاحتجاج للطبرسي : ٧٦ .

(٣) رواهما ابن أبي الحديد في شرحه ٢ : ٤٧٠ .

الصفحة ٣٤٢

قال : و من الأخبار الصحيحة أيضا أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود و النصارى ١ ؟

و في (صحيح البخاري و مسلم) : أنه سيجاء يوم القيامة باناس من امتي فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فإذا رأيتهم اختلجوا دوني قلت : أي رب أصحابي .

فيقال لي : إنك لا تدري ما عملوا بعدك . فأقول ما قال العبد الصالح : . . . و كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم و أنت على كل شيء شهيد ٢ .

قال : و في (الصحيحين) أيضا : عن زينب بنت جحش قالت : استيقظ النبي صلى الله عليه و آله يوما من نومه محمرا وجهه و هو يقول : لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شرّ قد اقترب فقلت : يا رسول الله أنهلك و فينا الصالحون ؟ فقال : نعم إذا كثر الخبيث ٣ .

قال : و في (الصحيحين) أيضا : يهلك امتي هذا الحي من قريش . قالوا : يا رسول الله فما تأمرنا ؟ قال : لو أن الناس اعتزلوهم ٤ .

قلت : لم يذكر المراد من هذه الأخبار ، و الخبر الأخير يوضح أنه صلى الله عليه و آله أشار إلى يوم السقيفة ، فإنه مشتمل على أن قريشا تهلك أمته ، و كان الثاني استند في تقديم الأول إلى أن النبي صلى الله عليه و آله قال : الأئمة من قريش ٥ .

(١) رواهما ابن أبي الحديد في شرحه ٢ : ٤٧٠ .

(٢) صحيح البخاري ٤ : ٢٢١ ، و صحيح مسلم ٤ : ١٧٩٣ ، ١٨٠٠ ح ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٤٠ ، و رواه

عنهما ابن أبي الحديد في شرحه ٢ : ٤٧٠ ، و الآية ١١٧ من سورة المائدة .

(٣) أخرجه البخاري بطريقتين في صحيحه ٤ : ٢٢٢ ، ٢٣٣ ، و مسلم بأربع طرق في صحيحه ٤ :

٢٢٠٧ ، ٢٢٠٨ ح ١ ، ٢ ، و رواه عنهما ابن أبي الحديد في شرحه ٢ : ٤٧٠ .

- (٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٤ : ٢٢٢ ، و مسلم بطريقتين في صحيحه ٤ : ٢٢٣٦ ح ٧٤ ، و رواه عنهما ابن أبي الحديد في شرحه ٢ : ٤٧٠ .
- (٥) رواه الشريف الرضي في ضمن خطبة في نهج البلاغة ٢ : ٢٧ الخطبة ١٤٢ عن عليّ عليه السّلام ، و للحديث طرق كثيرة .

الصفحة ٣٤٣

فإن قيل : فلعلّه صَلَّى الله عليه و آله أشار إلى بني امية ، فإنهم أيضا كانوا من قريش .

قلت : نعم . لكن إنما يعبر باسمهم الخاص كبني هاشم ، و إنما يعبر عن الأولين بقريش لعدم شهرة تيم وعدي .

و لقد أفصح أمير المؤمنين عليه السّلام عن أنّ مراد النبي صَلَّى الله عليه و آله يوم السقيفة في جعلهم في تقديم الأوّل كمتبعي العجل ، ففي (خلفاء ابن قتيبة) : و لما أحضروا عليًا للبيعة لحق بقبر النبي صَلَّى الله عليه و آله و يصيح و ينادي . . . ابن أمّ إنّ القوم استضعفوني و كادوا يقتلونني . . . ١ .

و أوضح من ذلك كلمات سيّدة النساء صلوات الله عليها و خطبها في ذلك ٢ .

« و لعمرى ليضعقنّ لكم التّيه من بعدي أضعافا بما » ليست كلمة (بما) في (ابن ميثم و الخطيّة) ٣ .

« خلفتم الحقّ وراء ظهوركم ، و قطعتم الأدنى و وصلتم الأبعد » قال (ابن أبي الحديد) : يعني بالأدنى نفسه ، و وصلكم الأبعد يعني معاوية ٤ .

قلت : فكما معاوية أبعده منه عليه السّلام عن النبي صَلَّى الله عليه و آله كذلك صديقهم و فاروقهم ، فلم حمل اللفظ العام جزافا و اتّباعا للهوى على معنى خاص ، مع أنّ معاوية كان أقرب إلى النبي صَلَّى الله عليه و آله من الأوّل و الثاني ، فإنّه و النبي صَلَّى الله عليه و آله من بني عبد مناف ، و أين من ذلك تيم وعدي ؟ و لما أراد عمر نفسه يوم الشورى إشراك عثمان مع أمير المؤمنين عليه السّلام مع كونهما من حيث العمل كالنور و الظلمة ، و الحي و الميت قال مغالطة : إنهما من بني عبد مناف . ليقرب جعله

(١) الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١ : ١٣ ، و الآية ١٥٠ من سورة الأعراف .

(٢) مرّ تخريج خطبتيها المعروفتين في العنوان ١١ من الفصل الأوّل .

(٣) لفظ شرح ابن ميثم ٣ : ٣١٦ مثل المصرية أيضا .

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٤٧٠ .

الصفحة ٣٤٤

رديفا له عليه السلام . و ما يفعل ابن أبي الحديد بقوله عليه السلام لما سمع احتجاج الرّجلين في قبال الأنصار بأنهما من قومه قريش : « احتجّوا بالشجرة و أضاعوا الثمرة » ١ .

و لعمر الله ، لقد صدق صلوات الله عليه في تضعيف التّيه لهم أضعافا على بني إسرائيل ، لتركهم مثل أمير المؤمنين عليه السلام و أهل بيته المعصومين ،

و اتّباعهم لمثل الرّجلين ، مع منعهما النّبّي صلّى الله عليه و آله عن الوصيّة ، و تخلفهما عن الشّخص في جيش اسامة مع تأكّيده ساعة بعد ساعة في تجهيزه حتّى لعن المتخلف ٢ ، و تركهما لجنّازة نبيّهم صلّى الله عليه و آله ، و إرادتهما إحراق أهل بيته ٣ ،

و توطئتهما مع باقي قريش في جعل الأمر بينهم ، بإقرارهم بذلك في قصّة عمر مع ابن عبّاس ٤ ، و في نهرهم لمقداد و عمّار يوم الشّورى ٥ . فاحتاجوا لذلك إلى إنكار الضروريات و التشكيك في المتواترات و جحد البديهيّات ، و إلّا فكونه عليه السلام أدنى إلى النّبّي صلّى الله عليه و آله من الأوّل و الثاني أمر بديهي . فلم يقول هذا الرّجل : المراد به الاموي ؟ و قد قال عليه السلام يوم السقيفة كما اعترف به ابن قتيبة : الله الله يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمّد في العرب عن داره و قعر بيته إلى دوركم و قعور بيوتكم ، و لا تدفعوا أهله عن مقامه في النّاس و حقّه ، فو الله يا معشر المهاجرين لنحن أحقّ النّاس به ، لأنّنا أهل البيت ،

و نحن أحقّ بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارىء لكتاب الله ، الفقيه في دين الله ،

العالم بسنن رسول الله صلّى الله عليه و آله المضطلع بأمر الرّعية ، المدافع عنهم الامور

(١) رواه الشريف الرضي ضمن خطبة في نهج البلاغة ١ : ١١٦ الخطبة ٦٥ .

(٢) لعن النّبّي صلّى الله عليه و آله المتخلف عن جيشه ، رواه الجوهرى في السقيفة : ٧٥ مسندا ، و غيره مجردا .

(٣) حديث احراق بيت فاطمة عليها السلام مرّ تخريجه في شرح (الطلقاء) في العنوان ١١ من هذا الفصل .

(٤) تاريخ الطبري ٣ : ٢٨٩ سنة ٢٣ .

(٥) السقيفة للجوهري : ٨٤ ، ٨٥ ، وغيره .

الصفحة ٣٤٥

السيئة ، القاسم بينهم بالسوية ، و الله إنه لفينا ، فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعدا ١ .

و صاروا بذلك مستحقين لمثل وقعة الحرّة التي أباح صاحبها نساء المدينة لجيشه ، و أخذ منهم البيعة على أنهم عبدقن ليزيد ، و صاروا بذلك شركاء أربابهم في كلّ ظلم ورد على أهل بيت نبيهم من ذلك اليوم إلى الأبد ،

حتّى في قتل أمير المؤمنين عليه السّلام و الحسين عليه السّلام و باقي أهل البيت ، حتّى في ما لم يتصدّوا ، و حتّى من كان منهم اليوم مثل بني إسرائيل في زمان النّبّي صلّى الله عليه و آله و أسلافهم ، و مثل قوم صالح في شركتهم مع عاقر الناقة في الوزر مع عدم التصدي .

« و اعلّموا أنّكم إن اتبعتم الدّاعي لكم » يعني به نفسه عليه السّلام .

« سلك بكم منهاج الرّسول » و قد اعترف به فاروقهم فقال له عليه السّلام يوم الشورى كما قال ابن قتيبة و غيره : إنّك أحرى القوم إن وليتها أن تقيم على الحقّ المبين و الصراط المستقيم ٢ . و إن كان لما سمع ابنه عبد الله ذلك منه ،

قال له : فلم لا تستخلفه ؟ قال : أكره أن أتحمّلها حيّا و ميّتا لكن ما أصلب وجهه ،

كما أنه ما أقلّ شعورا اتباعه فكيف دبّر الأمر لعثمان ؟

« و كفيتم مؤونة الاعتساف » قال الجوهري : العسف : الأخذ على غير الطريق ، و كذلك التعسف و الاعتساف ٣ .

و المراد : خبط أمتهم في أحكام الشرع .

« و نبذتم الثّقل الفادح » أي : طرحتم الحمل الثقل الذي لا تطيقونه .

« عن الأعناق » و روي : أنه عليه السلام قال في بعض خطبه : « أيتها الأمة المتحيرة

(١) الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١ : ١٢ ، ٢٥ .

(٢) الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١ : ١٢ ، ٢٥ .

(٣) صحاح اللغة للجوهري ٤ : ١٤٠٣ مادة (عسف) .

الصفحة ٣٤٦

بعد نبيها ، أما إنكم لو قدمتم من قدم الله و أخرتم من أخر الله ، و جعلتم الولاية و الوراثة حيث جعلها الله ، ما عال ولي الله ، و لا طاش سهم من فرائض الله ، و لا اختلف اثنان في حكم الله ، و لا تنازعت الأمة في شيء من أمر الله ، إلا علم ذلك عندنا من كتاب الله فذوقوا و بال ما قدمت أيديكم و ما الله بظلام للعبيد . . . و سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ١ .

و إن شئت الاطلاع على اختلافهم في الاصول و الفروع ، و تناقضاتهم و خطباتهم ، و أقوالهم على خلاف مقتضى العقول ، فارجع إلى (ملل الشهرستاني) . و لو كانوا عليهم السلام متصدين للأمر لم يستطع أحد يقول برأيه في قباهم ، كما لم يستطع أحد أن يقول شيئا في مقابل الرسول صلى الله عليه و آله ، و اختلاف الشيعة في مسائل فقههم أيضا نتيجة تقدم اولئك ، فكانوا كثيرا ما يفتنون بالتقية ، و إلا فكلام آخرهم كلام أولهم ، و كلام أولهم كلام النبي صلى الله عليه و آله ، و كلام النبي صلى الله عليه و آله كلام الله تعالى .

٢٥

الخطبة (١٠٣) أَلَا وَ إِنِّ أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْخَيْرِ طَرْفُهُ أَلَا إِنِّ أَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ مَا وَعَى النَّذْكَيرَ وَ قَبْلَهُ . أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مَصْبَاحِ وَاعِظْ مُتَعِظٍ وَ امْتَاخُوا مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ مِنَ الْكَدْرِ عِبَادَ اللَّهِ لَا تَرَكُّنُوا إِلَى جِهَالَتِكُمْ وَ لَا تَتَّقَادُوا إِلَى أَهْوَانِكُمْ فَإِنَّ النَّازِلَ بِهَذَا الْمَنْزِلِ نَازِلٌ بِشَفَا جُرْفٍ هَارٍ يَنْقُلُ الرَّدَى عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَا لَا يَلْتَصِقُ وَ يَقْرَبَ مَا لَا يَتَقَارَبُ فَاللَّهُ اللَّهُ أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لَا يُشْكِي شَجْوَكُمْ وَ لَا يَنْقُضُ

(١) الكافي للكلييني ٧ : ٧٨ ح ١ ، ٢ بطريقين ، و الآية ٢٢٧ من سورة الشعراء .

بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أُبْرِمَ لَكُمْ إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ الْإِبْلَاحُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَالْاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ وَاللَّحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحَقِّيهَا وَإِصْدَارُ السُّهُمَانِ عَلَى أَهْلِهَا فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ وَمَنْ قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَنَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ وَانْهَوْا غَيْرَكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَتَاهَوْا عَنْهُ فَإِنَّمَا أَمَرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي « أَلَا وَإِنَّ أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ » أَي : دَخَلَ .

« فِي الْخَيْرِ طَرَفُهُ » أَي : عَيْنُهُ ، قَالَ تَعَالَى : لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرَفُهُمْ . . . ١ .

« أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ مَا وَعَى » بِفَتْحِ الْعَيْنِ ، أَي : حَفِظَ .

« التَّذْكِيرِ » الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ الْمَذْكَرِ .

« وَ قَبْلَهُ » وَ بَصَرَ وَ سَمِعَ لَيْسَا كَذَلِكَ ، لَيْسَا بِسَمْعٍ وَ بَصَرٍ بَلْ عَيْنٌ وَ أُذُنٌ بَلَا ثَمَرَ ، قَالَ تَعَالَى : . . . وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَ لَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا . . . ٢ وَ لَذَا وَصَفَهُمْ تَعَالَى بِالصَّمِّ وَ الْعَمَى .

« أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَصْبِحُوا مِنْ شَعْلَةِ مَصْبَاحٍ وَاعْظُ مَتَّعْظُ » يَعْنِي عَلَيْهِ السَّلَامُ نَفْسَهُ ،

كَانَ يَعِظُ النَّاسَ بِمَا يَعْمَلُ بِهِ ، لَا ككَثِيرٍ وَعَظَهُمْ مَجْرَدَ قَوْلٍ ، وَ رَوَى عَنِ السَّجَادِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : مِثْلُنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ كَمِثْلِ مَشْكَاتٍ ، فَحَنَ الْمَشْكَاتِ وَ الْمَشْكَاتِ الْكُورَةَ فِيهَا مَصْبَاحٌ ٣ .

وَ رَوَى مِثْلَهُ عَنِ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَا كَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَنْدَبٍ وَ زَادَ :

(١) إِبْرَاهِيمَ : ٤٣ .

(٢) الْأَعْرَافَ : ١٧٩ .

(٣) كَنْزُ الْفَوَائِدِ لِشَرْفِ الدِّينِ عَنْهُ الْبَحَارُ ٢٣ : ٣١١ ح ١٦ عَنِ السَّجَادِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَ تَفْسِيرُ الْقَمِيِّ ٢ : ١٠٤ ضَمِنَ الْكِتَابَ الْمَذْكَورَ عَنِ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَ تَفْسِيرُ الْفَرَاتِ : ١٠٤ ، وَ كَنْزُ جَامِعِ الْفَوَائِدِ لِشَرْفِ الدِّينِ عَنْهُ الْبَحَارُ ٢٣ : ٣٢٤ ح ٤٠ ضَمِنَ كِتَابَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَنْدَبٍ عَنِ السَّجَادِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

الصفحة ٣٤٨

فَالنَّوْرُ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَهْدِي اللَّهُ لَوْلَايَتِنَا مِنْ أَحَبِّ ، وَ حَقَّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَبْعَثَ وَلِيْنَا مَشْرِقًا وَجْهَهُ ١ .

« و امتاحوا » في (الصحاح) : الماتح : المستقي و كذلك المتوح تقول : متح الماء يمتحه متحا إذا نزحه ، و الماتح الذي ينزل البئر فيملاً الدلو ٢ .

و في (الأساس) : ماح الماء يميحه و امتاحه ٣ .

و لا يصح هنا إلا الثاني لأنه ليس في العين نزح ، و امتاحوا أيضا من الميح ، فقول ابن ميثم : الماتح : الجاذب للدلو من البئر ٤ في غير محلّه .

روي أنه سئل الرضا عليه السلام عن قوله عزّ و جلّ : قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتكم بماء معين ٥ ، فقال : ماؤكم أبوابكم ، أي :

الأئمة عليهم السلام . و الأئمة أبواب الله بينه و بين خلقه . . . يأتكم بماء معين ٦ يعني بعلم الامام ٧ .

و عن الصادق عليه السلام في قوله عزّ و جلّ : و ألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا ٨ : لأفدناهم علما كثيرا يتعلمونه من الأئمة ٩ .

(١) كنز الفوائد لشرف الدين عنه البحار ٢٣ : ٣١١ ح ١٦ عن السجاد عليه السلام ، و تفسير القمي ٢ : ١٠٤ ضمن الكتاب المذكور عن الرضا عليه السلام ، و تفسير الفرات : ١٠٤ ، و كنز جامع الفوائد لشرف الدين عنه البحار ٢٣ : ٣٢٤ ح ٤٠ ضمن كتاب الرضا عليه السلام إلى عبد الله بن جندب عن السجاد عليه السلام .

(٢) صحاح اللغة للجوهري ١ : ٤٠٣ مادة (متح) ، و ١ : ٤٠٨ مادة (ميح) .

(٣) اساس البلاغة : ٤٤٠ مادة (ميح) .

(٤) شرح ابن ميثم ٣ : ٢٤ .

(٥) الملك : ٣٠ .

(٦) الملك : ٣٠ .

(٧) تفسير القمي ٢ : ٣٧٩ .

(٨) الجن : ١٦ .

(٩) رواه الطبرسي في مجمع البيان ١٠ : ٣٧٢ ، و شرف الدين بطريقتين في كنز جامع الفوائد عنه

البحار ٢٤ : ٢٨ ، ٢٩ ح ٦ ، ٧ .

الصفحة ٣٤٩

و قال الصدوق : قال محمد بن الحسن بن أبي خالد الأشعري الملقب بشنبولة :

بئر معطلة و قصر مشرف

مثل لآل محمد مستطرف

فالناطق القصر المشيد منهم

و الصامت البئر التي لا تنزف ١

« من صفو عين » أي : عين صافية .

« قد روقت » أي : صفيت .

« من الكدر » قال الشاعر :

لو كنت ماء كنت غير كدر ٢

« عباد الله لا تركنوا » أي : لا تعتمدوا و لا تسكنوا .

« إلى جهالتكم » قال الباقر عليه السلام لأبي حمزة الثمالي : يخرج أحدكم فراسخ فيطلب لنفسه دليلا ، و

أنت بطرق السماء أجهل منك بطرق الأرض ، فاطلب لنفسك دليلا ٣ .

« و لا تتقادوا » أي : لا تكونوا متبعين .

« إلى أهوائكم » هكذا في (المصرية) ، و الصواب : (لأهوائكم) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و

الخطية) ٤ ، قال الباقر عليه السلام في قوله تعالى : . . . أ فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم

استكبرتم فريقا كذبتم و فريقا تقتلون ٥ : جاءكم محمد صلى الله عليه و آله بما لا تهوى أنفسكم بموالاته

علي عليه السلام

(١) معاني الأخبار للصدوق : ١١٢ ، و غيره .

(٢) لسان العرب ٥ : ١٣٤ مادة (كدر) .

(٣) الكافي للكلييني ١ : ١٨٤ ح ١٠ .

- (٤) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢١٧ ، و شرح ابن ميثم ٣ : ٢٣ مثل المصرية أيضا .
(٥) البقرة : ٨٧ .

الصفحة ٣٥٠

فاستكبرتم ، ففريقا من آل محمد كذبتم و فريقا تقتلون ١ .

« فإنّ النازل بهذا المنزل » أي : الركون إلى جهالته و المنقاد لهواه .

« نازل بشفا » بفتح الشين ، قال تعالى : . . . و كنتم على شفا حفرة من النار . . . ٢ أي : طرفها و حرفها .

« جرف » في (الصحاح) : الجرف و الجرف ، مثل عسر و عسر : ما تجرفته السيول ، و أكلته من الأرض . و منه قوله تعالى : . . . على شفا جرف هار . . . ٣ .

« هار » في (الصحاح) : هار الجرف يهور هورا و هوورا فهو هائر ، و يقال أيضا : جرف هار . خفضوه في موضع الرفع ، و أرادوا هائرا و هو مقلوب من الثلاثي إلى الرباعي ، كما قلبوا شائك السلاح إلى شاكى السلاح ٤ .

قال الباقر عليه السلام في قوله تعالى : ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ٥ : كرهوا ما أنزل الله تعالى في عليّ عليه السلام فأحبط أعمالهم ٦ .

و لما قال عمر لابن عباس كما في (الطبري) و غيره : إنّ قريشا كرهت أن يجمعوا لكم النبوة و الخلافة ، قال ابن عباس له : ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ٧ .

« ينقل الردي » أي : أسباب هلكته من (ردي) بالكسر ، أي : هلك .

« على ظهره من موضع إلى موضع » فيكون قتل نفسه بيده ، و في (الأمثال) :

(١) الكافي للكليني ١ : ٤١٨ ح ٣١ ، و العياشي في تفسيره ١ : ٤٩ ح ٩٨ .

(٢) آل عمران : ١٠٣ .

(٣) صحاح اللغة ٤ : ١٣٣٦ مادة (جرف) ، و الآية ١٠٩ من سورة التوبة .

(٤) صحاح اللغة ٢ : ٨٥٦ مادة (هور) .

(٥) محمّد : ٩ .

(٦) تفسير القمي ٢ : ٣٠٢ ، و تفسير محمد بن العباس عنه البرهان ٤ : ١٨٢ ح ٢ .

(٧) تاريخ الطبري ٣ : ٢٨٩ سنة ٢٣ ، و الآية ٩ من سورة محمّد .

الصفحة ٣٥١

كالباحث عن حنفة بظلفه ١ . و كالباحث عن الشفرة ٢ .

« لرأي يحدثه بعد رأي ، يريد أن يلصق ما لا يلتصق و يقرب ما لا يتقارب » كآراء عمر في ميراث الجدّ ، فنقلوا عنه مائة رأي فيه ، و كآراء أبي حنيفة ، فيفتي اليوم بأمور عظام ، كقتل من فعل كذا ، و حلية فرج امرأة كانت كذا ، و يفتي غدا بخلافها مع أنّ دين الله تعالى لا يصاب بالعقول ، و من قاس كان أبعد عن دينه من الأرض إلى السماء ، فالقتل مع كونه أشدّ من الزنا يثبت بشاهدين ، و الزنا لا يثبت إلاّ بأربعة ، و الحائض تقضي الصوم و لا تقضي الصلاة مع كون الصلاة أعظم وجوبا من الصوم ، و أوّل من قاس إبليس قال تعالى له : . . . ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي . . . ٣ قال : أنا خير منه خلقتني من نار و خلقتني من طين ٤ .

و غرضه عليه السّلام وجوب الرجوع بعد النّبّي صلّى الله عليه و آله إلى أهل بيته الذين يقولون ما يقولون عنه صلّى الله عليه و آله لا عن رأي .

« فالله الله أن تشكوا » من شكّا يشكو .

« إلى من لا يشكي » من أشكى يشكي ، أي : لا يزيل .

« شجوكم » أي : همكم و حزنكم .

« و لا ينقض برأيه ما قد أبرم » أي : احكم .

« لكم » قال ابن أبي الحديد : و يروى بدل « و لا ينقض . . . » : « و من ينقض برأيه ما قد أبرم لكم »

. ٥

(١) لسان العرب لابن منظور ٢ : ١١٤ مادة (بحث) ، و لفظه : « كباحثة عن حنفتها بظلفها » .

(٢) مجمع الأمثال للميداني ٢ : ١٥٧ .

(٣) ص : ٧٥ .

(٤) ص : ٧٦ .

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢١٧ .

الصفحة ٣٥٢

قلت : لم ينقل ابن ميثم ١ غيره ، و نسخته بخط المصنّف فهو المتعيّن ، مع أنّه لا معنى للأول إلاّ بتكلف ، و أمّا الثاني فلا غبار عليه .

و قد نقض فاروقهم ما أبرمه الله تعالى لعباده برأيه من متعة الحجّ ،

و متعة النساء ، فقال : متعتان كانتا على عهد رسول الله أنهى عنهما ، و أعاقب عليهما ٢ .

و قد نقض برأيه ما أبرمه الله تعالى بقوله : . . . و اولو الأرحام بعضهم أولى ببعض . . . ٣ من تقديم بعض الطبقات على بعض ، كالوالدين و الأولاد على الجدّين و الإخوة و الأخوات ، و هم على الأعمام و الأخوال ، فرأى لهم التعصيب ٤ .

و قد نقض برأيه ما أبرمه الله تعالى لعباده من تقديم ذي الفرضين ،

كالزّوجين و الوالدين على ذي فرض واحد ، كالبنات و الأخوات بورود النقص على الأخير ، فرأى لهم العول بجعل النقص على الفريقيين ٥ ، إلى غير ذلك ممّا فصلّ في محله .

« إنه ليس على الإمام إلاّ ما حمل من أمر ربّه » و ما على الرسول إلاّ البلاغ ٦ .

« الإبلاغ في الموعظة » هكذا في (المصرية) ، و الصواب : (الإبلاغ في الموعظة) كما في (ابن أبي

الحديد و ابن ميثم و الخطّية) ٧ .

(١) شرح ابن ميثم ٣ : ٢٤ .

(٢) رواه الطحاوي و أبو صالح في نسخته عنهما منتخب كنز العمال ٦ : ٦٠٤ ، و غيرهما .

(٣) الأنفال : ٧٥ .

(٤) روى بعض أفضية عمر في الفرائض بالتعصيب و العول المتقي في منتخب كنز العمال ٤ : ٢٠٥ .
الفصل الأول .

(٥) روى بعض أفضية عمر في الفرائض بالتعصيب و العول المتقي في منتخب كنز العمال ٤ : ٢٠٥ .
الفصل الأول .

(٦) العنكبوت : ١٨ .

(٧) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢١٨ ، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٣ : ٢٤ « إلا البلاغ » .

الصفحة ٣٥٣

كان عليه السلام يعظ الناس عموما و خصوصا ، ليلا و نهارا ، كتبا و شفاهها ،

قريبه و بعيده ، وليه و عدوه ، كما كانت الأنبياء عليهم السلام كذلك ، قال تعالى حكاية عن نوح : قال رب
إنني دعوت قومي ليلا و نهارا ١ .

و قد كان عليه السلام كل ليلة بعد صلاة العشاء يقبل بوجهه على الناس و يقول لهم : تجهّزوا رحمكم الله
فقد نودي فيكم بالرحيل ، و إنّ أمامكم عقبة كؤودا ،

و منازل مخوفة مهولة لا بدّ من الورود عليها ، و الوقوف عندها ، و اعلموا أنّ ملاحظ المنية نحوكم دائية
، و كأنكم بمخالبتها ، و قد نشبت فيكم ، و قد دهمتكم منها مطلقات الامور ، و مفضعات المحذور ، فقطعوا
علائق الدنيا ، و استظفروا بزد التقوى ٢ .

و كان عليه السلام كل نهار يضع الدرّة على منكبه ، و يمشي إلى السوق ، و يقف على أهله صنفا صنفا ،
و ينادي : معاشر الناس قدّموا الاستخارة ، و تبرّكوا بالسهولة ، و اقتربوا من المبتاعين ، و تزينوا بالحلم ،
و تناهوا عن اليمين ،

و جانبوا الكذب ، و تجافوا عن الظلم ، و أنصفوا المظلومين ، و لا تقربوا الربا ،

و أوفوا الكيل و الميزان و لا تبخسوا الناس أشياءهم و لا تعثوا في الأرض مفسدين ٣ . ثمّ ينشدهم :

تفنى اللذائة ممّن نال صفوتها

من الحرام و يبقى الإثم و العار

تبقى عواقب سوء في مغبتها
لا خير في لذة من بعدها النار ٤

و يقرأ لاولي الرياسة : تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً

(١) نوح : ٥ .

(٢) الامالي الصدوق : ٤٠٢ ح ٧ المجلس ٧٥ ، بفرق يسير .

(٣) هود : ٨٥ .

(٤) الامالي الصدوق : ٤٠٢ ح ٦ المجلس ٧٥ ، بفرق يسير .

الصفحة ٣٥٤

في الأرض و لا فسادا و العاقبة للمتقين ١ . و يكفيك هذا الكتاب في إبلاغه عليه السلام في الموعظة .

« و الاجتهاد » أي : السعي .

« في النصيحة » لأن الامام كالنبي وجوده لطف من الله على عباده ،

فالواجب عليه السعي و الاجتهاد في نجاة العباد من النار ، و في تخفيف عذابهم ، و لذا لما سمع الحسين عليه السلام في قصر بني مقاتل بكون عبيد الله بن الحر الجعفي هناك بعث إليه يدعوه فأبى أن يأتيه ، فذهب بنفسه إليه و حثه على نصرته ، فأبى ، فقال له : فإن لا تتصرنا فاتق الله أن تكون ممن يقاتلنا ، فوالله لا يسمع و اعيتنا أحد ثم لا ينصرنا إلا هلك ٢ .

« و الإحياء للسنة » أي : سنة النبي صلى الله عليه و آله لا غيره ، فلما شرط عبد الرحمن بن عوف عليه عليه السلام يوم الشورى سنة الشيخين إن أراد أن يبايعه قال عليه السلام : لا سنة إلا سنة النبي صلى الله عليه و آله . فنزل عليه السلام عن حقه ٣ ليفهم الناس بطلان مسلكهم ،

و كونهم مبتدعين على خلاف كتاب الله و سنة رسوله .

و لما جعل المأمون علي بن موسى الرضا عليه السلام ولي عهد ، و حضر العيد سأله أن يركب و يحضر و يخطب ، لتطمئن قلوب الناس ، و يعرفوا فضله ،

فقال له : قد علمت ما كان بيني و بينك من الشروط في دخول هذا الأمر ، فإن أعفيتني فهو أحب إليّ ، و إلاّ خرجت كما كان النبيّ صلى الله عليه و آله و أمير المؤمنين عليه السلام يخرج . فقال : اخرج كما تحبّ . و أمر المأمون القوادم و الناس أن يبكروا إلى بابه ،

فقدع الناس له في الطرقات و السطوح ، من الرجال و النساء و الصبيان ، و اجتمع

(١) مجمع البيان للطبرسي ٧ : ٢٦٨ ، و الآية ٨٣ من سورة القصص .

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٣٠٧ سنة ٦١ .

(٣) أخرج هذا المعنى البلاذري في أنساب الأشراف ٥ : ٢٢ ، و الجوهري في السقيفة : ٨٥ ، و الطبري في تاريخه ٣ : ٣٠١ سنة ٢٣ ، و غيرهم .

الصفحة ٣٥٥

القوادم على بابه ، فلما طلعت الشمس قام فاغتسل و تعمم بعمامة بيضاء من قطن ، و ألقى طرفا منها على صدره و طرفا بين كتفيه ، و تشمر ثم قال لجميع مواليه : افعلوا مثل ما فعلت . فأخذ بيده عكازة و هم بين يديه ، و هو حاف قد شمر سراويله إلى نصف الساق ، و عليه ثياب مشمّرة ، فلما قام و مشينا بين يديه ، رفع رأسه إلى السماء و كبر أربع تكبيرات ، فخيّل إليهم أنّ الهواء و الحيطان تجاوبه ، و القوادم و الناس على الباب و قد تزيّنوا و لبسوا السلاح ،

فلما طلّعوا عليهم ، و طلع عليه السلام وقف على الباب ، و قال : الله أكبر الله أكبر الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام ، و الحمد لله على ما أبلانا . و رفع بذلك صوته ،

و رفعوا أصواتهم ، فترعزت مرو من البكاء و الصياح ، فقالها ثلاث مرّات ،

فسقط القوادم عن الدواب و رموا بخفافهم لما نظروا إليه ، و لم يتمالك الناس من البكاء و الصيحة ، و كان عليه السلام يمشي و يقف في كلّ عشر خطوات ، فكبر الله أربع مرّات يتخيّل إليهم أنّ السماء و الأرض و الحيطان تجاوبه ، فبلغ المأمون ذلك ، فقال له الفضل بن سهل : إن بلغ الرضا المصلّي على هذا افتتن به الناس ، فالرأي أن تسأله أن يرجع . فبعث إليه بالرجوع ، فدعا بخفه ،

فلبسه و رجع ١ .

« و إقامة الحدود على مستحقيها » قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا رَوَى (الكافي) : ساعة من إمام عدل أفضل من عبادة سبعين سنة ، و حدّ يقام لله في الأرض أفضل من مطر أربعين صباحا ٢ .

روي عن الصادق عليه السلام : كان عليّ عليه السلام إذا أتى بغيلا و جارية لم يدركا لا يبطل حدّا من حدود الله ، كان يأخذ السوط بيده و من وسطه أو من ثلثه ، ثمّ

(١) الكافي للكليني ١ : ٤٨٨ ح ٧ ، و عيون الأخبار للصدوق ٢ : ١٤٧ ح ٢١ ، و الإرشاد للمفيد : ٣١٢ .

(٢) الكافي للكليني ٧ : ١٧٥ ح ٨ .

الصفحة ٣٥٦

يضرب به على قدر أسنانهم ١ .

و في (مروج المسعودي) : لما شاع بالكوفة أمر الوليد بن عقبة في شربه هجم عليه جماعة ، منهم أبو زينب بن عوف الأزدي ، و جندب بن زهير الأزدي ،

و غيرهما فوجدوه سكران مضطجعا على سريره لا يعقل ، فأيقظوه من رقدته فلم يستيقظ ، ثمّ تقايا عليهم ما شرب من الخمر ، فانتزعوا خاتمه من يده ،

و خرجوا من فورهم إلى المدينة ، فأتوا عثمان فشهدوا عنده : أنه شرب الخمر .

فقال : و ما يدريكما أنه شرب خمر ؟ قالوا : هي الخمر التي كنا نشربها في الجاهلية . و أخرجوا خاتمه فدفعاه إليه ، فدفع في نحورهما و قال : تنحيا عني .

فخرجوا و أتيا عليّ بن أبي طالب عليه السلام و أخبراه بالقصة ، فأتى عثمان و هو يقول :

دفعت الشهود ، و أبطلت الحدود . فقال له عثمان : فما ترى ؟ قال : أرى أن تبعث إلى صاحبك ، فإن أقاما الشهادة عليه في وجهه ، و لم يدل بحجة أقمت عليه الحدّ . فلما حضر الوليد دعاها عثمان ، فأقاما الشهادة عليه و لم يدل بحجة ،

فألقى عثمان السوط إلى عليّ عليه السلام ، فقال عليّ عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام : قم يا بني فأقم عليه ما أوجب الله عليه . فقال : يكفيه بعض من ترى . فلما نظر إلى امتناع الجماعة عن إقامة الحدّ عليه توقياً لغضب عثمان لقرابته منه ، أخذ عليّ عليه السلام السوط و دنا منه ، فلما أقبل نحوه سبه الوليد ، و قال : يا صاحب مكس . فقال عقيل بن أبي طالب و كان ممّن حضر : إنك لتتكلم يا بن أبي معيط كأنك لا تدري من أنت ؟ إنما أنت عالج من أهل صفورية كان ذكر أنّ أباه كان يهودياً منها فأقبل الوليد يروغ من عليّ عليه السلام فاجتذبه فضرب به الأرض ، و علاه بالسوط . فقال عثمان : ليس لك أن تفعل به هذا . قال : بلى و شرّاً من هذا ، إذا فسق

(١) الكافي للكليني ٧ : ١٧٦ ح ١٣ ، و المحاسن للبرقي : ٢٧٣ ح ٣٧٧ ، و الفقيه للصدوق ٤ : ٥٣ ح ١٤ ، و التهذيب للطوسي ١٠ : ١٤٦ ح ١٠ ، ضمن حديث .

الصفحة ٣٥٧

و منع من حقّ الله تعالى أن يؤخذ منه ١ .
و فاروقهم عطّل الحدّ على المغيرة ، فمنع زيادا عن إقامة الحدّ عليه ،
لاحتياجه إليه في دهائه ، و كان مقرّاً بذلك ، فكان إذا رأى المغيرة قال كما في (أغاني أبي الفرج) : و
الله ما أظنّ أبا بكره كذب عليك ، و ما رأيتهك إلاّ خفت أن ارمى بالحجارة ٢ من السماء . و كان أمير
المؤمنين عليه السلام يقول : لئن ظفرت بالمغيرة لا تبعته حجارة ٣ . و قال الحسن عليه السلام لمعاوية :
و الله سائل عمر عن تعطيله الحدّ على المغيرة ٤ .

« و إصدار السّهمان » في (الصحاح) : السّهم : النّصيب ، و الجمع السّهمان ٥ .
« على أهلها » و لما قيل له عليه السلام : لو فضلت الأشراف كان أجدر أن يناصحوك ، غضب و قال :
أتأمروني أن أطلب النّصر بالجور في من وليت عليه ٦ ؟

و روى المدائني : أنّ ابن عبّاس كتب إلى الحسن عليه السلام بعد أبيه : و اعلم أنّ عليّاً أباك إنّما رغب
النّاس عنه إلى معاوية أنّه آسى بينهم في الفياء ، و سوّى بينهم في العطاء فتقل عليهم ٧ .

و لما سأله عقيل أخوه صاعاً زائداً على سهمه من بيت المال ،

أحمى له حديدة و أدناها منه ، فضجّ فقال عليه السّلام له : تكلتك الثواكل أثنّ

- (١) مروج الذهب للمسعودي ٢ : ٣٣٥ .
 (٢) الأغاني لأبي الفرج ١٦ : ٩٩ .
 (٣) الكافي للكليني ٧ : ١٨٢ ح ٨ ، و التهذيب للطوسي ١٠ : ٤٢ ح ١٥٢ ، و الاستبصار ٤ : ٢١٥ ح ١٢ ، و غيرهم .
 (٤) المفخرات للزبير بن بكار عنه شرح ابن أبي الحديد ٢ : ١٠٤ ، شرح الخطبة ٨٢ ضمن حديث طويل ، و النقل بالمعنى .
 (٥) صحاح اللغة ٥ : ١٩٥٦ مادة (سهم) .
 (٦) رواه الشريف الرضي ضمن خطبة في نهج البلاغة ٢ : ٦ الخطبة ١٢٤ .
 (٧) نقله عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٤ : ٩ ، شرح الحكمة ٢٠٥ ضمن كتاب .

الصفحة ٣٥٨

من أذى و لا أئن من لظى ١ ؟

« فبادروا العلم من قبل تصويح » أي : يبس .

« نبته » و في (الأساس) : صوّحت الرّيح و الحرّ البقل : يبسته حتى تشقق ،

و صوّح بنفسه و تصوّح ٢ .

و كلامه عليه السّلام هذا في معنى قوله عليه السّلام : سلوني قبل أن تفقدوني ٣ .

« و من قبل أن تشغلوا بأنفسكم عن مستنار العلم » هكذا في (المصرية) ،

و الصواب : ما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطّية) ٤ : « مستنار العلم » .

و في (الصحاح) : ثورّ البرك و استنارها ، أي : أزعجها ، و أنهضها ٥ .

و في (الأساس) : و استنارته : هيّجته ، قال :

أثار الليث في عريس غيل
له الويلات مما يستثير ٦

« من عند أهله » قالت الشراح : أي : من قبل أن تشغلوا بالفتن عنه من عندهم ٧ .

قلت : و يمكن أن يراد به الشغل بحضور الموت عنه كذلك ، نظير قوله تعالى : و أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربّ لو لا أخرتني إلى أجل قريب فأصدّق و أكن من الصّالحين ٨ ، و قوله تعالى :

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ١٠٩ ، و غيره .

(٢) أساس البلاغة : ٢٦١ مادة (صوح) .

(٣) رواه الشريف الرضي ضمن خطبة في نهج البلاغة ٢ : ١٣٠ الخطبة ١٨٧ .

(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢١٨ ، لكن في شرح ابن ميثم ٣ : ٢٤ « مستنار » أيضا .

(٥) صحاح اللغة ٢ : ٦٠٦ مادة (ثور) .

(٦) أساس البلاغة : ٤٩ مادة (ثور) .

(٧) هذا معنى قول ابن أبي الحديد في شرحه ٢ : ٢١٨ ، و ابن ميثم في شرحه ٣ : ٢٩ .

(٨) المنافقون : ١٠ .

الصفحة ٣٥٩

أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله . . . ١ .

« و انهوا عن المنكر ، و تهاهوا عنه فإنما أمرتم بالنهي بعد التناهي » كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ٢ ، . . . ما اريد أن اخالفكم إلى ما أنهاكم عنه . . . ٣ .

٢٦

من الخطبة (١٦٧) (١٦٧) وَ إِنَّمَا طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَدًا لِمَنْ أَفَاءَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَرَادُوا رَدَّ الْأُمُورِ عَلَىٰ أَدْبَارِهَا وَ لَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَ سِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ الْقِيَامُ بِحَقِّهِ وَ النَّعْشُ لِسُنَّتِهِ . « و إنما طلبوا » أي : أصحاب الجمل .

« هذه الدنيا حسدا » أي : لحسدهم .

« لمن أفاءها الله » أي : أرجعها ، أي : الخلافة .

« عليه » بعد الثلاثة كما جعلها له النبي صلى الله عليه وآله من الله تعالى .

« فأرادوا ردّ الامور على أدبارها » و غضبها أخيرا أيضا كالابتداء ، و قال ابن أبي الحديد : هذا الكلام لا يشعر بأنه عليه السلام كان يعتقد أنّ الأمر له ، و أنه غلب عليه ثم رجع إليه ، و لكنّه محمول على أنه من رسول الله صلى الله عليه وآله بمنزلة الجزء من الكلّ ،

و أنّهما من جوهر واحد ، فلما كان الوالي قديما هو رسول الله صلى الله عليه وآله و آله ثمّ تخلّل بين و لايته ، و ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ولايات غريبة سمّى و لايته فيئا و رجوعا ،

لأنّها رجعت إلى الدوحة الهاشمية ، و بهذا يجب أن يتأوّل قوله عليه السلام : « فأرادوا

(١) الزمر : ٥٦ .

(٢) المائدة : ٧٩ .

(٣) هود : ٨٨ .

الصفحة ٣٦٠

ردّ الامور على أدبارها » أي : أرادوا انتزاع الخلافة من بني هاشم كما انتزعت أولا ، و إقرارها في بيوت بعيدة عن هذا البيت ، اسوة بما وقع من قبل ١ .

قلت : لازم كونه عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله و آله من جوهر واحد ، و كونه بمنزلة الجزء منه ، هو اعتقاده كون الأمر له أولا ، و أنه غلب عليه بل و فوق ذلك ، و أنّ المنازع له ، و المنتزع منه سلطانه كالمنازع للنبي صلى الله عليه وآله و آله و كالمنتزع من النبي صلى الله عليه وآله و آله سلطانه . و لعمر الله لو فرض نشر النبي صلى الله عليه وآله و آله و رجوعه إلى الدنيا لدفعوه عن مقامه كما دفعوا أمير المؤمنين عليه السلام . و لقد أفصح عن ذلك من خلفائهم من كان أعرف ، و أعلم من الثلاثة بمراتب ، و أقرب منهم إلى النبي صلى الله عليه وآله و آله بدرجات لكونه من هاشم المنصور العباسي . فلما خرج عليه محمد الحسن بن بالمدينة قال : لو خرج عليّ صاحب قبرها كنت مضطرا إلى قتاله و قتله ، فالملك عقيم .

ثم ما يفعل بكلماته الصريحة ، و المحفوفة بالشواهد ، و القرائن في باقي المواطن ؟ فمن كلامه عليه السلام يوم السقيفة كما في (خلفاء ابن قتيبة) : الله الله يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره و قعر بيته إلى دوركم و قعور بيوتكم ، و لا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس و حقه ، فو الله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به صلى الله عليه و آله لأننا أهل البيت ، و نحن أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارىء لكتاب الله ، الفقيه في دين الله ، العالم بسنن رسول الله ، المضطلع بأمر الرعية ، المدافع عنهم الامور السيئة ، القاسم بينهم بالسوية ، و الله إنه لفينا ، فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعدا ٢ .

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٤٧٣ .

(٢) الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١ : ١٢ .

الصفحة ٣٦١

و لكون كلامه عليه السلام بهذه المثابة من الصراحة قال له عليه السلام بشير بن سعد أبو نعمان بن بشير الأنصاري مع كونه أول من بايع أبا بكر حتى قبل عمر ، حسدا له لابن عمه سعد بن عباد أن ينال الأمر : و لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلفت عليك .

و من كلامه عليه السلام بعد بيعة الناس له ما رواه المدائني عن عبد الله بن جنادة ، قال : قدمت من الحجاز أريد العراق في أول إمارة علي عليه السلام فمررت بمكة ، فاعتمرت ثم قدمت المدينة ، فدخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله إذ نودي للصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، و خرج علي متقلدا سيفه ، فشخصت الأبصار نحوه فحمد الله ، و صلى على رسوله ثم قال : أما بعد ، فإنه لما قبض الله نبيه صلى الله عليه و آله قلنا : نحن أهله و ورثته و عترته و أولياؤه دون الناس ، لا ينازعنا سلطانه أحد و لا يطمع في حقنا طامع ، إذ انبرى لنا قومنا ، فغصبونا سلطان نبينا ، فصارت الإمرة لغيرنا ، و صرنا سوقة يطمع فينا الضعيف ، و يتعزز علينا الدليل ، فبكت الأعين منا لذلك ، و خشنت الصدور ، و جزعت النفوس ، و ايم الله لو لا مخافة الفرقة بين المسلمين ، و أن يعود الكفر ، و يبور الدين لكنا غير ما كنا لهم ١ .

فهل ترى كلاما أصرح منه في مغلوبيته و مظلوميته ، و غاصبية المتقدمين عليه ؟

« و لكم علينا العمل بكتاب الله تعالى ، و سيرة رسول الله صلى الله عليه و آله و القيام بحقه و النعش »
أي : الرفع .

« لسنته » كلامه عليه السلام هذا دالٌّ على أن المناط في استحقاق الخلافة و الإمامة : الخروج عن عهدة العمل بكتاب الله تعالى و سنة نبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ كَمَا

(١) نقله عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ١ : ١٠١ ، شرح الخطبة ٢٢ .

الصفحة ٣٦٢

ينبغي ، كما هو مذهب الإمامية ، دون بيعة الامة كما هو مسلك العامة .

و مثل كلامه عليه السلام في ذلك كلام ابنه الحسن و الحسين صلوات الله عليهما ، روى أبو الفرج في (مقاتله) مسندا : أن معاوية أمر الحسن عليه السلام أن يخطب لما سلم الأمر إليه ، و ظنّ أنه سيحصر ، فقال في خطبته : إنما الخليفة من سار بكتاب الله و سنة نبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ، و ليس الخليفة من سار بالجور ، ذلك ملك ملكا يمتع به قليلا ثم تنقطع لذته ، و تبقى تبعته و إن أدري لعله فتنة لكم و متاع إلى حين ١ .

و في (الإرشاد) عن الكلبي و المدائني : أن الحسين عليه السلام لما بعث ابن عمه مسلم بن عقيل إلى أهل الكوفة كتب إليهم معه كتابا و في جملته : فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب ، القائم بالقسط ، الدائن بدين الحق ، الحابس نفسه على ذات الله ٢ .

و كلامهم حجة ، حيث إنهم أهل العصمة ، و شهد الكتاب بطهارتهم في قوله عزّ و جلّ : . . . إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا ٣ ، و شهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فِي المتواتر عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ بكونهم مثل الكتاب في الحجية في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ : إنني تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي ، و إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ٤ .

و كذلك كلامه عليه السلام هذا دالٌّ على بطلان خلافة الأولين ، حيث إنه كان لهما سنة في مقابل سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ، كما أنه عليه السلام ترك حقه يوم الشورى ، لما شرط عليه السلام عبد الرحمن بن عوف العمل بسنتهما ،

(١) مقاتل الطالبين لأبي الفرج : ٤٧ ، و الآية ١١١ من سورة الأنبياء .

(٢) الإرشاد للمفيد : ٢٠٤ .

(٣) الأحزاب : ٣٣ .

(٤) هذا حديث الثقلين مرّ تخريجه في شرح فقرة « إليهم يفىء الغالي » في العنوان ٤ من هذا الفصل .

الصفحة ٣٦٣

ليعلم النَّاسُ بطلان أمرهما ١ .

و كذلك نبّه على ذلك بعد خروج الخوارج من أصحابه عليه السّلام ، و بيعة غيرهم له عليه السّلام بيعة ثانية غير بيعة أوّل خلافته ، و في (خلفاء ابن قتيبة) :

فبايعوه على التسليم و الرّضا ، و شرط عليهم كتاب الله و سنّة رسوله صلّى الله عليه و آله ،

فجاء رجل من خثعم ، فقال له عليّ عليه السّلام : بايع على كتاب الله و سنّة نبيّه . قال : لا ،

و لكن ابايك على كتاب الله و سنّة نبيّه و سنّة أبي بكر و عمر فقال عليّ عليه السّلام :

و ما يدخل سنّة أبي بكر و عمر مع كتاب الله و سنّة نبيّه ، إنّما كانا عاملين بالحقّ حيث عملا ؟ فأبى الخثعمي إلّا سنّة أبي بكر و عمر ، و أبى عليّ عليه السّلام أن يبايعه إلّا على كتاب الله و سنّة نبيّه صلّى الله عليه و آله ، فقال له حيث ألحّ عليه : تبايع ؟ قال : لا ،

إلّا على ما ذكرت . فقال له عليّ عليه السّلام : أما و الله لكأنّي بك قد نفرت في هذه الفتنة ،

و كأنّي بحوافر خيلي قد شدخت وجهك . فلحق بالخوارج فقتل يوم النهروان .

قال قبيصة : فرأيت يوم النهروان قتيلاً قد وطئت الخيل وجهه ، و شدخت رأسه و مثّلت به ، فذكرت قول عليّ و قلت : لله درّ أبي الحسن ما حرّك شفّتيه قطّ بشيء إلّا كان كذلك و رواه الطبري أيضا ٢ .

فلو كان مذهب السنّة القائلين بسنّة أبي بكر و عمر حقاً ، لكان أمير المؤمنين عليه السّلام مجانبا للحقّ بعيدا عنه بمراحل ، لا دائرا مدار الحقّ كما تواتر عن النبيّ صلّى الله عليه و آله فيه عليه السّلام ٣ ، و شهد به الدّراية الضرورية ؟ و كان معاوية يكتب إلى عمّاله أن يقتلوا من كان على دين عليّ . فكتب الحسين عليه السّلام إليه : دين عليّ

(١) هذا المعنى رواه البلاذري في أنساب الاشراف ٥ : ٢٢ ، و غيره ، مرّ تخريجه في أوائل هذا العنوان .

(٢) الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١ : ١٤٦ ، و تاريخ الطبري ٤ : ٥٦ سنة ٣٧ .

(٣) هذا المعنى روي عن سعد بن أبي وقاص و علي عليه السلام و ام سلمة و غيرهم ، و قد مرّ تخريجه في أواخر العنوان ٥ من هذا الفصل .

الصفحة ٣٦٤

دين النبي . . . قاتلهم الله أنى يؤفكون ١ .

٢٧

الحكمة (٢٠٩) وَ قَالَ ع : لَتَعَطْفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُّوسِ عَلَى وَلَدِهَا وَ تَلَا عَقِيبَ ذَلِكَ وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ٢٨ : ٢٥ .

أقول : روى المصنّف في (خصائصه) عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : لتعطفنّ الدنيا . . . ٣ و روى الكراجكي في (كنزه) عن ربيعة بن ناقد قال : سمعت علياً عليه السلام يقول في هذه الآية : و نريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض . . . ٤ :

« لتعطفنّ هذه الدنيا على أهل البيت كما تعطف الضروس على ولدها » ٥ .

« لتعطفنّ الدنيا بعد شماسها » في (الصحاح) : شمس الفرس شموسا و شماسا ، أي : منع ظهره ٦ .

« عطف الضروس على ولدها » في (الصحاح) : ناقة ضروس : سيّئة الخلق تعضّ حالبها . و منه قولهم : هي بجنّ ضراسها . أي : بحدثان نتاجها ، و إذا كانت كذلك حامت عن ولدها ، قال بشر :

(١) رواه الكشي في معرفة الرجال (اختياره) : ٥٠ ، و احتجاج الطبرسي في الاحتجاج : ٢٩٧ ، و

النقل بتصريف في اللفظ ، و الآية ٣٠ من سورة التوبة .

(٢) القصص : ٥ .

(٣) خصائص الأئمة للشريف الرضي : ٤٠ .

(٤) القصص : ٥ .

(٥) رواه شرف الدين في كنز جامع الفوائد عنه البحار ٢٤ : ١٧٠ ح ٥ ، و لم يخرجج الكراچكي في كنزه بل الظاهر أنّ الشارح توهم أنّ رمز « كنز » في البحار يشير إلى كنز الكراچكي .
(٦) صحاح اللغة ٢ : ٩٣٧ مادة (شمس) .

الصفحة ٣٦٥

عطفنا لهم عطف الضروس من الملا

بشهباء لا يمشي الضراء رقيبها ١

و روي : أنّ الصادق عليه السلام كان يقول :

لكلّ اناس دولة يرقبونها

و دولتنا في آخر الدهر تظهر ٢

« و تلا عقيب ذلك » أي : شاهدا لعطف الدنيا عليهم أخيرا : و نريد أنّ نمّنّ على الذين استضعفوا في الأرض و نجعلهم أئمة و نجعلهم الوارثين .

و بعدها : و نمكّن لهم في الأرض و نري فرعون و هامان و جنودهما منهم ما كانوا يحذرون ٣ .

قال القمي : أخبر الله تعالى نبيّه صلّى الله عليه و آله بما لقي موسى عليه السلام و أصحابه من فرعون من القتل و الظلم ، ليكون تعزية له في ما يصيبه في أهل بيته من امته ،

ثمّ بشره بعد تعزيته أنّه يتفضل عليهم بعد ذلك ، و يجعلهم خلفاء في الأرض و أئمة على امته يقول : . . .
منهم ما كانوا يحذرون ٤ أي : من آل محمد ، و لو كانت نزلت في موسى لقال : منه ما كانوا يحذرون .
و لم يقل منهم ٥ .

و قال ابن أبي الحديد : و الإمامية تزعم أنّ ذلك وعد منه بالإمام الغائب الذي يملك الأرض في آخر الزمان ، و أصحابنا يقولون إنّه وعد بإمام يملك الأرض و يستولي على الممالك ، و لا يلزم من ذلك أنّه لا بد أن يكون موجودا ،

و أن يكون غائبا إلى أن يظهر ، بل يكفي في صحّة هذا الكلام أن يخلق في آخر الوقت ٦ .

قلت : الإمامية إنما قالوا إنه إشارة إلى الإمام المنتظر ، و أما وجوده

(١) صحاح اللغة ٢ : ٩٣٩ مادة (ضرس) .

(٢) أمالي الصدوق : ٣٩٦ ح ٣ المجلس ٧٤ .

(٣) القصص : ٦ .

(٤) القصص : ٦ .

(٥) تفسير القمي ٢ : ١٣٣ ، و النقل بتلخيص .

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٤ : ٣٣٦ .

الصفحة ٣٦٦

و غيبته فيثبتونه بأدلة اخرى عقلية و نقلية ، و قد مرّ من النقلية قوله عليه السلام : « لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهرا مشهورا أو خائفا مغمورا » ١ و قوله عليه السلام : « إذا خوى نجم طلع نجم » ٢ .

و قال ابن أبي الحديد أيضا : و قال بعض أصحابنا : إنه إشارة إلى ملك السقّاح و المنصور ٣ .

قلت : لا بد إن كان ذلك البعض من النصاب ، و كيف يصحّ قوله و لم يكن شماس الدنيا على أهل بيته في زمان العباسيين أقل من زمان الامويين ؟

هذا ، و مثل تلك الآية في البشارة لأهل بيته عليه السلام قوله تعالى : و لقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون ٤ ، و قوله تعالى : وعد الله الذين آمنوا و عملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم و ليمكّننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم و ليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا . . . ٥ .

و لم يكن عباد صالحون و لا مؤمنون عاملون للصالحات مثل أهل البيت عليهم السلام ، فلا بد بمقتضى الآيتين أن يرثوا الأرض و يستخفوا فيهما حسبما و عد تعالى ، و نرى أنّ ذلك لم يتفق في زمان الأحد عشر منهم ، فلا بد أن يكون في عصر ثاني عشرهم ، و حيث إنّ الجميع بمنزلة نفس واحدة يصدق بإرثه الأرض إرثهم ، و باستخلافه فيها ، و تمكين الله تعالى له دينه الذي ارتضاه له ، و تبديل خوفه بالأمن ، استخلافهم و تمكينهم و تبديل خوفهم

(١) مرّ في العنوان ١ من هذا الفصل .

(٢) مرّ في العنوان ٢٢ من هذا الفصل .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٤ : ٣٣٦ .

(٤) الأنبياء : ١٠٥ .

(٥) النور : ٥٥ .

الصفحة ٣٦٧

صلوات الله عليهم أجمعين .

٢٨

من الخطبة (٨٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ٨١ : ٢٦ وَ أَنَّى تُؤْفَكُونَ وَ الْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ وَ الْآيَاتُ وَاضِحَةٌ وَ الْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ فَأَيْنَ يَتَاهُ بَكُمْ وَ كَيْفَ تَعْمَهُونَ وَ بَيْنَكُمْ عِتْرَةٌ نَبِيَّكُمْ وَ هُمْ أَرْمَةٌ الْحَقِّ وَ أَعْلَامُ الدِّينِ وَ أَلْسِنَةُ الصِّدْقِ فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلٍ ؟ الْقُرْآنِ ؟ وَ رِدُّهُمْ وَرُودَ الْهَيْمِ الْعِطَاشِ .

أَيُّهَا النَّاسُ خُذُواهَا عَنْ ؟ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ص ؟ إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَ لَيْسَ بِمَيِّتٍ وَ يَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَ لَيْسَ بِبَالٍ فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُتَكْرَرُونَ وَ اعْتَرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ وَ أَنَا هُوَ أَقُولُ : رواه النعماني في (غيبته) فقال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المشهورة التي رواها الموافق و المخالف : ألا إن العلم الذي هبط به آدم من السماء إلى الأرض ، و جميع ما فضلت به النبيون إلى خاتم النبيين . في عترة خاتم النبيين ، فأين يتاه بكم ، بل أين تذهبون ؟ . . . ١ .

« فأين تذهبون » في (تاريخ أحمد بن أبي يعقوب) : بلغ عثمان أن أبا ذر يقعد في مسجد النبي صلى الله عليه و آله و سلم ، و يجتمع إليه الناس فيحدث بما فيه الطعن عليه ،

و أنه وقف بباب المسجد فقال : أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، و من لم يعرفني ، فأنا أبو ذر الغفاري ، أنا جندب بن جنادة الربذي إن الله اصطفى آدم و نوحا و آل إبراهيم و آل عمران على العالمين . ذرية بعضها من بعض و الله سميع عليم ٢ . محمد الصقوة من نوح ، فالأول من إبراهيم و السلالة من

(١) غيبة النعماني : ٢٨ .

(٢) آل عمران : ٣٣ ٣٤ .

الصفحة ٣٦٨

إسماعيل و العترة الهادية من محمد ، إنه شرف شريفهم ، و استحقوا الفضل في قوم هم فينا كالسماء المرفوعة ، أو كالكعبة المستورة ، أو كالقبة المنصوبة ، أو كالشمس الضاحية ، أو كالقمر الساري ، أو كالنجوم الهادية ، أو كالشجرة الزيتون أضاء زيتها ، و بورك زبدها ، و محمد وارث علم آدم و ما فضل به النبيون ، و علي بن أبي طالب وصي محمد و وارث علمه . أيتها الأمة المتحيرة بعد نبيها ، أما لو قدمتم من قدم الله ، و أخرتم من أخر الله ، و أقرتم الولاية و الوراثة في أهل بيت نبيكم ، لأكلتم من فوق رؤوسكم و من تحت أقدامكم ، و لما عال ولي الله ، و لا طاش سهم من فرائض الله ، و لا اختلف اثنان في حكم الله إلا وجدت علم ذلك عندهم من كتاب الله و سنة نبيه . فأما إذا فعلتم ما فعلتم ، فذوقوا و بال أمركم و سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ١ .

و روى ابن قتيبة في (معارفه) مسندا عن خش بن المعتمر قال : جئت و أبو ذر أخذ بحلقة باب الكعبة ، و هو يقول : أنا أبو ذر الغفاري ، من لم يعرفني فأنا جندب صاحب رسول الله صلى الله عليه و آله ، سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول : مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ٢ .

« و أنى » أي : و كيف .

« توفكون » أي : تخدعون بمتابعة الثلاثة و لم يكونوا يعرفوا شيئا من واضح الكتاب و السنة ، فضلا عن مشكلهما ، فلم يعرف أبو بكر معنى (الأب) لما سئل عنه مع أنه فسره القرآن .

و في (خلفاء ابن قتيبة) : قال أبو بكر في احتضاره : ليتني كنت سألت

(١) تاريخ يعقوبي ٢ : ١٧١ ، و الآية ٢٢٧ من سورة الشعراء .

(٢) رواه ابن قتيبة في المعارف : ٢٥٢ .

الصفحة ٣٦٩

النبي صلى الله عليه و آله و سلم عن ميراث بنت الأخ و العمّة ، فإن في نفسي من ذلك شيئا ١ .
و فيه : أن عمر قال في احتضاره لابنه لما آيسه الطبيب : ناولني الكتف فلو أراد الله أن يمضي ما فيه ، أمضاه . فمحا بيده ٢ .

و رووا عنه مائة قضية في ميراث الجدّ .

و أنى يؤفكون و يتركون من علمه النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ أَلْفَ باب من العلم يفتح من كلّ باب ألف باب ٣ ، و يتبعون مثل أولئك ؟ . . . أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتبع أمّن لا يهدي إلاّ أن يهدى فمالكم كيف تحكمون ٤ .

و قد قال الصادق عليه السلام لابن أبي ليلى : أتقضي بين الناس ؟ قال : نعم . قال :

بأيّ شيء ؟ قال : بكتاب الله . قال : فما لم تجد ؟ قال : بالسنة ، فإذا لم أجد فبقول الصحابة . قال : فإذا اختلفوا فبقول من تأخذ ؟ قال : من أردت ، و اختلف الباقيين .

قال : فهل تخالف عليّاً عليه السلام فيما بلغك أنه قضى به ؟ قال : ربما خالفته إلى غيره منهم . قال : ما تقول يوم القيامة إذا قال النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ : بلغ الرجل عني قول فخالفه ؟

قال : أين خالفت قول النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ ؟ قال : أما بلغك أنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ قال : أفضاكم عليّ ؟ قال : نعم . قال : فإذا خالفت قوله تخالف قول النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ . فاصفر وجه ابن أبي ليلى و سكت ٥ .

« و الأعلام » أي : العلائم في خلفاء النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ .

« قائمة » في تنويه النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ بهم ، و التّبيين عليهم .

(١) الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١ : ١٩ و غيره .

(٢) الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١ : ٢١ .

(٣) حديث « الألف باب » أخرجه الجويني في الفرائد ١ : ١٠١ ح ٧٠ و جمع كثير آخر ، و قد مرّ تخريجه في العنوان ٥ من الفصل الثاني .

(٤) يونس : ٣٥ .

(٥) احتجاج الطبرسي : ٣٥٣ ، و النقل بتصريف في اللفظ .

بل بشر بهم الأولون كما بشروا بالنبّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، قال السروي : روى الكلبي عن الشرقي بن القطامي عن تميم بن ولة المرّي عن الجارود بن المنذر العبدي و كان نصرانيا فأسلم عام الحديبية ، فأنشأ يقول :

يا نبي الهدى أتتك رجال
قطعت فدفا وافتت جبالا

جابت البيد و المهامه حتى
غالها من طوي السرى ما غالا

أخبر الأولون باسمك فينا
و بأسماء بعده تنتالي

فقال لهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : أفیکم من يعرف قسّ بن ساعدة الأیادي ؟ فقال الجارود : كلنا نعرفه ، غير أنني من بينهم عارف بخبره واقف على أثره . فقال له سلمان : أخبرنا عنه . فقال : لقد شهدت قسّا و قد خرج من ناد من أندية أياد إلى ضحضح ذي قتاد ، و سمر و غياد ، و هو مشتمل بنجاد ، فوقف في اضحيان ليل كالشمس رافعا إلى السماء وجهه و إصبغه ، فدنوت منه ، فسمعتة يقول : اللهم ربّ السماوات الأرفعة ، و الأرضين الممرعة ، بحقّ محمدّ و ثلاثة محامد معه ،

و عليّين الأربعة ، و فاطمة و الحسنين الأبرعة ، و جعفر و موسى التّبعة ، سمّي الكليم الصّرعة ، اولئك النّقباء الشّفعة ، و الطريق المهیعة . راشة الأناجيل ،

و محاة الأضاليل ، و نقاة الأباطيل ، الصادقو القيل ، عدد نقباء بني إسرائيل ، فهم أولّ البداية ، و عليهم تقوم السّاعة ، و بهم تنال الشّفاعة ، و لهم من الله فرض الطاعة ، اسقنا غيثا مغيثا . ثمّ قال : ياليتني مدرکهم بعد لأي من عمري و محياي . ثمّ أنشأ يقول :

أقسم قسّ قسما
ليس به مكنتما

لو عاش ألفي سنة
لم يلق منها سأمًا

حتى يلاقي أحمدا
و النجباء الحكما

هم أوصياء أحمد
أفضل من تحت السما

يعمى الأنام عنهم
و هم ضياء للعمى

الصفحة ٣٧١

لست بناس ذكرهم
حتى أحل الرجما

ثم قال الجارود : أنبئني يا رسول الله بخبر هذه الأسماء ، لم نشهدها ،

و أشهدنا قسًا ذكرها . فقال : يا جارود ليلة اسري بي إلى السماء أوحى الله عزّ و جلّ إليّ أن سل من قد أرسلنا قبلك من رسلنا علام بعثوا ؟ قلت : علام بعثوا ؟ قال : على نبوتك ، و ولاية عليّ بن أبي طالب و الأئمة منكما ، ثم عرفني الله تعالى بهم و بأسمائهم ثم ذكر النبيّ صلّى الله عليه و آله أسماءهم واحدا واحدا إلى المهديّ عليه السلام و قال : قال لي الرّب تبارك و تعالى : هؤلاء أوليائي ، و هذا المنتقم من أعدائي يعني المهدي عليه السلام ١ .

قوله في الخبر : « و الحسنين » بلفظ الجمع لا التثنية ، المراد : السبطان مع الحسن العسكري عليهم السلام ، و المراد بثلاثة محامد في الخبر : الباقر ، و الجواد ،

و المهدي عليهم السلام ، و المراد بعليين الأربعة : أمير المؤمنين ، و السّجاد ، و الرضا ،

و الهادي عليهم السلام ، و قوله في الخبر : « و جعفر إلى الصرعة » و يكون التّبعة إشارة إلى كثرة أتباع جعفر ، لأنهم كانوا يقولون للشّعبة الجعفرية ، و يكون (الصرعة) إشارة إلى حبس هارون للكاظم ، حتى قتله في الحبس بعد مدّة .

و قال السّروي أيضا : قال الزهري : قال لي عبد الملك بن مروان : وجد وكيلي في مدينة الصقر التي بناها سليمان بن داود ، على سورها ، أبياتا منها :

هذا مقاليد أهل الأرض قاطبة
و الأوصياء له أهل المقاليد

هم الخلائف اثنا عشرة حجبا
من بعده الأوصياء السادة الصّيد
حتى يقوم بأمر الله قائمهم
من السماء اذا ما باسمه نودي ٢

« و الآيات » أي : العلامات التي عينها الله تعالى لعباده .

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١ : ٢٨٧ .

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ١ : ٢٨٨ .

الصفحة ٣٧٢

« واضحة » ليس بها خفاء .

« و المنار » في (الصحاح) : المنار : علم الطريق ١ .

« منصوبة » لكيلا تضلّوا ، قال سلمان الفارسي في خطبته كما روى (رجال الكشي) : فاذا رأيتم أيها الناس الفتن كقطع الليل المظلم ، يهلك فيها الراكب الموضع ، و الخطيب المصقع ، و الرأس المتبوع ، فعليكم بآل محمد صلى الله عليه و آله ، فإنهم القادة إلى الجنّة و الدّعاة إليها إلى يوم القيامة ، و عليكم بعلي عليه السّلام ، فو الله لقد سلّمنا عليه بالولاء مع نبيّنا صلى الله عليه و آله و سلّم ، فما بال القوم أحسد ؟

فقد حسد قابيل هابيل ، أكفر ؟ فقد ارتدّ قوم موسى عن الأسباط ، و يوشع ،

و شمعون ، و ابني هارون شبر و شبير ، و السبعين الذين اتهموا موسى على قتل هارون ، فأخذتهم الرجفة من بغيتهم ، ثم بعث الله أنبياء مرسلين و غير مرسلين ، فأمر هذه الأمة كأمر بني إسرائيل ، فأين يذهب بكم ؟ ما أنا و فلان و فلان ؟ ويحكم و الله ما أدري أتجهلون أم تتجاهلون ؟ أنسيتم أم تناسون ؟

أنزلوا آل محمد منكم منزلة الرأي من الجسد ، بل منزلة العينين من الرأس ،

و الله لترجعن كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف ٢ .

« فأين يتاه بكم » أي : يتحير بكم حتى تتركون أهل العصمة و تتبعون أهل الرجس و الخباثة .

أيا أهل شرع الله زالت حلومكم
أم اختدعت من قلة الفهم و الأدب

صلاتكم مع من و حجكم بمن
و غزوكم في من أجيوا بلا كذب

صلاتكم و الحجّ و الغزو ويلكم
لشراب خمر عاكفين على الرّيب

« بل كيف تعمهون » أي : تتحIRON .

(١) صحاح اللغة ٢ : ٨٣٩ مادة (نور) .

(٢) معرفة الرجال للكشي (اختياره) ٢٠ ح ٤٧ ضمن خطبة طويلة .

الصفحة ٣٧٣

« و بينكم عترة نبيكم و هم أزمّة » جمع الزّمام .

« الحقّ و أعلام الدّين » أي : راياته ، أو جباله .

« و أسنة الصّدق » في القول و الفعل ، قال ابن أبي الحديد : عترة النّبيّ صلّى الله عليه و آله أهله الأذنون و نسله ، و ليس بصحيح قول من قال : إنهم رهطه و إن بعدوا . و إنّما قال أبو بكر يوم السقيفة أو

بعده : « نحن عترة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبَيْضَتِهِ الَّتِي فَتَتْ عَنْهُ » على طريق المجاز ، لأنهم بالنسبة إلى الأنصار عترة له لا في الحقيقة ، ألا ترى أن العدناني يفاخر القحطاني ، فيقول : أنا ابن عم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؟ ليس يعني أنه ابن عمه على الحقيقة ، بل هو بالاضافة إلى القحطاني كان ابن عمه ، و إنما استعمل ذلك و نطق به مجازا ، فان قدر مقدر أنه على طريق حذف المضافات ،

أي : ابن ابن عم أب الأب إلى عدد كثير في البنين و الآباء ، فكذلك أراد أبو بكر :

أنهم عترة أجداده على طريق حذف المضاف ، و قد بين عترته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ هِيَ ، لَمَّا قَالَ : « إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ التَّقْلِينَ فَقَالَ عَتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي » . و بين في مقام آخر : من أهل بيته ، حيث طرح عليهم كساء و قال حين نزلت . . . إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت . . . ١ : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس ٢ .

قلت : و كما بين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عترة عند نزول الآية بين موضع الآية ، و إن مزجها معاند و هم بآيات الأزواج تلبيسا و تدليسا ، فكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ستة أشهر لما نزل :

و أمر أهلك بالصلاة . . . ٣ يأتي إلى باب علي و فاطمة عليهما السلام و يقول : « الصلاة الصلاة إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا ٤ .

(١) الأحزاب : ٣٣ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ١٣٠ .

(٣) طه : ١٣٢ .

(٤) الأحزاب : ٣٣ .

الصفحة ٣٧٤

رواه الطبري في (ذيله) و الثعلبي ، في (تفسيره) عن أبي الحمراء عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، و أخطب الخطباء عن أبي سعيد الخدري عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، (و سنن أبي داود) ، و (موطأ مالك) عن أنس عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ١ .

فيفهم أن ترتيب القرآن كان هكذا : (و أمر أهلك بالصلاة و اصطبر عليها إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا) إلى أن قال و كيف يصحّ أن يقول تعالى لأزواج النبيّ صلّى الله عليه و آله : . . . إنّما يريد الله ليذهب عنكم . . . كما أدرجوه فيها ؟

و روى (الأغانى) مسندا عن إبراهيم بن سعد الأسدي عن أبيه قال : رأيت النبيّ صلّى الله عليه و آله في المنام ، فقال لي : أتعرف الكميت بن زيد الأسدي ؟ قلت : يا رسول الله عمّي ، و من قبيلتي . قال : أتحفظ من شعره شيئا ؟ قلت : نعم . قال : أنشدني .

فأنشدته حتّى بلغت إلى قوله في قصيدة له :

فما لي إلا آل أحمد شيعة
و مالي إلا مشعب الحقّ مشعب

فقال لي النبيّ صلّى الله عليه و آله : إذا أصبحت فاقراً عليه السّلام ، و قل له : قد غفر الله لك بهذه القصيدة ٢ .

و روى (عيون ابن بابويه) عن الريّان بن الصلت قال : حضر الرضا عليه السّلام مجلس المأمون بمرور ، و قد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء العراق و خراسان ، فقال المأمون : أخبروني عن معنى هذه الآية :
ثمّ أورتنا

(١) منتخب ذيل المذيل للطبري : ٨٣ ، و تفسير الثعلبي عنه الطرائف ١ : ١٢٨ ح ١٩٨ و العمدة ١ : ٢١ و غيرهما عن أبي الحمراء ، و مناقب الخوارزمي : ٢٣ و غيره عن أبي سعيد ، و سنن الترمذي ٥ : ٣٥٢ ح ٣٢٠٦ ، و مسند أحمد ٣ : ٢٥٩ ، و الطرائف لابن طاووس ١ : ١٢٨ ح ١٩٩ ، و العمدة لابن البطريق ١ : ٢٣ عن سنن أبي داود و موطأ مالك عن أنس ، لكن لم يوجد هذا الحديث في الأصليين .
(٢) الأغانى لأبي الفرج ١٧ : ٢٦ ، و النقل بتصرف يسير .

الصفحة ٣٧٥

الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا . . . ١ . فقالت العلماء : أراد عزّ و جلّ بذلك الامة كلّها . فقال المأمون للرّضا عليه السّلام : ما تقول أنت ؟ فقال : لا أقول كما قالوا ،

و لكنّي أقول : أراد العترة الطاهرة إلى أن قال فقال المأمون : من العترة الطاهرة ؟ فقال عليه السلام : الذين وصفهم الله عزّ وجلّ في كتابه فقال : . . . إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهّركم تطهيرا ٢ ، و هم الذين قال فيهم النبيّ صلّى الله عليه و آله : « إنّني مخلّف فيكم الثقلين : كتاب الله ، و عترتي أهل بيتي ، ألا إنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما ؟ أيّها الناس لا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم » . فقالت العلماء : أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة ،

أهم الآل أم غير الآل ؟ فقال : هم الآل . قالوا : فهذا النبيّ يؤثّر عنه أنّه قال : « امتي آلي » و هؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفاض الذي لا يمكن دفعه : « آل محمّد أمّته » . فقال عليه السلام : أخبروني ، هل تحرم الصدقة على الآل ؟ قالوا : نعم .

قال : فتحرم على الامة ؟ قالوا : لا . قال : فهذا فرق بين الآل و الامّة ، و يحكم أين يذهب عنكم أضربتم عن الذكر صفحا أم أنتم قوم مسرفون ؟ أما علمتم أنّه وقعت الوراثة و الطهارة على المصطفين المهتدين دون سايرهم ؟ قالوا : و من أين ؟ قال عليه السلام : من قوله عزّ وجلّ : و لقد أرسلنا نوحا و إبراهيم و جعلنا في ذريّتهما النبوة و الكتاب فمنهم مهتد و كثير منهم فاسقون ٣ . فصارت وراثة النبوة و الكتاب للمهتدين دون الفاسقين ٤ .

« فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن » ممّا نزل فيهم عليهم السلام ، و في خبر الرّيان بن الصّلت المتقدّم : قال المأمون للرضا عليه السلام : هل فضلّ الله العترة على ساير

(١) فاطر : ٣٢ .

(٢) الأحزاب : ٣٣ .

(٣) الحديد : ٢٦ .

(٤) عيون الأخبار للصدوق ١ : ١٧٩ ح ١ .

الصفحة ٣٧٦

النّاس في محكم كتابه ؟ فقال عليه السلام : نعم . قال : أين ذلك ؟ قال : في قوله عزّ وجلّ :

إنّ الله اصطفى آدم و نوحا و آل إبراهيم و آل عمران على العالمين . ذرية بعضها من بعض . . . ١ . و قال عزّ وجلّ في موضع آخر : أم يحسدون النّاس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب و الحكمة و آتيناهم ملكا عظيما ٢ ثمّ ردّ المخاطبة في أثر هذا الى ساير المؤمنين ، فقال : يا أيّها الذين

آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ . . . ٣ يعني الذين قرنهم بالكتاب و الحكمة . و قالت العلماء : أخبرنا : هل فسّر الله تعالى الاصطفاء للعترة ؟ فقال عليه السلام : فسّره في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موطناً . فأول ذلك : قوله عزّ و جلّ : « و أنذر عشيرتك الأقربين و رهطك منهم المخلصين » ٤ .

هكذا في قراءة ابي بن كعب و هي ثابتة في مصحف عبد الله بن مسعود . و هذه منزلة رفيعة ، و فضل عظيم ، و شرف عال حين عنى الله بذلك : إنذار الآل ، فذكره للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله ، فهذه واحدة . و الآية الثانية : في الاصطفاء قوله عزّ و جلّ : . . . إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا ٥ و هذا هو الفضل الذي لا يجله أحد إلا معاند ضالّ ، لأنّه لا فضل بعد الطهارة ينتظر .

و أمّا الآية الثالثة : فحين ميّز الله الطاهرين من خلقه ، فأمر نبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله بالمباهلة بهم في آية الابتهاال ، فقال عزّ من قائل : فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا

(١) آل عمران : ٣٣ و ٣٤ .

(٢) النساء : ٥٤ .

(٣) النساء : ٥٩ .

(٤) هذه قراءة أبي ابن كعب في الآية ٢١٤ من سورة الشعراء ، كما رواها الصدوق في عيون الاخبار ١ : ١٨١ عن الرضا عليه السلام عن ابي ، و روى هذه القراءة عن ابن مسعود و الباقر عليه السلام و الصادق عليه السلام و عمرو ابن مرّة و غيرهم .

(٥) الأحزاب : ٣٣ .

الصفحة ٣٧٧

و أنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ١ . فأبرز النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله عليّا و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام ، و قرن أنفسهم بنفسه ، فهل تدرون ما معنى قوله : و أنفسنا و أنفسكم ؟ قالوا : عنى به نفسه . قال : غلطتم ، إنّما عنى بها عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، و ممّا يدلّ على ذلك قول النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله : « لينتهين بنو وليعة أو لأبعثنّ عليهم رجلا كنفسي » يعني عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، و عنى بالأبناء الحسن و الحسين عليهما السلام ، و عنى بالنساء فاطمة عليها السلام . فهذه خصوصية لا يتقدّمهم فيها أحد و فضل لا يلحقهم فيه بشر ، و شرف لا يسبقهم إليه خلق ،

إذ جعل نفس عليّ كنفسه ، فهذه الثالثة .

وأما الرابعة : فأخراجه النَّاس من مسجده ما خلا العترة ، حتَّى تكلم النَّاس في ذلك ، و تكلم العباس . فقال : يا رسول الله تركت عليًّا و أخرجتنا ؟ فقال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ : ما أنا تركته و أخرجتكم ، و لكنَّ الله تركه و أخرجكم . و في هذا تبيان قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ لعليّ عليه السَّلام : « أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى » . قالوا : و أين هذا من القرآن ؟ قال : قوله عزَّ و جلَّ : و أوحينا إلى موسى و أخيه أن تبوء القومكما بمصر بيوتا و اجعلوا بيوتكم قبلة . . . ٢ . ففي هذه الآية منزلة هارون من موسى ، و فيها أيضا منزلة عليّ عليه السَّلام من النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ، و مع هذا دليل ظاهر في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ : « ألا إنَّ هذا المسجد لا يحلَّ لجنب إلَّا لمحمَّد و آلِهِ » . فقالوا : يا أبا الحسن هذا الشرح ، و هذا البيان لا يوجد إلَّا عندكم معشر أهل البيت . قال : و من ينكر لنا ذلك ، و النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ يقول : « أنا مدينة العلم و عليّ بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها » . ففي ما أوضحنا و شرحنا من الفضل و الشرف و التقدِّمة و الاصطفاء و الطهارة ما لا ينكره إلَّا معاند .

(١) آل عمران : ٦١ .

(٢) يونس : ٨٧ .

الصفحة ٣٧٨

و الآية الخامسة : قوله تعالى : و أت ذا القربى حقه . . . ١ فلما نزلت هذه الآية على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ قال : ادعوا لي فاطمة . فدعيت . فقال : يا فاطمة هذه فدك ،

و هي ممّا لم يوجف عليه بخيل و لا ركاب ، و هي لي خاصّة دون المسلمين ، و قد جعلتها لك لما أمرني الله به ، فخذها لك و لولدك .

و الآية السادسة : قل لا أسألكم عليه أجرا إلَّا المودة في القربى . . . ٢ .

و هذه خصوصيّة للنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ إلى يوم القيامة ، و خصوصية لآل دون غيرهم ،

و ذلك أنّه تعالى حكى عن نوح أنّه قال : و يا قوم لا أسألكم عليه مالا إنَّ أجري إلَّا على الله و ما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربّهم و لكنّي أراكم قوما تجهلون ٣ ، و حكى عن هود أنّه قال : لا أسألكم عليه أجرا إنَّ أجري إلَّا على الذي فطرني أفلا تعقلون ٤ ، و قال تعالى لنبيّه محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ

قل يا محمد : . . . لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى . . . ٥ . و لم يفترض الله مودتهم إلا و قد علم أنهم لا يرتدون عن الدين أبدا ، و لا يرجعون إلى ضلال أبدا ، و أخرى أن يكون الرجل و اذا للرجل ، فيكون بعض أهل بيته عدوا له ، فلا يسلم له قلب الرجل ، فأحبّ تعالى أن لا يكون في قلب النبيّ صلّى الله عليه و آله على المؤمنين شيء ،

ففرض الله عليهم مودة ذوي القربى ، فمن أخذ بها و أحبّ النبيّ صلّى الله عليه و آله و أحبّ أهل بيته لم يستطع النبيّ صلّى الله عليه و آله أن يبغضه ، و من تركها ، و لم يأخذ بها ، و أبغض أهل بيته فعلى النبيّ صلّى الله عليه و آله أن يبغضه ، لأنه قد ترك فريضة من فرائض الله عزّ و جلّ ، فأبى فضيلة ، و أيّ شرف يتقدّم هذا أو يدانيه ؟ و لما أنزل تعالى هذه

(١) آل عمران : ٦١ .

(٢) الشورى : ٢٣ .

(٣) هود : ٢٩ .

(٤) هود : ٥١ .

(٥) الشورى : ٢٣ .

الصفحة ٣٧٩

الآية على نبيّه صلّى الله عليه و آله قام في أصحابه ، فحمد الله تعالى ، و أتى عليه ، و قال : أيّها الناس إنّ الله قد فرض لي عليكم فرضا ، فهل أنتم مؤدوه ؟ فلم يجبه أحد ، فقال :

أيّها الناس إنه ليس بذهب و لا فضة ، و لا مأكول ، و لا مشروب . فقالوا : هات إذن .

فتلا عليهم : . . . قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى . . . ١ ، فقالوا : أما هذه فنعم . فما وفى بها أكثرهم ، و ما بعث الله تعالى نبياّ إلا و أوحى إليه : أن لا يسأل قومه أجرا ، لأنه تعالى يوفى أجر الأنبياء ، و أمّا محمد صلّى الله عليه و آله ففرض الله طاعته و مودة قرابته على امتّه ، و أمره أن يجعل أجره فيهم ، ليؤدوه في قرابته بمعرفة فضلهم الذي أوجب تعالى لهم ، فإنّ المودة إنّما تكون على قدر معرفة الفضل ، فلما أوجب الله تعالى ذلك لثقل وجوب الطاعة ، فتمسك بها قوم ، أخذ الله تعالى ميثاقهم على الوفاء ، و عاند فيه أهل الشقاق و النفاق ، و ألدوا في ذلك ، فصرفوه عن حده الذي حدّه عزّ و جلّ فقالوا : القرابة هي العرب كلّها ،

و أهل دعوته . فعلى أيّ الحالتين كان ، فقد علمنا أنّ المودّة في القرابة ، فأقربهم من النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أولاهم بالمودّة ، و كلّما قربت القرابة كانت المودّة للقرابة على قدرها . و ما أنصفوا نبيّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في حيطته و رأفته ، و ما منّ اللهُ به على أمّته ممّا تعجز الألسن عن وصف الشكر عليه ألاّ يؤدّوه في ذريّته و أهل بيته ، و أن لا يجعلوهم فيهم بمنزلة العين من الرأس ، حفظا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فيهم و حبّا لهم ، فكيف ، و القرآن ينطق به و يدعو إليه ، و الأخبار ثابتة بأنهم أهل المودّة ،

و الذين فرض الله مودّتهم ، و وعد الجزاء عليها ؟ فما وفى أحد بها مؤمنا مخلصا إلاّ استوجب الجنّة ، لقوله عزّ و جلّ في هذه الآية : . . . و الذين آمنوا و عملوا الصالحات في روضات الجنّات لهم ما يشاؤون عند ربّهم ذلك هو الفضل الكبير . ذلك الذي يبشّر الله عباده الذين آمنوا و عملوا الصالحات قل

(١) الشورى : ٢٣ .

الصفحة ٣٨٠

لا أسألكم عليه أجرا إلاّ المودّة في القربى . . . ١ مفسرا و مبينا .

و أمّا الآية السابعة : فقوله تعالى : إنّ الله و ملائكته يصلّون على النبيّ يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه و سلّموا تسليما ٢ ، و قد علم المعاندون منهم أنّه لما نزلت هذه الآية قيل : يا رسول الله قد عرفنا التسليم عليك ، فكيف الصلاة عليك ؟ فقال : تقولون : « اللهم صلّ على محمد و آل محمد كما صلّيت على إبراهيم و آل إبراهيم إنّك حميد مجيد » . فهل بينكم في هذا خلاف ؟ قالوا : لا ،

و قال المأمون هذا ممّا لا خلاف فيه أصلا ، و عليه إجماع الامّة .

قال المأمون : فهل عندك في الآل شيء أوضح من هذا في القرآن ؟ قال :

نعم . أخبروني عن قوله عزّ و جلّ : يس . و القرآن الحكيم . إنّك لمن المرسلين . على صراط مستقيم ٣ فمن عنى بقوله : يس ؟ قالوا :

يس : محمد لم يشكّ فيه أحد . قال عليه السلام : فإنّ الله عزّ و جلّ أعطى محمّدا و آل محمّد عليهم السلام من ذلك فضلا لا يبلغ أحد كنه وصفه ، و ذلك أنّه عزّ و جلّ لم يسلم على أحد إلاّ على الأنبياء ، فقال تعالى : سلام على نوح في العالمين ٤ .

سلام على إبراهيم ٥ ، سلام على موسى و هارون ٦ و لم يقل : سلام على آل نوح . سلام على آل إبراهيم . سلام على آل موسى و هارون . و قال :

سلام على آل ياسين ٧ يعني : آل محمد صلوات الله عليهم فقال المأمون :

(١) الشورى : ٢٢ ٢٣ .

(٢) الأحزاب : ٥٦ .

(٣) يس : ٤١ .

(٤) الصافات : ٧٩ .

(٥) الصافات : ١٠٩ .

(٦) الصافات : ١٢٠ .

(٧) الصافات : ١٣٠ هذه قراءة نافع و ابن عامر و يعقوب من القراء العشرة ، كما نقل عنهم الداني في التيسير : ١٨٧ و ابن الجزري في النشر ٢ : ٣٦٠ ، و روى عن علي عليه السلام و ابن عباس و ابي مالك و عمر .

الصفحة ٣٨١

إنّ في معدن النبوة شرح هذا و بيانه .

و أمّا الآية الثامنة : فقله عزّ و جلّ : و اعلموا أنّما غنمتم من شيء فأنّ لله خمس و للرّسول و لذي القربى . . . ١ . فقرن سهم ذي القربى بسهمه و بسهم رسوله صلّى الله عليه و آله . فهذا أيضا فصل بين الآل و الامّة ، لأنّه عزّ و جلّ جعلهم في حيّز ،

و جعل النّاس في حيّز دون ، و رضي لهم ما رضي لنفسه و اصطفاهم فيه ، فبدأ بنفسه ثمّ ثنى برسوله ثمّ بذي القربى ، فكلّ ما كان من الفيء و الغنيمة ، و غير ذلك ممّا رضيّه عزّ و جلّ ، لنفسه ، رضيّه لهم ، فقال و قوله الحقّ : و اعلموا أنّما غنمتم من شيء فأنّ لله خمس و للرّسول و لذي القربى . . . ٢ فهذا تأكيد مؤكّد ،

و أثر قائم لهم إلى يوم القيامة في كتاب الله الناطق الذي : لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ٣ .

و أما قوله : و اليتامى و المساكين ٤ فإنّ اليتيم إذا انقطع يتمه خرج من الغنائم ، و لم يكن له فيها نصيب ، و كذلك المسكين إذا انقطع مسكنته لم يكن له نصيب من المغنم ، و لا يحل له أخذه ، و سهم ذي القربى قائم إلى يوم القيامة فيهم ، للغنيّ و الفقير منهم ، لأنّه لا أحد أغنى من الله عزّ و جلّ و لا من رسوله ، فجعل منها لنفسه سهما و لرسوله سهما ، و ما رضىه لنفسه و لرسوله صلّى الله عليه و آله رضىه لهم ، و كذلك الفيء ، ما رضىه منه لنفسه و لنبيّه رضىه لذي القربى ، كما أجازهم في الغنيمة ، فبدأ بنفسه جلّ جلاله ، ثمّ برسوله ، ثمّ بهم ، و قرن سهمهم بسهمه و سهم رسوله ، و كذلك في الطاعة ، قال : يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرّسول و اولي الأمر منكم . . . ٥ فبدأ بنفسه

(١ و ٢) الأنفال : ٤١ .

(٣) فصلت : ٤٢ .

(٤) الأنفال : ٤١ .

(٥) النساء : ٥٩ .

الصفحة ٣٨٢

ثمّ برسوله ثمّ بأهل بيته ، و كذلك ولايتهم مع ولاية الرّسول مقرونة بولايته ،

كما جعل سهمهم مع سهم الرسول صلّى الله عليه و آله مقرونا بسهمه من الغنيمة و الفيء ،

فتبارك الله و تعالى ما أعظم نعمته على أهل هذا البيت ، فلمّا جاءت قصة الصدقة نزّه نفسه و رسوله و أهل بيته ، فقال : إنّما الصدقات للفقراء و المساكين و العالمين عليها و المؤلفة قلوبهم و في الرقاب و الغارمين و في سبيل الله و ابن السبيل فريضة من الله . . . ١ . فهل تجد في شيء من ذلك أنّه عزّ و جلّ سمّى لنفسه أو لرسوله أو لذي القربى ؟ لأنّه لمّا نزّه نفسه عن الصدقة و نزّه رسوله نزّه أهل بيته ، لا بل حرمّ عليهم ، لأنّ الصدقة محرّمة على محمّد و آل محمّد ، و هي أوساخ أيدي النّاس لا تحلّ لهم ، لأنّهم طهّروا من كلّ دنس و وسخ ، فلمّا طهّروا الله و اصطفاهم رضى لهم ما رضى لنفسه ، و كره لهم ما كره لنفسه عزّ و جلّ .

و أما التاسعة : . . . فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ٢ . فنحن أهل الذكر ، فاسألوا إن كنتم لا تعلمون . فقالوا : إنّما عنى الله بذلك اليهود و النصارى .

فقال : سبحان الله و هل يجوز ذلك ، إذن يدعوننا إلى دينهم ، و يقولون : إنه أفضل من دين الإسلام ؟
فقال المأمون : فهل عندك شرح بخلاف ما قالوا ؟

فقال عليه السلام : نعم . الذكر : رسول الله صَلَّى الله عليه و آله ، و نحن أهله ، و ذلك بيّن في كتاب الله عزّ و جلّ حيث يقول في سورة الطلاق : . . . فاتقوا الله يا اولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا . رسولا يتلو عليكم آيات الله مبيّات . . . ٣ .

فألذكر رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و نحن أهله .

(١) التوبة : ٦٠ .

(٢) النحل : ٤٣ ، و الأنبياء : ٧ .

(٣) الطلاق : ١١ ١٠ .

الصفحة ٣٨٣

و أمّا العاشرة : فقوله عزّ و جلّ : حرّمت عليكم امهاتكم و بناتكم . . . ١ .

فأخبروني هل تصلح ابنتي ، و ابنة ابني ، و ما تناسل من صلبني للنبي صَلَّى الله عليه و آله أن يتزوجها لو كان حيّا ؟ قالوا : لا . قال : فأخبروني هل كانت ابنة أحدكم تصلح له أن يتزوجها لو كان حيّا ؟ قالوا : نعم . قال عليه السلام : ففي هذا بيان ، لأنّي من آله و لستم أنتم من آله ، و لو كنتم من آله لحرمت عليه بناتكم ، كما حرم عليه بناتي .

و أمّا الحادية عشرة : فقوله عزّ و جلّ حكاية عن قول رجل مؤمن من آل فرعون : و قال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أنقتلون رجلا أن يقول ربّي الله . . . ٢ . كان ابن خال فرعون فنسبه إلى فرعون بنسبه ، و لم يصفه إليه بدينه ، و كذلك خصصنا نحن إذ كنّا من آل النبي صَلَّى الله عليه و آله بولادتنا منه ، و عمنا الناس بالدين .

و أمّا الثانية عشرة : فقوله عزّ و جلّ : و أمر أهلك بالصلاة و اصطر عليها . . . ٣ . فخصنا الله تعالى بهذه الخصوصية ، إذ أمرنا مع الامّة بإقامة الصلاة ، ثم خصنا من دون الامّة ، فكان النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم يجيء إلى باب علي و فاطمة عليهما السلام . بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر ، كلّ يوم عند حضور كلّ صلاة خمس مرّات ، فيقول : « الصلاة رحمكم الله » . و ما أكرم الله أحدا من ذراري الأنبياء

بمثل هذه الكرامة التي أكرمنا بها ، و خصنا من دون جميع أهل ملتهم . فقال المأمون و العلماء : جزاكم الله أهل بيت نبيكم عن هذه الأمة خيرا ،

فما نجد الشرح و البيان في ما اشتبه علينا إلا عندكم ٤ .

(١) النساء : ٢٣ .

(٢) غافر : ٢٨ .

(٣) طه : ١٣٢ .

(٤) عيون الأخبار للصدوق ١ : ١٧٩ ح ١ .

الصفحة ٣٨٤

و في (تاريخ يعقوبي) : قال إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس :

دخلت على أبي جعفر المنصور يوما ، و قد اخضلت لحيته بالدموع ، فقال لي : ما علمت ما نزل بأهلك ؟ فقلت : و ما ذاك ؟ قال : فإن سيدهم و عالمهم ، و بقيّة الأخيار منهم توفي . فقلت : و من هو ؟ قال : جعفر بن محمد . فقلت : أعظم الله أجرك . فقال لي : إن جعفرا كان ممن قال الله فيه : ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا . . . ١ . و كان ممن اصطفى الله و كان من السابقين بالخيرات ٢ .

و فيه أيضا : أن آخر ما نزل على النبي صلى الله عليه و آله : . . . اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام دينا . . . ٣ . و هي الرواية الصحيحة الثابتة الصريحة ، و كان نزولها يوم النص على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بغدير خم .

« و ردهم و رود الهيم العطاش » الأصل في الهيم : العطش ، يقال : قوم هيم .

أي : عطاش ، ثم غلب على الإبل العطاش ، قال تعالى : فشاربون شرب الهيم ٤ . و حينئذ فذكره عليه السلام (العطاش) بعد (الهيم) تأكيد .

روى المالكي في (فصوله) : أن أبا نر أخذ بحلقة باب الكعبة و قال :

سمعت النبي صلى الله عليه و آله يقول : اجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس ، فإن الجسد لا يهتدي إلا بالرأس ، و لا يهتدي الرأس إلا بالعينين ٥ .

و روى أبو بصير كما في (الارشاد) قال : دخلت المدينة و كانت معي

(١) فاطر : ٣٢ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٨٣ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١١٢ ، و النقل بتلخيص ، و الآية ٣ من سورة المائدة .

(٤) الواقعة : ٥٥ .

(٥) الفصول المهمة لابن الصباغ : ٢٦ ، و النقل بتقطيع .

الصفحة ٣٨٥

جويرية لي فأصبت منها ، ثم خرجت إلى الحمام ، فلقيت أصحابنا الشيعة و هم متوجهون إلى جعفر بن محمد عليهما السلام ، فخفت أن يسبقوني و يفوتني الدخول إليه ، فمشيت معهم حتى دخلت الدار ، فلما مثلت بين يدي أبي عبد الله عليه السلام نظر إليّ ، ثم قال : يا أبا بصير أما علمت أن بيوت الأنبياء و أولاد الأنبياء لا يدخلها الجنب ؟ فاستحييت و قلت له : يابن رسول الله إنني لقيت أصحابنا فخشيت أن يفوتني الدخول معهم ، و لن أعود إلى مثلها . و خرجت .

« أيها الناس خذوها » أي : الجملة التي أقولها .

« من » هكذا في (المصرية) ، و الصواب : (عن) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطبة) ٢ .

« خاتم النبيين صلى الله عليه و آله و سلم » لا عنّي .

« إنه يموت من مات منا و ليس بميت » روى الصفار و ابن قولويه عن الصادق عليه السلام قال : ما من نبيّ و لا وصيّ يبقى في الأرض أكثر من ثلاثة أيام ،

حتى يرفع بروحه و عظمه و لحمه إلى السماء ، و إنما يؤتى موضع آثارهم ،

و يبلغ بهم من بعيد السلام ، و يسمعونهم على آثارهم من قريب ٣ .

و قال شيخنا المفيد في (مقالاته) : الأنبياء و الأئمة عليهم السلام يحلّ بهم الموت ،

و خالفنا فيه المنتمون إلى التفويض ، و طبقات الغلاة ، و ينقلون من تحت التراب ، فيسكنون بأجسامهم و أرواحهم جنّة الله تعالى ، فيكونون فيها أحياء يتمتعون إلى يوم القيامة ، يستبشرون بمن يلحق بهم من صالحى اممهم و شيعتهم ، و يلقونه بالكرامات ، و ينتظرون من يرد عليهم من أمثال السابقين

(١) الارشاد للمفيد : ٢٧٣ .

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢ : ١٣٠ ، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٢ : ٢٩٩ « من » أيضا .

(٣) البصائر للصفار : ٤٦٥ ح ٩ ، و كامل الزيارات لابن قولويه : ٣٢٩ ح ٣ .

الصفحة ٣٨٦

في الديانات ، و أنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و الأئمّة عليهم السّلام لا يخفى عليهم بعد الوفاة أحوال شيعتهم في دار الدّنيا ، بإعلام الله تعالى لهم ذلك حالا بعد حال ، و يسمعون كلام المناجى لهم في مشاهدتهم المكرّمة العظام ، بلطفة من لطائف الله أبانهم بها من جمهور العباد ، و تبلغهم المناجاة من بعيد كما جاءت به الرواية ، و هذا مذهب فقهاء الامامية كافة و حملة الآثار منهم ، و لست أعرف فيه لمتكلمهم من قبل مقالات ، و بلغني عن بني نوبخت خلاف فيه ، و لقيت جماعة من المقصرين عن المعرفة ممّن ينتمي إلى الإمامية أيضا يأبونه ، و قد قال تعالى :

و لا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربّهم يرزقون .

فرحين بما آتاهم الله من فضله و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم و لا هم يحزنون ١ . و ما يتلو هذا من كلام ، و قال في قصة مؤمن آل يس : قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون . بما غفر لي ربي و جعلني من المكرمين ٢ . و قال النبيّ صلّى الله عليه و آله : « من سلّم عليّ عند قبري سمعته ، و من سلّم عليّ من بعيد بلّغته » ٣ . ثمّ الأخبار في تفصيل ما ذكرناه من الجملة عن أئمة آل محمد عليهم السّلام بما وصفناه نصّا و لفظا كثيرة ، و ليس هذا الكتاب موضع ذكرها ٤ .

« و يبلى من بلي منّا و ليس ببال » من : بلي الثوب و أبلاه : جعله باليا ، قال العجاج :

و المرء يبليه بلاء السّربال

كرّ الليالي و اختلاف الأحوال

(١) آل عمران : ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٢) يس : ٢٦ ٢٧ .

(٣) رواه المفيد مجردا في أوائل المقالات : ٨٥ ، و العيون و المحاسن عنه الفصول المختارة : ٩٥ ، و يفرق يسير مسندا البيهقي في شعب الإيمان عنه الجامع الصغير ٢ : ١٧٥ ، و أبو علي الطوسي في أماليه ١ : ١٦٩ المجلس ٦ .

(٤) أوائل المقالات للمفيد : ٨٤ ، و النقل بتلخيص .

الصفحة ٣٨٧

و عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم في خبر عرض الأعمال عليه صلى الله عليه و آله و سلم ، قالوا : و قد رمت يا رسول الله ؟ فقال : إن الله تعالى حرم لحومنا على الأرض أن تطعم منها شيئا ١ .

و في (الفقيه) عن الصادق عليه السلام : أن الله عزّ و جلّ حرم عظامنا على الأرض ، و حرم لحومنا على الدود أن يطعم منها شيئا ٢ .

فيمكن حمل كلامه عليه السلام : « و يبلى من بلي منّا » على أنه جرى على الظاهر ،

و أنه لو فرض كونه باليا في الظاهر كباقي الناس لم يكن ببال في الحقيقة ، كما قال النمري :

فإن يك أفنته الليالي فأوشكت

فإن له ذكرا سيفني اللياليا

و قال آخر :

ردت صنایعه عليه حياته

فكانه من نشرها منشور

« فلا تقولوا بما لا تعرفون ، فإن أكثر الحق في ما تتكرون » في (صفين نصر) تكلم أصحابه عليه السلام بعد رفع المصاحف ، فقال الحضين بن المنذر و كان أحدثهم سنا : إنما بني هذا الدين على التسليم فلا تدفعوه بالقياس ، و لا تهدموا بالشبهة فإننا و الله لو لا أنا لا نقبل إلا ما نعرف لأصبح الحق في أيدينا قليلا ، و لو تركنا ما نهوى لكان الباطل في أيدينا كثيرا ، و أن لنا ردا عيا قد حمدنا وردده و صدره ، و هو المأمون على ما قال ، المأمون على ما فعل ، فإن قال : لا .

قلنا : و إن قال : نعم . قلنا : نعم ٣ .

و كيف لا يكون أكثر الحق في ما ينكر الناس ، و قد أنكر مثل موسى عليه السلام

- (١) سنن النسائي ٣ : ٩١ ، و سنن ابن ماجه ١ : ٣٤٥ ح ١٠٨٥ ، و غيرهما ، و النقل بتصريف .
 (٢) الفقيه للصدوق ١ : ١٢١ ح ٢٣ .
 (٣) وقعة صفين لابن مزاحم : ٤٨٥ .

الصفحة ٣٨٨

أفعال العبد الصالح : من خرق السفينة ، و إقامة الجدار ، و قتل الغلام ١ ؟

« و اعذروا » أي : اجعلوا معذورا .

« من لا حجة لكم عليه و أنا هو » فإنه عليه السلام كان مؤيدا من عند الله تعالى في كل فعل و قول ، معلما من النبي صلى الله عليه و آله في كل أمر ، و هم كانوا أهل جهالة و بطالة .

و روى سبط ابن الجوزي في (تذكرته) : أن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه و آله :

و انصب أهل بيتك علما للهداية ، و أودع أسرارهم من سرّي بحيث لا يشكّل عليهم دقيق ، و لا يغيب عنهم خفي ، و اجعلهم حجتي على بريتي ، و المنبّهين على قدرتي ، و المطلعين على أسرار خزائني ٢ .

و روى أيضا عنه عليه السلام : أنه ذكر نور النبي صلى الله عليه و آله ، ثم قال : ثم لم يزل ذلك النور ينتقل فينا ، و ينتشعشع في غرائزنا ، فنحن أنوار السماوات و الأرض ،

و سفن النجاة ، و فينا مكنون العلم ، و إلينا مصير الامور ، و بمهدينا تقطع الحجج ، فهو خاتم الأئمة ، و منقذ الأمة ، و منتهى النور ، و غامض السرّ ، فليهن من استمسك بعروتنا ، و حشر على محبتنا ٣ .

من الخطبة (١٤٨) حَتَّى إِذَا قَبِضَ اللَّهُ رَسُولَهُ ص رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ وَ غَالَتَهُمُ السُّبُلُ وَ اتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِحِ وَ وَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ وَ هَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ وَ نَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رِصِّ أَسَاسِهِ فَبَنَوْهُ فِي

غَيْرَ مَوْضِعِهِ مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَ أَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ وَ ذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ عَلَى سُنَّةٍ مِنْ؟ أَلِ فِرْعَوْنَ؟ مِنْ مُنْقَطِعٍ

(١) جاءت قصة موسى عليه السلام و العبد الصالح في الآيات ٦٠ ٨٢ من سورة الكهف .

(٢ و ٣) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : ١٢٩ ، ١٣٠ ضمن خطبة .

الصفحة ٣٨٩

إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ « حَتَّى إِذَا قَبِضَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ » فِيهِ تَصْرِيحٌ بِمَا تَقُولُهُ الْإِمَامِيَّةُ ، مِنْ ارْتِدَادِ النَّاسِ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ارْتِدَادًا مَعْنَوِيًّا ، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ مِنْ شَيْعَتِهِ الْمَخْلُصِينَ .

« رَجَعُ قَوْمٍ عَلَى الْأَعْقَابِ » . . . أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قَتَلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ . . . ١ .

قال أبو المقدم للباقر عليه السلام : إِنَّ الْعَامَّةَ يَزْعُمُونَ أَنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ حَيْثُ اجْتَمَعَ النَّاسُ كَانَتْ رَضَى لِلَّهِ ، وَ إِنَّ اللَّهَ مَا كَانَ لِيُضِلَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مِنْ بَعْدِهِ .

فقال عليه السلام : أَوْ مَا تَقْرَأُونَ كِتَابَ اللَّهِ؟ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ : وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قَتَلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَ سَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ ٢ ؟ فقلت له : إِنَّهُمْ يَفْسُرُونَهُ عَلَى وَجْهِ آخِرٍ ، وَ يَقُولُونَ : كَيْفَ يُمْكِنُ كُفْرُهُمْ بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ ؟ فَقَالَ : أَوْ لَيْسَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ قَدْ أَخْبَرَ عَنِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَّةِ : أَنَّهُمْ قَدْ اخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ ، حَيْثُ قَالَ : . . . وَ آتَيْنَا عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَ أَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَ لَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ٣ ؟ وَ فِي هَذَا مَا يَسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى أَنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ قَدْ اخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِهِ : فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ ، وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ .

وَ فِي (اسْتِيعَابِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ) فِي عِنْوَانِ بَسْرِ بْنِ أَرْطَاةَ : رَوَى شُعْبَةَ وَ سَفْيَانَ الثَّوْرِيَّ عَنِ الْمَغِيرَةَ بْنِ النُّعْمَانَ عَنِ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ،

قال : قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ : إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ عَرَاةٌ عَزَلًا فَذَكَرَ

(١) آل عمران : ١٤٤ .

(٢) آل عمران : ١٤٤ .

(٣) الكافي للكليني ٨ : ٢٧٠ ح ٣٩٨ ، و الآية ٢٥٣ من سورة البقرة .

الصفحة ٣٩٠

الحديث و فيه : فأقول : يا رب أصحابي فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ،

إنّ هؤلاء لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ١ .

و روى مسندا عن أبي حازم عن سهل بن سعد ، قال : قال النبي صلى الله عليه و آله : إنني فرطكم على الحوض ، من مرّ عليّ يشرب ، و من شرب لم يظمأ أبدا ، و ليردنّ عليّ أقوام أعرفهم و يعرفوني ، ثم يحال بيني و بينهم . قال أبو حازم : فسمعتي النعمان بن أبي عياش ، فقال : هكذا سمعت من سهل ؟ قلت : نعم . قال : فإنني أشهد على أبي سعيد الخدري ، سمعته و هو يزيد فيها : فأقول : إنهم منّي . فيقال :

إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . فأقول : سحقا سحقا لمن غير بعدي ٢ .

« و غالتهم السبل » يقال : غاله : إذا أخذه من حيث لم يدر ، قال حارثة في ابنه زيد بن حارثة لما ذهب به بنو القين :

فو الله ما أدري و إن كنت سائلا
أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل

و كلامه عليه السلام إشارة إلى قوله تعالى : . . . و لا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله . . . ٣ .

« و اتكلوا » أي : اعتمدوا .

« على الولايج » هكذا في النسخ ٤ ، و الظاهر وقوع سقط ، و أنّ الأصل :

« على غير الولايج » . فوليجة الرجل خاصته و بطانته ، فيكون إشارة إلى قوله تعالى : أم حسبتم أن تتركوا و لمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم و لم يتخذوا من دون الله و لا رسوله و لا المؤمنين و ليجة و الله خبير بما تعملون ٥ .

- (١) الاستيعاب لابن عبد البر ١ : ١٦٠ .
 (٢) الاستيعاب لابن عبد البر ١ : ١٥٩ .
 (٣) الأنعام : ١٥٣ .
 (٤) كذا في نهج البلاغة ٢ : ٣٦ ، و شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٤١٧ ، و شرح ابن ميثم ٣ : ٢١٦ .
 (٥) التوبة : ١٦ .

الصفحة ٣٩١

و يحتمل أن يكون الأصل : « و اتكلوا على الولايج من دون الله » .

« و وصلوا غير الرحم » أي : غير رحم النبي صلى الله عليه و آله ، حيث تركوا أهل بيته و قطعوا رحمه التي امروا بوصلها ، و قد قال تعالى : الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ١ .

« و هجروا » أي : تركوا .

« السَّبب » هكذا في النسخ ٢ ، و لا يبعد أن يكون محرف (النسب) بشهادة قوله :

« الَّذِي أَمَرُوا بِمَوَدَّتِهِ » قال تعالى : . . . قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى . . . ٣ .

و قال ابن أبي الحديد : قوله عليه السلام : « و هجروا السَّبب . . . » ، إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه و آله : « خَلَّفْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللَّهِ ، وَ عَرْتِي أَهْلَ بَيْتِي ، حَبْلَانِ مَمْدُودَانِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، لَا يَفْتَرِقَانِ حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ » . فعبر أمير المؤمنين عن أهل البيت بلفظ السَّبب ، لما كان النبي صلى الله عليه و آله قال : « حبلان » .

و السَّبب في اللغة : الحبل . . . ٤ « و نقلوا البناء عن رصِّ أساسه » من إضافة الصفة مع كون المصدر بمعنى المفعول ، أي : أساسه المرصوص ، كما قال تعالى : . . . بَنِيَانٍ مَرْصُوصٍ ٥ . أي : ملصق بعضه ببعض .

- (١) البقرة : ٢٧ .
 (٢) كذا في نهج البلاغة ٢ : ٣٦ ، و شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٤١٧ ، و شرح ابن ميثم ٣ : ٢١٦ .

(٣) الشورى : ٢٣ .

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٤١٧ .

(٥) الصف : ٤ .

الصفحة ٣٩٢

« فبنوه في غير موضعه » و قال تعالى : ذرية بعضها من بعض . . . ١ .

و قد سأل السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقي الحكيم سنائي الشاعر عن مذهبه ، فأجابه بقصيدة ، و هي بالفارسية ، و منها هذه الأبيات :

از پی سلطان ملك شه چون نمیداری روا
تخت و تاج سلطنت جز آنکه سنجر داشتن

از پی سلطان دین از چه همی داری روا
جز علی و عترتش محراب و منبر داشتن ٢

و روى (أمالي الشيخ) في مجلسه العشرين عن علي بن الحسين عليه السلام في صلح عمه عليه السلام قال : قال الحسن عليه السلام : إن معاوية بن صخر زعم أنني رأيت للخلافة أهلا ، و لم أر نفسي لها أهلا ، كذب معاوية أيم الله ، لأننا أولى الناس بالناس ، في كتاب الله و على لسان رسوله ، غير أننا أهل البيت لم نزل مخوفين ،

مظلومين ، مضطهدين منذ قبض الله النبي صلى الله عليه و آله ، فالله بيننا و بين من ظلمنا حقنا و نزل على رقابنا ، و حمل الناس على أكتافنا ، و منعنا سهمنا في كتاب الله ، و منع أمنا فاطمة إرثها . إنا لا نسمي أحدا ، و لكن أقسم بالله ، لو أن الناس سمعوا قول الله و قول رسوله ، لأعطتهم السماء قطرها ، و الأرض بركتها ، و لما اختلف في هذه الأمة سيفان ، و لأكلوها خضراء إلى يوم القيامة ، و ما طمعت فيها يا معاوية . و لكن لما أخرجت سالفًا من معدنها ، و زحزحت عن قواعدها ،

تنازعتها قريش بينها ، و ترامتها كترامي الكرة حتى طمعت فيها أنت يا معاوية و أصحابك من بعدك . و قد قال النبي صلى الله عليه و آله : ما ولت أمة أمرها رجلا قط

(١) آل عمران : ٣٤ .

(٢) ترجمة البيتين : إن كنت تأبى أن يخلف ملكشاه (أحد ملوك الدولة السلجوقية) في العرش و التاج سوى سنجر (خليفة ملكشاه) فكيف تصبر على أن يخلف سلطان الدين (النبي صلى الله عليه و آله) في المحراب و المنبر سوى علي و عترته عليهم السلام .

الصفحة ٣٩٣

و فيهم من هو أعلم منه ، لم يزل أمرهم سفالا حتى يرجعوا إلى ما تركوا ، و قد تركت بنو إسرائيل و كانوا أصحاب موسى هارون أخاه و خليفته و وزيره ،

و عكفوا على العجل ، و أطاعوا فيه سامريهم و هم يعلمون أنه خليفة موسى .

و قد سمعت هذه الامّة قول النبي صلى الله عليه و آله لأبي : « إنه مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » ، و قد رأوا النبي صلى الله عليه و آله و سلم حين نصبه لهم بغدير خم ،

و نادى له بالولاية ثم أمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب و قد خرج النبي صلى الله عليه و آله حذارا من قومه إلى الغار ، لما أجمعوا أن يمكروا به ، لما لم يجد عليهم أعوانا ، و لو وجد عليهم أعوانا لجاهدتهم . و قد كفّ أبي و ناشدهم ، و استغاث أصحابه ، فلم يغث ، و لو وجد عليهم أعوانا ما أجابهم ، و قد جعل في سعة كما جعل النبي صلى الله عليه و آله في سعة ، و قد خذلتني الامّة فبايعتك يابن حرب ، و لو وجدت عليك أعوانا ما بايعتك ، و قد جعل الله هارون في سعة إذ استضعفه قومه ، و كذلك أنا و أبي في سعة حين تركتنا الامّة . . . ١ .

و روى الجوهري في (سقيفته) عن جرير عن المغيرة : أنه لما بويح أبو بكر ، قال سلمان : أصبتم الخير ، و لكن أخطأتم المعدن ٢ .

و روى عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : قال سلمان يومئذ : أصبتم ذا السنّ منكم ، و لكنكم أخطأتم أهل بيت نبيكم ، أما لو جعلتموها فيهم ما اختلف منكم اثنان ، و لأكلتموها رغدا ٣ .

و رووا أيضا عن سلمان ، قال يومئذ : أصبتم و أخطأتم ، أصبتم سنة الأولين ، و أخطأتم أهل بيت نبيكم . و قال : ما أدري أنسيتم أم تناسيتم ؟

أجهلتم أم تجاهلتم ؟ و قال : و الله ، لو أعلم أنني أعزّ لله دينا ، أو أمنع لله ضيما

- (١) الامالي للطوسي ٢ : ١٧٨ المجلس ٣ ضمن حديث طويل .
 (٢) أخرجهما الجوهري في السقيفة : ٦٧ ، و لم يصرح بكون الثاني رواية حبيب بن أبي ثابت .
 (٣) أخرجهما الجوهري في السقيفة : ٦٧ ، و لم يصرح بكون الثاني رواية حبيب بن أبي ثابت .

الصفحة ٣٩٤

لضربت بسيفي قدما قدما ١ .

و روى إبراهيم الثقفي عن يحيى الحماني عن عمرو بن حريث عن حبيب بن أبي ثابت عن ثعلبة بن يزيد الحماني عن عليّ عليه السلام ، قال : في ما عهد إلى النبيّ الاميّ صلّى الله عليه و آله : أنّ الامّة ستغدر بك ٢ .

و في (خلفاء ابن قتيبة) : لما جاؤوا بعليّ إلى بيعة أبي بكر قال : « الله الله يا معشر المهاجرين ، لا تخرجوا سلطان محمّد في العرب عن داره و قعر بيته إلى دوركم و قعور بيوتكم ، و لا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس و حقّه ، فو الله يا معشر المهاجرين لنحن أحقّ الناس به ، لأننا أهل البيت ، و نحن أحقّ بهذا الأمر منكم ما كان فينا القاريء لكتاب الله ، الفقيه في دين الله ، العالم بسنن رسول الله ،

المضطلع بأمر الرعيّة ، المدافع عنهم الامور السيئة ، القاسم بينهم بالسوية ،

و الله إنه لفينا . فلا تتبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل الله ، فتزدادوا من الحقّ بعدا » .

قال : فقال بشير بن سعد الأنصاري : لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا عليّ قبل بيعتها لأبي بكر ، ما اختلف عليك اثنان ٣ .

و فيه : و خرج عليّ كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه و آله على دابة ليلا في مجالس الأنصار ، تسألهم النصره ، فكانوا يقولون : يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ، و لو أنّ زوجك و ابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ، ما عدلنا به . فيقول عليّ كرم الله وجهه : أفكنت أدع رسول الله صلّى الله عليه و آله في بيته لم أدفنه ، و أخرج انازع الناس سلطانه ؟ فقالت فاطمة : ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ، و لقد صنعوا ما الله حسيبهم و طالبهم ٤ .

(١) السقيفة لسليم بن قيس : ٩٠ بفرق يسير .

(٢) تاريخ الثقفي عنه تلخيص الثاني ٣ : ٥٠ ، و الجوهري في السقيفة : ٦٩ .

(٣) رواه ابن قتيبة في الإمامة و السياسة ١ : ١٢ .

(٤) رواه ابن قتيبة في الإمامة و السياسة ١ : ١٢ .

الصفحة ٣٩٥

و روى الطبراني عن الدبري عن عبد الرزاق عن أبيه عن مينا عن ابن مسعود قال : كنت مع النبي صلى الله عليه و آله ليلة و فد الجنّ ، فلما انصرف تنفس ، قلت : ما شأنك يا رسول الله ؟ قال : نعت إلي نفسي . قلت : فاستخلف . قال : من ؟ قلت : أبو بكر . فسكت ، ثم مضى ساعة ثم تنفس . قلت : ما شأنك ؟ قال : نعت إلي نفسي .

قلت : فاستخلف . قال : من ؟ قلت : عمر . فسكت ، ثم مضى ساعة ثم تنفس ، فقلت :

ما شأنك ؟ قال : نعت إلي نفسي . قلت : فاستخلف . قال : من ؟ قلت : علي بن أبي طالب . قال : أما و الذي نفسي بيده لئن أطاعوه ليدخلنّ الجنة أجمعين ١ .

و روى أيضا عن محمد بن عبد الله الحضرمي ، عن علي بن الحسين بن بردة العجلي الذهبي ، عن يحيى بن يعلى الأسلمي ، عن حرب بن صبيح ، عن سعيد بن مسلم ، عن أبي مرّة الصنعاني ، عن أبي عبد الله الحذلي ، عن ابن مسعود قال : استتبعني رسول الله صلى الله عليه و آله ليلة الجنّ إلى أن قال قال : و ما أظنّ أجلي إلا قد اقترب . قلت : يا رسول الله ألا تستخلف أبا بكر ؟ فأعرض عني ،

فرايت أنه لم يوافق ، فقلت : يا رسول الله ألا تستخلف عمر ؟ فأعرض عني ،

فرايت أنه لم يوافق ، فقلت : يا رسول الله ألا تستخلف عليا ؟ قال : ذاك و الذي لا إله غيره لو بايعتموه ، و أطعتموه أدخلكم الجنة أكتعين ٢ .

و إنّما طعن ابن الجوزي لنصبه في الخبر الأول بكون مينا في طريقه شيعيا ، و أمّا الخبر الثاني فلم يطعن فيه كما صرح به السيوطي ٣ .

« معادن كلّ خطيئة ، و أبواب كلّ ضارب في غمرة » أي : شدة ، و غمرات الموت : شدائده ، و لقد أقرّ معاوية و يزيد في جوابيهما لكتابي محمد بن أبي بكر ، و عبد الله بن عمر لما طعنا فيهما بقتال أمير المؤمنين عليه السلام ، و قتل سيّد

- (١) أخرجه الطبراني في معجمه عنه اللآلئ المصنوعة ١ : ١٦٨ .
 (٢) أخرجه الطبراني في معجمه عنه اللآلئ المصنوعة ١ : ١٦٨ .
 (٣) اللآلئ المصنوعة ١ : ١٦٨ .

الصفحة ٣٩٦

شباب أهل الجنة بأنّ أبويهما هما اللذان أسسا لهما الأمر ، و هما تابعان لهما في أعمالهما ، كما رواه نصر بن مزاحم ، و أبو الفرج و المسعودي و البلاذري و غيرهم ١ .

و روى (أغاني أبي الفرج) عن محمد بن سهل صاحب الكميت : أنه أنشد أبا عبد الله جعفر بن محمد ، فكثر البكاء حين أتى على هذا البيت :

يصيب به الرّامون عن قوس غيرهم
 فيا أخرا أسدى له الغيّ أوّل

و رفع أبو عبد الله يديه ، و قال : اللهم اغفر للكميت ما قدّم و ما أخر ، و ما أسرّ و ما أعلن ، و أعطه حتى يرضى ٢ .

« قد ماروا » قال الجوهرى : مار : أي تحرك و جاء و ذهب ٣ .

« في الحيرة » أي : في التّحير .

« و ذهلوا » أي : غفلوا .

« في السّكرة » فيكون مورهم أشدّ مور ، و ذهلهم أشدّ ذهول .

« على سنة من آل فرعون » على سيرتهم و طريقتهم ، فكما أنّ فرعون استخفّ قومه ، و قال لهم : . . . أنا ربكم الأعلى ٤ فأطاعوه ، قال لهم الثّاني : إنّ الأول صاحب نبيكم في الغار ، و رضيه في صلاته بكم لدينكم ، فكيف لا ترضونه لديناكم ، و لا تبايعونه ؟ فجعل أمر الخلافة أدون من إمام الجماعة ،

- (١) جواب معاوية لمحمد بن أبي بكر رواه نصر بن مزاحم في وقعة صفين : ١١٩ ، و المسعودي في مروج الذهب ٣ : ١٢ ، و البلاذري في أنساب الاشراف ٢ : ٣٩٦ ، و لم أجده عن أبي الفرج ، لا في

الأغاني و لا في المقاتل ، و جواب يزيد لابن عمر رواه عن أنساب الأشراف ابن طاووس في الطرائف ١ : ٢٤٧ ح ٣٤٨ ، لكن لم يوجد في ترجمة الامام الحسين عليه السلام ، و لا ترجمة يزيد من أنساب الأشراف .

(٢) الأغاني ١٧ : ٢٤ ، و النقل بتصريف .

(٣) صحاح اللغة للجوهري ٢ : ٨٢٠ مادة (مور) .

(٤) النازعات : ٢٤ .

الصفحة ٣٩٧

مع أنهم يجوزون الصلاة خلف كل فاسق ، مضافا إلى ما في كونه صاحب الغار من العوار ، و ما في تقديمه للصلاة من الشئار ، فهل حيرة فوق هذا ، و هل سكرة أشد من هذا ؟

« من منقطع إلى الدنيا ركن » إليها ككثير من المهاجرين و الأنصار الذين أسلموا زمن النبي صلى الله عليه و آله طوعا ، لكن بعده اتبعوا الأول طمعا أن ينالوا ثروة أو إمرة ، و لم يبق مع أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه و آله إلا ثلاثة أو أربعة ، و بعد شهرين صاروا سبعة ، و هم الذين صلوا معه عليه السلام على سيدة النساء صلوات الله عليها . و ليس ذئبان ضاريان في غنم بأكثر فسادا من حبّ جاه الدنيا و مالها للمراء المسلم في دينه .

« أو مفارق للدين مبائن » أي : منفصل عن الدين ، كعمرو بن العاص ،

و المغيرة بن شعبة ، و خالد بن الوليد ، و عكرمة بن أبي جهل ، و سهيل بن عمرو ، و أبي سفيان ، و إبنه يزيد و معاوية ، و نظرائهم من المنافقين و المؤلفة الذين أسلموا بعد غلبة الإسلام كرها ، بأنهم شدوا أمر أبي بكر ، فضلا عن أن بايعوه و تابعوه ، قال الجاحظ في (بيانه :) قال الحسن بن عليّ لحبيب بن مسلمة : ربّ مسير لك في غير طاعة الله . فقال : أمّا مسيري إلى أبيك فلا . قال :

بلى و لكنك أطعت معاوية على دنيا قليلة ، فلعمري لئن كان قام بك في دنياك لقد قعد بك في دينك ، و لو أنك إذ فعلت شرا قلت خيرا ، كنت كما قال الله تعالى :

خطوا عملا صالحا و آخر سيئا . . . ١ . و لكنك كما قال تعالى : كلاً بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ٢ .

هذا ، و قال ابن أبي الحديد بعد العنوان : فإن قلت : أليس الفصل صريحا

(١) التوبة : ١٠٢ .

(٢) البيان و التبیین للجاحظ ٢ : ٩٩ ، و الآية ١٤ من سورة المطففين .

الصفحة ٣٩٨

في تحقيق مذهب الإمامية ؟ قلت : لا ، بل نحمله على أنه عليه السلام عنى اعداءه الذين حاربوه من قريش ، و غيرهم من أفناء العرب في أيام صفين ، و هم الذين نقلوا البناء ، و هجروا السبب ، و وصلوا غير الرحم ، و اتركوا على الولايج ، و غالتهم السبيل ، و رجعوا على الأعقاب ، كعمرو بن العاص ، و المغيرة بن شعبة ،

و مروان بن الحكم ، و الوليد بن عقبة ، و حبيب بن مسلمة و بسر بن أرطاة ،

و عبد الله بن الزبير ، و سعيد بن العاص ، و حوشب ، و ذوي الكلاع ، و شرحبيل بن الصمت ، و أبي الأعور السلمي ، و غيرهم ممن تقدم ، ذكرنا له في الفصول المتعلقة بصفين ، و أخبارها . فإن هؤلاء نقلوا الإمامة عنه إلى معاوية ، فنقلوا البناء عن رصن أصله إلى غير موضعه .

قال : فإن قلت : لفظ الفصل يشهد بخلاف ما تأولته ، لأنه عليه السلام قال : « حتى إذا قبض الله رسوله رجع قوم على الأعقاب » فجعل رجوعهم على الأعقاب عقيب قبض الرسول صلى الله عليه و آله ، و ما ذكرته أنت كان بعد قبض الرسول صلى الله عليه و آله بنيف و عشرين سنة . قلت : ليس يمتنع أن يكون هؤلاء المذكورون رجعوا على الأعقاب لما مات النبي صلى الله عليه و آله ، و أضمروا في أنفسهم مشاققة أمير المؤمنين عليه السلام و أذاه ، و قد كان فيهم من يتحكك به في أيام أبي بكر ، و عمر ، و عثمان ،

و يتعرض له ، و لم يكن أحد منهم و لا من غيرهم يقدم على ذلك في حياة النبي صلى الله عليه و آله . و لا يمتنع أيضا أن يريد رجوعهم على الأعقاب ارتدادهم عن الإسلام ، فإن كثيرا من أصحابنا يطعنون في إيمان بعض من ذكرناه ،

و يعدونهم من المنافقين ، و قد كان سيف النبي صلى الله عليه و آله يقمعهم و يردعهم عن إظهار ما في أنفسهم من النفاق ، فأظهر قوم منهم بعده ما كانوا يضمرونه من ذلك ، خصوصا فيما يتعلق بأمر المؤمنين عليه السلام ، الذي ورد في حقه : « ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله إلا ببغض علي بن أبي طالب » و هو

الصفحة ٣٩٩

خبر محققٌ مذكور في الصحاح ١ .

قال : فإن قلت : يمنعك من هذا التأويل قوله : « و نقلوا البناء عن رصّ أساسه فجعلوه في غير موضعه »
و ذلك لأنّ (إذا) ظرف ، و العامل فيها قوله :

« رجع قوم على الأعقاب » ، و قد عطف عليه قوله : « و نقلوا البناء » . فإذا كان الرجوع على الأعقاب
واقعا في الظرف المذكور و هو وقت قبض الرسول و جب أن يكون نقل البناء الى غير موضعه واقعا في
ذلك الوقت أيضا ، لأنّ أحد الفعلين معطوف على الآخر ، و لم ينقل أحد وقت قبض الرسول صلّى الله
عليه و آله البناء إلى معاوية عن أمير المؤمنين عليه السلام ، و إنّما نقل عنه إلى شخص آخر ، و في
إعطاء العطف حقّه إثبات مذهب الإمامية صريحا .

قلت : إذا كان الرجوع على الأعقاب واقعا وقت قبض النبيّ صلّى الله عليه و آله ، فقد قمنا بما يجب من
وجود عامل في الظرف ، و لا يجب أن يكون نقل البناء إلى غير موضعه واقعا في تلك الحال أيضا ، بل
يجوز أن يكون واقعا في زمان آخر ، إمّا بأن يكون الواو للاستيناف لا للعطف ، أو بأن يكون للعطف في
مطلق الحدث ،

لا في وقوع الحدث في عين ذلك الزمان المخصوص ، كقوله تعالى : . . . حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما
أهلها فأبوا أن يضيّفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقضّ فأقامه . . . ٢ . فالعامل في الظرف استطعما و
يجب أن يكون استطعما وقت إتيانها أهلها لا محالة ، و لا يجب ان تكون جميع الأفعال المذكورة
المعطوفة واقعة في حال الإتيان أيضا ، ألا ترى أنّ من جملتها فأقامه و لم يكن إقامة الجدار حال إتيانها
القرية ، بل متراخيا عنه بزمان ما ، اللهمّ إلا أن يقول قائل : أشار بيده إلى الجدار ، فقام ، أو قال له : قم .
فقام ، لأنّه

(١) سنن الترمذي ٥ : ٦٣٥ ح ٣٧١٧ عن أبي سعيد الخدري .

(٢) الكهف : ٧٧ .

الصفحة ٤٠٠

لا يمكن أن يجعل إقامة الجدار مقارنة للإتيان إلا على هذا الوجه ، و هذا لم يكن ،

و لا قاله مفسر . و لو كان قد وقع على هذا الوجه لما قال له : . . . لو شئت لاتخذت عليه أجرا ، لأنّ الأجر إنّما يكون على احتمال عمل فيه مشقة ، و إنّما يكون فيه مشقة إذا بناه بيده ، و باشره بجوارحه و أعضائه .

قال : و اعلم أنا نحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على ما يقتضيه سؤدده الجليل ، و منصبه العظيم ، و دينه القويم ، من الإغضاء عمّا سلف ممّن سلف ،

فقد كان صاحبهم بالمعروف برهة من الدهر . فإمّا أن يكون ما كانوا فيه حقّهم ، أو حقّه ، فتركه لهم رفعا لنفسه عن المنازعة ، أو لما رآه من المصلحة .

و على أي التقديرين ، فالواجب علينا أن نطبّق بين آخر أفعاله و أقواله بالنسبة إليهم ، و بين أولها ، فإنّ بعد تأويل من يتأوله من كلامه ، فليس بأبعد من تأويل أهل التوحيد و العدل الآيات المتشابهة في القرآن ، و لم يمنع بعدها من الخوض في تأويلها محافظة على الاصول المقررة ، فكذلك ها هنا ١ .

قلت : إنّما كان الأولى له أن يريح نفسه و يقول ككثير من نصّابهم إنّهم و إن صرّح أنّ الناس ارتدّوا بعد النّبّي صلّى الله عليه و آله إلاّ أنا لا نقبل قوله ، و أنا لا نقبل أقوال النّبّي صلّى الله عليه و آله فيه . فقد صرّح فاروقهم لما منع النّبّي صلّى الله عليه و آله من الوصيّة : بأنّه علم ما أضمر النّبّي صلّى الله عليه و آله من تعيينه لعليّ ، إلاّ أنّي منعت من ذلك ، لأنّه لم يكن صلاح الامّة ، فكيف نقبل ما يقوله من نفسه و يدّعيه لنفسه ، و لا يذكر هذه التأويلات التي توجب التهوّع ، و لا يخرج في تطويلاته إلى كلام البلهاء ،

و اصلاحه حال المتقدّمين عليه عليه السلام بتأويلاته كما قال الشاعر :

تروح إلى العطار تبغي شبابها
و هل يصلح العطار ما أفسد الدهر

و هل حملة قوله عليه السلام : « حتّى إذا قبض الله رسوله صلّى الله عليه و آله رجع قوم على

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٤١٨ .

الأعقاب « على من ذكر من ابن العاص ، و المغيرة ، و مروان ، و باقيهم يصحّ مذهبهم ؟ و ما يفعل بأمّ مؤمنهم التي ولاؤها عندهم كأبيها و صاحبه جزء دينهم ؟ فإنّها كانت السبب الأعظم في تزلزل أمر أمير المؤمنين عليه السّلام و استيلاء معاوية ، و أمّا من سمّاه فكان الناس يعرفونهم بالنفاق قديما و حديثا ، و من كان يعتني بهم ، لو لا عيشة في الجمل الذي سبّب صفين و النهروان ، حتّى انجرّ الأمر إلى ما انجرّ من خلافة معاوية ؟

و إذا عدّ ابن الزبير فلم لم يعدّ أباه حواريهم ، و طلحة أحد عشرتهم و سنتهم و ولاؤهما أيضا عندهم ركن الدين ؟ و هما أيضا كأميرة مؤمنهم كانا العامل الأهم ، و السبب الأعظم في تزلزل أمر أمير المؤمنين عليه السّلام و انتقال السلطان إلى معاوية . فكتب معاوية إلى سعيد بن العاص : « فقد أيدتكم بأسد و تيم » . مريدا بأسد الزبير و بنيم طلحة . فكان معاوية كتب إلى كلّ منهما : « أنّه أخذ البيعة بالشام له ، و لصاحبه على أنّ الأمر للمقدّم ، ثمّ لصاحبه من بعده » .

و كان كتب إلى يعلى بن أمية : « و قد كتبت إلى طلحة أن يلقاك بمكة ، حتّى يجتمع رأيكما على إظهار الدعوة ، و الطلب بدم عثمان » . فكان معاوية لم ير نفسه أهلا للقيام في قبالة عليه السّلام ، حتّى يكتب إلى طلحة و الزبير : أنّه أحكم الأمر لهما حتّى يزلزلا أمره ، فيتمكّن من القيام عليه .

و لم عدّ المغيرة ، و لم يعضد المغيرة معاوية وقت قيام أمير المؤمنين عليه السّلام ، بل عاضد أمير المؤمنين عليه السّلام بنصحه على السياسة الدنيوية ،

بأن يكتب إلى معاوية بإقراره على عمله ، ثمّ يعزله بعد استقرار أمره ، و إن لم يقبل أمير المؤمنين عليه السّلام ذلك منه على حسب وظيفته الدينية ، فكان عليه السّلام ملتزما بالجري على حاق الشريعة . بخلاف صديقهم و فاروقهم ، فإنّهما في قيامهما فرعا إلى المغيرة ، لأن يرى لهما رأيا يستحكم به أمرهما ، فرأى لهما أن يعرضا على العباس عمّ النبيّ صلّى الله عليه و آله تشريكه ، تضعيفا لأمر أمير المؤمنين ،

الصفحة ٤٠٢

قال ابن قتيبة في (خلفائه) بعد ذكره إباء أمير المؤمنين عليه السّلام عن بيعة أبي بكر :

ثمّ خرج (أبو بكر) فأتى المغيرة بن شعبة . فقال : الرأى يا أبا بكر أن تلقوا العباس ، فتجعلوا له في هذه الإمرة نصيبا يكون له و لعقبه ، و تكون لكما الحجة على عليّ و بني هاشم ، إذا كان العباس معكم . فانطلق أبو بكر و عمر و أبو عبيدة و المغيرة حتّى دخلوا على العباس ١ .

و العباس و إن لم يقبل ذلك و أنكره و قال لأبي بكر كما في (الخلفاء) أيضا : إن كنت برسول الله طلبت فحقنا أخذت ، و إن كنت بالمؤمنين طلبت فنحن منهم متقدمون فيهم ، و إن كان هذا الأمر إنما يجب لك بالمؤمنين فما وجب إذ كنا كارهين ، فأما ما بذلت لنا ، فإن يكن حقًا لك فلا حاجة لنا فيه ، و إن يكن حقًا للمؤمنين فليس لك أن تحكم عليهم ، و إن كان حقًا لم نرض عنك فيه ببعض دون بعض . . . ٢ .

الا أن أصل تصدي أبي بكر صار سببا لانتقال الأمر إلى جبابرة بني العباس ، كجبابرة بني امية ، فلو كان ابن أبي الحديد قال : إن المغيرة صار دخيلا في انتقال الأمر منه عليه السلام إلى أبي بكر ، كان له وجه ، و إلا فإنه أيام ادعاء معاوية الأمر في قبالة عليه السلام لم يحارب أمير المؤمنين عليه السلام و لا نصر معاوية ،

بل اعتزل لدهائه لينظر كيف يصير عاقبة الأمر ، بل صرح في أهل الجمل الطالبين بدم عثمان : أنهم قتلته ، و أن الحق معه عليه السلام ٣ .

و كذلك عدّه سعيد بن العاص غلط ، فإنه مع كونه من بني امية منع معاوية من قيامه ، فروى الزبير بن بكار : أن معاوية كتب إليه : إن كتاب مروان ورد عليّ من ساعة وقعت النازلة ، تقبل به البرد بسير المطيّ الوجيف تتوجس

(١) الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١ : ١٥ .

(٢) الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١ : ١٥ .

(٣) الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١ : ٦٣ .

الصفحة ٤٠٣

توجس الحية الذكر خوف ضربة الفأس ، و قبضة الحاوي ، و مروان الرائد لا يكذب أهله فعلام الافكاك يابن العاص ؟ و لات حين مناص ، ذلك أنكم يا بني امية عما قليل تسألون أدنى العيش من أبعد المسافة ، فينكركم من كان منكم عارفا ، و يصدّ عنكم من كان لكم واصلا ، متفرقين في الشعاب ، تتمنون لمظة المعاش . إن أمير المؤمنين (يعني عثمان) عتب عليه فيكم ، و قتل في سبيلكم ،

ففيهم القعود عن نصرته ، و الطلب بدمه و أنتم بنو أبيه و ذوو رحمه ، و أقربوه و طلاب تأره ؟ أصبحتم مستمسكين بشظف معاش زهيد عما قليل ينزع منكم عند التخازل و ضعف القوى ، فإذا قرأت كتابي هذا

فدبّ دبيب البرء في الجسد النحيف ، و سر سير النجوم تحت الغمام ، و احسد حسد الذرة في الصيف لانحجارها في الصرد ، فقد أيدتكم بأسد و تيم إلى أن قال فكتب إليه سعيد :

أمّا بعد ، فإنّ الحزم في التثبّت و الخطأ في العجلة ، و الشؤم في البدار ، و السهم سهمك ما لم ينبض به الوتر ، و لن يرد الحالب في الضرع اللين . ذكرت حق أمير المؤمنين علينا (أي عثمان) و قرابتنا منه ، و أنه قتل فينا ، فخلصتان ذكرهما نقص و الثالثة تكذب ، و أمرتنا بطلب دم عثمان ، فأيّ جهة تسلك فيها أبا عبد الرحمن ردمت الفجاج ، و احكم الأمر عليك ، و وليّ زمامه غيرك ؟ فدع مناواة من لو كان افترش فراشه صدر الأمر لم يعدل به غيره ، و قلت : كأننا عن قليل لا نتعارف ، فهل نحن إلّا حي من قريش ، إن لم تتلنا الولاية ، لم يضق عنا الحقّ ؟

إنّها خلافة منافية . و بالله أقسم قسما مبرورا لئن صحّت عزيمتك على ما ورد به كتابك لألفينك بين الحالين طليحا ، و هبني أخالك بعد خوض الدماء تنال الظفر ، هل في ذلك عوض من ركوب المآثم ، و نقص الدّين ؟ أمّا أنا فلا على بني امية و لا لهم . أجعل الحزم داري ، و البيت سجني ، و أتوسد الإسلام ، و استشعر العافية . فاعدل أبا عبد الرحمن زمام راحلتك إلى محبّة الحق ، و استوهب العافية لأهلك ، و استعطف الناس على قومك ، و هيهات من قبولك ما أقول حتّى

الصفحة ٤٠٤

يفجّر مروان ينابيع الفتن تأجج في البلاد ، و كأنّي بكما عند ملاقة الأبطال تعذران بالقدر ، و لبئس العاقبة الندامة ، و عمّا قليل يضحّ لك الأمر ١ .

و المغيرة أيضا دعاه أمير المؤمنين عليه السّلام إلى نصرته ، فاعتذر بارادته الاعتزال ، لما علم أنّ أعداءه عليه السّلام لا يخلّونه يصفوه له الأمر ، ففي (خلفاء ابن قتيبة) : أنّ عليّا عليه السّلام قال للمغيرة : هل لك في الله ؟ قال : فأين هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : تأخذ سيفك فتدخل معنا في هذا الأمر ، فتدرك من سبقك ، و تسبق من معك ، فإنّي أرى امورا لا بدّ للسيوف أن تشخذ لها و تقطف الرؤوس بها . فقال المغيرة : إنّي و الله يا أمير المؤمنين ما رأيت عثمان مصيبا و لا قتله صوابا ، و إنّها لظلمة تتلوها ظلمات ، فاريد يا أمير المؤمنين إن أذنت لي أن أضع سيفي و أنام في بيتي ، حتّى تتجلي الظلمة و يطلع قمرها ، ففسري مبصرين نفقوا آثار المهتدين ، و ننقي سبيل الجائرين . قال علي : قد أذنت لك ، فكن من أمرك على ما بدا لك . فقام عمّار فقال : معاذ الله يا مغيرة تقعد أعمى بعد أن كنت بصيرا ، يغلبك من غلبته و يسبقك من سبقته ؟ انظر ما ترى و ما تفعل ، فأما أنا فلا أكون إلّا في الرعيّل الأوّل . فقال له المغيرة : يا أبا اليقظان إيّاك أن تكون كقاطع السلسلة ، فرّ من الضحل فوقع في الرّمضاء . فقال عليّ لعمّار : دعه فإنّه لن يأخذ

من الآخرة إلا ما خالطته الدنيا ، أما و الله يا مغيرة إنها المثوبة المؤدية ، تؤدى من قام فيها إلى الجنة و لما اختار بعدها ، فإذا غشيناك فم في بيتك . فقال المغيرة : أنت و الله يا أمير المؤمنين أعلم مني ، و لئن لم اقاتل معك لا اعين عليك ، فإن يكن ما فعلت صوابا فإياه أردت ، و إن يكن خطأ فمنه

(١) كتاب معاوية الى سعيد رواه الزبير بن بكار في الموفقيات عنه شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٥٦١ ، شرح الخطبة ١٨٢ ، و جواب سعيد نقله في المصدر : ٥٦٣ .

الصفحة ٤٠٥

نجوت ، و لي ذنوب كثيرة لا قبل لي بها إلا الاستغفار منها ١ .

و إنما طوّلت في الاستشهاد بالتاريخ ليظهر لك خبطه في التمثيل كالممثل و إنما المغيرة في من و ممّن نقل البناء يوم السقيفة ، كما مرّ ، و قال الجوهرى : سمعت ابن شبة يحدث رجلا بحديث لم أحفظ أسناده : أنّ المغيرة مرّ بأبي بكر و عمر ، و هما جالسان على باب النبيّ صلّى الله عليه و آله حين قبض ، فقال : و ما يفعدكما ؟ قالوا : ننتظر هذا الرجل يخرج فنبايعه يعينان عليّا فقال : أتريدون أن تنتظروا خيل الحلبة من أهل هذا البيت ، و شعوها في قريش تتسع ؟ فقاما إلى سقيفة بني ساعدة . . . ٢ .

و ممّا يوضّح ما قلنا من أنّ مراده عليه السلام برجوع قوم على الأعقاب عقيب وفاته صلّى الله عليه و آله : ما قلناه من المنافقين و الطلقاء ، الذين هم شدّوا أمر أبي بكر يوم السقيفة ، كما هو صريح الفصل و تشكيكه الركيك لا أثر له ما رواه الزبير بن بكار في (موفقيات) عن ابن مخزومة عن إبراهيم بن سعد عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : لما بوبع أبو بكر و استقرّ أمره ندم قوم كثير من الأنصار على بيعته ، و لام بعضهم بعضا ، و ذكروا عليّ بن أبي طالب ، و هتفوا باسمه ، و إنّه في داره لم يخرج إليهم ، و جزع لذلك المهاجرون و كثر في ذلك الكلام ، و كان أشدّ قريش على الأنصار نفر منهم ، و هم سهيل بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي ، و الحرث بن هشام و عكرمة بن أبي جهل المخزوميان ،

و هؤلاء أشراف قريش الذين حاربوا النبيّ صلّى الله عليه و آله ثم دخلوا في الاسلام ، و كلّهم موتور قد وتره الأنصار ، أمّا سهيل بن عمرو فأسره مالك بن الدّخشم يوم بدر ، و أمّا الحرث بن هشام فضربه عروة بن عمرو فجرحه يوم بدر ، و هو فارّ

(١) رواه ابن قتيبة في الإمامة و السياسة ١ : ٥٠ .

(٢) السقيفة للجوهري : ٦٧ .

الصفحة ٤٠٦

عن أخيه ، و أمّا عكرمة بن أبي جهل فقتل أباه ابنا عفرة ، و سلبه درعه يوم بدر زياد ابن لبيد ، و في أنفسهم ذلك .

فلما اعتزلت الأنصار تجمّع هؤلاء ، فقام سهيل فقال : يا معشر قريش :

إنّ هؤلاء القوم قد سمّاهم الله الأنصار ، و أتتى عليهم في القرآن ، فلمهم بذلك حظّ عظيم و شأن غالب ، و قد دعوا إلى أنفسهم و إلى عليّ بن أبي طالب ، و عليّ في بيته لو شاء لردّهم ، فادعوهم إلى صاحبكم و إلى تجديد بيعته ، فإن أجابوكم و إلّا قاتلوهم . فو الله إني لأرجو الله أن ينصركم عليهم كما نصرتم بهم .

ثمّ قام الحرث ، فقال : إن يكن الأنصار تبوّأت الدار و الايمان من قبل ،

و نقلوا النبيّ صلّى الله عليه و آله إلى دورهم من دورنا فأووا و نصرنا ، ثمّ ما رضوا حتّى قاسمونا الامور و كفونا العمل ، فإنهم قد لهجوا بأمر إن ثبتوا عليه فإنهم قد خرجوا ممّا و سموا به ، و ليس بيننا و بينهم معاتبة إلّا السيف ، و إن نزعوا عنه فقد فعلوا الأولى بهم و المظنون معهم .

ثمّ قام عكرمة بن أبي جهل ، فقال : و الله لو لا قول رسول الله : « الأئمة من قريش » ما أنكرنا إمرة الأنصار ، و لكانوا لها أهلا ، و لكنّه قول لا شك فيه و لا خيار ، و قد عجلت الأنصار علينا ، و الله ما قبضنا عليهم الأمر ، و لا أخرجناهم من الشورى ، و إنّ الذي هم فيه من فلتات الامور و نزغات الشيطان ، و ما لا يبلغه المنى ، و لا يحمله الأمل . اعذروا إلى القوم ، فإن أبوا فقاتلوهم ، فو الله لو لم يبق من قريش كلّها إلّا رجل واحد لصيرّ الله هذا الأمر فيه .

و حضر أبو سفيان ، فقال : يا معشر قريش إنه ليس للأنصار أن يتفضّلوا على الناس حتّى يقرّوا بفضلنا عليهم ، فإن يفعلوا فحسبنا حيث انتهى بنا ، و إلّا فحسبهم حيث انتهى بهم ، و ايم الله لئن بطروا المعيشة و كفروا النعمة لنضربنهم على الاسلام كما ضربونا عليه . فأما عليّ بن أبي طالب ،

فأهل و الله أن نسوده على قريش و تطيعه الأنصار .

الصفحة ٤٠٧

فلما بلغ الأنصار قول هؤلاء الرهط ، قام خطيبهم ثابت بن قيس بن شماس ، فقال : يا معشر الأنصار إنما كان يكبر عليكم هذا القول لو قاله أهل الدين من قريش ، فأما إذا كان من أهل الدنيا ، و لا سيما من أقوام كلهم موتور ،

فلا يكبرنّ عليكم ، إنما الرأى و القول مع الأخيار من المهاجرين ، فإن تكلمت رجال قريش الذين هم أهل الآخرة مثل كلام هؤلاء ، فعند ذلك قولوا ما أحببتهم ،

و إلا فامسكوا . و قال حسّان بن ثابت يذكر ذلك :

تتادى سهيل و ابن حرب و حارث

و عكرمة الشاني لنا ابن أبي جهل ١

و قال أيضا الزبير بن بكار : و كان خالد بن الوليد شيعة لأبي بكر و من المنحرفين عن عليّ ، فقام خطيبا . ثم نقل خطبته بطولها ٢ .

و قوله : « إنّ هؤلاء نقلوا الإمامة عنه إلى معاوية . . . » كلام مختل بلا محصل ، فإنه عليه السلام كان عند جمهور المسلمين إماما و خليفة ، و عدم انقياد معاوية و كورة الشام له غير مضر ، فكان في عصر أكثر الخلفاء خوارج كذلك ،

و إنما كان عمرو بن العاص لما جعله معاوية حكما ، قال : إنّي خلعت عليّا و نصبت معاوية . و لم يكن لفعله و قوله أثر ، و إنّما كانت معاضدة هؤلاء لمعاوية سببا لسلطنة معاوية بعده عليه السلام و عدم بقاء الخلافة لأهل بيته ، و كما أن السبب لذلك فعل الأولين ، فكانوا يقولون : هم قدّموه لنا . كما في كتاب معاوية إلى محمد بن أبي بكر ، و لا بدّ أن يكونوا يقولون لهم : أنتم قدّمتموه لنا .

كما أنّ ما طوّله في معنى العطف و تمثيله بالآية تطويل بلا طائل ،

و شطط و غلط ، فعطف كلامه عليه السلام بالواو ، و عطف الآية بالفاء ، و قد أجابوه عن ذلك .

و قوله : « إنّ الاستطعام كان وقت إتيان القرية لا إقامة الجدار إلاّ أن يقول

(٢) الموفقيات للزبير بن بكار عنه شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٩ ، شرح الخطبة ٦٥ .

الصفحة ٤٠٨

قائل : أشار إلى الجدار فقام . . . « ١ كلام مضحك ، فأبي مانع أن نقول : كانت إقامة الجدار أيضا وقت الإتيان ؟ فهذه امور عرفية ، فإن معنى الآية إن في وقت إتيان القرية عمل عملين : عمل أولا الاستطعام ، و عمل ثانيا إقامة الجدار ، و لم استدلل على عدم إقامة الجدار بالإشارة باتخاذ الأجر ؟ فإنه مجرد فرض لا يحتاج في نفيه إلى استدلال ، مع أنه لو فرض وقوعه ، أي مانع أن يقول له موسى : . . . لو شئت لاتخذت عليه أجرا ٢ لأن إشارته لم تكن إشارة عادية بل من قبل الله ،

فكانت أعظم من عمل فيه مشقة .

و لم ينحصر الشكاية من الأولين به عليه السلام ، فشيعته كانوا مثله أيضا ،

روى الجوهرى في (سقيفته) عن محمد بن قيس الأسدي عن معروف بن سويد قال : كنت بالمدينة أيام بويع عثمان ، فرأيت رجلا في المسجد جالسا و هو يصفق بإحدى يديه على الأخرى و الناس حوله ، و يقول : و اعجبا من قريش و استئنارهم بهذا الأمر على أهل هذا البيت معادن الفضل ، و نجوم الأرض ، و نور البلاد و الله إن فيهم لرجلا ما رأيت رجلا بعد رسول الله صلى الله عليه و آله أولى منه بالحق ، و لا أفضى بالعدل ، و لا أمر بالمعروف ، و لا أنهى عن المنكر ،

فسألت عنه ، فقيل : هذا مقداد . فتقدمت إليه ، و قلت : أصلحك الله ، من الرجل الذي تذكره ؟ فقال : ابن عم نبيك رسول الله صلى الله عليه و آله علي بن أبي طالب . قال : فلبثت ما شاء الله ، ثم إنني لقيت أبا ذر فحدثته ما قال مقداد ، فقال : صدق . قلت : فما يمنعكم أن تجعلوا هذا الأمر فيهم ؟ قال : أبي ذلك قومهم . . . ٣ .

و أما قول ابن أبي الحديد : « و اعلم أنا نحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٤١٨ .

(٢) الكهف : ٧٧ .

(٣) السقيفة للجوهري : ٨١ .

الصفحة ٤٠٩

على ما يقتضيه سؤده الجليل ، و منصبه العظيم ، و دينه القويم ، من الإغضاء عمّا سلف « ١ . فإنّما الإغضاء عمّا سلف لمن رجع أخيرا ، و جبر ما جرح أولا ،

و أمير المؤمنين عليه السّلام ليس عمله خلاف قول الله تعالى و رضاه ، و الله تعالى لا يرضى إلاّ عمّن تاب و أناب ، لا من أذنب و ألّب ، و لم يكن ذلك إليه عليه السّلام ، كما لم يكن إلى النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم ، فقال تعالى له : . . . إن تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم . . . ٢ . و كيف يعفو الله تعالى عمّن صار سببا لجميع الفتن و الأحداث التي حدثت في الإسلام ، و الأحداث التي تحدث إلى يوم القيامة ؟ و كيف يقول :

عفا أمير المؤمنين عليه السّلام ، و قد كان يتظلم إلى حال احتضاره ، و لم يستقرّ به المنبر في أيامه إلاّ كان يتظلم ؟

و قول ابن أبي الحديد : « فالواجب علينا أن نطبّق بين آخر أفعاله و أقواله بالنسبة إليهم ، و بين أولها » ٣ لا يغني عنه من الله شيئا ، و روى إبراهيم النقيّ أنّ عبد الرحمن بن أبي ليلى قال لأمير المؤمنين عليه السّلام : إنّنا كنا نقول : لو رجعت إليكم بعد النبيّ صلّى الله عليه و آله لم ينازعكم فيها أحد . و الله ما أدري ما أقول إذا سئلت ،

أزعم أنّ القوم كانوا أحقّ بما كانوا فيه منك ، فعلام نصبك النبيّ صلّى الله عليه و آله بعد حجة الوداع ، و قال : « أيّها النّاس من كنت مولاه فعليّ مولاه » ؟ و إن قلت : أنت أولى منهم بما كانوا فيه ، فعلام نتولّاهم ؟ فقال عليه السّلام : يا عبد الرحمن إنّ الله تعالى قبض نبيّه ، و أنا يوم قبضه أولى بالنّاس منّي بقميصي هذا ، و قد كان من النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم إليّ عهد لو خزموني بأنفي لأقررت سمعا لله و طاعة ، و إنّ أول ما انتقضا بعد النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم إبطال حقّنا في الخمس ، فلما رقّ أمرنا طمعت رعيان

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٤١٨ .

(٢) التوبة : ٨٠ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٤١٨ .

البهم من قريش فينا إلى أن قال و إنما يعرف الهدى بقلّة من يأخذه من النَّاس ، فإذا سكت فاعفوني فإذا جاء أمر تحتاجون فيه إلى الجواب أجبتكم ،

فكفّوا عني ما كفت عنكم . فقال عبد الرّحمن : فأنت يا أمير المؤمنين كما قال الأوّل :

لعمري لقد أيقظت من كان نائما

و أسمعت من كانت له اذنان ١

و أمّا قوله : « و قد كان صاحبهم بالمعروف برهة من الدّهر » . فيقال له :

إنّما كانت مصاحبته بالمعروف بعد إتمام الحجّة عليهم يوم تمكّن من المحاجة ، كيوم السقيفة يوم أبي بكر ، و يوم الشورى يوم عثمان ، و أمّا يوم عمر فلم يمكنه التكلّم ، لأنّه كانت سلطنته مستقرة فوضها أبو بكر إلى عمر ،

و الإمام كالكعبة يؤتى و لا يأتي ، و لم يكن له عليه السّلام رغبة في السلطنة من حيث السلطنة ، بل كان يريد لها إقامة الحق ، كما صرّح عليه السّلام بذلك في الشقشقية ٢ ،

و لم يكن عليه السّلام مثل اولئك الذين صاروا عارا على الاسلام بتركهم جنازة نبيهم بلا تجهيز ، و منازلهم على الرياسة ، و جعلهم تسليّة أهل بيته إحضار النار لإحراقهم .

و أمّا قول ابن أبي الحديد : « إنّ بعد تأويل ما نتأوله من كلامه فليس بأبعد من تأويل أهل التوحيد و العدل الآيات المتشابهة » ٣ فيقال له : بل بينهما بعد المشرقين ، لأنّ كلامه عليه السّلام ليس بمتشابه ، بل كالأيات المحكمات ، مع أنّ كثيرا من المتشابهات كقوله تعالى : . . . يد الله فوق أيديهم . . . ٤ ، و كقوله
جلّ

(١) نقله عنه المفيد في أماليه : ٢٢٣ المجلس ٢٦ .

(٢) رواه الشريف الرضي في نهج البلاغة ١ : ٣٠ الخطبة ٣ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٤١٨ .

(٤) الفتح : ١٠ .

و علا : و يبقى وجه ربك ذو الجلال و الاكرام ١ أهل العرف يفهمون أنها استعارات ، و أن ظاهرها غير مراد . و أما القول بأن أمير المؤمنين عليه السلام رضي عن الثلاثة ، و أمضى أفعالهم ، و صحح نتائج أعمالهم ، فليس بأبعد من أن يقال :

إن الجمع بين عبادة الله ، و عبادة الأصنام و الأوثان غير ضائر . و من أن يقال :

إن موسى عليه السلام لم يكن مخالفا لفرعون ، و إن محمدا صلى الله عليه و آله و سلم لم يكن منكرا لأبي جهل . و إن كان إخواننا يلتزمون بالجمع بين الضدين ، ففي (الاستيعاب) رأى عمرو بن شرحبيل في النوم عمارا و أصحابه في روضة ، و ذا ظليم و ذا الكلام في روضة . فقيل : و كيف ، و قد قتل بعضهم بعضا ؟ فقال : وجدوا الله واسع المغفرة ٢ .

و لعمرى إن هذا دين حنيئة التي أكلت ربها عام المجاعة ، لا الدين الحنيف الذي أمر الله عباده باتباعه و مدح أتباعه .

٣٠

من الخطبة (١٨٨) (الزموا الأرض و اصبروا على البلاء و لا تحركوا بأيديكم و سيؤفكم في هوى السننكم و لا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم فإنه من مات منكم على فراشه و هو على معرفة حق ربه و حق رسوله و أهل بيته مات شهيدا و وقع أجره على الله ٤ : ١٠٠) و استوجب ثواب ما نوى من صالح عمله و قامت النية مقام إصلته لسيفه فإن لكل شيء مدة و أجلا « الزموا الأرض و اصبروا على البلاء » قال ابن أبي الحديد : أمر أصحابه أن

(١) الرحمن : ٢٧ .

(٢) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب ١ : ٤٨٧ ، و النقل بالمعنى .

الصفحة ٤١٢

يثبتوا و لا يعجلوا في محاربة من كان مخالطا لهم من ذوي العقائد الفاسدة ،

كالخوارج و من كان يبطن هوى معاوية ، و ليس خطابه هذا تثبيطا لهم عن حرب أهل الشام ، كيف ، و هو لا يزال يقرعهم و يوبّخهم عن التقاعد و الإبطاء في ذلك ؟ و لكن قوم من خاصته كانوا يطلعون على ما عند قوم من أهل الكوفة ،

و يعرفون نفاقهم و فسادهم ، و يرومون قتلهم و قتالهم ، فناهم عن ذلك ، و كان يخاف فرقة جنده و انتشار حبل عسكره ، فأمرهم بلزوم الأرض و الصبر على البلاء ١ .

و قال ابن ميثم : الخطاب خاص بمن يكون بعده بدلالة سياق الكلام ،

و لزوم الأرض كناية عن الصبر في مواطنهم ، و قعودهم عن النهوض بجهد الظالمين في زمن عدم قيام الإمام بالحقّ بعده ٢ .

و قال الخوئي : الأظهر ما قاله ابن أبي الحديد ٣ .

قلت : بل الصواب ما قاله ابن ميثم ، كما يشهد له أخبار أهل بيته ، فروى أنّ عبد الحميد الواسطي قال للباقر عليه السلام : لقد تركنا أسواقنا انتظارا لهذا الأمر .

فقال عليه السلام : أتري من حبس نفسه على الله عزّ و جلّ لا يجعل الله له مخرجا ؟ بلى و الله ليجعلنّ له مخرجا . رحم الله عبدا حبس نفسه علينا ، رحم الله عبدا أحيا أمرنا ٤ .

« و لا تحركوا بأيديكم و سيوفكم في هوى » هكذا في (المصرية) ، و الصواب :

(و هوى) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطية) ٥ .

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٢٢٠ .

(٢) شرح ابن ميثم ٤ : ٢١٠ .

(٣) شرح الخوئي ٥ : ٢٠٦ .

(٤) كمال الدين للصدوق : ٦٤٤ ح ٢ ، و المحاسن للبرقي : ١٧٣ ح ١٤٨ في صدر حديث .

(٥) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٣ : ٢١٩ ، و شرح ابن ميثم ٤ : ٢٠٢ مثل المصرية أيضا .

« ألسنتكم » روى النعماني في (غيبته) عن أبي الجارود ، قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : أوصني . فقال : أوصيك بتقوى الله ، و أن تلزم بيتك ، و تقعد في دهماه هؤلاء الناس ، و إياك و الخوارج منا فإنهم ليسوا على شيء ،

و لا إلى شيء ، و اعلم أن لبني امية ملكا لا يستطيع الناس أن تردعه ،

و أن لأهل الحق دولة إذا جاءت ولأها الله من يشاء منا أهل البيت ،

من أدركها منكم كان عندنا في السّام الأعلى ، و إن قبضه الله قبل ذلك جاز له . . . ١ .

« و لا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم » روى النعماني عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : أتى أمر الله فلا تستعجلوه . . . ٢ . قال : هو أمرنا أمر الله عزّ و جلّ لا يستعجل به ، يؤيده ثلاثة أجناد : الملائكة و المؤمنون و الرّعب ،

و خروجه عليه السلام كخروج النبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم ، و ذلك قوله تعالى : كما أخرجك ربك من بيتك بالحق . . . ٣ .

و عنه عليه السلام قال لما قيل له : متى هذا الأمر ؟ : كذب المتمنون ، و هلك المستعجلون ، و نجا المسلمون ، و إلينا تصيرون ٤ .

و عن أبي جعفر عليه السلام قال : مثل من خرج منا أهل البيت قبل قيام القائم مثل فرخ طار و وقع من وكره ، فتلاعبت به الصبيان ٥ .

و روى ابن بابويه في (معانيه) عن الرضا عليه السلام في تفسير قول جدّه الصادق عليه السلام في خروج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن : « اتقوا الله ، و اسكنوا ما

(١) الغيبة للنعماني : ١٢٩ ، ١٣٢ .

(٢) النحل : ١ .

(٣) الغيبة للنعماني : ١٣٢ ، و الآية ٥ من سورة الأنفال .

(٤) الغيبة للنعماني : ١٣١ .

(٥) الغيبة للنعماني : ١٣٣ في ذيل حديث .

الصفحة ٤١٤

سكنت السماء و الأرض . يعني : ما سكنت السماء من النداء باسم صاحبك (أي : القائم عليه السلام) ،
و ما سكنت الأرض من الخسف بالجيش ١ .

« فإنه من مات منكم على فراشه و هو على معرفة حق ربّه و حق رسوله و أهل بيته مات شهيدا ، و وقع أجره على الله » روى النعماني في (غيبته) عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من مات منكم على هذا الأمر منتظرا ، كان كمن هو في الفسباط الذي للقائم عليه السلام ٢ .

و عنه عليه السلام : من سرّه أن يكون من أصحاب القائم عليه السلام فلينتظر ، و ليعمل بالورع و محاسن الأخلاق و هو منتظر ، فإن مات و قام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه . . . ٣ .

« و استوجب ثواب ما نوى من صالح عمله » روى النعماني في (غيبته) عن حمران بن أعين قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : اعرف إمامك ، فإذا عرفته لم يضرّك تقدّم هذا الأمر أم تأخر ، فإنه عزّ و جلّ يقول : يوم ندعو كلّ أناس بإمامهم . . . ٤ فمن عرف إمامه كان كمن هو في فسباطه (أي : القائم) عليه السلام ٥ .

و روى (محاسن البرقي) عن أبي عروة السلمي عن الصادق عليه السلام : أنّ الله يحشر الناس على نياتهم يوم القيامة ٦ .

و عن أبي عثمان العبدى عنه عليه السلام ، عن آبائه عليهم السلام قال النبيّ صلّى الله عليه و آله :

لا قول إلا بعمل ، و لا قول و لا عمل إلا بنية ، و لا قول و لا عمل و لا نية

(١) معاني الأخبار للصدوق : ٢٦٦ ح ١ .

(٢) الغيبة للنعماني : ١٣٣ .

(٣) الغيبة للنعماني : ١٣٤ .

(٤) الاسراء : ٧١ .

(٥) الغيبة للنعماني : ٢٣٠ .

(٦) المحاسن للبرقي : ٢٦٢ ح ٣٢٥ .

الصفحة ٤١٥

إلا بإصابة السنة ١ .

و روى عنه عليه السلام : أنّ العبد المؤمن الفقير ليقول : يا رب ارزقني حتى أفعل كذا و كذا من البرّ و وجوه الخير . فإذا علم الله ذلك منه بصدق نيّته كتب الله له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله ، إنّ الله واسع كريم ٢ .

و روى (العلل) عن زيد الشّحام قال للصادق عليه السلام : سمعتك تقول : نيّة المؤمن خير من عمله . فكيف تكون النيّة خيرا من العمل ؟ قال : لأنّ العمل ربما كان رياء للمخلوقين ، و النيّة خالصة لربّ العالمين ، فيعطي عزّ و جلّ على النيّة ما لا يعطي على العمل ، و أنّ العبد لينوي من نهاره أن يصلّي بالليل فتغلبه عينه فينام ، فيثبت الله له صلاته ، و يكتب نفسه تسبيحا و يجعل نومه عليه صدقة ٣ .

و روى عن أبي جعفر عليه السلام : نيّة المؤمن أفضل من عمله ، و ذلك لأنّه ينوي من الخير ما لا يدركه ، و نيّة الكافر شرّ من عمله ، و ذلك لأنّ الكافر ينوي الشرّ و يأمل من الشرّ ما لا يدركه ٤ .

« و قامت النيّة مقام إصلاته لسيفه » أي : إخراجهم من غمده ، روى النعماني :

أنّ أبا بصير قال لأبي عبد الله عليه السلام : أتراني أدرك القائم عليه السلام ؟ فقال : يا أبا بصير ألسنت تعرف إمامك ؟ فقال : بلى و الله ، و أنت هو . فقال : و الله ما تبالي يا أبا بصير أن لا تكون محتبيا بسيفك في ظل رواق القائم عليه السلام ٥ .

و روى (الكافي) عن الصادق عليه السلام قال : إنّما خلّد أهل النّار في النار ، لأنّ

(١) المحاسن للبرقي : ٢٢١ ح ١٣٤ ، و الكافي ١ : ٧٠ ح ٩ ، و البصائر للصفار : ٣١ ح ٤ ، و

المقنعة للمفيد : ٤٨ ، و التهذيب ٤ : ١٨٦ ح ٣ .

(٢) المحاسن للبرقي : ٢٦١ ح ٣٢٠ ، و الكافي للكليني ٢ : ٨٥ ح ٣ .

(٣) علل الشرائع للصدوق : ٥٢٤ ح ١ .

(٤) علل الشرائع للصدوق : ٥٢٤ ح ٢ .

(٥) الغيبة للنعماني : ٢٣٠ .

نبيّاتهم كانت في الدنّيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً ، و إنّما خلد أهل الجنّة في الجنّة ، لأنّ نبيّاتهم كانت في الدنّيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً ،

فبالنبيّات خلد هؤلاء و هؤلاء . ثمّ تلا قوله تعالى : قل كلّ يعمل على شاكلته . . . ١ . قال : على نبيّته ٢ .

« و أنّ لكلّ شيء مدّة و أجلاً » أي : وقتاً ، فما دام لم تنقض مدّته لا يحصل ذلك الشيء .

و في حديث (الصحيفة السجّادية) المذكور في سندها ، قال المتوكّل بن هارون : قال لي الصادق عليه السّلام : كيف قال لك يحيى بن زيد : إنّ عمّي محمّد بن عليّ و ابنه جعفر دعوا النّاس إلى الحياة ، و نحن دعوناهم إلى الموت ؟ قلت :

نعم ، قد قال لي ابن عمّك يحيى ذلك إلى أن قال قال أبو عبد الله عليه السّلام : فأطلع الله نبيّه صلّى الله عليه و آله و سلّم : أنّ بني اميّة تملك سلطان هذه الامّة طول هذه المدّة ، فلو طاولتهم الجبال لطلوا عليها ، حتّى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم إلى أن قال ثمّ قال عليه السّلام : ما خرج منّا ، و لا يخرج منّا إلى قيام قائمنا أحد ليدفع ظلماً أو ينعش حقّاً إلاّ اصطلمته البليّة ، و كان قيامه زيادة في مكروها و مكروه شيعتنا ٣ .

٣١

من الخطبة (١٨٠) منها :

قَدْ لَيْسَ لِلْحَكْمَةِ جُنَّتَهَا وَ أَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدْبِهَا مِنَ الْقَبَالِ عَلَيْهَا وَ الْمَعْرِفَةِ بِهَا وَ التَّفَرُّغِ لَهَا فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتْهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا وَ حَاجَتُهُ

(١) الإسراء : ٨٣ .

(٢) الكافي للكليّني ٢ : ٨٥ ح ٥ .

(٣) الصحيفة السجّادية : ١٤ ، المقدمة .

الصفحة ٤١٧

الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا فَهُوَ مُغْتَرَبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْإِسْلَامُ وَ ضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنْبِهِ وَ أُلْصِقَ الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ بَقِيَّةً مِنْ بَقَايَا حُجَجِهِ خَلِيفَةً مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ أَقُولُ : قال ابن أبي الحديد : هذا الكلام فسره كلّ طائفة على حسب اعتقادها

، فالإمامية تزعم أنّ المراد به المهدي المنتظر عندهم ، و الصوفية يزعمون أنه يعني به ولي الله في الأرض ، و عندهم أنّ الدنيا لا تخلو عن الأبدال و هم أربعون ، و عن الأوتاد و هم سبعة ، و عن القطب و هو واحد ، فإذا مات القطب صار أحد السبعة قطبا عوضه ، و صار أحد الأربيعين و تدا عوض ذلك الوتد ، و صار بعض الأولياء الذين يصطفاهم الله تعالى بدلا بدل ذلك البدل .

و أصحابنا يزعمون أنّ الله تعالى لا يخلي الامّة من جماعة المؤمنين العلماء بالعدل و التوحيد ، و أنّ الإجماع إنّما يكون حجّة باعتبار أقوال اولئك العلماء ، لكن لما تعدّرت معرفتهم بأعيانهم اعتبر إجماع سائر العلماء ، و إنّما الأصل قول اولئك ، قالوا : و كلام أمير المؤمنين عليه السلام ليس يشير فيه إلى جماعة اولئك العلماء من حيث هم جماعة ، و لكنّه يصف حال كلّ واحد منهم ، فيقول :

من صفته كذا و من صفته كذا ، و الفلاسفة يزعمون أنّ مراده عليه السلام بهذا الكلام العارف ، و لهم في العرفان ، و في صفات أربابه كلام يعرفه من له انس بأقوالهم ، و ليس يبعد عندي أن يريد عليه السلام به القائم من آل محمّد صلّى الله عليه و آله في آخر الوقت إذا خلقه الله تعالى ، و إن لم يكن الآن موجودا فليس في الكلام ما يدلّ على وجوده الآن ، و قد وقع اتفاق الفرق من المسلمين أجمعين على أنّ الدنيا و التكليف لا ينقضني إلاّ عليه ١ .

قلت : إنّ كلّ طائفة و إن فسّرت كلامه عليه السلام على حسب اعتقادها إلاّ أنّ

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٥١٥ .

الصفحة ٤١٨

المتبّع ما شفع بالبرهان ، و هو قول الامامية : أمّا أصله فقد أقرّ باتفاق فرق المسلمين عليه ، و أمّا فرعه و هو كونه موجودا الآن ؟ فيدلّ عليه كلامه عليه السلام المتواتر عنه لكميل المذكور في النهج : « اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة ، إمّا ظاهرا مشهورا أو خائفا مغمورا ، لئلاّ تبطل حجج الله و بيئاته » ١ كما اعترف به ثمة ٢ ، و أمّا قول الصوفية و المعتزلة و الفلاسفة فسبحانه ،

و لهم ما يشتهون .

« قد لبس للحكمة جنّتها » في (الصحاح) : الجنّة بالضمّ : ما استترت به من سلاح ٣ ، و يكفي في شرافة الحكمة قوله تعالى : . . . و من يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا . . . ٤ .

« وأخذها بجميع أدبها » أي : شرائطها و آدابها .

« من الإقبال عليها ، و المعرفة بها و التفرغ » عن الشواغل .

« لها » لأهميتها ، و روي القمي في تفسير قوله تعالى : و لقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله . . . ه عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : أما و الله ما اوتي لقمان الحكمة بحسب و لا مال و لا أهل و لا بسط في جسم و لا جمال ، و لكنه كان رجلاً قوياً في أمر الله ، متورعاً في الله ساكتاً سكيناً عميق النظر ، طويل الفكر ، حديد النظر ، مستعبراً بالعبر ، لم ينم نهارة قط ، و لم يره أحد من الناس على بول و لا غائط ، و لا اغتسال لشدة تستره و تحفظه في أمره ، و لم يضحك من شيء قط مخافة الإثم ، و لم يغضب قط ، و لم يمازح إنساناً قط ، و لم يفرح بشيء من أمر

(١) نهج البلاغة ٤ : ٣٧ الحكمة ١٤٧ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٤ : ٣١٣ شرح الحكمة ١٤٧ .

(٣) صحاح اللغة ٥ : ٢٠٩٤ مادة (جن) .

(٤) البقرة : ٢٦٩ .

(٥) لقمان : ١٢ .

الصفحة ٤١٩

الدنيا أتاه ، و لا حزن منها على شيء قط ، و قد نكح من النساء ، و ولد له من الأولاد الكثير ، و قدّم أكثرهم افراطاً ، فما بكى على أحد منهم ، و لم يمرّ برجلين يختصمان أو يقتتلان إلاّ أصلح بينهما ، و لم يمض عنهما حتى يتحاجزا ، و لم يسمع قولاً قط من أحد استحسنته إلاّ سأل عن تفسيره ، و عمّن أخذه ، و كان يكثر مجالسة الفقهاء و الحكماء ، و كان يغشى القضاة و الملوك و السلاطين .

فيرثى للقضاة بما ابتلوا به ، و يرحم الملوك و السلاطين لغرتهم بالله ،

و اطمينانهم في ذلك ، و يعتبر ما يغلب به نفسه ، و يجاهد به هواه ، و يحترز به من الشيطان .

فكان يداوي قلبه بالفكر ، و يداوي نفسه بالعبر ، و كان لا يظعن إلاّ في ما يعنيه فبذلك اوتي الحكمة ، و منح العصمة . فإنّ الله تعالى أمر طوائف من الملائكة حين انتصف النهار ، و هدأت العيون بالقابلة أن ينادوا لقمان حيث يسمع و لا يراهم : هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس ؟

فقال : إن أمرني الله بذلك فالسمع و الطاعة ، ألا و إن فعل بي ذلك أعانني عليه ،

و علمني و عصمني ، و إن هو خيرني قبلت العافية . فقالت الملائكة : لم ؟ قال :

لأنّ الحكم بين الناس بأشدّ المنازل من الدين ، و أكثر فتنا و بلاء ، يخذل صاحبه ، و لا يعذر ، و يغشاه الظلمة من كلّ مكان ، و صاحبه فيه بين أمرين : إن أصاب فيه الحقّ فبالحري أن يسلم ، و إن أخطأ أخطأ طريق الجنّة إلى أن قال فلما أمسى و أخذ مضجعه من الليل أنزل الله عليه الحكمة ، فغشاه بها من قرنه إلى قدمه و هو نائم فاستيقظ و هو أحكم الناس في زمانه ، فخرج على الناس ينطق بالحكمة و يبثها فيهم إلى أن قال و كان داود عليه السلام يقول له : طوبى لك يا لقمان اوتيت الحكمة ، و صرف عنك البلية . قال : و اعطي داود الخلافة

الصفحة ٢٠٤

و ابتلي بالحكم و الفتنة ١ .

« و هي » أي : الحكمة .

« عند نفسه ضالته التي يطلبها » كما قالوا : الحكمة ضالة المؤمن ٢ .

« و حاجته التي يسأل عنها » و يكفي في فضلها أنّ الله تعالى نقل حكم لقمان للناس في كتابه ٣ .

« فهو مغترب إذا اغترب الاسلام » لعلّ وجه ربطه بسابقه إن لم يكن في الكلام سقط أنّ مقتضى لبسه للحكمة جنّتها التي تحفظها من سلاح العدو ،

و أخذها بآدابها أن (يغترب) ، و يعتزل حيث اغترب الاسلام ، و اعتزله الناس ،

لكن روى النعماني في (غيبته) عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام :

أخبرني عن قول أمير المؤمنين عليه السلام : إن الاسلام بدأ غريباً و سيعود كما بدأ فطوبى للغرباء فقال : يا أبا محمد إذا قام القائم عليه السلام استأنف دعاء جديداً كما دعا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ٤

« و ضرب بعسيب ذنبه » و في (الصحاح) : عسيب الذنب : منبته من الجلد و العظم ٥ . و لكن في (النهاية) للجزري في حديث عليّ عليه السّلام ذكر فتنة فقال : « إذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه » . و يعسوب السيّد و الرّئيس و المقدم ،

و أصله فحل النحل . أي : فارق أهل الفتنة ، و ضرب في الأرض ذاهبا في أهل دينه و أتباعه الذين يتبعونه على رأيه و هم الأذنان . و قال الزمخشري : الضرب

(١) تفسير القمي ٢ : ١٦٢ .

(٢) رواه الشريف الرضي في نهج البلاغة ٤ : ٨٠ الحكمة ١٨ عن علي عليه السّلام .

(٣) وردت حكم لقمان و مواظمه في الآية ١٣ ١٩ من سورة لقمان .

(٤) الغيبة للنعماني : ٢٢١ في صدر حديث .

(٥) صحاح اللغة ١ : ١٨١ مادة (عسب) .

الصفحة ٤٢١

بالذنب هاهنا مثل للإقامة و الثبات ، يعني : أنه يثبت هو و من تبعه على الدّين ١ .

قلت : الظاهر أنه اشار إلى كلامه في (فائقه) ٢ . و قال في (أساسه) أيضا :

و قال عليّ عليه السّلام في فساد الزّمان : « فاذا كان كذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه » و هو مستعار من يعسوب النحل و هو فحلها ٣ .

قلت : و (تفسير الزمخشري) يؤيّد الجملة الآتية بعده على ما ترى .

« و الصق الأرض بجرانه » و في (الصحاح) : جران البعير : مقدّم عنقه من مذبحه إلى منخره ، و الجمع جرن ، و كذلك من الفرس ٤ . و ضرب الأرض بالجران كناية عن التمكين . فمرّ في فصل النّبوة قوله عليه السّلام و كان سئل عن قول النّبّي صلّى الله عليه و آله : « غيّرُوا الشّيب » : إنّما قال صلّى الله عليه و آله ذلك و الدّين قل ، فأما الآن و قد اتسع نطاقه ، و ضرب بجرانه فامرؤ و ما اختار ٥ . و مرّ أيضا ما في (الصحيفة الثالثة) : اللهمّ و قد استحصد زرع الباطل ، و بلغ نهيبته ، و استحکم عموده ،

و خذرف وليده ، و وسق طريده ، و ضرب بجرانه ٦ .

و قال ابن أبي الحديد : معنى الكلام أنه إذا صار الإسلام غريبا مقهورا ،

و صار الإسلام كالبعير البارك يضرب الأرض بعسيبه و هو أصل الذنب و يلصق جرانه و هو صدره في الأرض فلا يكون له تصرف و لا نهوض ٧ .

و هو كما ترى .

(١) النهاية لابن الأثير ٣ : ٢٣٤ مادة (عسب) ، و النقل بتصريف في الترتيب .

(٢) الفائق للزمخشري ٢ : ١٥٠ مادة (عسب) .

(٣) أساس البلاغة ٣٠١ مادة (عسب) .

(٤) صحاح اللغة ٥ : ٢٠٩١ مادة (جرن) .

(٥) مرّ في العنوان ٤٣ من الفصل السادس .

(٦) رواه أفندي التبريزي في الصحيفة الثالثة عنه صحيفة السيد الأمين : ٩٢ دعاء ٣١ ، و لم يسبق نقله في هذا الكتاب .

(٧) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٥١٦ .

الصفحة ٤٢٢

و كيف كان ، فيمكن أن يكون الكلام إشارة إلى غيبة المهدي . روى (الإكمال) عن عبد الله بن الفضل الهاشمي عن الصادق عليه السلام قال : إن لصاحب هذا الأمر غيبة لا بدّ منها يرتاب فيها كلّ مبطل . فقلت : و لم جعلت فداك ؟ قال :

لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم . قلت : فما وجه الحكمة في غيبته ؟ قال : وجه الحكمة في غيبته : وجه الحكمة في غيبات من تقدّمه من حجج الله تعالى ذكره ،

إنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلاّ بعد ظهوره ، كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما أتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة ، و قتل الغلام ، و إقامة الجدار لموسى عليه السلام إلى وقت افتراقهما ١ .

« بقية من بقايا حججه ، و خليفة من خلائف أنبيائه » روى ابن بابويه في (إكماله) عن الورّاق عن سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن إسحاق الأشعري ، قال :

دخلت على أبي محمد الحسن بن عليّ عليه السلام و أنا اريد أن أسأله عن الخلف من بعده ، فقال لي مبتدئاً : يا أحمد بن إسحاق إنّ الله تعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم ، و لا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجة الله على خلقه ، به يدفع الله البلاء عن أهل الأرض ، و به ينزل الغيث ، و به تخرج بركات الأرض . فقلت له : يا بن رسول الله فمن الإمام و الخلف بعدك ؟ فنهض مسرعاً فدخل البيت ، ثمّ خرج و على عاتقه غلام كأن وجهه القمر من أبناء ثلاث سنين . فقال : يا أحمد لو لا كرامتك على الله عزّ و جلّ و على حججه ما عرضت عليك ابني هذا ، إنّهُ سميّ رسول الله صلّى الله عليه و آله ، و كنيّه الذي يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت جوراً و ظلماً ،

يا أحمد مثله في هذه الأمة مثل الخضر ، و مثل ذي القرنين ، و الله ليغيبنّ غيبة لا ينجو من الهلكة فيها إلاّ من تثبته الله عزّ و جلّ على القول بإمامته ، و وفقه فيها للدعاء بتعجيل فرجه . قال أحمد : فقلت : يا مولاي فهل من علامة يطمئن إليها

(١) كمال الدين للصدوق : ٤٨١ ح ١١ .

الصفحة ٤٢٣

قلبي ؟ فنطق الغلام بلسان فصيح فقال : أنا بقية الله في أرضه ، و المنتقم من أعدائه ، و لا تطلب يا أحمد أثراً بعد عين . فخرجت فرحاً ، فلمّا كان من الغد عدت إليه ، فقلت : يا بن رسول الله لقد عظم سروري بما مننت به عليّ ، فما السنّة الجارية فيه من الخضر و ذي القرنين ؟ قال : طول الغيبة . قلت : و إنّ غيبته لتطول ؟ قال : إي و ربي حتّى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به ١ .

هذا ، و قال ابن أبي الحديد بعد نقل الفقرة : « بقية من بقايا حججه ،

و خليفة من خلائف أنبيائه » : فإن قلت : أليس لفظ الحجّة و لفظ الخليفة مشعرا بما تقوله الإمامية ؟ قلت : لا ، فإنّ أهل التصوّف يسمّون صاحبهم حجّة و خليفة ، و كذلك الفلاسفة ، و أصحابنا لا يمتنعون من إطلاق هذه الألفاظ على العلماء المؤمنين في كلّ عصر ، لأنّهم حجج الله ، أي : إجماعهم حجّة ، و قد استخلفهم الله في أرضه ليحكموا بحكمه ، و على ما اخترناه نحن فالجواب ظاهر ٢ .

قلت : أمّا المتصوّفة و الفلاسفة و أصحابه المعتزلة ، فقد عرفت أنّهم و إن ادّعوا ما ادّعوا إلاّ أنّهم لا بيّنة لهم ، و إنّ ما قالوا إلاّ أسماء سمّوها . و أمّا الإمامية فإنّما استندوا إلى المتواتر من قول النبيّ صلّى الله عليه و آله و أمير المؤمنين عليه السلام و المعصومين من عترته عليهم السلام .

و أمّا قوله : « إنّ المراد به القائم عليه السّلام في آخر الوقت إذا خلقه الله » ٣ فقد عرفت أيضا كونه خلاف المتواتر من قول أمير المؤمنين من عدم خلوّ الأرض من الحجّة ٤ .

(١) كمال الدين للصدوق : ٣٨٤ ح ١ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٥١٦ ، ٥١٥ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٥١٦ ، ٥١٥ .

(٤) مرّ في العنوان ١ من هذا الفصل .

الصفحة ٤٢٤

هذا ، و قوله عليه السّلام : « بقية » و قوله : « خليفة » بدون تعريف نكتة أنّ القائم عليه السّلام كان أمره مستورا حتّى ادّعت العامة كما رأيت من (ابن أبي الحديد) عدم وجوده بعد ، روى محمّد بن بابويه عن ابن الوليد عن الصفار عن يعقوب بن يزيد عن أيوب بن نوح و كلّهم أجلّة ثقّات قال : قلت للرّضا عليه السّلام : إنّنا لنرجو أن تكون صاحب هذا الأمر ، و أن يرده الله إليك من غير سيف ، فقد بويح لك ، و ضربت الدراهم باسمك . فقال : ما منّا أحد اختلفت إليه الكتب ، و سنّ عن المسائل و أشارت إليه الأصابع ، و حملت إليه الأموال إلّا اغتيل أو مات على فراشه ، حتّى يبعث الله عزّ و جلّ لهذا الأمر رجلا خفي المولد و المنشأ غير خفيّ في نسبه ١ .

و روى مسندا عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني قال : قلت لمحمّد بن عليّ بن موسى عليه السّلام : إنّني لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم ،

الذي يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما ، فقال عليه السّلام : يا أبا القاسم ما منّا إلّا و هو قائم بأمر الله عزّ و جلّ و هاد إلى دين الله ، و لكن القائم الذي يطهر الله عزّ و جلّ به الأرض من أهل الكفر و الجحود ، و يملؤها عدلا و قسطا هو الذي تخفى على الناس ولادته ، و يغيب عنهم شخصه ، و يحرم عليهم تسميته ، و هو سمّي رسول الله صلّى الله عليه و آله و كنيّه ، و هو الذي تطوى له الأرض ، و يذلّ له كلّ صعب ،

و يجتمع إليه أصحابه عدّة أهل بدر : ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلا من أقاصي الأرض ، و ذلك قول الله عزّ و جلّ : . . . أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا إنّ الله على كلّ شيء قدير ٢ ، فإذا اجتمعت له هذه

العدّة من أهل الإخلاص أظهر الله أمره ، فإذا كمل له العقد و هو عشرة آلاف رجل خرج بإذن الله عزّ و
جلّ ، فلا

(١) كمال الدين للصدوق : ٣٧٠ ح ١ .

(٢) البقرة : ١٤٨ .

الصفحة ٤٢٥

يزال يقتل أعداء الله حتّى يرضى الله عزّ و جلّ . قال عبد العظيم : فقلت له : يا سيّدي و كيف يعلم أنّ
الله تعالى قد رضي ؟ قال : يلقي في قلبه الرّحمة فإذا دخل المدينة اخرج اللات و العزّي فأحرقهما ١ .

هذا ، و في باب (ما يهدى إلى الكعبة من الكافي) عن أبي الحر عن الصادق عليه السّلام في من أوصى
بجارية هديا للبيت : أنّ الكعبة لا تأكل و لا تشرب ما أهدى لها فهو لزوّارها بع الجارية ، و قم على الحجر
، و ناد هل منقطع به ،

و هل من محتاج من زوّارها ؟ فإذا أتوك فسل عنهم و اعطهم و أقسم فيهم عنها قال : فقلت له : إنّ بعض
من سألته أمرني بدفعها إلى بني شيبية . فقال : أمّا إنّ قائمنا عليه السّلام لو قد قام أخذهم قطع أيديهم ، و
طاف بهم ، و قال : هؤلاء سرّاق الله ٢ .

و في (نوار حجه) : عن أبي بصير عنه عليه السّلام : أنّ القائم إذا قام ردّ البيت الحرام إلى أساسه ، و
مسجد الرسول إلى أساسه ، و مسجد الكوفة إلى أساسه ٣ .

و في آخر (هداية الصدوق) باب نادر : قال الصادق عليه السّلام : إنّ الله عزّ و جلّ آخى بين الأرواح
في الأظلة قبل أن يخلق الأجساد بألفي عام ، فإذا قام قائمنا قائم أهل البيت ورث الأخ الذي آخى بينهما في
الأظلة ، و لم يورث الأخ من الولادة ٤ .

و في (نوار حج الفقيه) قال الصادق عليه السّلام : أوّل ما يظهر القائم عليه السّلام من العدل أن ينادي
مناديه أن يسلم أصحاب النافلة لأصحاب الفريضة الحجر

(١) كمال الدين للصدوق : ٣٧٧ ح ٢ .

- (٢) هذا حديث سعيد بن عمرو أخرجه الكليني في الكافي ٤ : ٢٤٢ ح ٤ ، و اما حديث أبي الحر فلفظه غير هذا و أخرجه هو في الصدر ٤ : ٢٤٢ ح ٣ .
- (٣) الكافي للكليني ٤ : ٥٤٣ ح ١٦ .
- (٤) أخرجه الصدوق في الهداية : ٦٤ .

الصفحة ٤٢٦

الأسود ، و الطواف بالبيت ١ .

و روى (الكافي و الفقيه) عن أبان بن تغلب عن الصادق عليه السلام و اللفظ للثاني قال : دمان في الاسلام حلال من الله تعالى ، لا يقتضى فيهما أحد حتى يبعث الله قائمنا أهل البيت عليه السلام ، فإذا بعث الله عزّ و جلّ قائمنا حكم فيهما بحكم الله تعالى ، الزاني المحصن يرحمه ، و مانع الزكاة يضرب عنقه « . و في الأول :

حكم فيهما بحكم الله لا يريد عليهما بيّنة ٢ .

و في (فضل مساجد الفقيه) : و قال أبو جعفر عليه السلام : أول ما يبدأ قائمنا عليه السلام سقوف المساجد ، فيكسرهما ، و يأمر بها فتجعل عريشا كعريش موسى عليه السلام ٣ .

٣٢

الحكمة (٤٣٢) و قال عليه السلام :

إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا وَ اسْتَغْلَوْا بِأَجْلِهَا إِذَا اسْتَغَلَ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُمْ وَ تَرَكَوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّه سَيُتْرَكُهُمْ وَ رَأَوْا اسْتِكْتَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا اسْتِقْلَالًا وَ دَرَكَهُمْ لَهَا فَوْتًا أَعْدَاءُ مَا سَالَمَ النَّاسُ وَ سَلِمَ مَا عَادَى النَّاسُ بِهِمْ عِلْمَ الْكِتَابِ وَ بِهِ عَلِمُوا وَ بِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ اللَّهُ تَعَالَى وَ بِهِ قَامُوا لَا يَرَوْنَ مَرْجُوًّا فَوْقَ مَا يَرْجُونَ وَ لَا مَخُوفًا فَوْقَ مَا يَخَافُونَ .

(١) أخرجه الصدوق في الفقيه ٢ : ٣١٠ ح ٢٥ .

(٢) الكافي للكليني ٣ : ٣ ح ٥ ، و الفقيه للصدوق ٢ : ٦ ح ٧ .

(٣) الفقيه للصدوق ١ : ١٥٣ ح ٢٩ .

الصفحة ٤٢٧

قال ابن أبي الحديد بعد العنوان : هذا يصلح أن تجعله الإمامية شرح حال الأئمة المعصومين على مذهبهم ، لقوله فوق ما يرجون : « بهم علم الكتاب و به علموا » . و أما نحن فنجعله شرح العلماء العارفين ، و هم أولياء الله الذين ذكرهم ١ .

قلت : العلماء العارفون الكاملون في العلم و العرفان ليسوا إلا الأئمة المعصومين الذين لهم اتصال بالمبدأ ، و لم يستطع أحد في عصر أن يدعي أن عنده علم جميع الكتاب غيرهم ، كما أن الأولياء الكاملين أيضا هم عليهم السلام ، و غيرهم ناقصون .

« إن أولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذا نظر الناس إلى ظاهرها » فإن الناس يكونون كما قال تعالى : يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا و هم عن الآخرة هم غافلون ٢ . و هم عليهم السلام يكونون كما قال تعالى : و الذين يؤتون ما آوتوا و قلوبهم وحلة أنهم إلى ربهم راجعون . اولئك يسارعون في الخيرات و هم لها سابقون ٣ . و صدقوا قوله تعالى : . . . إنما الحياة الدنيا متاع و إن الآخرة هي دار القرار ٤ .

« و اشتغلوا بأجلها » أي : بتحصيل درجات آخرتها ، و كانوا كما قال تعالى :

تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض و لا فسادا و العاقبة للمتقين ٥ .

« إذا اشتغل الناس بعاجلها » زين للناس حبّ الشهوات من النساء

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤ : ٤٧٤ .

(٢) الروم : ٧ .

(٣) المؤمنون : ٦٠ ٦١ .

(٤) غافر : ٣٩ .

(٥) القصص : ٨٣ .

الصفحة ٤٢٨

و البنين و القناطير المقنطرة من الذهب و الفضّة و الخيل المسوّمة و الأنعام و الحرث ذلك متاع الحياة الدّنيا و الله عنده حسن المآب ١ ، اعلموا أنّما الحياة الدّنيا لعب و لهو و زينة و تفاخر بينكم و تكاثر في الأموال و الأولاد كمثل غيث أعجب الكفّار نباته ثمّ يهيج فنراه مصفراً ثمّ يكون حطاماً و في الآخرة عذاب شديد و مغفرة من الله و رضوان و ما الحياة الدّنيا إلاّ متاع الغرور ٢ .

« فأماتوا منها ما خشوا » أي : خافوا .

« أن يميتهم » بنقص دينهم ، روى (الخصال) عن النّبّيّ صلّى الله عليه و آله قال : ثلاث مجالستهم تميت القلب : مجالسة الأندال ، و الحديث مع النساء ، و مجالسة الأغنياء ٣ .

و روى الخطيب عن جابر قال : قدم قوم على النّبّيّ صلّى الله عليه و آله من غزاة له ،

فقال لهم : قدمتم خير مقدم ، قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر . قالوا :

و ما الجهاد الأكبر يا رسول الله ؟ قال : مجاهدة العبد هواه ٤ .

« و تركوا منها ما علموا أنّه سيتركهم » . . . و تركتم ما خولناكم وراء ظهوركم . . . ٥ و في الخبر : إنّما يجمع للدّنيا من لا عقل له ٦ .

« و رأوا استكثار غيرهم منها استقلالاً » . . . قل متاع الدّنيا قليل . . . ٧ .

« و دركهم لها فوتاً » ما عندكم ينفد و ما عند الله باق . . . ٨ .

(١) آل عمران : ١٤ .

(٢) الحديد : ٢٠ .

(٣) الخصال للصدوق : ٨٧ ح ٢٠ في ذيل حديث .

(٤) رواه عنه في الجامع الصغير ٢ : ٨٦ .

(٥) الأنعام : ٩٤ .

(٦) لم أجده بهذا اللفظ لكن المعنى مشهور .

(٧) النساء : ٧٧ .

(٨) النحل : ٩٦ .

الصفحة ٤٢٩

« أعداء ما سالم الناس و سلم » بالكسر فالسكون .

« ما عادى الناس » من أمر العقبي .

« بهم علم الكتاب » كتاب الله لا بغيرهم ، الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به . . . ١ ، بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم . . . ٢ ، قل كفى بالله شهيدا بيني و بينكم و من عنده علم الكتاب ٣ .

و قال أبو جعفر عليه السلام : ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما انزل إلا كذاب ، و ما جمعه و حفظه كما نزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب عليه السلام ،

و الأئمة عليهم السلام من بعده ٤ .

و قال أيضا : ما يستطيع أحد أن يدعي أن عنده جميع القرآن كله ، ظاهره و باطنه غير الأوصياء ٥ .

و قال أبو عبد الله عليه السلام : و الله إنني لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخره ، كأنه في كفي ، فيه خبر السماء و خبر الأرض ، و خبر ما كان و خبر ما هو كائن ، قال الله تعالى : فيه تبيان كل شيء ٦ .

و روى الثعلبي في (تفسيره) كما في (تذكرة سبط ابن الجوزي) عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : و الذي فلق الحبة ، و برأ النسمة ، لو تثبت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم ، و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم ، و بين أهل الزبور بزبورهم ، و بين أهل الفرقان بفرقانهم ، و الذي نفسي بيده ما من رجل

(١) البقرة : ١٢١ .

(٢) العنكبوت : ٤٩ .

(٣) الرعد : ٤٣ .

(٤) الكافي للكليني ١ : ٢٢٨ ح ١ ، و البصائر للصفار : ٢١٣ ح ٢ .

(٥) الكافي للكليني ١ : ٢٢٨ ح ٢ ، و البصائر للصفار : ٢١٣ ح ١ ، ٤ .

(٦) الكافي للكليني ١ : ٢٢٩ ح ٤ .

الصفحة ٤٣٠

من قريش جرت عليه المواسي ، إلا و أنا أعرف له آية تسوقه إلى الجنة ، أو تقوده إلى النار . فقال له رجل : يا أمير المؤمنين فما آيتك التي انزلت فيك ؟ فقال :

أ فمّن كان على بيّنة من ربّه و يتلوّه شاهد منه . . . ١ . فرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم على بيّنة ، و انا شاهد منه ٢ .

« و به » أي : و بالقرآن .

« علموا » أي : علم منزلتهم عند الله تعالى ، و مكانتهم في الدين ، و يكفي في درجتهم من القرآن آية المباهلة ، قال تعالى : فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ٣ .

قال سبط ابن الجوزي في (تذكرته) قال جابر بن عبد الله في ما رواه عنه أهل السير : قدم و فد نجران على النبيّ صلّى الله عليه و آله و فيهم السيّد العاقب و جماعة من الأساقفة ، فقالوا : من أبو موسى ؟ فقال : عمران . قالوا : فأبوك ؟ قال : أبي عبد الله بن عبد المطلب . قالوا : فعيسى من أبوه ؟ فسكت ينتظر الوحي ، فنزل قوله تعالى : إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب . . . ٤ قالوا : لانجدها في ما اوحى إلى أنبيائنا . فقال : كذبتم . فنزل قوله تعالى : فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم . . . ٥ الآية . قالوا :

أنصفت ، فمتى نباهلك ؟ قال : غدا إن شاء الله . فانصرفوا ، و قال بعضهم لبعض :

إن خرج في عدّة من أصحابه ، فباهلوه ، لأنّه غير نبيّ ، و إن خرج في أهل بيته ،

(١) هود : ١٧ .

(٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : ١٦ .

(٣) آل عمران : ٦١ .

(٤) آل عمران : ٥٩ .

(٥) آل عمران : ٦١ .

الصفحة ٤٣١

فلا تباهلوه فإنه نبي صادق ، و لئن باهلتموه لتهلكن . ثم بعث النبي صلى الله عليه و آله إلى أهل المدينة و من حولها ، فلم تبق بكر و لا أنس إلا و خرجت ، و خرج النبي صلى الله عليه و آله و علي عليه السلام بين يديه ، و الحسن عليه السلام عن يمينه و الحسين عليه السلام عن شماله و فاطمة عليها السلام خلفه ، ثم قال : هلموا فهؤلاء أبنائنا و أشار إلى الحسن و الحسين عليهم السلام و هذه نساؤنا يعني فاطمة عليها السلام و هذه أنفسنا يعني نفسي و أشار إلى علي عليه السلام فلما رأى القوم ذلك خافوا ، و جاؤوا إلى بين يديه ، فقالوا :

أقلنا أقالك الله . فقال النبي صلى الله عليه و آله : و الذي نفسي بيده لو خرجوا لامتلأ الوادي عليهم نارا ١ .

و ذكر الثعلبي في (تفسيره) أن النبي صلى الله عليه و آله غدا محتضنا الحسين عليه السلام آخذا بيد الحسن و فاطمة تمشي خلفه ، و علي عليه السلام خلفهم ، و قال النبي صلى الله عليه و آله : إذا دعوت فأمنوا . فقال اسقف نجران : يا معاشر النصاري إنني لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله ، فلا تبتهلوا فتهلكوا ، و لا يبقى على وجه الأرض إلا مسلم . فرجعوا إلى بلادهم ، و صالحوا النبي صلى الله عليه و آله على ألفي حلة ٢ .

و آية التطهير ، قال تعالى : . . . إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا ٣ ، روى الثعلبي في (تفسيره) مسندا عن أبي سعيد الخدري قال : قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم : نزلت هذه الآية في خمسة : فيّ و في عليّ و في حسن و حسين و فاطمة . . . إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا ٤ .

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : ١٤ .

(٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : ١٤ .

(٣) الأحزاب : ٣٣ .

(٤) تفسير الثعلبي عنه الطرائف ١ : ١٢٧ ح ١٩٥ ، و العمدة ١ : ١٩ ، و الآية ٣٣ من سورة الأحزاب .

و عن ام سلمة قالت : إنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ كَانَ فِي بَيْتِهَا ، فَأَتَتْ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامَ بِبِرْمَةٍ فِيهَا حَرِيرَةٌ ، فَدَخَلَتْ بِهَا عَلَيْهِ . قَالَ : ادْعِي لِي زَوْجَكَ وَ ابْنَيْكَ . فَجَاءَ عَلِيٌّ وَ الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، فَدَخَلُوا وَ جَلَسُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تِلْكَ الْحَرِيرَةِ وَ هُوَ وَ هُمُ عَلَى مَنَامَةٍ لَهُ وَ لِي ، وَ كَانَ تَحْتَهُ كِسَاءٌ خَيْرِي ، وَ أَنَا فِي الْحِجْرَةِ أَصْلِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزًّا وَ جَلًّا : إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يَطَهِّرَكُم تَطْهِيرًا ١ . فَأَخَذَ فَضْلَ الْكِسَاءِ وَ كَسَاهُم بِهِ ، ثُمَّ أَخْرَجَ يَدَهُ فَأَلْوَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ وَ قَالَ : هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَ خَاصَّتِي ، اللَّهُمَّ فَادْهَبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَ طَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا . فَأَدَخَلْتُ رَأْسِي الْبَيْتَ وَ قُلْتُ : وَ أَنَا مَعَكُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : إِنَّكَ لَعَلَى خَيْرِ إِبْنِكَ لَعَلَى خَيْرِ ٢ .

و عن (مجمع) التِّمْلِي قَالَ : دَخَلْتُ مَعَ أُمِّي عَلَى عَائِشَةَ ، فَسَأَلْتُهَا أُمِّي ،

قَالَتْ : أَرَأَيْتَ خُرُوجَكَ يَوْمَ الْجَمَلِ ؟ قَالَتْ : إِنَّهُ كَانَ قَدْرًا مِنَ اللَّهِ . فَسَأَلْتُهَا عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَتْ : سَأَلْتَنِي عَنْ أَحَبِّ النَّاسِ كَانَ إِلَى النَّبِيِّ ، لَقَدْ رَأَيْتُ عَلِيًّا وَ فَاطِمَةَ وَ حَسَنًا وَ حُسَيْنًا ، وَ قَدْ جَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ يَغْدِفُ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ قَالَ : هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَ خَاصَّتِي ، فَادْهَبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَ طَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا ٣ .

و عن شَدَادِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ ، وَ عِنْدَهُ قَوْمٌ فَذَكَرُوا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَشَتَمُوهُ فَشَتَمْتُهُ مَعَهُمْ ، فَلَمَّا قَامُوا ، قَالَ : لِمَ شَتَمْتَ هَذَا الرَّجُلَ ؟ قُلْتُ : رَأَيْتُ الْقَوْمَ يَشْتَمُونَهُ فَشَتَمْتُهُ مَعَهُمْ . فَقَالَ : أَلَا أَخْبَرَكَ بِمَا سَمِعْتَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ؟ قُلْتُ : بَلَى . قَالَ : أَتَيْتُ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ أَسْأَلُهَا عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَتْ :

تَوَجَّهَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فَجَلَسَتْ أَنْتَظِرُ حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ، فَجَلَسَ مَعَهُ عَلِيٌّ

(١) الأَحْزَابُ : ٣٣ .

(٢) تَفْسِيرُ الثَّعْلَبِيِّ عَنْهُ الطَّرَائِفُ ١ : ١٢٥ ح ١٩٢ ، وَ الْعَمْدَةُ ١ : ٢٠ .

(٣) تَفْسِيرُ الثَّعْلَبِيِّ عَنْهُ الطَّرَائِفُ ١ : ١٢٧ ح ١٩٦ ، وَ الْعَمْدَةُ ١ : ٢٠ .

و الحسن و الحسين عليهما السلام أخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل ، فأدنى عليا و فاطمة عليهما السلام فأجلسهما بين يديه ، و أجلس حسنا و حسيننا كل واحد منهما على فخذه ثم لفّ عليهم ثوبه أو قال كساء ثم تلا :

إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا ١ . ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي ، و أهل بيتي أحقّ .

و رواه أحمد بن حنبل في (فضائله) ٢ .

و روى الثعلبي أيضا في (تفسيره) و الطبري في (ذيله) عن أبي الحمراء قال : أقمت بالمدينة تسعة أشهر كيوم واحد ، و كان النبي صلى الله عليه و آله يجيء كل غداة ،

فيقوم على باب عليّ و فاطمة عليهما السلام فيقول : . . . إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا ٣ .

و روى مسلم في (صحيحه) مسندا عن زيد بن أرقم قال : قال النبي صلى الله عليه و آله : ألا و إنّي تارك فيكم ثقلين : أحدهما كتاب الله عزّ و جلّ هو حبل الله ،

من اتبعه كان على الهدى ، و من تركه كان على ضلالة ، و أهل بيتي ، انكركم الله في أهل بيتي . فقلنا : من أهل بيته ، نساؤه ؟ قال : لا ، و ايم الله ، إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ، ثم يطلقها فترجع إلى أبيها و قومها . أهل بيته : أصله و عصبته الذين حرموا الصدقة بعده ٤ .

(١) الاحزاب : ٣٣ .

(٢) تفسير الثعلبي عنه الطرائف ١ : ١٢٣ ح ١٨٨ ، و العمدة ١ : ٢١ ، و أحمد في فضائله عنه تذكرة الخواص : ٢٣٣ ، و في مسنده ٤ : ١٠٧ أيضا .

(٣) تفسير الثعلبي عنه الطرائف ١ : ١٢٨ ح ١٩٨ ، و العمدة ١ : ٢١ ، و الطبري في ذيل المذيل : ٨٣ ، و قد مرّ تخريجه في العنوان ٢٧ من هذا الفصل .

(٤) صحيح مسلم ٤ : ١٨٧٤ ح ٣٧ ، و جمع آخر .

و لو أردنا استقصاء ما ورد عن طرقهم في ذلك فضلا عما ورد من طرقنا لطلال الكلام .

« و بهم قام الكتاب » فلولاهم ما عرف متشابهه من محكمه ، و منسوخه من ناسخه ، و خاصه من عامه ، و مجمله من مبيئه .

« و به قاموا » حسبما قال النبي صلى الله عليه و آله : إن القرآن و عترته لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض ١ . فكل منهما يقوم بالآخر كما أن كلا منهما يعلم بالآخر .

و قال أبو عبد الله عليه السلام : إن الأئمة في كتاب الله إمامان : قال تعالى :

و جعلناهم أئمة يهدون بأمرنا . . . ٢ لا بأمر الناس يقدمون أمر الله قبل أمرهم ، و حكم الله قبل حكمهم ، و قال : و جعلناهم أئمة يدعون إلى النار . . . ٣ يقدمون أمرهم قبل أمر الله ، و حكمهم قبل حكم الله ، و يأخذون بأهوائهم خلاف ما في كتاب الله تعالى ٤ .

و قال عليه السلام أيضا في قوله تعالى : إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ٥ : يهدي إلى الإمام ٦ .

و قال أبو جعفر عليه السلام في قوله تعالى : . . . فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب و الحكمة و آتيناهم ملكا عظيما ٧ أي : جعل منهم الرسل و الأنبياء و الأئمة .

قال : فكيف يقرّون في آل إبراهيم ، و ينكرونه في آل محمد صلى الله عليه و آله و سلم ٨ ؟

-
- (١) مرّ تخريج حديث الثقلين في شرح فقرة « إليهم يفيء الغالي » في العنوان ٤ من هذا الفصل .
 (٢) الأنبياء : ٧٣ .
 (٣) القصص : ٤١ .
 (٤) الكافي للكليني ١ : ٢١٦ ح ٢ ، و روى عن الباقر عليه السلام أيضا .
 (٥) الاسراء : ٩ .
 (٦) الكافي للكليني ١ : ٢١٦ ح ٢ .
 (٧) النساء : ٥٤ .
 (٨) الكافي للكليني ١ : ٢٠٥ ح ١ ، و غيره .

و قال الرضا عليه السلام في قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و كونوا مع الصادقين ١ :
الصادقون هم الأئمة ٢ .

و قال عليه السلام في قوله : . . . فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ٣ :

نحن أهل الذكر ، و نحن المسؤولون ٤ .

و قال أبو جعفر عليه السلام في قوله تعالى : . . . قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى . . . ٥ :
هم الأئمة عليهم السلام ٦ .

و قال أبو عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : و اعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه و للرَسُول و
لذي القربى . . . ٧ : ذو القربى أمير المؤمنين عليه السلام و الأئمة عليهم السلام ٨ .

« لا يرون مرجواً فوق ما يرجون » و هو الله تعالى القادر على كل شيء ، و عن الباقر عليه السلام قال
: قال علي بن الحسين عليه السلام : مرضت مرضاً شديداً ، فقال لي أبي عليه السلام ما تشتهي ؟ فقلت :
أشتهي أن أكون ممن لا أقترح على ربي ما يدره لي . فقال لي : أحسنت ، ضاهيت إبراهيم الخليل عليه
السلام حيث قال جبرئيل عليه السلام : هل من حاجة ؟ فقال : لا أقترح على ربي ، بل حسبي الله و نعم
الوكيل ٩ .

« و لا مخوفاً فوق ما يخافون » و هو الله القاهر الذي لا يمكن الفرار من

(١) التوبة : ١١٩ .

(٢) البصائر للصفار : ٥١ ح ٢ ، و غيره .

(٣) النحل : ٤٣ .

(٤) الكافي للكليني ١ : ٢١١ ح ٧ ، و غيره ، و روي عن النبي صلى الله عليه و آله و علي و الصادق
و الرضا عليهم السلام .

(٥) الشورى : ٢٣ .

(٦) الكافي للكليني ١ : ٤١٣ ح ٧ ، و غيره .

(٧) الانفال : ٤١ .

(٨) الكافي للكليني ١ : ٤١٤ ح ١٢ .

(٩) الدعوات للراوندي عنه البحار ٤٦ : ٦٧ ح ٣٤ .

الصفحة ٤٣٦

حكومته ، و عن (الحلية) : كان عليّ بن الحسين عليه السّلام إذا فرغ من وضوئه للصلاة و صار بين وضوئه و صلاته ، أخذته رعدة و نفضة ، فقيل له في ذلك ، فقال :

و يحكم أتدرون إلى من أقوم ، و من اريد أن اناجي ؟ ١

و في خبر آخر : كان السّجاد عليه السّلام إذا توضأ اصفرّ لونه ، فقيل له في ذلك ،

فقال : أتدرون بين يديّ من اريد أن أف ؟ ٢

و في خبر : وقع حريق في بيت هو فيه ساجد ، فجعلوا يقولون : يا بن رسول الله النار النار فما رفع رأسه حتّى اطفئت . فقيل له بعد قعوده : ما الذي أهلك عنها ؟ قال : النار الكبرى ٣ .

هذا ، و في (تاريخ بغداد) : أن المتوكل قال لذي النون المصري : صف لنا أولياء الله . فقال : هؤلاء قوم ألبسهم الله النور الساطع من محبته ، و جللهم بالبهاء من أردية كرامته ، و وضع على مفارقهم تيجان مسرته ، و نشر لهم المحبة في قلوب خليقته ، ثمّ أخرجهم و قد أودع القلوب ذخائر الغيوب ، فهي معلقة بمواصلة المحبوب ، فقلوبهم إليه سائرة ، و أعينهم إلى عظيم جلاله ناظرة ، ثمّ أجلسهم بعد أن أحسن إليهم على كراسي طلب المعرفة بالدواء ،

و عرفهم منابت الأدواء ، و جعل تلاميذهم أهل الورع و التقى ، و ضمن لهم الإجابة عند الدّعاء ، و قال : يا أوليائي إن أتاكم عليل من فرقي فداووه ، أو مريض من ارادتي فعالجوه ، أو مجروح بتركي إياه فلاطفوه ، أو فارّ منّي فرغبوه ، أو أبق منّي فخادعوه ، أو خائف منّي فآمنوه ، أو راغب في مواصلي فمّنّوه ، أو قاصد نحوي فأدّوه ، أو جبان في متاجرتي فجرّئوه ، أو آيس من فضلي فعدّوه ، أو راج لإحساني فبشّروه ، أو حسن الظنّ بي فباسطوه ، أو

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ٣ : ١٣٣ .

(٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : ٣٢٥ .

(٣) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : ٣٢٥ .

الصفحة ٤٣٧

محبّ لي فواصلوه ، أو معظّم لقدري فعظّموه ، أو مستوصف نحوي فارشدوه ، أو مسيء بعد إحساني فعاتبوه ، أو ناس لإحساني فذكّروه ، و إن استعاث بكم ملهوف فأغيثوه ، و من وصلكم في فواصلوه ، فإن غاب عنكم فافتقدوه ، و إن ألزكم جناية فاحتملوه ، و إن قصر في واجب حق فاتركوه ،

و إن أخطأ خطيئة فانصحوه ، و إن مرض فعودوه ، و إن وهبت لكم هبة فشاطروه ، و إن رزقتكم فأثروه . يا أوليائي لكم عاتبت ، و لكم خاطبت ، و إيّاكم رغبت ، و منكم الوفاء طلبت ، لأنكم بالأثرة أثرت و انتخبتم ، و إيّاكم استخدمتم و اصطنعت و اختصت ، لا اريد استخدام الجبارين و لا مطاوعة الشّرهين .

جزائي لكم أفضل الجزاء ، و عطائي لكم أوفر العطاء ، و بذلي لكم أعلى البذل ،

و فضلي عليكم أكبر الفضل ، و معاملتي لكم أو في المعاملة ، و مطالبتي لكم أشدّ المطالبة . أنا مفتش القلوب ، أنا علام الغيوب ، أنا ملاحظة اللحظ ، أنا مرصد الهمم ، أنا مشرف على الخواطر ، أنا العالم بأطراف الجفون . لا يفزعكم صوت جبار دوني ، و لا مسلط سواي ، فمن أرادكم قصمته ، و من آذاكم آذيته ، و من عاداكم عاديته ، و من والاكم واليته ، و من أحسن إليكم أرضيته ، أنتم أوليائي ،

و أنتم أحبائي ، أنتم لي ، و أنا لكم ١ .

٣٣

من الخطبة (١٤٩) و من خطبة له عليه السّلام :

وَ هُوَ فِي مُهَلَّةٍ مِنَ اللَّهِ يَهْوِي مَعَ الْغَافِلِينَ وَ يَغْدُو مَعَ الْمُنْذِبِينَ بِلا سَبِيلٍ قَاصِدٍ وَ لا إِمَامٍ قَائِدٍ « و هو في مهلة من الله » قال تعالى : و ذرني و المكذّبين أولي النعمة

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٨ : ٣٩٤ .

الصفحة ٤٣٨

و مهلهم قليلا . إنّ لدينا أنكالا و جحيما . و طعاما ذا غصّة و عذابا ألّيما ١ ،

فمهّل الكافرين أمهلهم رويدا ٢ .

« يهوي » بالكسر ، أي : يسقط و يهبط .

« مع الغافلين » عنه تعالى ، اقترب للناس حسابهم و هم في غفلة معرضون ٣ .

« و يغدو » أصل يغدو : السّير غدواً ، و لما كان الغالب في طالب شيء أن يسير إليه في الغدوّ استعمل في مطلق الطلب .

« مع المذنبين » . . . و لا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ٤ ، و . . . كفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً ٥ .

« بلا سبيل قاصد » و على الله قصد السبيل و منها جائز ٦ .

« و لا إمام قائد » قال النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ : من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة ٧ .

٣٤

من الحكمة (١٥٦) و قال عليه السّلام :

عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لَا تُعْذَرُونَ بِجَهَالَتِهِ

(١) المزمّل : ١١ ١٣ .

(٢) الطارق : ١٧ .

(٣) الأنبياء : ١ .

(٤) القصص : ٧٨ .

(٥) الاسراء : ١٧ .

(٦) النحل : ٩ .

(٧) المحاسن للبرقي : ١٥٥ ح ٨٢ ، و غيره مرّ تخريجه في العنوان ١٠ من هذا الفصل .

أقول : رواه (الإرشاد) جزء العنوان السادس عشر من الباب الأول : « إن ابغض الخلائق رجلاً » إلى آخره مع زيادات هكذا : « أيها الناس عليكم بالطاعة ، و المعرفة بمن لا تعذرون بجهالته ، فإن العلم الذي هبط به آدم عليه السلام ،

و جميع ما فضلت به النبيون إلى نبيكم خاتم النبيين في عترة نبيكم محمد صلى الله عليه و آله ، فأين يتاه بكم ، بل أين تذهبون ؟ يا من نسخ من أصلاب أصحاب السفينة ، هذه مثلها فيكم فاركبوها ، فكما نجا في هاتيك من نجا فكذلك ينجو في هذه من دخلها ، أنا رهين بذلك ، قسماً حقاً ، و ما أنا من المتكلفين ، و الويل لمن تخلف ، ثم الويل لمن تخلف . أما بلغكم ما قال فيهم نبيكم صلى الله عليه و آله حيث يقول في حجة الوداع : إني تارك فيكم الثقيلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي :

كتاب الله ، و عترتي أهل بيتي ، و إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ،

فانظروا كيف تخلفوني فيهما ؟ ألا هذا عذب فرات فاشربوا ، و هذا ملح أجاج فاجتنبوا ١ .

« عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته » من لا يعذر الناس بجهالته أولاً هو الله تعالى ، ثم نبيّه صلى الله عليه و آله ، ثم أوصياؤه و خلفاؤه الأئمة الاثنا عشر صلوات الله عليهم أجمعين ، قال تعالى : أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و اولي الأمر منكم . . . ٢ .

و قال نبيّه صلى الله عليه و آله : من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ٣ .

و في (تفسير مجاهد) : نزلت آية . . . أطيعوا الله . . . في عليّ عليه السلام حين

(١) الارشاد للمفيد : ١٢٤ .

(٢) النساء : ٥٩ .

(٣) المحاسن للبرقي : ١٥٥ ح ٨٢ ، و غيره ، و قد مرّ تخريجه في العنوان ١٠ من هذا الفصل .

(٤) النساء : ٥٩ .

الصفحة ٤٤٠

خلفه النبيّ صلى الله عليه و آله بالمدينة في تبوك ١ .

و في (إبانة الفلكي) أنها نزلت لما شكأ أبو هريرة من عليّ عليه السلام ٢ .

و روى ابن مردويه ، و أخطب خوارزم ، و المعافى بن زكريا ، عن أبي ذر ،

و المقداد ، و سلمان قالوا : كنا قعودا عند النبي صلى الله عليه و آله ما معنا غيرنا ، إذ أقبل ثلاثة رهط من المهاجرين البدرين ، فقال النبي صلى الله عليه و آله : تفترق امتي بعدي ثلاث فرق :

فرقة أهل حق لا يشوبه باطل ، مثلهم كمثل الذهب كلما فتنته بالنار زاد جودة و طيبا ، إمامهم هذا أحد الثلاثة و هو الذي ذكره الله في كتابه . . . إماما و رحمة . . . ٣ ، و فرقة أهل باطل و لا يشوبونه بحق ، مثلهم كمثل خبث الحديد كلما فتنته بالنار ازداد خبثا ، و إمامهم هذا أحد الثلاثة ، و فرقة أهل ضلالة مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء و لا إلى هؤلاء ، و إمامهم هذا أحد الثلاثة . فسنلوا عن أهل الحق و إمامهم ، فقالوا : علي بن أبي طالب إمام المتقين . و أمسكوا عن الإثنين ، فجهدوا أن يسميها فلم يفعل ٤ .

قلت : قوله : « فاسئلوا » يعني سلمان و أبا ذر و المقداد ، و إمسكهم عن الإمامين الأخيرين كان تقيّة ، لكن المراد معلوم لمن كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد ٥ ، و الحمد لله رب العالمين .

(١) روى عنهما ابن شهر آشوب في مناقبه ٣ : ١٥ .

(٢) روى عنهما ابن شهر آشوب في مناقبه ٣ : ١٥ .

(٣) هود : ١٧ ، و الأحقاف : ١٢ .

(٤) رواه عنهم البحراني في البرهان ٢ : ٢١٤ ح ٢١ .

(٥) ق : ٣٧ .

الصفحة ٤٤١

فهرس المطالب

العنوان رقم الصفحة

تتمّة الفصل السابع في الإمامة العامّة عليه السّلام ١

العنوان ٥ من الخطبة ٤ : « بنا اهتديتم في الظّلماء ، و تسنّمتم العلياء . . . » ١

الحكمة ١٨٤ : « ما شككت في الحقّ مذ أريته . . . » ٢

- العنوان ٦ من الخطبة ٩٥ : « انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم . . . » ١٦
- العنوان ٧ من الخطبة ١٠٧ : « نحن شجرة النبوة ، و محط الرسالة . . . » ٢٠
- العنوان ٨ من الخطبة ١٤٢ : « أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم . . . » ٣٢
- العنوان ٩ من الخطبة ١٤٥ : « و اعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا . . . » ٥٩
- العنوان ١٠ من الخطبة ٢٣٧ : « هم عيش العلم و موت الجهل . . . » ٦٤
- من الحكمة ٩٨ : « اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية . . . » ٦٥
- العنوان ١١ من كتاب ٢٨ : « . . . أما بعد ، فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله . . . » ٧٩
- العنوان ١٢ من الخطبة ٢٠٥ : « . . . املكوا عني هذا الغلام لا يهدني . . . » ٢١٠
- العنوان ١٣ من الخطبة ١٥٠ : « و إنما الأئمة قوام الله على خلقه . . . » ٣٧٥
- العنوان ١٤ من الخطبة ١٨٥ : « ألا بأبي و أمي هم من عده . . . » ٣٨٠
- العنوان ١٥ من الخطبة ١٨٧ : « و الهجرة قائمة على حدّها الأول . . . » ٣٩١
- العنوان ١٦ من الخطبة ٢٣١ : « ألا و إن اللسان بضعة من الانسان . . . » ٤٠٢
- العنوان ١٧ من الخطبة ١٥٢ : « قد خاضوا بحار الفتن . . . » ٤١٦
- العنوان ١٨ من الخطبة ١٥٢ : « فيهم كرائم القرآن ، و هم كنوز الرحمن . . . » ٤٢٥
- العنوان ١٩ الحكمة ١٠٩ : « نحن النمرقة الوسطى بها يلحق التالي . . . » ٤٢٩

الصفحة ٤٤٢

العنوان ٢٠ الحكمة ٢١ : « لنا حق ، فإن أعطيناه و إلا ركبنا أعجاز الإبل . . . » ٤٣٥

- العنوان ٢١ الحكمة ١١١ : « . . . لو أحببني جبل لتهافت . . . » ٤٣٨
- العنوان ٢٢ الحكمة ٩٨ : « و خلف فينا راية الحق . . . » ٤٤٥
- العنوان ٢٣ من الخطبة ١٠٣ : « فما اطولت لكم الدنيا في لذتها . . . » ٤٥٤
- العنوان ٢٤ من الخطبة ١٦٤ : « أيها الناس لو لم تتخاذلوا عن نصر الحق . . . » ٤٦٩
- العنوان ٢٥ من الخطبة ١٠٣ : « ألا و إن أبصر الأبصار ما نفذ في الخير طرفه . . . » ٤٧٧
- العنوان ٢٦ من الخطبة ١٦٧ : « و إنما طلبوا هذه الدنيا حسدا لمن أفاءها . . . » ٤٩٠
- العنوان ٢٧ الحكمة ٢٠٩ : « لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس . . . » ٤٩٥
- العنوان ٢٨ من الخطبة ٨٥ : « فأين تذهبون » و (أنى تؤفكون) و الأعلام قائمة . . . » ٤٩٨
- العنوان ٢٩ من الخطبة ١٤٨ : « حتى إذا قبض الله رسوله صلى الله عليه و آله و سلم رجع قوم . . . » ٥١٩
- العنوان ٣٠ من الخطبة ١٨٨ : « الزموا الأرض ، و اصبروا على البلاء . . . » ٥٤٢
- العنوان ٣١ من الخطبة ١٨٠ : « قد لبس للحكمة جنتها ، . . . » ٥٤٧
- العنوان ٣٢ الحكمة ٤٣٢ : « ان أولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا . . . » ٥٤٧
- العنوان ٣٣ من الخطبة ١٤٩ : « و هو في مهلة من الله يهوى مع الغافلين . . . » ٥٦٨
- العنوان ٣٤ الحكمة ١٥٦ : « عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته » ٥٦٩

ضمّ « بهج الصبّاعة في شرح نهج البلاغة » (٦٠) فصلا وزّعت على ١٤ مجلداً حازت تلك الفصول على أسماء خاصّة بها ، و ادرجت وفقاً لهيكل ارتآه المؤلّف نفسه .

اشتمل كلّ فصل على عدد من نصوص النهج المراد شرحها ، كتبت بالغامق ،

و انتظمت استناداً إلى ترابطها الموضوعي بعناوين منحت أرقاماً بارزة أعلاها تمثّل تسلسلها في الفصل ، إضافة إلى رقم خاص بين قوسين يشير إلى موقعها في النهج .

قد تحتوي بعض العناوين على أكثر من نصّ يراد توضيحه فتشترك نصوص العنوان برقم واحد أعلاها ، و يميّز كلّ نصّ برقمه الخاص في نهج البلاغة .

يبتدأ الشرح باقتطاع كلمات أو فقرات متتالية حسب أولويّتها في النصّ غالباً و تحصر بين قوسين و تميّز بالغامق في أوّل مورد أتت به لشرحها .

غالباً ما يكون الشرح لغويّاً أوّل الأمر ، ثمّ ينطلق منه إلى وقائع تاريخيّة و قصص أدبيّة معزّزة بأنواع الشواهد شعراً و نثراً .

لم تحصر النصوص المنقولة من غير نهج البلاغة بين قوسين لكثرتها ، و اكتفي لتمييز أولها بذكر اسم الكتاب المأخوذة منه و يقع أوّل السطر في أحيان كثيرة بين قوسين ، و نهايتها بهامش يشير إلى استخراجها و يبدأ النصّ الآخر برأس سطر جديد .

عند ما يتمّ شرح كلّ نصّ من العنوان ينتقل إلى عنوان آخر يليه وفقاً لرقم تسلسله في الفصل ، فتشرح نصوصه و ينتقل إلى عنوان بعده ، و هكذا تشرح الفصول متتابعة .
إنّ العبارات التي تقع بين خطّين ، هي عبارات اعتراضيّة توضيحيّة .
اضيف في نهاية كلّ مجلّد فهرست للخطب و الكتب و الحكم الواردة في ذلك المجلّد .

و ختاماً نرجو من القراء الأعزاء إرسال ما لديهم من ملاحظات أو اقتراحات بناءة حول الكتاب . كما نعتذر عن السهو و الخطأ إن وجد . نتمنى للجميع التسديد و الصواب ، و من الله الأجر و الثواب و السّلام عليكم و رحمة الله و بركاته